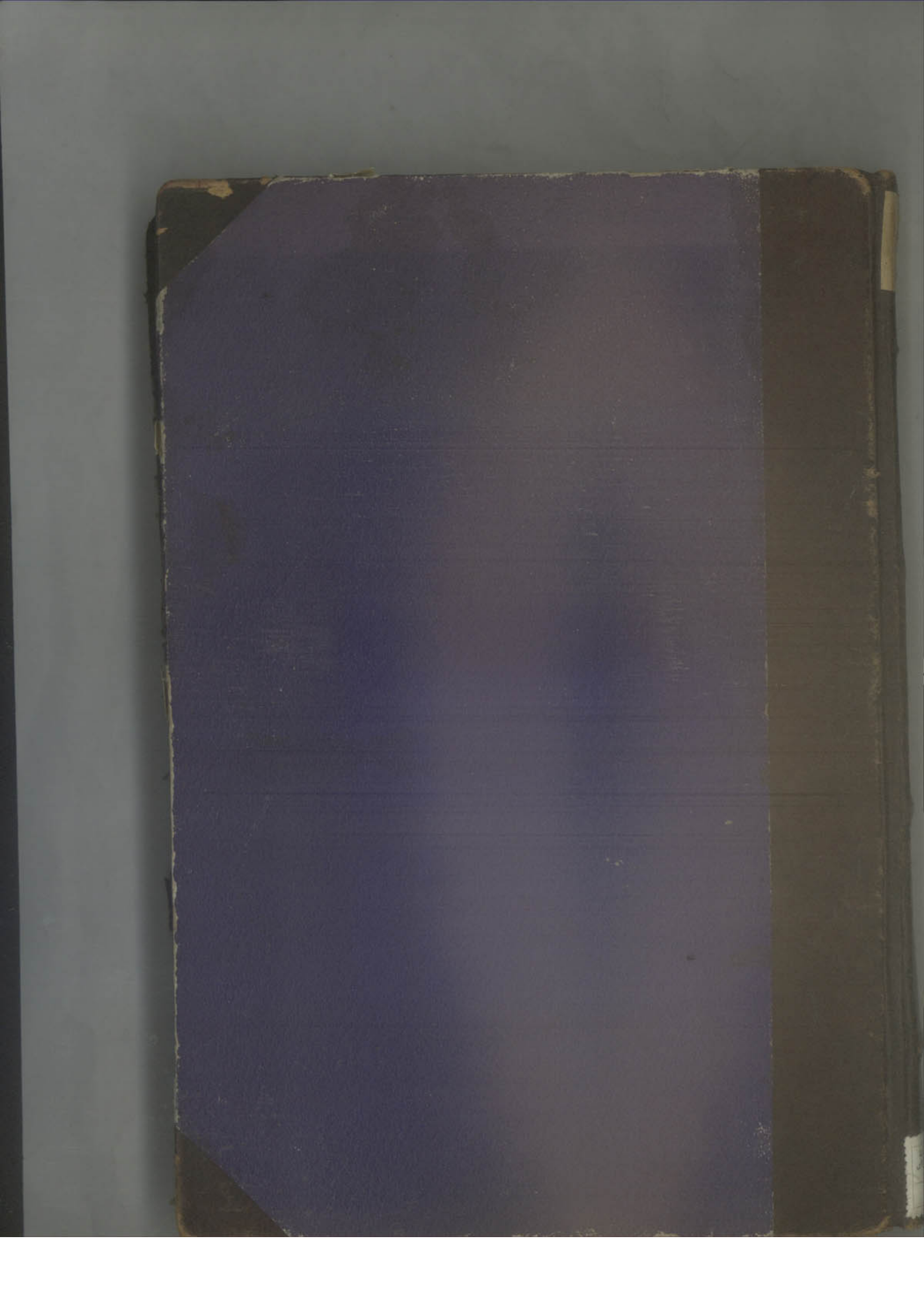
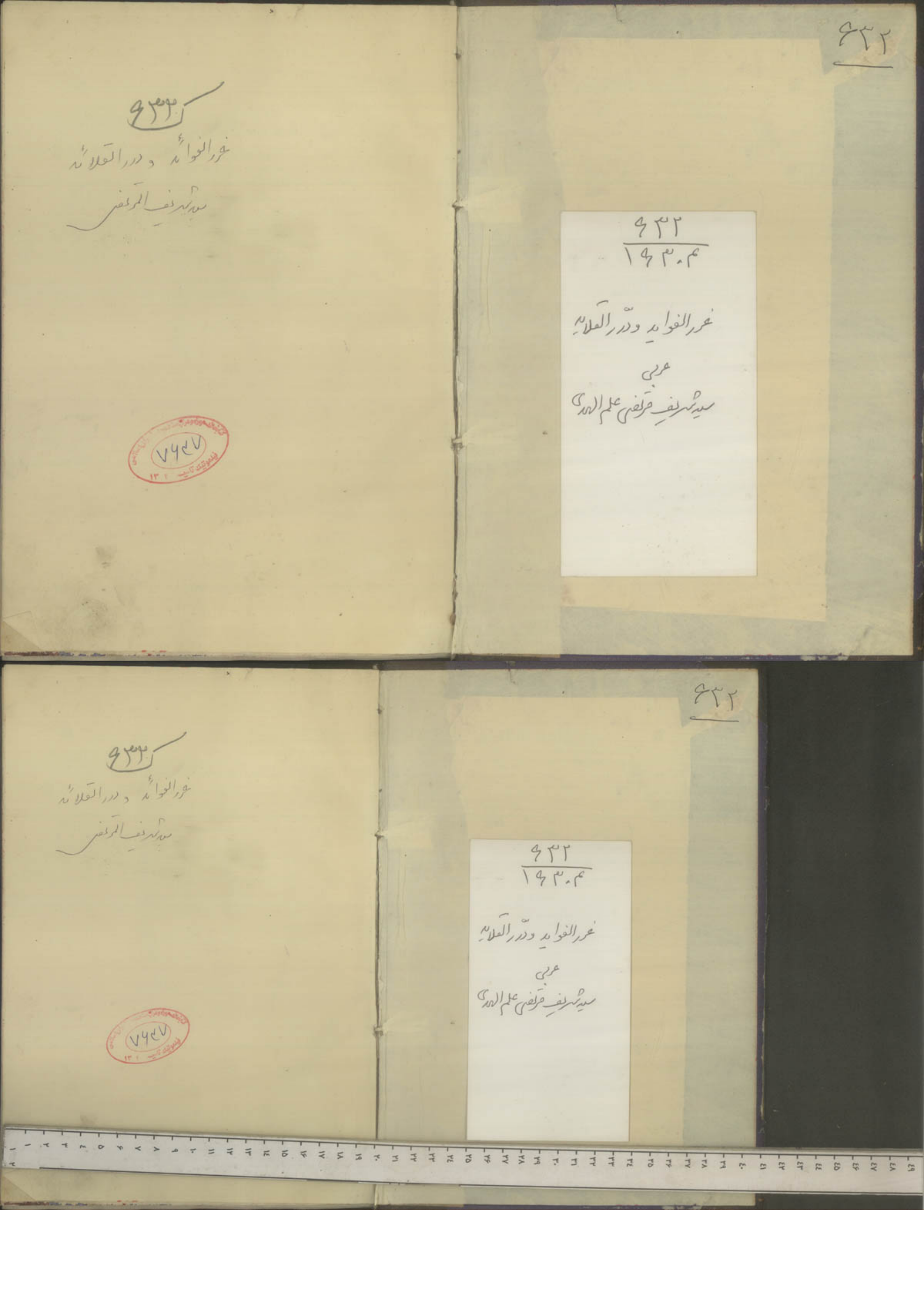
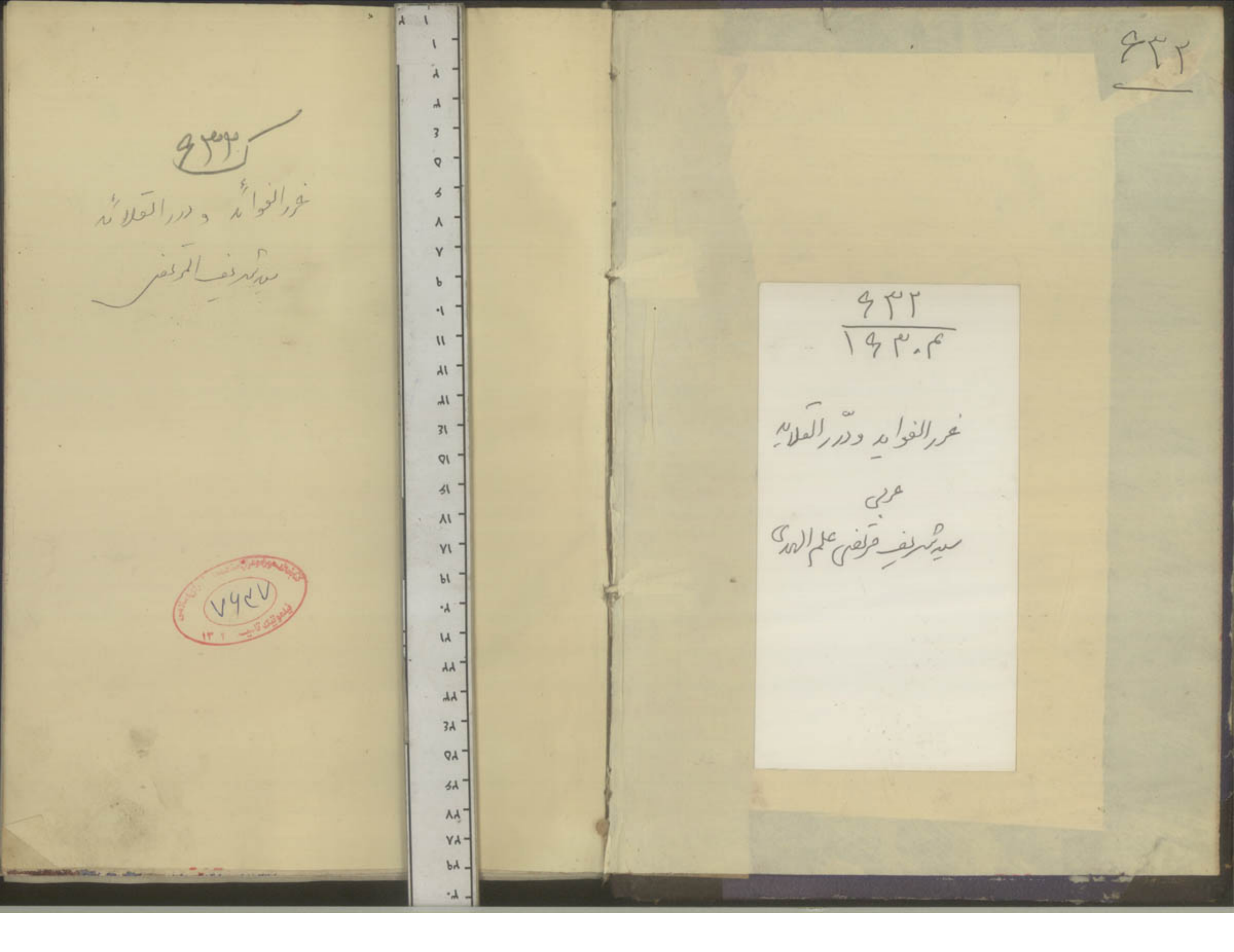
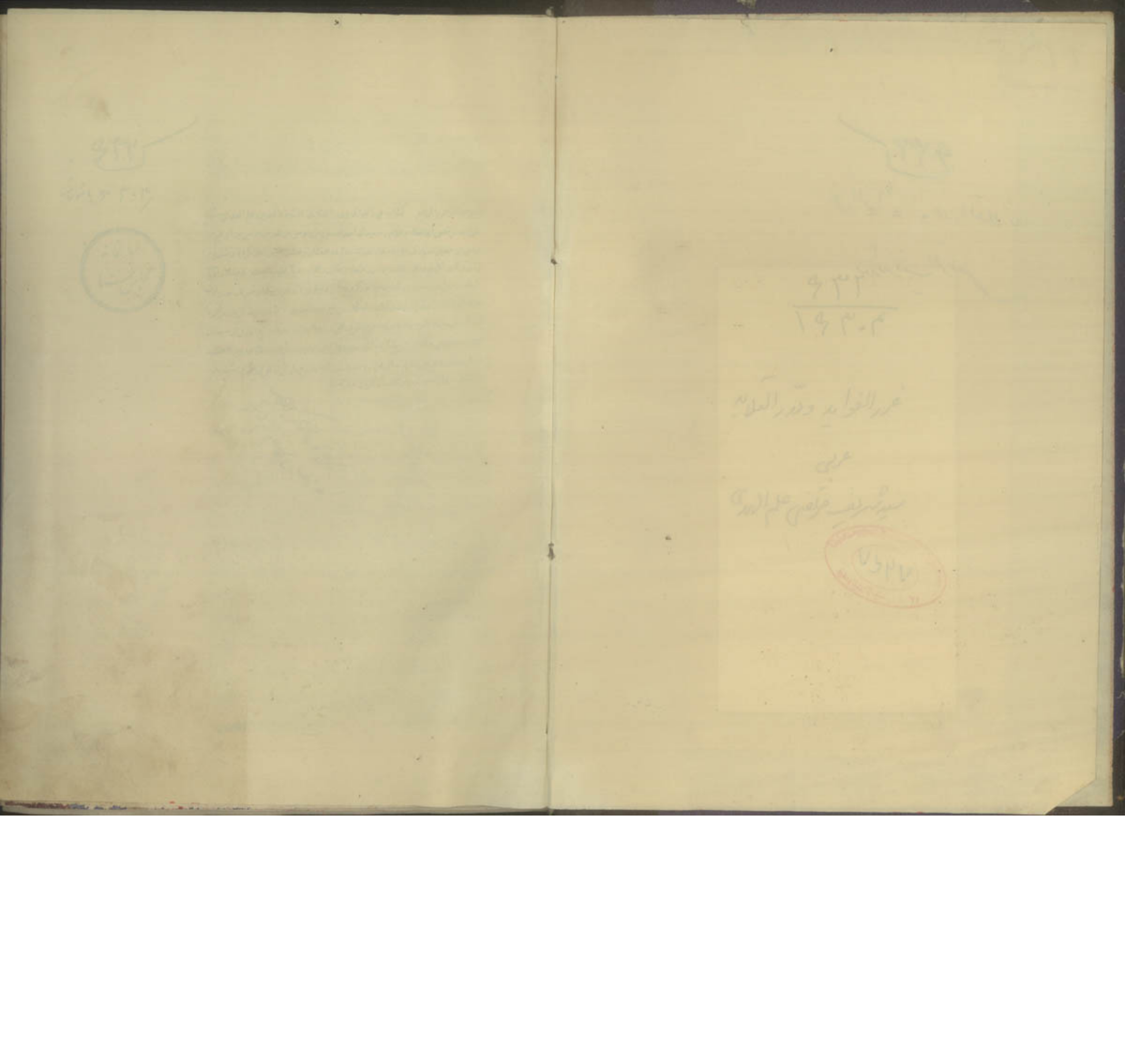
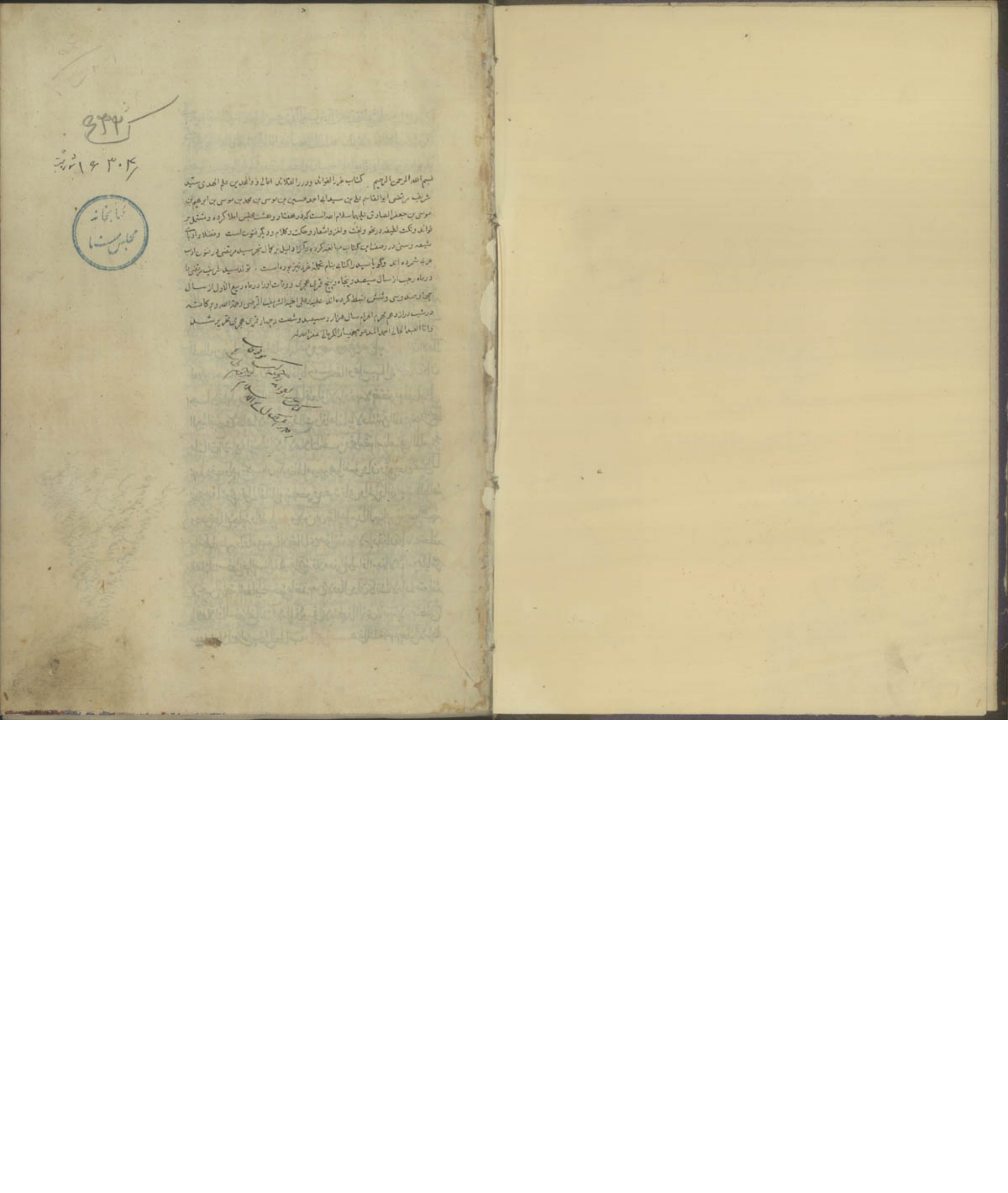



۶۳۲
غرر الفوائد و درر القلائد
سید شریف المرتضی
۷۶۴۷
۶۳۲
غرر الفواید و درر القلاید
عربی
سید شریف مرتضی علم الهدی



غرر الفوائد و درر القلائد
سید شریف المرتضی
٦٣٢
غرر الفواید و درر القلاید
عربی
سید شریف مرتضی علم الهدی


غرر الفوائد ودرر القلائد
عربی
سید شریف مرتضی علم الهدی

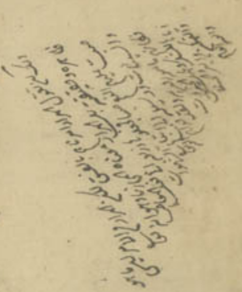


بسم الله الرحمن الرحیم . کتاب غرر الفوائد و درر القلائد امالی ذوالمجدین علم الهدی سید
شریف مرتضی ابوالقاسم علی بن سید ابی احمد حسین بن موسی بن محمد بن موسی بن ابرهیم بن
موسی بن جعفر الصادق علیهما السلام است که در هشتاد و هشت مجلس املا کرده و مشتمل بر
فوائد و نکت لطیفه در نحو و لغت و لغز و اشعار و حکمت و کلام و دیگر فنون است و فضلا و ادبا
شیعه و سنی در وصف این کتاب مبالغه کرده و آن را دلیل بر کمال تبحر سید مرتضی در فنون ادب
عرب شمرده اند و گویا سید را کتابی بنام تکمله غرر نیز بوده است . تولد سید شریف مرتضی را
در ماه رجب از سال سیصد و پنجاه و پنج قمری هجری و وفات او را در ماه ربیع الاول از سال
چهارصد و سی و شش ضبط کرده اند علیه و علی اخیه الشریف الرضی رحمة الله و برکاته
در شب دوازدهم محرم الحرام سال هزار و سیصد و شصت و چهار قمری هجری تحریر شد
و انا العبد الجانی احمد المدعو بمهیار الکرمانی عفی الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

المجلس الاول من غرر الفوائد ودرر القلائد في تاويل آية

قال الله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا في هذه الاية وجوه من التاويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على المبطلين فيها حتى عدلوا بتاويلها عن وجهه وحرفوه عن بابه اولها ان الاهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا فاذا كان مستحقا او على سبيل الامتحان كان حسنا وانما يكون قبيحا اذا كان ظلما فتعلق الارادة به لا يقتضي تعلقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر الاية يقتضي ذلك واذا علمنا بالادلة تنزه القديم تعالى عن القبائح علمنا ان الارادة لم تتعلق الا بالاهلاك الحسن وقوله تعالى امرنا مترفيها المامور به محذوف وليس يجب ان يكون المامور به هو الفسق وان وقع بعده الفسق وانما يجري هذا مجرى قول القائل امرته فعصى ودعوته فابى والمراد انني امرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة والقبول ٥ ويمكن ان يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وانما موضعها ان يقال اي معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة باهلاك مستحق بغير الفسق المذكور في الاية فلا معنى لقوله اذا اردنا لان امره بما يامر به لا يحسن ارادته للعقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك المستحق بمخالفة الامر المذكور في الاية فهذا الذي تابونه لانه يقتضي انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق العقاب والجواب عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة



الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله اذا اردنا امرنا هو ان في تكرير الامر بالطاعة والايمان اعذارا الى العصاة وانذارا لهم واثباتا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا واقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار الوعيد والوعظ والانذار ممن يحق عليه القول ويجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التاويل قوله تعالى قبل هذه الاية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والوجه الثاني في تاويل هذه الاية ان يكون قوله تعالى امرنا مترفيها صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله واذا ويكون تقدير الكلام واذا اردنا ان نهلك قرية من صفتها انا امرنا مترفيها ففسقوا فيها ويكون اذا على هذا الجواب لم يات لها جواب ظاهر في الاية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ولم يات لاذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد ايضا بصحة هذا الجواب قول الهذلي

حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ٥ شلا كما تطرد الجمالة الشردا ٥

فحذف جواب اذا ولم يات به لان هذا البيت اخر القصيدة والوجه الثالث ان يكون ذكر الارادة في الاية مجازا واتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة امرهم وانهم متى امروا فسقوا وخالفوا ويجري ذكر الارادة ههنا مجرى قولهم اذا اراد التاجر ان يفتقر اتته النوائب من كل وجهة وجاءه الخسران من كل طريق وقولهم اذا اراد العليل ان يموت خلط في ماكله وتسرع الى كل ما تتوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئا ولا العليل ايضا لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب وحي واشارات واستعارات ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة

كان بعيداً من الفصاحة بريّاً من البلاغة وكلام الله افصح الكلام والوجه الرابع
ان نحمل الآية على التقديم والتاخير فيكون تلخيصها اذا امرنا مترفيها بالطاعة فعصوا
واستحقوا العقاب دمرنا اهلاكهم والتقديم والتاخير في الشعر وكلام العرب كثير
ومما يمكن ان يكون شاهداً لصحة هذا التاويل من القرآن قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم والطهارة انما تجب قبل
القيام الى الصلوة وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم
معك ه وقيام الطائفة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصلوة لان اقامتها
هي الاتيان بجميعها على الكمال ه فاما قراءة من قرا بالتشديد فقال امّرنا وقراءة من قراها
بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما على الوجوه التي ذكرناها
الا الوجه الاول فان معناه لا يليق الا بان يكون ما تضمنته الاية هو الامر الذي
يدعى به الى الفعل تاويل خبر روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو اجذم قال ابو عبيد القسم بن سلام
مفسراً لهذا الحديث في كتابه غريب الحديث الاجذم المقطوع اليد واستشهد
بقول المتلمس ه وما كنت الا مثل قاطع كفه ه بكف له اخرى فاصبح اجذما ه
وقد خطا عبد الله بن مسلم بن قتيبة ابا عبيد في تاويله هذا الخبر وقال الاجذم
وان كان مقطوع اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لان العقوبات
من الله تعالى لا تكون الا وفقاً للذنوب وبحسبها واليد لا مدخل لها في نسيان
القرآن فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى الذين ياكلون الربوا
لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ه واستشهد بقوله تعالى
وزعم ان تاويل هذه الاية ان الربا اذا اكلوه ثقل في بطونهم وربا في اجوافهم فجعل
قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان تعثراً وتخبلاً ه واستشهد ايضاً بما روي عنه عليه السلام
من قوله رايت ليلة اسري بي قوماً تقرض شفاههم وكلما قرضت وفت

وقال لجبرئيل هؤلاء خطباء امتك تقرض شفاههم لانهم يقولون ما لا يفعلون
قال فالاجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما جاز ان يسمى المجذوم اجذم لان الجذام
يقطع اعضاءه ويشذبها والجذم القطع قال الشريف المرتضى رضي الله عنه
وقد اخطا الرجلان جميعاً وذهبا عن الصواب ذهاباً بعيداً وان كان غلط
ابن قتيبة افحش واقبح لانه علل غلط فاخرجه الى اغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الجذم ثم
نتكلم على ما اورداه اما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له ادنى معرفة بمذاهب العرب في كلامهم
وانما اراد عليه السلام بقوله اجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه
بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لان اليد من الاعضاء
الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع الا بها فاذا فقدها يفقد ما كان عليه
من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسي
القرآن ومضيعه بعد حفظه لانه يفقد ما كان لابساً له من الجمال ومتحققاً له من الثواب
وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بيد فلان
وقد بقي بعده اجذم قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع ه تضعضع طود وائل
بعد مالك ه واصبح منها معطس العز اجدعا ه وانما اراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب
ملاحن في كلامهم واشارات الى الاغراض وتلويحات بالمعاني من لم يفهمها ويسرع الى الفطنة
بها من تعاطى تفسير كلامهم وتاويل خطابهم كان ظالماً نفسه متعدياً طوره ونعود
الى الكلام على ما ذكره الرجلان اما ابو عبيد فان خطاءه من حيث لم يفطن للغرض
في الجذم وضل عن جهته والا فالاجذم هو الاقطع لا محالة كما قال الا انه لا يليق بهذا
الموضع واذا حمل عليه لم يفد شيئاً وان كان شبهته التي اوقعته في هذا التاويل ظنه
ان ذلك يكون على سبيل العقوبة على نسيان القرآن فليس كما ظن لان الجذم او اليبس
بعقوبة لان الله تعالى قد يجذم اولياءه والصالحين من عباده ويقطع اعضاءهم
بالامراض وقد يبتدي خلقه من هو ناقص الاعضاء فليس يلزم في الجذم ان يكون عقوبة

ثم لو كان يستحق ناسي القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن باسره فرضا واجبا
وحتما لازما لان العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك
واما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظن
ان العقوبة لا تكون الا في محل الذنب وهذا القول يوجب عليه ان لا يجلد ظهر الزاني
ويختص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان يجب ان يعاقب في لسانه دون سائر
اعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم ان اللسان اقوى خطأ
في باب الكلام من الشفة فلم يختص بالعقوبة وحلت بالشفاه دونه ثم غلط في تأويل الآية
التي اوردها اقبح من كل ما تقدم لانه توهم ان ما تضمنته الآية من تخبط اكل الربوا وتعثره عند
القيام انما هو في الدنيا من حيث يثقل ما اكله في معدته فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة
خلاف ذلك ونجد كثيرا من اكلي الربوا اخف نهوضا واسرع قياما وتصرفا من غيرهم
ممن لم يأكل الربوا قط ٥ والمعنى في الآية ما ذكره المفسرون من ان ما وصفهم الله تعالى
به يكون عند قيامهم من قبورهم في حشر العشائر والزلل والتخبل على سبيل العقوبة لهم وليكون
ذلك ايضا امارة لمن يعاينهم من الملائكة والخزنة على الفرق بين الولي والعدو ومستحقي الجنة
ومستحقي النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان الاجذم هو المجذوم ومن رد ابن قتيبة
معناه واشتقاقه الى الجذم الذي هو القطع يوجب عليه ان يكون كل ذي داء يقطع الجسد
ويفرق اوصاله كالجدري والاكلة وغيرهما انما يسمى جذاما ويسمى من كان عليه اجذم وهذا باطل
واما قول الشاعر ٥ حرف قيس على البلاد حتى اذا ما اضطرمت اجذما ٥ فليس من هذا
الباب بل هو من الاجذام الذي هو الاسراع فكانه قال لما اضطرمت اسرع عني وتباعد مني
والاجذام بالذال المعجمة والدال الغير المعجمة جميعا الاسراع ٥ واما قول عنترة في وصف الذباب
٥ هزجا يحك ذراعه بذراعه ٥ قدح المكب على الزناد الاجذم ٥
فهو من هذا الباب لان الاجذم من صفة المكب لا من صفة الزناد وكانه قال قدح المكب
الاجذم على الزناد وهو من احسن التشبيه **مسئلة** قال الشريف الاجل المرتضى

ابو القسم

ابو القسم علي ابن الحسين بن موسى الموسوي كان بعض الشيوخ المتقدمين يقول ليس يمتنع
ان يمكن الله تعالى من الظلم من يعلم انه يرد القيمة غير مستحق لشي من الاعواض ولما يوازي
الالم المستحق عليه منها فاذا اراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض
ويقول ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لان العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضل
بمثله ولا يجري في ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف
لا يجوز ان يكون موقوفا على ما يتفضل به لان الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى
بين عباده وبين الظلم فلا يجوز ان يتعلق الايام واجب والتفضل لفاعله ان لا
يفعله فتؤل الحال الى تعذر الانتصاف وقالوا من يعلم الله تعالى انه يرد القيمة ولا
اعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجيزون ان يمكن من الظلم من يكون
في الحال غير مستحق للعوض وغير مستحق للقدر الذي يوازي الظلم من العوض بعد ان
يكون المعلوم من حاله انه يرد القيمة الا وقد استحق من الاعواض ما يوازي ما عليه منها
قال المرتضى رضي الله عنه وهذا القول يعني تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو في
الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي ابطلنا بها قول من اجاز الانتصاف
بالتفضل لانا نعلم ان تبقية المكلف وغير المكلف لا تجب وللقديم تعالى ان لا يفعلها
فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق
الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما علقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب
وليس لهم ان يقولوا ذلك يحسن لان الله تعالى يعلم انه يبقيه فيستحق اعواضا لان
عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فاجيزوا ايضا ان يرد القيمة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله
تعالى انه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا علم الله تعالى بانه يتفضل لا يخرج
التفضل من ان يكون غير واجب قيل لهم علم الله تعالى بانه يبقي من لا عوض له ليستحق العوض
لا يخرج التبقية من ان يكون غير واجبة فاستوى الامران والصحيح ان يقال انه تعالى
لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم الكلام ويطرد

مجلس اخر تاويل اية قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد ظن القوم من غفلة الملحدين وجهالهم
ان الجواب عن ما سئل عنه في هذه الاية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم
به وان قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا تبكيت وتقريع لم يقعا موقعهما وانما
هما على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب وفي هذه الاية وجوه من التاويل تبطل
ما ظنوه وتدل على ما جهلوه اولها انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه بان ذلك
ادعى لهم الى الصلاح في الدين وان الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا فسادا
وعنادا اذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لانا قد نعلم في كثير
من الاحوال ان ما يسالنا عن الشيء ان العدول عن جوابه اولى واصلح في تدبيره وقد قيل
ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمدا عن الروح فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم
فهو نبي فانا نجده في كتبنا ذلك فامره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علما الدولة
على صدقه وتكذيبا لليهود الرادين عليه وهذا جواب ابي علي محمد بن عبد الوهاب
الجبائي وثانيها ان القوم انما سالوه عن الروح هل هي مخلوقة ام ليست كذلك
فاجابهم بانها من امر ربي وهو جوابهم عما سالوه عنه بعينه لانه لا فرق بين ان يقول في الجواب
انها محدثة مخلوقة وبين قوله انها من امر ربي لانه انما اراد انها من فعله وخلقه وسواء
على هذا الجواب ان تكون الروح التي سالوا عنها هي التي بها قوام الجسد ام عيسى عليه السلام
ام جبرئيل عم فقد سمى الله تعالى جبرئيل روحا في مواضع من الكتاب واذا كان السؤال
عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لانه قال لهم ان الروح الذي هو القرآن من امر ربي
ومما انزله على النبي عم ليجعله دلالة وعلما على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل
في امكانهم وهذا جواب الحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الاية ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا فكانه قال
ان القرآن من امري وفعلي ومما انزلته علما على نبوة رسولي ولو شئت لرفعته وازلته

والفرق

ونصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله فصل قال ابو مسلم محمد بن بحر الاصبهاني
في قوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون
قال انما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين احدهما ان غاية الكيل تنتهي الى
الوزن لان سائر المكيلات اذا صارت طعاما دخلت في باب الوزن وخرجت
عن باب الكيل فكان الوزن اعم من الكيل والوجه الاخر ان في الوزن معنى الكيل لان
الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل
فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول ابي مسلم ووجه الاية ويشهد له
ظاهر لفظها غير ما سلكه ابو مسلم وانما اراد تعالى بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة
فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة او داخلة في باب العبث ونظير ذلك
من كلامهم قولهم كلام زيد موزون وافعاله مقدرة موزونة وانما يراد ما اشرنا اليه
وعلى هذا المعنى اول المفسرون ذكر الموازين في القرآن وانما التعديل والمساواة بين الثواب
والعقاب قال الشاعر لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر
الهراء الكثير والنزر القليل فكانه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها
وهذا يجري مجرى ان يقول هو موزون وقال مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري
وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا منطق صائب وتلحن
احيانا وخير الحديث ما كان لحنا وهذا العيب الذي ذكرناه اشبه بمراد الله
في الاية واليق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيين على فصاحة سائر الفصحاء
وبلاغتهم فاما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن احيانا فلم يرد اللحن في
الاعراب الذي هو ضد الصواب وانما اراد به الكناية عن الشيء او التعريض بذكره
والعدول عن الافصاح عنه على معنى قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول
وقول الشاعر ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب
وقد قيل ان اللحن الذي عني به في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روي

كلام في اللحن

عن النبي صلى الله عليه انه قال لعل احدكم ان يكون الحن بحجته اى افطن بها واغوص عليها ومما
يشهد لما ذكرناه ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا
احمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن اسمعيل اليزيدي قال اخبرنا
اسحق بن ابرهيم قال تكلمت هند بنت اسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج
فقال لها اتلحنين وانت شريفة في بيت قيس قالت اما سمعت قول اخي مالك لامرأته
الانصارية قال وما هو قالت قال منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان
لحنا فقال لها الحجاج انما عنى اخوك اللحن في القول اذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن
في القول العربية فاصلحي لسانك قال المرتضى رضي الله عنه وقد ظن عمرو بن الجاحظ مثل هذا بعينه
وقال ان اللحن مستحسن من النساء الغرائر وليس مستحسن منهن كل الصواب والتشبه بفحول
الرجال واستشهد بابيات مالك بعينها وظن انه اراد باللحن ما يخالف الصواب
وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف
بعيون الاخبار ابيات الفزاري واعتذر بها من لحن ان اصيب في كتابه واخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يحيى بن علي المنجم قال
حدثني ابي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزاري
ويفسره على انه اراد اللحن في الاعراب وانما اراد وصفها بالظرف والفطنة وانها
تورى عما قصدت له وتتنكب التصريح به فقال قد فطنت لذلك بعد قلت فغيره
من كتابك فقال كيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطئه
ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب
قال حدثنا ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي ان رجلا من بني العنبر حصل



اسيرا في بكر بن وائل فسألهم رسولا الى قومه فقالوا له لا ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا
عزموا على غزو قومه فخافوا ان ينذرهم فجيء بعبد اسود فقال له اتعقل قال نعم اني
لعاقل قال وما اراك عاقلا واشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال هذا الليل

قال

قال ما اراك عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال ما ادري وانه لكثير فقال ايما اكثر
النجوم ام النيران فقال كل كثير فقال ابلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلانا يعني اسيرا كان
في ايديهم من بني بكر فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وشكت النساء
وامرهم ان يعروا ناقتي الحمراء فقد اطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب بآية ما اكلت معكم
حيسا واسألوا عن خبري اخي الحرث فلما ادى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور
والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا اصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحرث فقصوا عليه
القصة فقال قد انذركم اما قوله قد ادبى العرفج يريد ان الرجال قد استلأموا ولبسوا
السلاح وقوله شكت النساء اى اتخذن الشكاء للسفر وقوله الناقة الحمراء اى ارتحلوا
من الدهنا واركبوا الصمان وهو الجمل الاصهب وقوله اكلت معكم حيسا يريد اخلاطا من الناس
قد غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه

تأويل خبر روى ابو عبيد القسم بن سلام في كتابه غريب الحديث عن امير المؤمنين
علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا او تجفافا
قال ابو عبيد تأول بعض الناس هذا الخبر على انه اراد به الفقر في الدنيا قال وليس ذلك
كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في ساير الناس من الغنى والفقر ولا يميز بينهما
قال والصحيح انه اراد به الفقر في يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة
والحث على الطاعات فكأنه اراد من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب
والقرب الى الله والزلفة عنده قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه
الحديث خلاف ما قاله ابو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر من احبنا
فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن احوال الدنيا
واعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف والجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب
والتجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا التأويل ما روي عنه عليه السلام انه رأى قوما
على بابه فقال يا قنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال ما لي لا ارى فيهم

سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى ويبس الشفاه من الظما
وعمش العيون من البكاء هذا كله قول ابن قتيبة والوجهان جميعا في الخبر حسنان وان كان
الوجه الذي ذكره ابن قتيبة احسن وانصع ويمكن ان يكون في الخبر وجه ثالث تشهد
بصحته اللغة وهو ان احد وجوه معنى لفظة الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم
او قريبا منه ثم يلوى عليه حبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقرا اذا فعل ذلك
به وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته واثرت فيه فقد فقرته تفقيرا ومنه سميت الفاقرة
وقيل سيف مفقر فيحتمل القول ان يكون ٢ اراد من احبنا فليلزم نفسه وليخطمها
وليقدها الى الطاعات ويصرفها عما تميل طباعها اليه من الشهوات وليذللها على الصبر
عما اكره منها ومشقة ما اريد منها كما يفعل بالبعير الصعب وهذا وجه في الخبر ثالث لم يذكر
وليس يبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد في اللغة وكلام العرب لان
الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه
المعاني ويجوز ان يكون اراد المخاطب كل واحد منها منفردا وليس عليه العلم بمراده بعينه
فان مراده مغيب عنه واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام **فصل** قال المرتضى رضي



ومما كان من مشهوري الشعراء ومتقدميهم على مذهب اهل العدل ذو الرمة واسمه غيلان
بن عقبة وكنيته ابو الحرث وذو الرمة لقب لقب به لبيت قاله وهو قوله في صفة الوتد
اشعث باقي رمة التقليد والرمة القطعة البالية من الحبل يقال حبل ارمام اذا كان ضعيفا
باليا وقيل انه انما لقب بذي الرمة لانه كان وهو غلام يتفزع فجاءت امه بمن كتب له كتابا وعلقته
عليه برمة حبل فسمي ذو الرمة ويشهد بمذهبه في العدل ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران
بن موسى المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال اخبرنا ابو عثمان الاشنانداني عن التوزي عن ابي عبيدة
قال اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن ابي بردة فقال له رؤبة والله ما فحص طائر افحوصا
ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله
على الذئب ان ياكل حلوبة عيايل ضرائك فقال له رؤبة افبقدره اكلها هذا كذب على الذئب

فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر
صريح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه وبصيرته فيه واما العيايل فهو جمع
عيل وهو ذو العيال والضرائك جمع ضريك وهو الفقير واخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي عن ابي العيناء عن الاصمعي عن اسحق بن سويد
قال انشدني ذو الرمة ٥ وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما
يفعل الخمر فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت انما قلت
وعينان فعولان فوصفهما بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول
بخلاف العدل وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثنا احمد بن خالد النحاس قال حدثنا محمد بن القسم ابو العيناء
قال حدثنا الاصمعي لما انشد ذو الرمة قوله وعينان قال الله كونا فكانتا
فعولين بالالباب ما يفعل الخمر وهو يريد كونا فكانتا فعولين حيث كان تنبه له
لعمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما فعل فعولان بالالباب فقال له ذو الرمة ما ابالي
افلت هذا ام سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال يا سبحان الله لو عنيت
ما ظننت كنت جاهلا وممن روي انه كان على مذهب اهل العدل من شعراء الطبقة
الاولى الاعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله ٥ استاثر الله بالوفاء وبالعدل
وولى الملامة الرجلا ٥ وممن قيل انه كان على مذهب اهل الجبر من المشهورين
ايضا لبيد بن ربيعة العامري واستدل بقوله ٥ ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله
ريثي والعجل ٥ من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء اضل ٥ وان
كان لا سبيل الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد لان هذين البيتين فليس فيهما دلالة
على ذلك اما قوله وباذن الله ريثي والعجل فيحتمل ان يريد بعلمه كما يتاول عليه قوله تعالى
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي بعلمه وان قيل في هذه الاية
انه اراد تعالى بتخليته وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك في اللغة امكن مثله في قوله

لبيد فاما قول من هداه اهتدى ومن شاء اضل فيحتمل ان يكون مصروفا
الى بعض الوجوه التي تقدم ذكرها في الضلال والهدى المذكورين في القران مما يليق
بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد معروفا في الاجبار
بغير هذه الابيات فلا يتناول هذا التاويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه

مسئلة اعلم ان اصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله تعالى
بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وبينوا انه تعالى
تمدح بنفي الادراك البصري الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته
فيجب ان يكون في ثبوت الرؤية له في وقت من الاوقات نقص وذم قال لهم مخالفوهم
كيف يتمدح بانه لا يرى وقد يشاركه في نفي الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات
والارادات والاعتقادات فقالوا انه لم يتمدح تعالى بنفي الرؤية فقط وانما تمدح بنفي
الرؤية عنه واثباتها لها فتمدح بمجموع الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين
مشارك لان الموجودات المحدثات على ضروب منها ما لا يرى ولا يرى كالاعتقادات
والارادات ومنها ما يرى ولا يرى كالالوان ومنها ما يرى ويرى كالانسان
وضروب الاحيا وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبتت المدحة له تعالى بمقتضى الاية فقال
لهم المخالفون كيف يجوز ان تكون صفة لا تقتضي المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها
مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن ان يتمدح متمدح بانه شيء عالم او موجود قادر
فاذا كان لا مدحة في وصف الذات بانها شيء او موجود وان انضمت الى الصفة مدح
من حيث كانتا بانفرادها لا تقتضي مدحا فكذلك لا مدحة في نفي الرؤية عمن
ثبتت له من حيث كانت بانفرادها لا يقتضي مدحا فاجاب اصحابنا عن هذا الكلام
بان قالوا ليس يمتنع في الصفة ان تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا
انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم فان نفي
السنة والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء وان كان

بانفراده

بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف
بالشيء والموجود وبين ما ذكرناه من حيث لا تاثير لهاتين الصفتين في المدح واعلم ان
صفات المدح المتضمنة للاثبات ما تكاد تفتقر الى شرط في كونها مدحا وصفات النفي اذا
كانت مدحا فلا بد فيها من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل تحته
الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا الا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات
وليس بموجود اكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون الا غير متناه والثاني
لا يكون الا متناهيا فلما اشتملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصصها
وانت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يتمدح وجدتها مفتقرة الى شرط الا ترى ان من
ليس بجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حيا ذاكرا لانه قد يكون الحي لا عالما ولا جاهلا
لسهو يلحقه وذهول يعتريه ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا اذا كان ايضا موجودا حيا
ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحا اذا كان قادرا على الظلم وله دواعي اليه ولا بد في الشرط
الذي يحتاج اليه في صفات النفي حتى يكون مدحا من ان يكون ايضا اثباتا او جاريا مجرى
الاثبات ولا يكون نفيا لانه ان كان نفيا لم يخصص وساوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح
مثال ذلك انا اذا مدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في مدحه انه لم يدعه داع الى الظلم
لم يحصل له المدحة لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلا بد من
شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان يقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف بحسب دواعيه
فاذا صحت هذه الجملة فالواجب ان نقول ان المدحة في الاية انما تعلقت بنفي الادراك عن
الله تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ويجعل كل واحد من الصفتين تقتضي المدح مجتمعا
مع ان كل واحد لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس بمنكر ان يقتضي الشيء غيره بشرط متى
وجد حصل المقتضى واذا لم يحصل لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالى
انما كان مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع اولى واحسن
مما تقدم ذكره **مجلس اخر تاويل اية** ان سال سائل فقال ما تقولون في قوله تعالى

لا بد ان يكون

حكاية عن موسى ع فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع اخر وان الق عصاك
فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة
والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز
ان يكون العصا في حال واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها
وباي شي يزيلون التناقض عن هذا الكلام الجواب اول ما نقوله ان الذي ظنه
السائل من كون الايتين خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال
التي اخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى ع
الى فرعون والحال التي صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه
الرسالة والتلاوة تدل على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسئلة على
ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السوال اما لظنهم ان القصة
واحدة او لاعتقادهم ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالين تارة الى
صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان او على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال
لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن بين الايتين تناقض وهذا الوجه احسن ما
تكلفوا الجواب لاجله لان الاولين لا يكون الا عن غلط او غفلة وذكروا وجهين
تزول بكل واحد منهما الشبهة في تاويلها احدهما انه تعالى انما شبهها بالثعبان
في احدى الايتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الاية
الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم
الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهذا ابهر في باب الاعجاز
وابلغ في خرق العادة ولا تناقض بين الايتين وليس يجب اذا شبهها بالثعبان
ان يكون لها جميع صفات الثعبان ولا اذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته
وقد قال الله تعالى ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قوارير قوارير من فضة
ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه

اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب
الشي بغيره في بعض وجوهه فيشبهون المراة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم ان في
الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه
في صفة دون صفة ومن وجه دون اخر والجواب الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجان في الاية
الاخرى الحية وانما اراد احد الجن فكانه اخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقة
وعظم الجسم وكانت مع ذلك كاحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها
ولهذا قال تعالى فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب ويمكن ان يكون
في الاية تاويل اخر استخرجناه ان لم يزد على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه
في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذي توهم زايل على كل وجه
وهو ان يكون العصا لما انقلبت حية صارت اولا بصفة الجان وعلى صورته
ثم صارت بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة فتتفق الايتان
على هذا التاويل ولا يختلف حكمهما وتكون الاية الاولى التي تتضمن ذكر الثعبان
اخبارا عن غاية حال العصا وتكون الاية الثانية التي تتضمن ذكر الحال التي ولى
موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كانت بعد تلك
الحال انتهت الى صورة الثعبان فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه
مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضي انها صارت ثعبانا بعد الالقاء
بلا فصل قلنا ليس تفيد الاية ما ظن وانما فايدة قوله فاذا هي الاخبار عن قرب
الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وان لم يطل الزمان في مصيرها كذلك
ويجري هذا مجرى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم
مبين مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيما وقولهم ركب فلان من منزله
فاذا هو في ضيعته وسقط من اعلى الحائط فاذا هو في الارض ونحن نعلم ان من خرج
من منزله وبلوغه ضيعته زمانا وانه لم يصر اليها الا على تدريج وكذلك الهابط من

الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد

مجلس آخر قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين
او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون
وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان تاويل هذه الآية ان الله تعالى استخرج
من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر فقررهم بمعرفته واشهدهم على انفسهم وهذا
التاويل مع ان العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لان الله تعالى قال
واذ اخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال
ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن هذا غافلين
او يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضي ان الآية
لم تتناول ولد آدم لصلبه وانها انما تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل
على اختصاصها ببعض ذرية ولد آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تاويلهم فاما
شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم فخوطبت
وقررت من ان تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف او لا تكون كذلك
فان كانت بالصفة الاولى وجب ان يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم واكمال
عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لان العاقل
لا ينسى ما جرى هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز
ان يتصرف احدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد
جميع تصرفه المتقدم وسائر احواله وليس ايضا لتخلل الموت بين الحالين تاثير
لانه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والاغماء
بين احوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من احوالهم لان سائر ما عددناه مما ينفي
العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب وليس لهم ان يقولوا اذا جاز في العاقل

الكامل ان ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انا انما
اوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا
العقول ولو كانوا بصفة الاطفال في تلك الحال لم يوجب عليهم ما اوجبناه
على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية وذلك ان الله تعالى اخبر
بانه انما قررهم واشهدهم لئلا يدعوا يوم القيمة الغفلة عن ذلك وسقوط
الحجة عليهم منهم فيه فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة وزوالها
وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم
وتقريرهم واشهادهم وصار ذلك عبثا قبيحا تعالى الله عنه فان قيل قد
ابطلتم تاويل مخالفيكم فما تاويلها الصحيح عندكم قلنا في الآية وجهان
احدهما ان يكون الله تعالى انما عنى بها جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلغهم
واكمل عقولهم وقررهم على لسان رسله عليهم السلم بمعرفته وما يجب من طاعته
فاقروا بذلك واشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين او يعتذروا بشرك آبائهم وانما اوتي من اشتبه عليه تاويل الآية
من حيث ظن ان اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن كاملا عاقلا وليس الامر
كما ظن لانا نسمي جميع البشر بانهم ذرية آدم وان كان دخل فيهم العقلاء الكا
ملون وقد قال الله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح
من آبائهم وازواجهم وذرياتهم ولفظ الصالح لا يطلق الا على من كان
كاملا عاقلا فان استبعد تاويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين
فهذا جوابهم والجواب الثاني انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل على معرفته
ويشهد بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر والآيات والدلائل في
انفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة
ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله تعالى وتعذر امتناعهم

منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة
ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما
جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا
بالكفر بالسنتهم وانما لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين
به ومثل هذا قولهم جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك وما روي عن
بعض الخطباء من قوله سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك
فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم
والنثر يغني عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها تاويل خبر قال ابو عبيد
القسم بن سلام فيما روي عن النبي ص ليس منا من لم يتغن بالقران قال اراد يستغني
به واحتج بقوله وتغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا وانشد بيت الاعشى وكنت
امرا زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغن وقول الاخر كلانا غني عن اخيه
حياته ونحن اذا متنا اشد تغانيا واحتج ايضا بقول ابن مسعود من قرا سورة
ال عمران فهو غني اي مستغن والحديث الاخر نعم كنز الصعلوك سورة ال عمران
يقوم بها في اخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث اخر يروى عن النبي ص وهو
انه قال لا ينبغي لحامل القران ان يظن ان احدا اعطي افضل مما اعطي لانه لو ملك
الدنيا باسرها لكان القران افضل مما ملكه واحتج ايضا بحديث عن عبد الله
بن نهيك انه دخل على سعد في بيته فاذا مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله
ليس منا من لم يتغن بالقران قال ابو عبيد فذكر المتاع الرث والمثال الرث يدل
على ان التغني بالقران الاستغناء به عن الكثير من المال والمثال هو الفراش قال
الشاعر بكل طوال الساعدين كانما يرى بسرى الليل المثال الممهدا
قال ابو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذ كان من

لم يرجع

لم يرجع بالقران ليس منه وذكر عن غير ابي عبيد جواب اخر وهو انه اراد من لم يحسن صوته
بالقران ولم يرجع فيه واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن سايب
قال اتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من انت فاخبرته فقال مرحبا بابن اخي
بلغني انك حسن الصوت بالقران سمعت رسول الله يقول ان هذا القران نزل
بحزن فاذا قراتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغن بالقران فليس منا فقوله
فابكوا او تباكوا دليل على ان التغني التحسين والترجيع وروي عن النبي انه قال ما
اذن الله لشيء من اهل الارض الا لاصوات المؤذنين والصوت الحسن بالقران
معنى قوله اذن يستمع يقال اذنت للشيء اذن اذنا اذا استمعت له قال الشاعر
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وقال عدي بن زيد
العبادي ايها القلب تعلل بددن ان همي في سماع واذن والاذن هو السماع
وانما حسن تكرير المعنى لاختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله
وهند اتى من دونها النأي والبعد فاما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات ثلث
دد على مثال دم وددا على مثال فتى وددن على مثال حزن ومنه قول النبي ص ما انا من
دد ولا الدد مني فان قيل كيف يحمل قوله لا ياذن الله لشيء كاذنه لكذا وكذا على معنى
الاستماع وهو تعالى سامع لكل مسموع فاي معنى للاختصاص قلنا ليس المراد بالسماع
ههنا مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكانه قال ان الله تعالى لا يتقبل او يثيب على
شيء من اهل الارض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا اسمعه
وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه وانما يريد نفي القبول لا الادراك والبيت الذي
انشدناه يشهد بذلك لانه قال وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ونحن نعلم انهم يسمعون
الذكر بالخير والشر معا من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر
ابو بكر محمد بن القسم الانباري وجها ثانيا في الخبر قال اراد من لم يستلذ بالقران
ويستحله ويستعذب تلاوته كاستحلاء اصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به

وسمي ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغني بالغناء وذكر ان ذلك
نظير قولهم العمايم تيجان العرب والحبى حيطان العرب والشمس حمامات العرب
وانشد بيت النابغة ه بكا حمامة تدعو هديلا ه مفجعة على فنن تغني ه فتبصرتها
لما اطرب لطراب الغناء بالغناء وجعلت لعمائم لما قامت مقام التيجان تيجانا وكذلك
القول في الحبى والشمس وجواب ابي عبيد احسن الاجوبة واسلمها وجواب ابي
المحبي
بكر ابعدها لان التلذذ لا يكون الا في المشتهيات وكذلك الاستحلاء والاستعذاب
وتلاوة القران وتفهم معانيه من الاعمال الشاقة فكيف يكون ملتذا مشتهيا فان
عاد الى ان يقول قد استحلى التلاوة من الصوت الحسن قلنا هذا رجوع الى الجواب
الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عند تفسك بخلافه ويمكن ان يكون في
الخبر وجه رابع خطر لنا وهو ان يكون قوله عم يتغنى من غنى الرجل بالمكان اذا طال
مقامه به ومنه قيل للمغنى والمغاني قال الله تعالى كان لم يغنوا فيها اي لم يقيموا بها
وقال الاسود بن يعفر ه ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ه في ظل ملك ثابت الاوتاد ه
وقول الاعشى الذي انشده ابو عبيد وهو ه وكنت امرءا زمنا بالعراق ه عفيف المناخ
طويل التغن ه يطول المقام اشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا
يوصف الاستغناء بذلك وكان الاعشى اراد انني كنت ملازما لوطني مقيما بين
اهلي لا اسافر للانتجاع والطلب يجري قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت
الانصاري ه اولاد جفنة حول قبر ابيهم ه قبر ابن مارية الكريم المفضل ه اراد بقوله
حول قبر ابيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم واوطانهم فيكون معنى
الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القران فلا يتجاوزه الى غيره ولا يتعداه الى سواه
ويتخذه مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا فان قيل اليس قد يتعدى القران الى السنة
فيتجاوزه الى غيره ويتعداه الى سواه ولم يتخذه مغنى ومقاما فليس منا
والاجماع وساير ادلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديه قلنا اليس في ذلك تعد
للقران لان القران دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من ادلة الشرع فمن اعتمد
بعضها

بعضها في شيء من الاحكام لا يكون متجاوزا للقران ولا متعديا له فاما قوله
ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على اخلاقنا واستشهد ببيت النابغة ه اذا
حاولت في اسد فجورا ه فاني لست منك ولست مني ه وقيل انه اراد ليس على
ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بجواب الذي اخترناه وهو بعيد بجواب ابي عبيد
نعمة
الى لانه محال ان يخرج عن دين الشرع ومله من لم يحسن صوته بالقران ورجع
فيه او من يتلذذ بتلاوته ويستحليها مسئلة اعلم ان اصحابنا قد اعتمدوا
في ابطال ما ظنه اصحاب الرؤية في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
على وجوه معروفة لانهم بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من احد محتملاته
ودلوا على ان النظر ينقسم الى اقسام كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال المرئي
طلبا لرؤيته ومنها النظر الذي هو الانتظار ومنها النظر الذي هو
التعطف والرحمة ومنها النظر الذي هو الفكر والتامل وقالوا اذا لم يكن
في اقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق واحتجنا جميعا الى طلب
تاويل الاية من غير جهة الرؤية وتاولها بعضهم على الانتظار للثواب وان كان
المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب معروفة
وسلم بعضهم ان النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الاية على رؤية اهل الجنة
لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقة وهذا الكلام مشروح في
مواضعه وقد بينا ما يورد عليه وما يجاب به عن الشبهة المعترضة فيه في
مواضع كثيرة وههنا وجه غريب في الاية حكي عن بعض المتاخرين لا يفتقر معتمده
الى العدول عن الظاهر او الى تقدير محذوف لا يحتاج الى منازعتهم في ان النظر
يحتمل الرؤية او لا يحتملها بل يصح الاعتقاد عليه سواء كان النظر المذكور
في الاية هو الانتظار بالقلب ام الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها
ناظرة على انه اراد بنعمة ربها لان الالاء النعم وفي واحدها اربع لغات يقال الى

مثل قضا والى مثل رمى والى مثل معى والى مثل حتى قال الاعشى بكر بن وائل ابيض
لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الا اراد لا يخون نعمه فاراد بالى نعما
نعم ربها واسقط التنوين للاضافة فان قيل اى فرق بين هذا الوجه وبين تاويل
من حمل الاية على انه اريد بها الى ثوابه بها ناظرة بمعنى رائية لنعمه وثوابه قلنا
هذا الوجه يفتقر الى محذوف لانه اذا جعل الى حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من
تقدير محذوف وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف لان الى فيه اسم
يتعلق به الرؤية فلا يحتاج الى تقدير غيره **مجلس اخر تاويل اية** ان قال
قائل ما تاويل قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على
الذين لا يعقلون وظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان انما كان لهم فعله باذنه
وامره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن ههنا على الارادة اقتضى ان من لم يقع منه
الايمان لم يرده الله تعالى منه وهذا ايضا بخلاف قولكم ثم جعل الرجس الذي هو العذاب
على الذين لا يعقلون ومن كان فاقدا عقله لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب
وهذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اكثر اهل الجنة البله الجواب يقال
في قوله الا باذن الله وجوه منها ان يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان
الايمان لا يقع من احد الا بعد ان ياذن الله فيه ويامر به ولا يكون معناه ما ظنه
السائل من انه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه ويجري هذا مجرى قوله تعالى وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله ومعلوم ان قوله ليس لها في هذه الاية هو ما ذكرناه
وان كان الاشبه في الاية التي فيها ذكر الموت ان يكون المراد بالاذن العلم ومنها
ان يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في ان الله تعالى
يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل اليه ومنها ان يكون الاذن
العلم من قولهم اذنت لكذا وكذا اذا استمعته وعلمته واذنت فلانا بكذا
اذا اعلمته فيكون فائدة الاية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وانه ممن لا يخفى عليه

الخفيات وقد انكر بعض من لا بصيرة له ان يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال
عبارة عن العلم وزعم ان الذي هو العلم الأذَن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر
ان همي في سماع واذن وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الأذَن هو المصدر
والاذن هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم
على انه لو لم يكن مسموعا الا الأذَن بالتحريك لجاز التسكين مثل مثل ومثل وشبه
وشبه ونظائر ذلك كثير ومنها ان يكون الاذن العلم ومعناه اعلام الله تعالى
المكلفين بفضل الايمان وما يدعو الى فعله فيكون معنى الاية وما كان لنفس ان
تؤمن الا باعلام الله لها ما يبعثها على الايمان ويدعوها الى فعله فاما ظن السائل
دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لا يحتمل الارادة في اللغة ولو
احتملها ايضا لم يوجب ما توهمه لانه اذا قال ان الايمان لا يقع الا وانا مريد له لم ينف
ان يكون مريدا لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا في دليله شيء من ذلك فاما قوله تعالى
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فلم يعن به الناقصي العقول وانما اراد تعالى
الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى والاعتراف بنبوة رسله
والانقياد الى طاعتهم ووصفهم بانهم لا يعقلون تشبيها كما قال الله تعالى صم بكم عمي وكما
يصف احدنا من لم يفطن لبعض الامور او لم يعلم ما هو مامور بعلمه بالجنون وفقد العقل
فاما الحديث الذي اورده السائل شاهدا له فقد قيل فيه انه صلى الله عليه وآله لم يرد بالبله ذوي الغفلة
والنقص والجنون وانما اراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلها عن ذلك من حيث لا يستعملونه
ولا ينقادون اليه لا من حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر
فان الابله عن الشيء هو الذي لا يعرض له ولا يقصد اليه فاذا كان المنزه عن الشر معرضا
عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا
التاويل قول الشاعر ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها
اراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كانت فطنة لغيرهما وقال ابو النجم العجلي

من كل عجزاء سقوط البرقع • بلهاء لم تحفظ ولم تضيع • اراد بالبلهاء ما ذكرناه فاما قوله
سقوط البرقع فاراد انها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنه واذلالاً بجماله وقوله
لم تحفظ اراد ان استقامة طرائقها تغني عن حفظها ولقلة عفافها وترامها غير محتاجة
الى مسدد وموقف وقوله ولم تضيع اراد به انها لم تهمل في غذائها وتنعيمها
وترفيهها فتشقى ومثل قوله سقوط البرقع قول الشاعر • فلما تواقفنا وسلمت
اقبلت • وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا • ومثله ايضا • بهاشرق من زعفران
وعنبر • اطارت من الحسن الرداء المحبرا • اي هبت به عنها ثقة بالجمال والكمال وقال
وهو مليح • لهونا بمجهول البراقع حقبة • فما بال دهر لزنا بالوصاوص • اراد بمجهول
البراقع اللواتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء والعين
النجلاء ثم قال فما بال دهر لوحنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيقن عيون براقعهن
لقبحهن والوصاوص هي الثقب الصغار في البراقع ومما يشهد للمعنى الاول الذي
هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة • باهلي وما لي من اذا عرضوا له
ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب • ولم يعتذر عذر البري ولم تزل به سكتة
حتى يقال مريب • ومثله ايضا احب اللواتي في صباهن غرة • وفيهن عن ازواجهن طماح
مسرات حب مظهرات عداوة • تراهن كالمرضى وهن صحاح • ومثله يكتبين
الينجوج في كبد المشتى • وبله احلامهن وسام • اما قوله يكتبين فماخوذ من لفظ
الكباء وهو العود اراد يتبخرن به والينجوج هو العود ايضا وفيه ست لغات ينجوج
والنجوج ويلنجوج والنجوج والنجج ويلنجج واما كبد المشتى فهو وسطه وشدته ومنه
قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وقد روي في كبة المشتى والمعنى متقارب لان
الكبة هي الصدمة والحملة ماخوذة من كبة الخيل واما الوسام فهن الحسان من الوسامة
وهي الحسن ويمكن ان يكون في البله جواب اخر وهو ان نحمله على معنى البله الذي
هو الفقد والنقصان في الحقيقة ويكون معنى الخبر ان اكثر اهل الجنة الذين كانوا

بلهاء في الدنيا فعندنا ان الله تعالى ينعم الاطفال في الجنة والمجانين والبهائم وانما
لم يجعلهم بلهاء في الجنة وان كان ما يصل اليهم من النعيم على سبيل العوض او
التفضل فان التفضل لا يفتقر الى كمال العقل لان الخبر ورد بان الاطفال
اذا دخلوا الجنة لم يدخلها الا وهم على افضل الحالات واكملها فلهذا صرفنا عنهم البله
في الجنة ورددناه الى احوال الدنيا والا فالعقل لا يمنع من ذلك كمنعه اياه في باب
الثواب والعقاب **تاويل اية اخرى** قال الله تعالى مخبرا عن يوم القيمة ذلك يوم
مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم ياتي
لا تكلم نفس الا باذنه وقال في موضع اخر هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون وفي موضع اخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فظاهر هذه
الايات ظاهر اختلاف لان بعضها ينبئ عن ان النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم
ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبئ عن خلافه وقد قال قوم من المفسرين في تاويل هذه
الايات ان يوم القيمة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان يمنعوا النطق في بعضه
ويؤذن لهم في بعض اخر وهذا الجواب يضعف لان الاشارة الى يوم القيمة بطوله
فكيف يجوز ان تجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التاويل يجب ان يكون
قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك والجواب السديد
عن هذا ان يقال انما اراد الله تعالى نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون
به ويكون لهم في مثله عذر او حجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله
ويجري هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضر فلان يناظر فلانا فلم يقل
شيئا وان كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفي عنه القول قد
تكلما بكلام كثير غيرها الا انه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز اطلاق القول
الذي حكيناه ومثل هذا قول الشاعر • أعمى اذا ما جارتي خرجت • حتى يواري
جارتي الخدر • ويصم عما كان بينهما • سمعي وما بي غيره وقر • وقال الاخر

لقد طال كفانيك حتى كانني * يرد جواب السائل عنكم اعجم * وعلى هذا التاويل
قد زال الاختلاف لان التساؤل والتلاوم لا يجتمعان فيه واما قوله تعالى ولا يؤذن لهم
فيعتذرون فقد قيل فيه انهم غير مامورين بالاعتذار فكيف يعتذرون
ويحمل الاذن على الامر وانما لم يؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليف
فيها والعباد ملجئون عند مشاهدة اهوالها الى الاعتراف والاقرار وقد
احسن من هذا التاويل ان يحمل يؤذن لهم على معنى انه لا يستمع لهم ولا
يقبل عذرهم والعلة في امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها تاويل خبر
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله وقد ذكر قوم في تاويل
هذا الخبر ان المراد به لا تسبوا الدهر فانه لا فعل له وان الله مصرفه ومدبره
فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال هو الدهر وفي هذا الخبر وجه هو
احسن من الذي حكيناه وهو ان الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون
ما ينزل بهم من افعال الله تعالى كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء و
الفناء الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه
في كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا انه الفاعل بهذه الافعال فنهاهم النبي عن ذلك
وقال لهم لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون انه هو الدهر فان الله تعالى
هو الفاعل لهذه الافعال وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر
افعال الله تعالى وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى
وما يهلكنا الا الدهر وقال لبيد * في قروم سادة من قومه * نظر الدهر اليهم
فابتهل * اي دعا عليهم وقال عمرو بن قميئة * كاني وقد جاوزت تسعين حجة * خلعت
بها عني عذار لجامي * على الراحتين مرة وعلى العصا * انوء ثلاثا بعدهن قيامي *
رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى * فكيف بمن يرمى وليس برامي * فلو انها نبل
اذا لاتقيتها * ولكنني ارمى بغير سهام * اذا ما راني الناس قالوا الم تكن * حديثا جديد

فان الله هو الدهر

الظرف غير كهام * وافنى وما افنى من الدهر ليلة * ولم يغن ما افنيت سلك نظام *
واهلكني تاميل يوم وليلة * وتاميل عام بعد ذاك وعام * وقال الاصمعي ذم اعرابي رجلا
فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر وانشد الفراء * حنتني حانيات الدهر حتى * كاني خاتل
ادنو لصيد * قصير الخطو يحسب من راني * ولست مقيدا اني بقيد * وقال كثير *
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت * وقال اخر *
فاستاثر الدهر الغداة بهم * والدهر يرميني ولا ارمي * يا دهر قد اكثرت فجعتنا *
بسراتنا ووقرت في العظم * واما قوله ووقرت في العظم فانما اراد به اتخذت فيه وقرا
او وقيرة والوقر هو الحفيرة العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقبة
كذلك والوقيرة هي ايضا الحفيرة الا انها دون الاولين في الكبر وكل هؤلاء الذين روينا
اشعارهم نسبوا افعال الله التي لا يشاركه فيها غيره الى الدهر فحسن وجه التاويل
الذي ذكرناه مسئلة اعلم ان المنافع التي عرض الله تبارك وتعالى الاحياء لها ثلث
منفعة تفضل * ومنفعة عوض * ومنفعة ثواب * فاما المنفعة على سبيل التفضل
فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها ان يفعلها وله ان لا يفعلها
واما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها
واما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من
التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له
فكان التفضل اصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتاخر ما عداه لانه لا سبيل
للمنتفع ان ينتفع بشيء دون ان يكون حيا له ذا شهوة والابتداء بخلق الحي وشهوته
تفضل فقد صح انه لا سبيل الى النفع بمنفعة العوض والثواب الا بعد تقدم التفضل
فاما المنفعة بالثواب فهي الاصل للمنفعة بالعوض لان الالام وما جرى مجرى الالام
مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضي الى الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها
وجرى عندنا مجرى العبث ولهذا نقول ان الله تبارك وتعالى لو لم يكلف احدا

من المكلفين ما كان يحسن منه ان يبتدئه بالآلام وان عوض عليها والاحياء ضروب
فمنهم من عرض للمنافع الثلث ومنهم من عرض لاثنين ومنهم من عرض لواحد فالمكلف
المعرض للثواب لابد ان يكون منفوعا بالتفضل من الوجه الذي قلنا لانه اذا خلق حيا و
فعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكن فقد نفع بالتفضل وليس يجب فيمن هذه
حاله ان يكون منفوعا بالعوض لانه لا يمتنع ان يخلو المكلف منا من الوجه الذي الله به فلا
يكون معرضا للعوض فمتى عرض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا على
تعريضه لاثنين من المنافع ومجوزا لكمال الثلث له فاما من ليس بمكلف فمقطوع فيه
على احدى المنافع وهي التفضل من حيث خلق حيا ومكن من كثير من المنافع ومشكوك في
تعريضه للعوض من الوجه الذي بيناه وكما قطعنا على احدى المنافع فيمن ذكرناه فالقطع ايضا
على نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل اليه وهو التكليف ولا بد في كل حي محدث
من ان يكون معرضا لاحدى هذه المنافع او لجميعها وانما اوجبنا ذلك من جهة حكمة القديم تعالى
لا من جهة انه ليس يستحيل في نفسه وانما قلنا انه ليس يستحيل في نفسه لان كونه حيا وعاقلا
وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضا للنفع فاما
اذا فعل تعريضا للضرر او لا لوجه من الوجوه فانه لا يكون نعمة ولا منفعة وانما اوجبناه من جهة
حكمة القديم تعالى لانه اذا جعل الحي بهذه الصفات فلا يخلو من ان يكون اراد بها نفعه او ضرره او لم
يرد شيئا فان كان الاول فهو الذي اوجبناه وان كان الثاني او الثالث فالقديم تعالى منزه
عنهما لان الاول يجري مجرى الظلم والثاني هو العبث بعينه وقد يشارك القديم تعالى في النفع
بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون فلا يصح ان يشاركوه في النفع بالثواب لان
الصفة التي يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي كون الفعل شاقا عليه لا تكون الا من
قبله تعالى وليس لاحد ان يظن فيمن يهدي الى الدين ويرشد الى الايمان وما يستحق به الثواب
انه يعرض للثواب وذلك لان المكلف قد يكون معرضا للثواب ويصح ان يستحقه من دون
كل هداية وارشاد يقع منا ولولا الصفة التي جعله الله تعالى عليها لم يصح ان يستحقه فبان الفضل



بين الامرين على ان احدنا وان نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع
منسوبة الى الله تعالى ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع
ولا نعما الا ترى انه لو لم يخلق الجوع والشهوة لم يكن ما يوصل اليه مما ذكرناه منفعة
ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملذوذ لم يكن لنا سبيل الى النفع والانعام فبان بعض
الجملة ما قصدناه **مجلس آخر** ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تبارك وتعالى مخبرا عن
هلاك قوم فرعون وتوريثه نعمهم كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين وكيف يجوز ان يضيف البكاء اليهما وهو لا يجوز في
الحقيقة عليهما **الجواب** يقال له في هذه الآية وجوه اربعة من التاويل اولها انه
اراد اهل السماء والارض فحذف كما حذف في قوله تعالى واسال القرية وفي قوله حتى
تضع الحرب اوزارها واراد اهل القرية واصحاب الحرب ويجري ذلك مجرى قولهم
السخاء حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال الحطيئة وشر المنايا ميت وسط اهله
كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره اراد وشر المنايا منية ميت وقال الآخر قليل عيبه
والعيب جم ولكن الغنى رب غفور اراد غنى رب غفور وقال ذو الرمة
لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية احرارها وعبيدها اراد اهل مجلس
فاما قوله صهب السبال فانما اراد به الاعداء والعرب تصف الاعداء بذلك
وان لم يكونوا صهب الاسبلة وقوله سواسية يريد انهم مستوون متشابهون
ولا يقال هذا الا في الذم وثانيها انه تعالى اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر
وسقوط المنزلة لان العرب اذا اخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت كسفت
الشمس لفقده واظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والارض يريدون
بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول ضرره قال جرير في عمر بن عبد العزيز الشمس طالعة
ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقال يزيد بن مفرغ الحميري
الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة وهذا صنيعهم في وصف كل امر جليل

جل خطبه وعظم موقعه يصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا لفقد نور
الشمس وضوئها قال النابغة: تبدو كواكبه والشمس طالعة ... لا النور نور ولا الاظلام
اظلام. وقال طرفة: ان تنوله فقد تمنعه ... وتريه النجم يجري بالظهر. ومن هذا
قولهم لأرينك الكواكب بالنهار ومعناه اني اورد عليك ما يظلم له في عينك النهار
فتظنه ليلا ذا كوكب فاما بيت جرير فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر وجوه ثلثة
احدها انه اراد ان الشمس طالعة وليس مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لان عظم
الرزء قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب والوجه الثاني ان يكون انتصاب
ذلك كانتصاب في قولهم لا اكلمك الابد والدهر وطول المدى وما جرى مجرى ذلك
فكانه اخبر بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث ان يكون القمر
ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثي فبكتهن اي غلبتهن بالبكاء كما يقال باكاني عبد الله
فبكيته وكاثرني فكثرته اي غلبته وفضلت عليه وثالثها ان يكون معنى الاية الاخبار
عن انه لا احد اخذ بثارهم ولا انتصر لهم لان العرب كانت لا تبكي على قتيل حتى تأخذ
بثاره وتقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل فكنى تع بهذا اللفظ عن فقد الانتصار
والاخذ بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن ورابعها ان يكون ذلك
كناية عن انه لم يكن لهم في الارض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا
التاويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تع فما بكت عليهم السماء والارض
قيل له او تبكيان على احد قال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروى
انس بن مالك عن النبي صلعم قال ما من مؤمن الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه
رزقه فاذا مات بكيا عليه ومعنى البكاء ههنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال
بكى منزل فلان بعده قال ابن مقبل: لعمر ابيك لقد شاقني ... مكان حزنت له او حزن
وقال مزاحم العقيلي: بكت دارهم من اجلهم فتهللت ... دموعي فاي الجازعين الوم
امستعبرا يبكي من الهون والبلى ... ام اخر يبكي شجوه ويهيم. فاذا لم يكن لهؤلاء القوم

الذين

الذين اخبر الله تع عن بوارهم مقام صالح في الارض وعمل كريم يرفع الى السماء جاز ان
يقال فما بكت عليهم السماء والارض ويمكن في الاية وجه خامس وهو ان يكون البكاء
فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الاية ان السماء
لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب المعروف في ذلك لانهم كانوا
يستسقون السحائب لقبور من فقدوه من اعزائهم ويستنبتون لمواضع حفرهم الزهر
والرياض قال النابغة: فلا زال قبر بين تبنى وجاسم ... عليه من الوسمي طل ووابل
فينبت حوذانا وعوفا منورا ... سأتبعه من خير ما قال قائل. وكانوا يجرون
هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسئلة الله تع لهم الرضوان والفعل الذي اضيف
الى السماء وان كان لا يجوز اضافته الى الارض فقد يصح عطف الارض على السماء
بان يقدر فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل مثل هذا قال الشاعر: يا ليت
زوجك في الوغى ... متقلدا سيفا ورمحا. فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد
لا يجوز فيه لكنه اراد وحاملا رمحا ومثل هذا يقدر في الاية فيقال انه تع اراد
ان السماء لم تسق قبورهم وان الارض لم تعشب عليهم وكل هذه كناية عن حرمانهم
رحمة الله تع ورضوانه. تاويل خبر: روى ابو هريرة عن النبي صلعم انه قال ان احب الاعمال
الى الله عز وجل ادومها وان قل فعليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى
تملوا وفي صفة الله تعالى بالملل وجوه اربعة اولها انه اراد نفي الملل عنه وانه
لا يمل حتى تملوا ابدا فان قيل ومن اين قلتم ان ما علقه به لا يقع حتى حكمتم بانه اراد
ابدا فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال تع ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل
في سم الخياط وقال الشاعر: فانك سوف تحكم او تناهى ... اذا ما شبت او شاب
الغراب. اراد انك لا تحكم ابدا فان قيل ومن اين قلتم ان ما علقه به لا يقع
حتى حكمتم بانه اراد نفي الملل على سبيل التابيد قلنا معلوم ان الملل لا يشمل
البشر في جميع اوقاتهم واوطارهم فانهم لا يعرون من حرص ورغبة واميل وطمع فلهذا

جاز ان يعلموا ما علم ثم انه لا يكون بملكهم والثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم
ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى
الفعلين مللا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسميتهم الشيء
باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه قال عدى بن زيد العبادي ثم اضحوا لعب
الدهر بهم وكذاك الدهر يودى بالرجال وقال عبيد بن الابرص الاسدي سائل بنا
حجر بن ام قطام اذ ظلت به السمر الذوابل تلعب فنسب اللعب الى الدهر والقنا
تشبيها وقال ذو الرمة وابيض موشي القميص نصبته على خصر مقلاة سفيه
جديلها فسمى اضطراب زمامها وشدة تحركها سفها لان السفه في الاصل
هو الطيش وسرعة الاضطراب في الحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط فاما
قوله وابيض موشي القميص فانما عنى به سيفه وقميصه جفنه والمقلاة الناقة التي
لا يعيش لها ولد والوجه الثالث ان يكون المعنى انه لا يقطع عنكم فضله واحسانه
حتى تملوا من سؤاله فعلهم مللا على الحقيقة وسمى فعله تعالى مللا وليس بملل على الحقيقة
من الازدواج ومشاكلة اللفظين في الصورة وان اختلفا في المعنى ومثل هذا قوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها
ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي الا لا يجهلن احد علينا فنجهل
فوق جهل الجاهلينا وانما اراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا
يتمدح به والوجه الرابع ان يكون الراوي وهم وغلط من الفتح الى الضم وانه
قوله يمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان احدهما انه لا يعاقبكم بالنار حتى
تملوا من عبادته وتعرضوا عن طاعته لان الملة هي مستوى الخبزة يقال امللت
الخبزة وغيرها بملها اذا شواها في الملة وقيل ان اللحم لا يقال له مل حتى يخالطه رماد
والمعنى الثاني ان يكون اراد انه لا يسرع الى عقابكم بل يحلم عنكم ويتانى بكم حتى تملوا
حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم المحارم وتتابعكم في المآثم روي انه قيل للفرزدق

هل حسدت احدا على شيء من الشعر فقال لا لم احسد على شيء منه الا ليلى الاخيلية
في قولها ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما حتى اذا برز
اللواء رايته تحت اللواء على الخميس زعيما لا تقربن الدهر ال مطرف لا ظالما ابدا
ولا مظلوما قال على انى قلت وركب كان الريح تطلب عندهم لها ترة من
جذبها بالعصائب سروا يخبطون الليل وهي تلفهم الى شعب الاكوار من كل
جانب اذا ابصروا نارا يقولون ليتها وقد خصرت ايديهم نار غالب وليس
ابيات الفرزدق بدون ابيات ليلى بل هي اجزل الفاظا واشد اسرا الا ان ابيات
ليلى اطبع وانصع وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار
لقليله والافراط في استحسان مستحسنه وقد روى ان الكميت بن زيد الاسدي
لما عرض على الفرزدق ابياتا من قصيدته التي اولها اتصرم الحبل حبل البيض
ام تصل وكيف والشيب في فوديك مشتعل لما عبات لقوس المجد
اسهمها حبث الجدود على الاحسان تنتصل احرزت من عبرها تسعا وواحدة
فلا العمى لك من رام ولا الشلل الشمس ادنتك الا انها امراة والبدر ادناك
الا انه رجل حسده الفرزدق فقال له انت خطيب وانما سلبه الخطابة ليخرجه
عن اسلوب الشعر ولما بهره حسن الابيات وافرطها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها
جملة عدل في وصفها الى معنى الخطابة وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه بجيده من
ادل دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه وانه كان يطرب للجيد منه فضل طرب
ويعجب منه فضل عجب ويدل ايضا على انصافه فيه وانه مستقل للكثير الصادر
من جهته فان كثيرا من الناس قد يبلغ بهم الهوى في الاعجاب والاستحسان
لما يظهر منهم من شعر او فضل الى ان يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلوا منهم الكثير
ويستصغروا الكبير ولابيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال ابو حاتم قال اخبرنا ابو عبيدة

عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمن بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال له سليمن انشدني فانشده الابيات التي تقدم ذكرها فاسود وجه سليمان وغاظه فعله وقد كان يظن انه ينشده مديحا له فلما راى نصيب ذلك قال الا انشدك

فانشده · اقول لركب قافلين لقيتهم · قفا ذات اوشال ومولاك قارب · قفوا
خبروني عن سليمان انني · لمعروفه من اهل ودان طالب · فعاجوا فاثنوا بالذي
انت اهله · ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب · فقال له سليمن انت اشعر
اهل جلدتك وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب لما سأله
سليمان وروي ايضا انه لما انشده نصيب ابياته قال له سليمان احسنت ووصله
ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول · وخير الشعر اكرمه رجالا · وشر الشعر
ما قال العبيد · ولا شبهة في ان ابيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على
ابيات نصيب وان كان نصيب قد اغرب وابدع في قوله ولو سكتوا اثنت عليك
الحقائب الا ان ابيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال يليق بها
وابيات الفرزدق جاءت في غير وقتها وعلى غير وجهها فلهذا قدمت ابيات
نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الى الذروة العليا والغاية
القصوى شريف الاباء كريم البيت له ولابائه مآثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد
والفرزدق لقب لقب به وليس باسمه وانما لقب بذلك لجهامة وجهه وغلظه
لان الفرزدقة هي القطعة الضخمة من العجين وقيل انها الخبزة الغليظة التي يتخذ منه
النساء الفتوت واسمه همام بن غالب وكنيته ابو فراس وقيل انه كان يكنى في شبابه
بابي مكية وهي اغرب كنيته وكان شيعيا مائلا الى بني هاشم ونزع في اخر عمره عما
كان عليه من القذف والفسوق وراجع طريقة الدين على انه لم يكن في خلال فسقه
منسلخا عن الدين جملة ولا مهملا لامره اصلا ومما يشهد لذلك ما اخبرنا به
علي بن محمد الكاتب عن ابي بكر محمد بن يحيى الصولي عن ابي حفص الغلابي عن عبيد الله

بن سوار

بن سوار عن معوية بن عبد الكريم عن ابيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت احادثه
فسمعت صوت حديد يتقعقع فتاملت الامر فاذا هو مقيد الرجل فسالته عن السبب في
ذلك فقال اني اليت على نفسي ان لا انزع القيد من رجلي حتى احفظ القران واخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني ابو ذر القراطيسي قال حدثنا ابن ابي الدنيا قال حدثني الرياشي
عن الاصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال والله
لله احب الي من عيني هاتين افتراه يعذبني بعدها وروي انه تعلق باستار الكعبة
وعاهد الله تعالى على ترك الهجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما وقال · الم ترني عاهدت
ربي وانني · لبين رتاج قائما ومقام · على حلفة لا اشتم الدهر مسلما · ولا خارجا
من في زور كلام · اطعتك يا ابليس سبعين حجة · فلما انقضى عمري وتم تمامي ·
فررت الى ربي وايقنت انني · ملاق لايام الحتوف امامي · وروى الصولي عن الحسين
بن الفياض عن ادريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها
فكان اوثقنا بالله فقال له رجل الك هذا الرجاء والمذهب وانت تقذف المحصنات
وتفعل ما تفعل فقال اترونني لو اذنبت الى ابوي اكانا يقذفانني في تنور وتطيب انفسهما
بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك قال فانا والله برحمة ربي اوثق مني برحمتهما واخبرنا
ابو عبد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا عبد الله بن سعيد الوراق
قال حدثني محمد بن سليمن الطفاوي قال حدثني ابي عن جدي قال شهدت الحسن البصري
في جنازة نوار امراة الفرزدق وكان الفرزدق حاضرا فقال له الحسن وهو عند القبر يا ابا
فراس ما اعددت لهذا المضجع قال شهادة ان لا اله الا الله مذ ثمانون سنة
فقال له الحسن هذا العمود فاين الطنب وفي رواية اخرى انه قال نعم ما اعددت
ثم قال الفرزدق في الحال · اخاف وراء القبر ان لم يعافني · اشد من الموت التهابا
واضيقا · اذا جاءني يوم القيمة قائد · عنيف وسواق يسوق الفرزدقا · لقد خاب
من اولاد ادم من مشى · الى النار مغلول القلادة ازرقا · يقاد الى نار الجحيم مسربلا ·

سرابيل قطران لباساً محرقاً. قال فرأيت الحسن يدخل بعضه في بعض ثم قال حسبك ويقال
ان رجلا رأى الفرزدق بعد موته في منامه فقال له ما فعل بك ربك قال غفر لي بتلك
الابيات. فاما ما يدل على تشيعه وميله الى بني هاشم فما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثني عمرو بن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي
بن سابق قال حدثنا ابو لبيد قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال يا عم اني قد قلت قصيدة
اريد ان اعرضها عليك فقال قل فانشده. طربت وما شوقا الى البيض اطرب
فقال له الفرزدق فالى م طربت ثكلتك امك قال. ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
ولم يلهني دار ولا رسم منزل. ولم يتطربني بنان مخضب. فقال له فالى من طربت فقال
ولا انا ممن يزجر الطير همه. اصاح غراب ام تعرض ثعلب. فقال الى من طربت لا ام لك
قال لم تقضي يجب الوقوف على الطير ثم ينشدني بعده ليعلم الغرض. ولا السانحات البارحات
عشية. امر سليم القرن ام مر اعضب. قال الى من طربت لا ام لك فقال الكميت
ولكن الى اهل الفضائل والتقى. وخير بني حواء والخير يطلب. فقال له الفرزدق
هؤلاء بنو دارم فقال الكميت. الى النفر البيض الذين بحبهم. الى الله فيما نابني اتقرب
قال الفرزدق هؤلاء بنو هاشم قال الكميت. بني هاشم رهط النبي فانني. بهم ولهم ارضى
مرارا واغضب. قال الفرزدق والله لو جزت الى سواهم لذهب قولك باطلا ومما يشهد
ايضا لذلك ما اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثني
جدي يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير
واحد من اهل الادب ان علي بن الحسين عليهما السلام حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا
له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق. هذا ابن خير عباد الله كلهم. هذا
التقي النقي الطاهر العلم. هذا الذي تعرف البطحاء وطأته. والبيت يعرفه والحل والحرم
اذا رأته قريش قال قائلها. الى مكارم هذا ينتهي الكرم. يكاد يمسكه عرفان راحته. ركن
الحطيم اذا ما جاء يستلم. يغضي حياء ويغضى من مهابته. فما يكلم الا حين يبتسم.

تعرض

اي القبائل

اي القبائل ليست في رقابهم. لاولية هذا او له نعم. من يشكر الله يشكر اولية ذا. فالدين
من بيت هذا ناله الامم. وفي رواية الغلابي ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة
عبد الملك او الوليد وهو حدث السن فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم
الناس عليه فجلس ينتظر خلوة فاقبل علي بن الحسين عليهما السلام وعليه ازار ورداء وهو من
احسن الناس وجها واطيبهم ريحا وبين عينيه سجادة كانها ركبة عنز فجعل يطوف
بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما
فقال له رجل من اهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه
لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا الا انني اعرفه وذكر الابيات
وهي اكثر مما رويناه وانما تركناها لانها معروفة قال فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان
بين مكة والمدينة وبلغ ذلك علي بن الحسين ع فبعث الى الفرزدق باثني عشر الف درهم وقال
اعذر يا ابا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر منها لوصلناك به فردها الفرزدق
وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت الا غضبا لله ولرسوله ع وما كنت لآخذ
عليه شيئا فردها اليه واقسم عليه في قبولها وقال له قد رأى الله مكانك وعلم نيتك
وشكر لك ونحن اهل بيت اذا انفذنا شيئا لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو
هشاما وهو في الحبس فمما هجاه به قوله. يحبسني بين المدينة والتي. اليها قلوب الناس يهوي
منيبها. يقلب راسا لم يكن راس سيد. وعينا له حولاء باد عيوبها. **مجلس آخر**
تأويل آية ان سأل سائل فقال ما عندكم في تأويل قوله تعالى. ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم. وظاهر هذه
الاية يقتضي انه ما شاء ان يكونوا امة واحدة وان يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا
بخلاف ما تذهبون اليه ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من ان يكون عنى انه للاختلاف
خلقهم او للرحمة فلا يجوز ان يعني الرحمة لان الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظ ذلك ولو
ارادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك كان رجوعه الى الاختلاف وليس

حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها لان الرحمة ايضاً غير مذكورة فيها واذا جعلتم
قوله الا من رحم دالاً على الرحمة فكذلك قوله مختلفين دال على الاختلاف على ان الرحمة هي رقة القلب
والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى تعدى هذا بما ذكرناه لم يعن بها الا العفو واسقاط
الضرر وما جرى مجراه عن مستحقه وهذا مما لا يجوز ان يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لانه
لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين الجواب يقال له اما
قوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى به المشيئة التي ينضم اليها الاجبار ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار
وانما اراد تعالى ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا يعصى مقهوراً من حيث كان قادراً على
الجاء العباد واكراههم على ما اراده منهم فاما تعلق ذلك في الآية فحملها على الرحمة اولى
من حملها على الاختلاف لدليل العقل وشهادة اللفظ فاما دليل العقل فمن حيث علمنا
انه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون شائياً
ومجرياً بخلق العباد اليه فاما شهادة اللفظ فان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف
وحمل اللفظ على اقرب المذكورين اليها اولى في لسان العرب فاما ما طعن السائل وتعلق به من
تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تانيث الرحمة غير حقيقي واذا كني
عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرني كلامك
يريدون سرني كلامك وقال الله تعالى هذا رحمة من ربي ولم يقل هذه وانما اراد هذا فضل من ربي
وقالت الخنساء فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها اراد الرزء
وقال امرؤ القيس برهرهة رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة
لانه ذهب الى الغصن وقال آخر هنيئاً لسعد ما اقتضى بعد وقعتي بناقة سعد والعشية بارد
فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي وقال الآخر قامت تبكيه على قبره من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصاً
ذا غربة وقال زياد الاعجم ان السماحة والمروءة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح ويروى
ان السماحة والشجاعة وهكذا كان في الاملاء ضمنا ولم يقل ضمنتا قال الفراء لانه ذهب

الى

الى ان السماحة والشجاعة مصدران والعرب تقول قصارة الثوب يعجبني لان تأنيث المصادر
يرجع الى الفعل وهو مذكر وقال الفرزدق تجوب بنا الفلاة الى سعيد اذا ما الشاة في
الارطاة قالا فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما الارطاة فهي واحدة الارطى وهي شجرة
تنبت في الرمل يستظل بظلالها الظباء من الحر وتأوي اليه قال الشماخ اذا الارطى
توسد ابرديه خدود جوازئ بالرمل عين وقوله فالا من القبيل لان الا من القول على
قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضاً على انه رحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة
ذلك عن ان رحم كان التذكير في موضعه لان الفعل مذكر ويجوز ايضاً ان يكون قوله تعالى
ولذلك خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة انه
لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقد
قال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ان معناه انه لو شاء
ان يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة واجرى هذه الآية
مجرى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه اراد هدايتها الى طريق الجنة فعلى
هذا التأويل ايضاً يمكن ان ترجع لفظة ذلك الى ادخالهم اجمعين الى الجنة لانه تعالى انما
خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها واما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف
في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات وذكر ابو مسلم محمد بن بحر في قوله تعالى مختلفين
وجهاً غريباً وهو ان يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لانه
سواء قولك خلف بعضهم بعضاً وقولك اختلفوا كما سواء قولك قتل بعضهم بعضاً و
اقتتلوا ومنه قولهم لا افعل كذا ما اختلف العصران والجديدان اي جاء كل واحد منهما
بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنها فعل النعم والاحسان يدل
على ذلك ان من احسن الى غيره وانعم عليه يوصف بانه رحيم وان لم تعلم منه رقة قلبه عليه
بل وصفهم بالرحمة من لا يعهدون منه رقة قلب اقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لانه
منفق النعمة والفضل والاحسان على من لا رقة عنده اكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا

ان من رق قلبه لم يمتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا انعم وصف بذلك
فيجب ان يكون معناها ما ذكرناه كنظائره وقد وصف الله القران بانه هدى ورحمة من حيث
كان نعمة ولا يتاتى في القران ما ظنوه وانما وصفت رقة القلب بانها رحمة لانها مما يجاوره
الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده فحل محل وصف الشهوة بانها محبة لما كانت
توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم
وصنوف الاحسان الا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط عنه ضررا
ولا تجاوز له عن زلة وانما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كانت نعمة
لان النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى
الاية وبطلان ما ختمه السائل سؤاله فان قيل اذا كانت الرحمة هي النعمة فكيف يصح
اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة قلنا لا شبهة في ان نعم الله تعالى
شاملة للخلق اجمعين غير ان في نعمه ايضا ما يختص بها بعض العباد اما للاستحقاق او لسبب
يقتضي الاختصاص فاذا حملنا قوله الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص
ظاهر لان النعمة به لا يكون الا مستحقه فمن استحق الثواب باعماله وصل الى هذه النعمة
ومن لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الاية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف
الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة ايضا مختصة لانه تعالى انما ينعم على سائر المكلفين
بها من حيث لم يكن في معلومه ان لهم توفيقا واتفق الافعال انما يختارون عنده الايمان
واختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم اخر لهم كما ان شمول تلك النعم
يمنع من اختصاص هذه **تأويل خبر** روى ابن مسعود البدري عن النبي ص انه قال ان
مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وفي هذا الخبر وجوه
من التاويل ثلثة احدها ان يكون معناه اذا عملت العمل لله عز وجل وانت لا تستحي من الناظر
اليك ولا تخوفهم ان ينسبوك فيه الى الريا صنعت ما شئت لان فكرك فيهم ومراقبتك
لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بحدوده وحقوقه واذا

طرحت الفكر بوقت على استيفاء عملك والوجه الثاني ان من لم يستحي من العار والمخازي
والفضايح صنع ما شاء والظاهر ظاهر امر والمعنى معنى تغليظ وانكار مثل قوله تعالى اعملوا
ما شئتم وقوله عز وجل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهذا نهاية التغليظ و
الزجر والاخبار عن كبر الذنب في اطراح الحياء ويجري مجرى قولهم بعد ان فعل فلان
كذا وكذا فليفعل ما شاء وبعد ان قدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة
في عظم ما ارتكبه وقبح ما اقترفه والوجه الثالث ان يكون معنى الخبر اذا لم تفعل ما يستحيى
منه فافعل ما شئت فكان معنى الخبر اذا لم تفعل قبيحا فافعل ما شئت لانه لا قبيح من ضروب
القبايح الا والحياء يصاحبه ومن شان فاعله اذا قرع به ان يستحيي منه فمتى جانب
الانسان ما يستحيى منه من افعاله فقد جانب سائر القبايح وما عدا القبايح من الافعال
فهو حسن ويجري هذا مجرى خبر روي فيما اظن عن نبينا ص ان رجلا جاءه فاسترشده
الى خصلة تكون فيها جماع الخير فقال عليه السلام اشرط عليك ان لا تكذبني ولن اسالك
ما وراء ذلك فضمن على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبايح
وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كلما اهم بقبيح يفكره ويقول ارايت لو سالني
عنه النبي ص ما كنت قائلا له لاني ان صدقته افتضحت وان كذبته نقضت العهد
بيني وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه سائر القبايح وهكذا معنى الخبر الذي تاولناه
لان في اجتناب ما يستحيى منه اجتنابا لسائر القبايح **تأويل خبر اخر** روى محمد بن الحنفية
عن ابيه امير المؤمنين ع قال كان قد كثر على مارية القبطية ام ابرهيم في ابن عم لها قبطي
كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي ص خذ هذا السيف وانطلق فان وجدته
عندها فاقتله قلت يا رسول الله اكون في امرك اذا ارسلتني كالسكة المحماة امضي لما
امرتني ام الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فقال النبي ص بل الشاهد يرى ما لا يرى
الغايب فاقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف
فلما اقبلت نحوه عرف اني اريده فاتى نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه على قفاه

وشغر برجليه فاذا انه اجب امسح ما له مما للرجال لا قليل ولا كثير قال فغمدت السيف ورجعت
الى النبي صلى الله عليه وآله فاخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا الرجس اهل البيت قال المرتضى رضي الله عنه
في هذا الخبر احكام وغريب ونحن نبدأ باحكامه ثم نتلوها بغريبه فاول ما فيه ان
لقائل ان يقول كيف يجوز ان يامر الرسول صلى الله عليه وآله بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا ما يجري
مجراها والجواب عن ذلك ان القبطي جاز ان يكون من اهل العهد الذين اخذ
عليهم ان يجري فيهم احكام المسلمين وان يكون الرسول تقدم اليه بالانتهاء عن
الدخول الى مارية فخالف العهد واقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض العهد
من اهل الكفر مؤذن في المحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل فاما قوله بل الشاهد
يرى ما لا يرى الغائب فانما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لانه لا معنى في هذا الموضع
لرؤية البصر فكانه قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الراي والتدبير ما لا يصح للغائب
ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وانما جاز منه صلى الله عليه وآله ان يخيره بين قتله والكف
عنه ويفوض الامر فيه الى امير المؤمنين من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق التي
لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا اقامتها لان ناقض العهد ممن الى الامام القائم بامور المسلمين
اذا قدر عليه قبل التوبة ان يقتله او ان يمن عليه ومما فيه ايضا من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد
امر رسول الله لا يقتضي الوجوب لانه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه في
حينها ووقوعها موقعها دلالة على انه لا يقتضي ذلك ومما فيه ايضا من الاحكام دلالته على انه
لا باس بالنظر الى عورة الرجل عند الامر ينزل فلا يوجد من النظر اليها بد اما لحق يقام او لعقوبة
تسقط لان العلم بانه امسح اجب لم يكن الا عن تامل ونظر وانما جاز التامل والنظر ليتبين
هل هو ممن يكون منه ما قذف به او لا والواجب على الامام فيمن يشهد عليه بالزنا وادعى انه
مجبوب ان يامر بالنظر اليه ويتبين امره وعلى هذا امر النبي صلى الله عليه وآله في قتل مقاتلة بني قريظة لانه امر
ان ينظروا الى مؤتزر كل من اشكل عليهم امره فمن وجدوه قد انبت قتلوه ولولا جواز النظر
الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا لان من راى رجلا مع امراة واضعا عليها

متى لم يتامل امرهما حق التامل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله لسعد بن عبادة وقد قال له
عمن وجد مع امراته رجلا ايقتله فقال صلى الله عليه وآله لا حتى ياتي باربعة شهداء فلو لم يكن للشهداء
اذا حضروا ان يتعمدوا النظر الى عورتيهما لاقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ولم تقم شهادة
الزنا لان من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة فان قيل كيف جاز
لامير المؤمنين عليه السلام الكف عن القتل ومن اي جهة اثر لما وجده اجب واي تاثير لكونه اجب
فيما استحقه من القتل وهو نقض العهد قلنا انه عليه السلام لما فوض اليه الامر في القتل والكف
وكان له ان يقتله على كل حال وان وجده اجب لان كونه بهذه الصفة لا يخرجه عن
نقض العهد وانما اثر الكف الذي كان اليه ومفوضا الى رايه لازالة التهمة والشك
الواقعين في امر مارية ولانه اشفق من ان يقتله فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار فراى عليه السلام
ان الكف اولى لما ذكرناه فاما غريب الحديث فقوله شغر برجليه رفعهما واصله في وصف
الكلب اذا رفع رجله للبول فاما نكاح الشغار بالكسر وقد قيل الشغار بالفتح فهو ان
يزوج الرجل من هو ولي لها من بنت او اخت غيره على ان يزوجه بنته او احدى نساء حرمه
وكان احد العرب في الجاهلية يقول للاخر شاغرني اي زوجني حتى ازوجك واظنه ماخوذا
من الشغر الذي هو رفع الرجل لان النكاح فيه من معنى الشغر فسمي هذا العقد شغارا و
مشاغرة لاضافته في كل واحد من المتزوجين الى معنى الشغر وصار اسما لهذا النكاح
كما قيل في الزنا سفاح لان الزانيين يتسافحان الماء اي يسكبانه والماء هو النطفة
ويمكن ان يكون ايضا الماء الذي يغتسلان به فكنى بذلك عن الزنا ثم صار اسما له وعلما
فيه ومن الشغر الذي هو رفع الرجل قول زياد لابنة معوية وكانت عند ابنه فافتخرت يوما
عليه وتطاولت فشكاها الى ابيه زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول اشغرا و
فخرا فاما قول الفرزدق ... شغارة تقذ الفصيل برجلها ... فطارة لقوادم الابكار
فان من غريب شعره وفسره قال معنى شغارة انها ترفع رجلها للبول وقوله تقذ الفصيل
برجلها اي تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب واراد بقوله

اى تبالغ فى بلائه وضربه ومنه الموقوذة فاما فطارة لقوادم الابكار فالفطر هو الحلب
بثلث اصابع والقوادم هى الاخلاف وانما خص الابكار بذلك لان صغر اخلافها
يمنع من حلبها ضبا والضب هو الحلب بالاصابع الاربع فكانه لا يمكن فيها لقصر اخلافها
الا الفطر ومعنى البيت تعييره فى آخر بان بهن اعملك وذلك مما تعيّر به العرب النساء
الا ترى الى قوله قبل هذا البيت: كم عمة لك يا جرير وخالة ... فدعاء قد حلبت على عشارى
كنا نحاذر ان تضيع لقاحنا ... ولها اذا سمعت دعاء يسارى، ثم تلا ذلك بقوله
شغارة تقذ الفصيل برجلها ... فطارة لقوادم الابكار، قال المرتضى رضى الله عنه وعندى ان
قوله شغارة كناية عن رفع رجلها للزناء وهو اشبه بان يكون مراده فى هذا الموضع الا
ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار ويسار اسم
لراعٍ فكانه وصفها بالوله الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ ما استحفظته من اللقاح
فالاشبه ان يكون قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذى ذكرناه محمولا على ما اشرنا
اليه واما قولهم ذهبوا شغر بغر فليس من هذا فى شىء وانما يراد به انهم ذهبوا متفرقين
منتشرين ومثله ذهبوا عباديد وعبابيد وابابيد وشعاليل وشعارير وايادى
سبا كل ذلك بمعنى واحد فاما قوله فاذا انه اجبّ فعنى به المقطوع الذكر لان الجب
هو القطع ومنه بعير اجب اذا كان مقطوع السنام وقد ظن بعض من تاول هذا الخبر
ان الامسح ههنا هو القليل لحم الالية كالارصع والارسح والازل وهذا غلط لان
الوصف بذلك لا معنى له فى الخبر وانما اراد تاكيد الوصف له بانه اجب والمبالغة فيه
لان قوله امسح يفيد انه مصطلم الذكر زيد على معنى اجب زيادة ظاهرة اخبرنا ابو عبيد
المرزبانى قال حدثنا القسم بن الحسين الوراق قال حدثنى سليمن بن داود الطوسى قال
حدثنى مولى بن عبد الله القاضى عن الاصمعى قال دخلت على الرشيد فى ليلة فتذاكرنا
احوال القمر فقلت العرب تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما انت ابن ليلة قال رضاع
سخيلة حل اهلها برميلة قيل له ما انت ابن ليلتين قال حديث امتين بكذب ومين

قيل له



قيل له ما انت ابن ثلث قال قليل اللبث وقيل ابن ثلث حديث فتيات غير جد مؤتلفات
قيل له ما انت ابن اربع قال عتمة ام ربع وقيل ام الربع غير جائع ولا مرضع قيل له ما انت
ابن خمس قال عشاء خلفات قعس وقيل حديث وانس ويقال سمر وعس قيل له ما انت ابن ست
قال سر وبت وقيل حدث وبت قيل ما انت ابن سبع قال دلجة الضبع وقيل هدى
لانس ذى الجمع وقيل حديث جمع وقيل يصفر فى النسع وقيل يلتقط فى الجزع وقيل ما
انت ابن ثمان قال قمر اضحيان قيل ما انت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يلتقط
فى الجزع وقيل الودع وقيل عشاء اهل جمع وقيل ما انت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل
محنق الفجر وقيل اؤديك الى الفجر وقيل ابادر الفجر قيل ما انت ابن احدى عشرة قال الح
عشاء واغيب بكرة وقيل واغيب سحرة قيل ما انت ابن اثنتى عشرة قال مؤنق البشر
بالبدو والحضر قيل ما انت ابن ثلث عشرة قال قمر باهر يغشى له الناظر قيل ما انت
ابن اربع عشرة قال مقبل الشباب اضئ مدجنات السحاب وقيل مضئ للسحاب
قيل ما انت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب قيل ما انت ابن ست عشرة
قال نقص الخلق بالغرب والشرق قيل ما انت ابن سبع عشرة قال امكنت المقتفر
القفرة قيل ما انت ابن ثمانى عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل ما انت ابن تسع عشرة
قال بطئ الطلوع بين الخشوع قيل ما انت ابن عشرين قال اطلع بسحرة واضئ بالبهرة وقيل
ثم اهجر بالبهرة وقيل ما انت ابن احدى وعشرين قال كالقبس يرى بالغلس قيل ما انت
ابن اثنين وعشرين قال لا اطلع الاريث ما ارى قيل ما انت ابن ثلث وعشرين
قال اطلع فى قتمة ولا اجلو الظلمة قيل ما انت ابن اربع وعشرين قال لا قمر ولا هلال قيل
ما انت ابن خمس وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل ما انت ابن ست وعشرين
قال دنا ما دنا فلا يرى منى الا ما شفا قيل ما انت ابن سبع وعشرين قال اطلع بكرا
ولا ارى ظهرا قيل ما انت ابن ثمان وعشرين قال اسبق شعاع الشمس قيل ما انت ابن
تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا يرانى الا البصير قيل ما انت ابن ثلثين قال هلالا

مستنير قال الاصمعي ثم قلت للرشيد يقال انه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال الا
عاقل فقال خذه علي قلت هات فاعاده حتى بلغ قيل لهما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان اما
قوله رضاع سخيلة اراد تصغير سخلة والمعنى ان القمر يبقى بعد ما ينزل قوم فتنتج شاتهم
سخلة ثم ترضعها ثم يحلون فيقال في الانحي مقدار هذا الزمان وقوله حل اهلها برميلة
اظن ان المعنى فيه الاخبار عن قلة اللبث وسرعة الانتقال لان الرمل ليس بمنزل لمقام القوم
لانهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الارض وصلبها والاماكن التي لا تستولي السيول
عليها لخفض الرميلة بهذا المعنى وقوله حديث اثنين بكذب ومين يريد ان بقاءه قليل
بقدر ما يلتقي الاثنان الامة فيكذب لهما حديثا ثم يفترقان وقوله حديث فتيات غير جد
مؤتلفات اراد انه يبقى بقاء فتيات جمعن على غير ميعاد فتحادثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات
وقوله عتمة ام ربع يقال عتمت ابله اذا تاخرت عن العشاء ومن هذا سميت صلوة العتمة
لانها اخر الوقت في العشاء وقوله ام ربع يعني الناقة وهو تاخير حلبها يريد ان بقاءه بقدر ما
يحلب ناقة لها ولد ولعله في اول الربيع وهو اول النتاج والولد في هذا الوقت يسمى ربعا
ان كان ذكرا فاذا كان انثى قيل ربعة فان كان في اخر النتاج قيل هبع للذكر وللانثى هبعة
وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات اللواتي قد استبان حملهن واحدتها خلفة وهي واحدة
المخاض ولا واحد للمخاض من لفظه وانما قال عشاء خلفات لانها لا تتعشى الى ان يغيب القمر
في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن وقوله سر وبت يريد انه لا يبقى الا
بقدر ما يبيت الانسان ثم يسير وقوله قمر اضحيان اي ضاح بارز ويقال قمر اضحيان بالتنوين
فيهما جميعا وقمر اضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة اضحيانة اذا كانت نقية البياض وقوله
منقطع الشسع اراد انه يبقى بعد ما يبقى شسع من قد شيء حتى ينقطع وقوله يلتقط
في الجزع اي انه مضيء لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذر مفصل بالجزع ما ضاع منه شيء
لضيائه ونقائه وقوله اخو البهرة يعني وسط الليل لان بهرة الشيء وسطه وقوله امكنت
المقتفر القفرة والمقتفر الذي يتبع الآثار ويقتفر اثره مواضعه التي يقصدها مجلس آخر ان سأل

المجلس الرابع

سائل عن قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فقال كيف يجوز
ان يكون في الآخرة عميا وقد تظاهر الخبر عن الرسول صلى الله عليه بان الخلق يحشرون كما بدأوا سالمين
من الآفات والعاهات وقال الله تعالى كما بدأكم تعودون وكما بدأنا اول خلق نعيده وقال عز وجل
فبصرك اليوم حديد الجواب يقال في هذه اربعة اجوبة احدها ان يكون العمى الاول
انما هو عن تأمل الآيات والنظر في الدلالات والعبر التي اراها الله تعالى المكلفين في انفسهم
وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني عن الايمان بالآخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون
فيها من ثواب او عقاب وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم
الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الى قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر و
رزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ثم قال تعالى بعد ذلك
ومن كان في هذه اعمى يعني عن هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الآخرة اعمى اي هو عما غيب عنه
من امر الآخرة اعمى ويكون قوله في هذه كناية عن النعم لا عن الدنيا ويقال ان ابن عباس رحمه الله
سأله سائل عن هذه الآية فقال له اتل ما قبلها وتنبه على التأويل الذي ذكرناه والجواب
الثاني من كان في هذه يعني الدنيا اعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما اوجب عليه المعرفة
به فهو في الآخرة اعمى عن الجنة والثواب يعني انه لا يهتدي الى طريقهما ولا يوصل اليهما لفقد الحجة
اذا سئل ووقف معلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون في القيمة منقطع الحجة
مفقود المعاذير والجواب الثالث ان يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثاني يعني
المبالغة في الاخبار عن عظم ما يناله هؤلاء الكفار من الخوف والغم والحزن الذي
ازاله الله تعالى عن المؤمنين العارفين بقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن عادة العرب
ان تسمي من اشتد همه وقوي حزنه بانه اعمى سخين العين ويصفون المسرور بانه قرير
العين قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون و
الجواب الرابع ان العمى الاول عن الايمان والثاني هو الآفة في العين على سبيل العقوبة
كما قال الله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال

كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومن يجيب بهذا الجواب
يتأول قوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده على أن المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم
المشقة في الاعادة كما انها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظير قوله تعالى وهو الذي
يبدء الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه ويتأول قوله تعالى فبصرك اليوم حديد على ان
معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله تعالى في الدنيا يكون عارفا به في الآخرة
والعرب تقول فلان بصير بهذا الامر وزيد ابصر بكذا من عمرو ولا يريدون ابصار
العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اي كنت غافلا عما انت الآن عارف
به فلما كشفنا عنك غطاءك بان اعلمناك وفعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت
فاما الخبر الذي تدعي روايته فهو خبر واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه ربما
امكن تأويله على ما يطابق هذا الجواب ومن يذهب الى الاجوبة الاول يجعل العمى الاول
والثاني معا غير الآفة في العين فان عورض بقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى تأوله على العمى
عن الثواب او عن الجنة وقال في قوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ان معناه
كنت بصيرا في اعتقادي وظني من حيث كنت ارجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة
والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى الثاني والاول جميعا الآفة في العين
لانه يؤدي الى ان كل من كان موف البصر في الدنيا من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون
كذلك في الآخرة وهذا باطل وبمثله يبطل ان يراد بلفظة اعمى الثانية المبالغة بمعنى افعل
من فلان ويبطل ايضا ان العمى الذي هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظة افعل وانما يقال
ما اشد عماه ولا يجوز ان يراد بالعمى الاول آفة العين والثاني العمى عن الثواب في الجنة
او الجنة لانا نعلم ان فيمن عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ولو صل اليه ولا يجوز
ان يراد بالاول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا على غير
ذلك لانا نعلم ان الجهال بالله تعالى المعرضين في الدنيا عن معرفته لا يجوز ان يكونوا في الآخرة

كذلك فضلا عن ان يكونوا على ابلغ من هذه الحال لان المعارف في الآخرة ضرورية
يشترك فيها الجميع فلم يبق بعد الذي ابطلناه الا ما دخل في الاجوبة وعلى الاجوبة الثلثة
الاول اذا اريد باعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لان عمى القلب ضلالة
يتعجب منه بلفظة افعل وان لم يجز ذلك في عمى الجارحة ولمن اجاب بالجواب الرابع
ان لا يجعل قوله تعالى فهو في الآخرة اعمى لفظ تعجب بل يجعله اخبارا عن عماه من غير تعجب وان عطف
عليه بقوله تعالى واضل سبيلا ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
وهو اضل سبيلا فان قيل ولم انكرتم التعجب من الخلق بلفظة افعل قلنا قد قال النحويون
في ذلك ان الالوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظ التعجب وانما يعدل فيها الى اشد وابين وما
يجري مجراهما قالوا لان العيوب والالوان قد ضارعت الاسماء وصارت خلقة كاليد
والرجل ونحو ذلك فلا يقولوا ما اسوده واعوره كما لا يقال ما ايداه ولا ارجله ويقال ما اشد
سواده كما يقال ما اشد يده ورجله واعتلوا بعلة اخرى قالوا ان الفعل من الالوان والعيوب
على افعلّ وافعالّ مثل احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلثة احرف
من الافعال الا ترى انه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلثة احرف فان
قيل لهم قد قالوا عور يعور وحول قالوا هذا منقول من افعل وهو في الحكم زائد على
ثلثة احرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت في اسودّ وابيضّ ولولا انه منقول لاعتلت
الواو وقلت عار وحال كما قيل خاف وهاب وحكي عن الفراء في ذلك جوابان
احدهما ان افعل في التعجب فيه زيادة على وصف قبله اذا قال القائل افضل واجمل فهو زائد
في الوصف من جميل وفاضل فلم يقولوا ما ابيض زيدا لئلا يسقط الزيد ولا يكون
قبل ابيض وصف يزيد ابيض عليه يخالف لفظه لفظه كما خالف افضل واجمل فاضلا
وجميلا فلما فاتهم في ابيض واحمر علم الزيد ادخلوا عليه ما تبين الزيادة فيه فقالوا
ما اظهر حمرة زيد وما اشد سواد عمرو ولان اظهر يزيد على ظاهر واشد يزيد على شديد
والجواب الآخر ان التعجب مبني على زيادة فصلح ان يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التمام

فقالوا ما اعلم زيدا لبدلوا على زيادة علمه لانهم في قولهم عالم وعليم لم يبلغوا في التناهي مبلغ
اعلم ولم يقولوا ما ابيض زيدا لان البياض لا يتاتى منه زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب
باشد وابين وما جرى مجراهما وهذا الجواب ليس بسديد لان الالوان قد يتاتى فيها
الزيادة بعد نقص وقد تدخل فيها المفاضلة الا ترى ان ما حله قليل اجزاء البياض يكون
انقص حالا في حال البياض مما حله الكثير من الاجزاء والجواب الاول الذي حكيناه عن الفراء
اصوب وان كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد وقد انشد بعضهم معترضا على ما
ذكرناه قول الشاعر ۞ يا ليتني مثلك في البياض ۞ ابيض من اخت بني اباض ۞ وانشد
ايضا قول الشاعر ۞ اما الملوك فانت اليوم الامهم ۞ لوما وابيضهم سربال طباخ ۞
فاما البيت الاول فان ابا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ النادر لا يطعن به
في المعمول عليه المتفق على صحته ويجوز ان يقال ايضا في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في
البيت الثاني ان ابيض فيه ليس الذي هو للمفاضلة وانما هو افعل الذي مؤنثه فعلاء كقولك
ابيض وبيضاء ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجها وشريفهم خلقا
وكان الشاعر قال وبيضهم فلما اضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا
احسن من حمله على الشذوذ ويمكن فيه وجه اخر وهو ان ابيض في البيت وان كان في الظاهر
عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللوم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ
ولو انه اراد بابيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظ افعل
فالذي جوز تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه فاما قول المتنبي ۞ ابعد بعدت بياضا لا
بياض له ۞ لانت اسود في عيني من الظلم ۞ فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود في عيني كلام تام ثم
قال من الظلم اي من جملة الظلم كما يقال حر من الاحرار ولئيم من اللئام اي من جملتهم وقال الشاعر
وابيض من ماء الحديد كانه ۞ شهاب بدا والليل داج عساكره ۞ كانه قال وابيض كائن من الحديد
وقوله من ماء الحديد وصف لابيض وليس يتصل به كاتصال من بافضل في قولك هو افضل
من زيد ولفظة من في بيت المتنبي مرفوعة الموضع لانها وصف لاسود واذا اريد المفاضلة

والتعجب

والتعجب كانت منصوبة الموضع لانها منصوبة للموضع باسود كما تقول زيد خير منك
فمنك في موضع نصب بخير كانه قال قد خار لك بخيره اي فضلك في الخير وهذا
التاويل المذكور في بيت المتنبي يمكن ان يتوقف في قول الشاعر ابيض من اخت بني اباض فيحمل
على انه اراد من جملتها ومن قومها ولم يرد التعجب فتاوله على هذا الوجه اولى من حمله على الشذوذ
واما قول المتنبي ابعد بعدت بياضا لا بياض له فالمعنى الظاهر للناس فيه انه اراد لا
ضياء له ولا نور له ولا اشراق من حيث كان حلوله محزنا موذنا بتقضي الاجل وهذا
لعمري معنى ظاهر الا انه يمكن فيه معنى اخر وهو ان يريد انك بياض لا لون بعده
لان البياض اخر الوان الشعر فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده وانما
سوغ ذلك له ان البياض هو الاتي بعد السواد فلما نفى ان يكون للشيب بياض
كان نفيا لان يكون بعده لون وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تعالى ومن كان
في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى فقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بفتح الميمين معا وقرا
عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي بكسر الميم فيهما معا وفي رواية حفص لا يكسرهما
وكسر ابو عمرو الاولى وفتح الاخيرة ولكل وجه اما من ترك امالة الجمع فان قوله حسن
لان كثيرا من العرب لا يميلون هذه الفتحة ومن امال الجميع فوجه قوله انه ينحو بالالف
نحو الياء ليعلم انها تنقلب الى الياء واما قراءة ابي عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية
فوجه قوله انه جعل الثانية افعل من كذا مثل افضل من فلان واذا جعل كذلك لم يقع
الالف في اخر الكلمة لان اخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد
حذف من افعل الذي هو للتفضيل الجار والمجرور جميعا وهما مرادان في المعنى
مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى فانه يعلم السر واخفى المعنى اخفى من السر وكذلك قوله تعالى
فهو في الاخرة اي اعمى منه في الدنيا واعمى من غيره ويقوي هذه الطريقة ما عطف عليه
من قوله تعالى واضل سبيلا فكما ان هذا لا يكون الا على افعل من كذا كذلك المعطوف عليه
تاويل خبر روى ابو هريرة عن النبي صلعم انه قال تقي الارض افلاذ كبدها مثل الاسطوان

هذا
من الذهب والفضة فيجي القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجي القاطع للرحم فيقول في مثل
قطعت رحمي ويجي السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه ولا ياخذون منه شيا
معنى تقي اي تخرج ما فيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة وقوله تقي
تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجا واظهارا وكذلك تسميته ما في الارض من الكنوز
كبدا تشبيها له بالكبد التي في البطن البعير وغيره وللعرب في هذا مذهب معروف قال
مرة بن محكان السعدي يصف قدرا نصبها للاضياف • لها ازيز يزيل اللحم انملة •
عن العظام اذا ما استحمشت غضبا • ترمي الصلاة بنبل غير طائشة • وقد اذا انست من جنها
لهبا • فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة فاما الازيز فهو الغليان والعرب تقول
لجوفه ازيز مثل ازيز المرجل والازيز الصوت واستحمشت اي غضبت واحتمشت اي غضبت
وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة • سالتني عن اناس هلكوا • شرب الدهر عليهم واكل •
فوصف الدهر بالشرب والاكل تشبيها واستعارة وقال قوم معنى البيت شرب اهل
الدهر بعدهم واكلوا واختلف اهل اللغة في الافلاذ قال يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون
الا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذة الشاة ولا فلذة البقرة ويقال اعطني فلذا من الكبد
وقال الاعشى باهلة • تكفيه حزة فلذ ان الم بها • من الشواء ويروي شربه الغمر • والغمر القدح
الصغير وقال يعقوب ولا يقال اعطني حزة من سنام ولا من لحم وانما الحزة في الكبد خاصة
فاذا ارادوا ذلك من السنام واللحم قالوا اعطني حذية من لحم وهي القطعة الصغيرة وفلذة
من سنام وقال الطوسي عن ابي عبيدة عن الاصمعي قال يقال اعطني حذية من لحم وحزة من لحم
اذا كانت مقطوعة طولا فاذا كانت مجتمعة قلت اعطني بضعة من لحم وهبرة من لحم ووذرة
ومثل هذا الحديث قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها معناه اخرجت ما فيها من الكنوز
وقال قوم عنى به الموتى وانما اخرجت موتاها فسمي الموتى اثقالا تشبيها بالحمل الذي يكون
في البطن لان الحمل يسمى ثقلا وقال الله تعالى فلما اثقلت والعرب تقول ان للسيد الشجاع ثقلا على
الارض فاذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثي اخاها صخرا • ابعد ابن عمرو

اقلم
نصبت قدري لهم والارض قد لبست
من الصقيع ملاء اجده قبا

من ال الشريد • حلت به الارض اثقالها • معناه اخرجت اثقالها مات حل عنها بموته ثقل السودد
والشرف وقال قوم معنى حلت به زينت موتاها به وهو ماخوذ من الحلية وقال السمردل اليربوعي
يرثي اخاه • وحلت به اثقالها الارض وانتهى • لمثواه منها وهو عف شمائله • وروى هشام
بن المنذر قال قال زهير بن ابي سلمى المزني بيتا ثم اكدى فمر به النابغة الذبياني فقال
يا ابا امامة اجز فقال ماذا قال • تزال الارض اما مت خفا • وتحيى ما حييت بها ثقيلا •
نزلت بمستقر العرض منها • فماذا قال فاكدى والله النابغة واقبل كعب بن زهير وهو غلام
فقال له ابوه اجز يا بني فقال ماذا فانشده البيت الاول ومن الثاني • نزلت بمستقر العز
منها وقال كعب • فتمنع جانبيها ان تزولا • فقال زهير انت والله ابني وانما خص الكبد من بين
ما اشتمل عليه البطن لانه من اطائب الجزور والعرب تقول اطائب الجزور السنام والملحاء
والكبد قال [illegible] واني لا يستحسن قول الخنساء وقد قيل لها ما مدحت اخاك
حتى هجيت اباك فقالت • جارى اباه فاقبلا وهما • يتعاوران ملاءة الحضر • حتى اذا
نزت القلوب وقد • لزت هناك العذر بالعذر • وعلا هتاف الناس ايهما • قال المجيب
هناك لا ادري • برزت صحيفة وجه والده • ومضى على غلوائه يجري • اولى فاولى
ان يساويه • لولا جلال السن والكبر • وهما كانهما وقد برزا • صقران قد حطا الى وكر •
ويروى انه قيل لابي عبيدة ليس هذه الابيات في مجموع شعر الخنساء فقال ابو عبيدة العامة
اسقط من ان يجاد عليها بمثل ذلك ولعمري انها قد بلغت في مدح اخيها من غير
ازراء على ابيها النهاية لانها جعلت تقدم ابيها له عن قدرة منه على المساواة
وعن غير تقصير منه وانه افرج له عن السبق معرفة بحقه وتسليما للكبر وسنه وكان
الخنساء نظرت في هذا المعنى الى قول زهير يصف حمار وحش • فتبع بها الاماعز
وهي تهوي • هوي الدلو اسلمها الرشاء • فليس لحاقه كلحاق الف • ولا كنجائها منه
نجاء • تقدمه اذا احتفلت عليها • تمام السن منه والذكاء • ويشبه ان يكون الكميت
اخذ من الخنساء قوله في مخلد بن يزيد بن المهلب • ما ان ارى كابيك ادرك شاوه

لعد ومثلك طالبا لم يلحق تجاريان لم فضيلة سبقه وتلوت بعد مصليا لم يسبق ان ترعا
وله فضيلة سبقه فبمثل شاو ابيك لم يلحق ولئن لحقت به على ما قد مضى من بعد غاية
فاتح والخلق ويشبه هذا المعنى قول المؤمل بن اميل الكوفي الهاربي يمدح المهدي في حياة
المنصور لئن فت الملوك وقد توافوا اليك من السهولة والوعورة لقد فات الملوك
ابوك حتى بقوا من بين كاب او حسير وجئت وراءه تجري حثيثا وما بك حين تجري
من فتور فقال الناس ما من بين الا بمنزلة الخليق من الجدير فان سبق الكبير فاهل سبق
لفضل الكبير على الصغير وان تبع الصغير مدى كبير فقد خلق الصغير من الكبير ومن هذا
المعنى قول الشاعر جياد جربت في حلبة فتفاضلت على قدم الاسنان والعرق والجد
ومما له بهذا المعنى بعض الشبه وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير قول زهير هو الجواد
فان يلحق بشاوهما على تكاليفه فمثلهما او يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما
من صالح سبقا وروي انه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة
فاراد ان يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت بلغت
او كدت يحيى او لحقت به فلتما خالدا في شاو مستبق لكن معنى تلا يحيى فانت له
تال تعللت دون الركض بالعنق ومن حسن ما قيل في المساواة او المقاربة وهو داخل
في هذا المعنى مناسب له قول عباد بن سنبل اذا اخترت من قوم خيارهم فكل
بني عبد المدان خيار جروا بعنان واحد فضل بينهم بان قيل قد فات العنان عذار
وقول الكميت مصل ابوه لم سابق بان قيل فات العذار العذارا ومثله قول العتابي
وهو مليح جدا كما تقاذف جرد في اعنتها سبقا باذانها مرا وبالعذر واول من سبق الى
هذا المعنى زهير في قوله يصف مطاردة البازي للقطاة ومقاربته بها دون السماء
وفوق الارض قدرهما عند الذنابى ولا فوق ولا درك وقد لحظ ابو نواس هذا المعنى
في قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لابيه في المجد والسودد ثم جرى الفضل
فانثنى قدما دون مداه غير مسبوق فقيل راشا سيهما برادية الغاية والنصل سابق الفوق

ويشا

ويشاكل ذلك قول البحتري في ابن ابي سعيد الثغري جد كجد ابي سعيد انه ترك السماك كانه لم
يشرف قاسمته اخلاقه وهي الردى للمعتدي وهي الندى للمعتفي فاذا جرى من غاية وجريت
من اخرى التقى شاواكما في المنصف ويشبه قوله واذا رايت شمائل ابني صاعد ادت
اليك شمائل ابني مخلد كالفرقدين اذا تامل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد فاما قول
الخنساء يتعاوران ملاءة الحضر وهي تعني بالملاءة الغبار قال عدي بن الرقاع وكانه
نظر اليها في قوله يصف حمارا واتانا يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محدثة هما
نسجاها تطوى اذا وطئا مكانا جاسيا واذا السنابك سهلت نشراها وهذا المعنى

وان كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من اجلها
بالمعنى احق منها وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال من قصيدة يثيران من
نسج الغبار عليهما قميصين اسمالا ويرتديان

مجلس آخر تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب
من صفات الاقوال لا من صفات الاجسام واي معنى لوصف الصبر بانه جميل ومعلوم
ان صبر يعقوب على فقد ابنه لا يكون الا جميلا ولم ارتفع الصبر وما المقتضي لرفعه الجواب
يقال له اما كذب فمعناه مكذوب فيه وعليه مثل قولهم هذا ماء سكب وشراب
صب يريدون مصبوبا ومسكوبا ومثله ماء غور ورجل صوم وامراة نوح قال
الشاعر تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا اراد نائحة عليهم ومثله
ايضا ما لفلان معقول يريدون عقلا وما له على هذا الامر مجلود يريدون جلدا
قال الشاعر حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا وانشد ابو العباس ثعلب
قد والذي سمك السماء بقدرة بلغ العزاء وادرك المجلود وقال الفراء وغيره
يجوز في النحو بدم كذبا بالنصب على المصدر لان معنى جاءوا فيه معنى كذبوا كذبا
كما قال الله تعالى والعاديات ضبحا فنصب ضبحا على المصدر لان العاديات بمعنى الضابحات

وانما كان دما مكذوبا فيه لان اخوة يوسف ع ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف بدمها وجاءوا

اباهم بالقميص وادعوا اكل الذئب له فقال يعقوب يا بنى لقد كان هذا الذئب رفيقا

حين اكل ابنى ولم يخرق قميصه قالوا بل قتله اللصوص فقال فكيف قتلوه وتركوا قميصه وهم

الى القميص احوج منهم الى قتله وقيل انه كان فى قميص يوسف ثلث ايات حين قد قميصه

من دبر وحين القى على وجه ابيه فارتد بصيرا وحين جاءوا عليه بدم كذب فنبه ابوه

على ان الذئب لو اكله لخرق قميصه واما وصف الصبر بانه جميل فلان الصبر قد يكون

جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذى وجب

فلما كان فى هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود وصح وصفه بذلك وقد قيل انه

اراد صبرا لا شكوى فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى والجزع

له فاما ارتفاع قوله تعالى فصبر جميل فقد قيل ان المعنى فشانى صبر جميل والذى اعتقده

صبر جميل وقال قطرب معناه فصبرى صبر جميل وانشد واشكى الى جملى طول السرى

يا جملى ليس الى المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى معناه فليكن منك صبر جميل وقد روى

ان فى قراءة ابى فصبرا جميلا بالنصب وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبرى يا نفس

صبرا جميلا قال ذو الرمة الا انما مى فصبرا بلية وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر وقال

اخر ابى الله ان يبقى لحى بشاشة فصبرا على ما شاءه الله لى صبرا تاويل خبر فى الحديث

ان قيس بن عاصم قال اتيت رسول الله ص فقال هذا سيد اهل الوبر فقلت يا رسول

الله المال الذى ليس على فيه تبعة من طالب ولا ضيف فقال نعم المال اربعون

والكثر ستون وويل لاصحاب المائين الا من اعطى الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة

فاكل واطعم القانع والمعتر فقلت يا رسول الله ما اكرم هذه الاخلاق واحسنها

انه لا يحل بالوادى الذى فيه ابلى من كثرتها قال فكيف تصنع فى العطية قلت اعطى

البكر واعطى الناب قال فكيف تصنع فى المنحة قلت انى لامنح المائة قال فكيف

تعطى الطروقة قلت يغدو الناس بحبالهم فلا يوزع رجل عن جمل يختطمه فيمسكه

مابدا له حتى يكون هو الذى يرده وفى الرواية الاخرى قال كيف تصنع فى الاطراق

قلت يغدو الناس فمن شاء ان ياخذ براس بعير ذهب به فقال كيف تصنع فى الافقار

قلت انى لافقر الباب المدبر والضرع الصغير فقال كيف تصنع فى المنيحة قلت انى

لامنح فى السنة المائة قال فما لك احب اليك ام مال مواليك قلت لا بل مالى قال

فان مالك ما اكلت فافنيت واعطيت فامضيت وفى الرواية الاخرى ولبست فابليت

وسايره لمواليك قلت لا جرم والله لان رجعت اليها لاقلن عددها فلما حضره الموت

جمع بنيه فقال يا بنى خذوا عنى فانكم لن تاخذوا عن احد هو انصح لكم منى لا تنوحوا على

فان رسول الله ص لم ينح عليه وقد سمعته نهى عن النياحة وكفنونى فى ثيابى التى كنت

اصلى فيها وسودوا اكابركم فانكم اذا سودتم اكابركم لم يزل لابيكم فيكم خليفة واذا سودتم

اصاغركم هان اكابركم على الناس وزهدوا فيكم واصلحوا من عيشكم فان فيه غنى عن

طلب الى الناس واياكم والمسالة فانها اخر كسب المرء واذا دفنتمونى فاخفوا قبرى

عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات فى الجاهلية فلا امن سفيها منهم ان ياتى

امرا يدخل عليكم عيبا فى دينكم اما قوله ص الكثر ستون فمعناه الكثير تقول العرب نسال الله

الكثر ونعوذ بالله من القل اى نساله الكثير ونعوذ بالله من القليل قال الشاعر فان الكثر

اعيانى قديما ولم اقتر لدن انى غلام وقال الاخر وقد يقصر القل الفتى دون همه

وقد كان لولا القل طلاع انجد والكريمة يعنى بها اكرم ماله وامنح الغزيرة اى اعطيها

من يحلبها ويردها ومن ذلك الحديث العارية مؤداة والمنيحة مردودة والدين

مقضى والزعيم غارم فالمنحة الناقة او الشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع بلبنها

ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال له ايضا القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى وانا به زعيم

وقال الشاعر فلست بامر فيها بسلم ولكنى على نفسى زعيم وقال الاخر قلت كفى لك

رهن بالرضا فازعمى يا هند قالت قد وجب معناه اكفلى ويروى فاقبلى والقبيل

الذى هو الكفيل ايضا وقال الفراء القانع هو الذى ياتيك فيسالك فان اعطيته قبل

والمعتر الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك عن السؤال فكانه يعرض بالمسئلة ولا يصرح بها

يقال قنع الرجل قناعة اذا رضي وقنع قنوعا اذا سأل فاما قوله لا جرم فقال قوم معنى جرم

كسب وقالوا في معنى قوله تعالى لا جرم ان لهم النار ان لا رد على الكفار ثم ابتدأ فقال جرم

ان لهم النار بمعنى كسب قولهم ان لهم النار وقال الشاعر نصبنا راسه في راس جذع بما

جرمت يداه وما اعتدينا اى بما كسبت وقال آخرون معنى جرم حق وتاول الاية بمعنى

حق قولهم ان لهم النار وانشدوا ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها

ان يغضبوا اراد حققت فزارة وروى الفراء فزارة بالنصب على معنى كسبت الطعنة

الفزارة الغضب وقال الفراء لا جرم في الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب في معنى حق

وجاءت فيه لجواب الايمان فقالوا لا جرم لا قومن كما قالوا والله لا قومن وفيها لغات ثلث

يقال لا جرم ولا جرم بضم الجيم والسكون الراء ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم قال الشاعر

ان كلابا والذي لا ذا جرم لاهدرن اليوم هدرا في النعم هدر المغنى ذي الشقاشق اللهم

والناب الناقة الهرمة وجمعها النيب ومثلها الشارف قال الشاعر لا اقتاد الدهر انكيبا بارعى

ما الجرت النيب وحنت الى بلد ويقال للبعير اذا كبر ايضا عود وللانثى عودة قال الشاعر

عود على عود من القدم الاول يموت بالترك ويحيي بالعمل وهذا من ابيات المعاني

ومعناه عود بعير على طريق متقادم وسمى الطريق بانه عود لتقادمه تشبيها بالبعير

وقوله يموت بالترك ويحيى بالعمل اراد انه اذا سلك وطرق ظهرت اعلامه ووضحت طرقه

واهتدى سالكه لسلوكه ولم يضل عن قصده فكان هذا كالحياة له واذا لم يسلك طمست

اثاره وامحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصده وكان ذلك كالموت له فاما الخماشات

فهي الجنايات والجراحات قال ذو الرمة يذكر الحمار والاتن رباع لها مذ اورق العود

عنده خماشات ذحل ما يراد امتثالها يريد بقوله ما يراد امتثالها اى ما يراد اقتصاصها

يقال امثلني من هذا الرجل واقدني واقصني بمعنى واحد واما قوله لا يورع رجل اى لا

يحبس ولا يمنع يقال ورعت الرجل توريعا اذا منعته وكففته والورع هو المتحرج المانع نفسه

مما تدعوه اليه يقال ورع يرع ورعا وورعة قال لبيد اكل يوم هامتي مقزعة لا تمنع الفتيان من

حسن الرعة ويقال ما ورع ان فعل كذا وكذا اى ما كذب واما الورع بالفتح فهو الجبان

واما الطروقة فهي التي قد حان لها ان تطرق وهي الحقة وقوله في الرواية الاخرى الا من اعطى

من رسلها فالرسل اللبن والافقار هو ان يركبها الناس ويحملهم على ظهرها مأخوذ من فقر

الظهر والاطراق للفحول هو ان يبذلها لمن ينزيها على اناث ابله وذكر الاطراق في هذه الرواية

احب الى من الطروقة لانه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكر والضرع والمائة فلا معنى

لاعادة ذكر الطروقة وقوله في الجواب يغدو الناس فلا يورع رجل عن جمل يختطمه فيمسكه

ما بدا له ثم يرده لا يحفل غير الاطراق ولا يليق بمعنى الطروقة وكان قيس بن عاصم شريفا

في قومه حليما ويكنى ابا علي وكان الاحنف بن قيس يقول تعلمت الحلم عن قيس بن عاصم

انى بفنائه ابنه فقال له رجل الفتى واقبل عليه وقال يا بني لقد نقصت عددك واوهنت

ركنك وفتت في عضدك واشمت عدوك واسات بقومك خلوا سبيله

وما حل حبوته ولا تغير وجهه وقال ابن الاعرابي قيل لقيس بما سدت قومك قال

بثلاث بذل الندى وكف الاذى ونصر المولى وذكر المداينى قال كان قيس بن عاصم

يقول لبنيه اياكم والبغي فانه ما بغى قوم قط الا قلوا وذلوا وكان الرجل من بنيه يظلمه

بعض قومه فينهى اخوته ان ينصروه وقيس بن عاصم هو الذي حفر الحوفزان بن شريك

الشيباني بطعنة في يوم جدود فسمى الحرث الحوفزان قال سوار بن حيان المنقرى

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعا من دم الجوف اشكلا وحمران قسرا انزلته

رماحنا فعالج غلا في ذراعيه مثقلا وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم جزى الله

يربوعا باسوء سعيها اذا ذكرت في النائبات امورها ويوم جدود قد فضحتم

ذماركم وسالمتموا والخيل تدمى نحورها ستحطم سعد والرباب انوفكم كما حز

في انف القضيب جريرها القضيب الناقة المقتضبة الصعبة وفي قيس يقول عبدة

بن الطبيب عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء ان يترحما سلام امرئ

جللته منك نعمة ٭ اذا زار عن شحط بلادك سلما ٭ فما كان حبكم هلك واحد ٭ ولكنه بنيان
قوم تهدما ٭ قال المرتضى رضي الله عنه ذاكرني بعض الاصدقاء بقول ابي دهبل الجمحي وهو يعني ناقته
وابرزتها من بطن مكة بعدما ٭ اصات المنادي بالصلوة فاعتما ٭ وسالني اجازة هذا
البيت بابيات تنضم اليه ولجعل الكناية فيه كانها كناية عن امراة لا عن ناقة فقلت في
الحال فطيب سراها المقام وضوات ٭ باشراقها بين الحطيم وزمزما ٭ فيا رب ان لقيت
وجها تحية ٭ فحي وجوها بالمدينة سهما ٭ تجافين عن مس الدهان وطالما ٭ عصمن عن
الحناء كفا ومعصما ٭ وكم من جليد لا يخامره الهوى ٭ شنن عليه الوجد حتى تتيما ٭ اهان
لهن النفس وهي كريمة ٭ والقى اليهن الحديث المكتما ٭ تسفهت لما ان مررت بدارها ٭
وعوجلت دون الحلم ان تتحلما ٭ فبحت تقري دارسا متنكرا ٭ وتسال مصروفا عن
النطق اعجما ٭ ويوم وقفنا للوداع وكلنا ٭ يعد مطيع الشوق من كان احزما ٭ نصرت
بقلب لا يعنف في الهوى ٭ وعين متى استمطرتها مطرت دما ٭ وكان ابو دهبل
من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد واسمه وهب بن زمعة بن اسيد بن احيحة
بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي
بن غالب وكان اسم جمح تيما واسم اخيه زيدا وهما ابنا عمرو بن هصيص فاستبقا الى
غاية فجمح تيم عن الغاية فقيل جمح تيم فسمي جمحا ووقف عليها زيد فقيل سهم زيد
فسمي سهما فاما كنيته فهو مشتقة من الدهبلة وهي المشي الثقيل يقال دهبل الرجل
دهبلة اذا مشى مشيا ثقيلا اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد
بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لابي عمرو
بن العلاء ما يعجبك من شعر ابي دهبل الجمحي فقال قوله ٭ يا عمر حم فراقكم عمرا ٭ وعزمت
منا النأي والهجرا ٭ يا عمر شيخك وهو ذو شرف ٭ يحمي الذمار ويكرم الصهرا ٭ والله
ما احببت حبكم ٭ لا ثيبا خلقت ولا بكرا ٭ اذ كان هذا السحر منك فلا ٭ زعي علي
وجددي سحرا ٭ احدى بني اود كلفت بها ٭ حملت بلا ذنب لنا وترا ٭ وترى لها دلا

اذا نطقت ٭ تركت بنات فؤاده صعرا ٭ كتساقط الرطب الجني من ٭ الافناء لا نثرا ولا نزرا ٭
ومقالة فيكم عركت لها ٭ جنبي اريد بها لك العذرا ٭ ورديت سركم عدلت به ٭ عما يحاول امعك
وعرا ٭ قالت يقيم لنا النجرية ٭ يوما فلم تقم عندها شهرا ٭ ما ان اقيم لحاجة عرضت ٭ الا لكي
فيكم عذرا ٭ واذا احتشمت برحلة جزعت ٭ واذا اقمنا لم تفد نزرا ٭ اني لارضى ما رضيت به
وانحلكم حدبنكم شكرا ٭ وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل ٭ يا ليت من يمنع المعروف
يمنعه ٭ حتى يذوق رجال غب ما صنعوا ٭ وليت رزق رجال مثل نائلهم ٭ قوت كقوت و
وسع كالذي وسعوا ٭ ويروى ضيقا كضيق ووسعا كالذي اتسعوا ٭ وليت للناس
خطا في وجوههم ٭ تبين اخلاقهم فيه اذا اجتمعوا ٭ وليت ذا الفحش لاقى فاحشا ابدا ٭
ووافق الحلم اهل الحلم فاتدعوا ٭ ولابي دهبل في قتل الحسين عليه السلام ٭ تبيت النشاوى من امية
نوما ٭ وبالطف قتلى ما ينام حميمها ٭ وما ضيع الاسلام الا عصابة ٭ تامر نوكاها
ودام نعيمها ٭ وصارت قناة الدين في كف ظالم ٭ اذا مال منها جانب لا يقيمها ٭



واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى
قال روى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقال بعضهم المجنون ٭ ءاترك ليلى ليس بيني و
بينها ٭ سوى ليلة اني اذا لصبور ٭ هبوني امرءا منكم اضل بعيره ٭ له ذمة ان الذمام
كبير ٭ وللصاحب المتروك اعظم حرمة ٭ على صاحب من ان يضل بعير ٭ عفا الله عن ليلى
الغداة فانها ٭ اذا وليت حكما علي تجور ٭ وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقد رواه
ابو تمام في الحماسة له ٭ اقول والركب قد مالت عمائمهم ٭ وقد سقى القوم كاس النشوة
السهر ٭ يا ليت لي باثوابي وراحلتي ٭ عبدا لاهلك طول الدهر مؤتجر ٭ ان كان ذا قدر
يعطيك نافلة ٭ منا ويحرمنا ما انصف القدر ٭ واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد
بن يحيى الصولي قال ويشبه قول ابي دهبل ٭ ولو تركونا لاهتدى الله امرهم ٭ فلم
يلحموا قولا من الشر ينبح ٭ لاوشك صرف الدهر تفريق بيننا ٭ وهل يستقيم الدهر
والدهر اعوج ٭ قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته لما



تلين ان رعت اطرافي استعجل الدهر وفيه كافٍ بخترم الالف من الالاف قال ومثله
عدمت ابن عم لا يزال كانه وان لم اتره منطويا على وتر يعين على الدهر والدهر مكتف
وان استعنته لا يعين على الدهر قال المرتضى رض ومثل الجميع قول ابي احمد عبيد الله بن
طاهر الى كم يكون العتب في كل ساعة وكم لا تملين القطيعة والهجرا رويدك ان
الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا مجلس اخر ان سال سائل
فقال ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذي حسن اعادة النفي لكونه عابدا
ما يعبدون وكونهم عابدين ما يعبد وذكر ذلك مرة واحدة يغني وما وجه التكرار
ايضا في سورة الرحمن لقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان الجواب يقال له قد ذكر ابن قتيبة
في معنى التكرار في سورة الكافرين وجها وهو ان يقال القرآن لم ينزل دفعة واحدة
وانما كان ينزل شيئا بعد شيء والامر في ذلك ظاهر فكان المشركون اتوا النبي صلعم فقالوا
له استلم بعض اصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فامره الله تعالى بان يقول لهم
لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ثم غبر وامدة من الزمان وجاؤه
فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض اصنامنا يوما او شهرا او حولا فنفعل مثل
ذلك بالهك فامره الله تعالى بان يقول لهم ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون
ما اعبد اي ان كنتم لا تعبدون الهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابدا وقد
طعن بعض الناس على هذا التاويل بان قال انه يقتضي شرطا وحذفا لا يدل
عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا انتم عابدون ما اعبد واذا كان ما نفاه
عن نفسه من عبادتهم ما يعبدون مطلقا غير مشروط فكذلك ما عطفه عليه وهذا
الطعن غير صحيح لانه لا يمتنع اثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا
يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة وعن هذا السؤال ثلثة
اجوبة كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة اولها ما حكي عن ابي العباس ثعلب
انه قال انما حسن التكرار لان تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الاخرى وتلخيص

الكلام قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا انتم عابدون
ما اعبد في هذه الحال ايضا فاختص الفعلان منه ومنهم بالحال وقال من بعد ولا
انا عابد ما عبدتم في الاستقبال ولا انتم عابدون ما اعبد فيما تستقبلون فاختلف
المعاني وحسن التكرار لاختلافها ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم
من حاله انه لا يؤمن وقد ذكر مقاتل وغيره انها نزلت في ابي جهل والمستهزئين ولم
يؤمن من الذين نزلت فيهم احد والمستهزئون هم العاص بن وائل والوليد بن المغيرة
والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس والجواب الثاني
وهو جواب الفراء ان يكون التكرار للتاكيد كقول المجيب مؤكدا بلى بلى والممتنع لا لا
ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد الفراء وكاين وكم
عندي لهم من صنيعة ايادي ثنوها علي واوجبوا وانشد ايضا كم نعمة كانت لكم
كم كم وكم وقال اخر نعق الغراب ببين لبنى غدوة كم كم وكم بفراق لبنى تنعق وقال
اخر اردت لنفسي بعض الامور فاولى لنفسي اولى لها والجواب الثالث وهو اغربها اني
لا اعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اي انتم غير عابدين الله تعالى
الذي انا عابده اذا اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه او معه وانما
يكون عابدا له من اخلص له العبادة دون غيره وافرده بها وقوله ولا انا عابد ما عبدتم
اي لست اعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى والارض
وما طحيها ونفس وما سويها اي وطحوه اياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون يريد بفرحكم ومرحكم قال الشاعر يا ربع سلامة
بالمنحنى بخيف سلع جادك الوابل ان تمس وحشا فبما قد ترى وانت معمور بها
آهل اراد فبكونك معمورا اهلا ومعنى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اي لستم
عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه ولم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعنى وتلخيص
ذلك ان النبي صلعم قال للكفار لا اعبد الهتكم وما تدعونه من دون الله ولا انتم عابدون

الهي فان زعمتم انكم عابدون الهي فانتم كاذبون اذ كنتم من غير الجهة التي امركم بها تعبدونه فانا لا اعبد مثل عبادتكم ولا انتم ما دمتم على ما انتم عليه تعبدون مثل عبادتي فان قيل اما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادتين قلنا انه كان يعبد مخلصا له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت عبادتاهما ولانه ايضا كان يتقرب الى معبوده بالافعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الافعال ويتقربون بافعال غيرها يعتقدون جهلا انها عبادة وقربة فان قيل فما معنى قوله لكم دينكم ولي دين وظاهر هذا الكلام يقتضي اباحتهم المقام على اديانهم قلنا في هذه ثلثة اجوبة اولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهر اباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى اعملوا ما شئتم وثانيها انه اراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه وثالثها انه اراد لكم جزاؤكم لان نفس الدين هو الجزاء قال الشاعر اذا ما لقوناهم لقيناهم ودناهم مثل ما يقرضونا فاما التكرار في سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلما ذكر نعمة انعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره الم احسن اليك بان خولتك الاموال الم احسن اليك بان خلصتك من المكاره الم احسن اليك بان فعلت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرر به وهذا كثير في كلام العرب في اشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبا على ان ليس عدلا من كليب اذا طرد اليتيم عن الجزور على ان ليس عدلا من كليب اذا ما ضيم جيران المجير على ان ليس عدلا من كليب اذا رجف العضاة من الدبور على ان ليس عدلا من كليب اذا خرجت مخبأة الخدور على ان ليس عدلا من كليب اذا ما اعلنت نجوى الامور على ان ليس عدلا من كليب اذا خيف المخوف من الثغور على ان ليس عدلا من كليب غداة بلابل الامر الكبير على ان ليس عدلا من كليب اذا ما خاب جار المستجير وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير لنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت صدور الاعالي واستشال الاسافل ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن لتسبق يوما كنت فيه تحاول ونعم الفتى يا توب كنت لخائف اتاك لكي تحمي ونعم

المحامل ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ونعم الفتى يا توب حين تفاضل لعمري لانت المرء ابكي لفقده بجد ولو لامت عليه العواذل لعمري لانت المرء ابكي لفقده ويكثر تسهيدي له لا اوائل لعمري لانت المرء ابكي لفقده ولو لام فيه ناقص الراي جاهل لعمري لانت المرء ابكي لفقده اذا كثرت بالملحمين التلاتل ابى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت امور محكمات كوامل ابى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت سماح حين تاوي الارامل فلا يبعدنك الله يا توب انما لقيت حمام الموت والموت عاجل ولا يبعدنك الله يا توب انما كذاك المنايا عاجلات واجل ولا يبعدنك الله يا توب والتقت عليك الغوادي المدجنات الهواطل فخرجت في هذه الابيات عن تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني التي عددناها على نحو ما ذكرناه وقال الحرث بن عباد قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال ثم كرر قوله قربا مربط النعامة مني في ابيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه وقالت ابنة عم النعمن بن بشير ترثي زوجها وحدثني اصحابه ان مالكا اقام ونادى صحبه برحيل وحدثني اصحابه ان مالكا ضروب بنصل السيف غير نكول وحدثني اصحابه ان مالكا جواد بما في الرحل غير بخيل وحدثني اصحابه ان مالكا خفيف على الحدثان غير ثقيل وحدثني اصحابه ان مالكا صروم كماضي الشفرتين صقيل وهذا المعنى اكثر من ان نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات لقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين فان قيل اذا كان الذي حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدده من الاء ونعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان فكيف يحسن ان يقول بعقب هذا فباي الاء ربكما تكذبان وليس هذا من الالاء والنعم قلنا الوجه في ذلك ان فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من اكبر النعم لان في ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق به الثواب وانما اشار بقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم

والعذاب فيها الى نعم بوصفها والانذار بعقابها وهذا مما لا شبهة في كونه نعمة قال المرتضى رضي الله عنه وكما انه كان في الجاهلية وقبل الاسلام وفي ابتدائه قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غيره ويستنزلون الرزق من غير رازقهم فاخبر الله تعالى عنهم في كتابه وضرب لهم الامثال وكرر عليهم البينات والاعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر بالاسلام ويحقن باظهار شعاره والدخول في جملة اهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنهم من الاسلام عن المظاهرة والمجاهرة والجأهم خوف القتل الى المساترة وبلية هؤلاء على الاسلام واهله اعظم واغلظ لانهم يدغلون في الدين ويموهون على المستضعفين بجاش رابط ورأي جامع فعل من قد امن الوحشة ووثق بالانسة فيما يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار كما يحكى ان عبد الكريم بن ابي العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور واحضر للقتل وايقن بمفارقة الحياة لئن قتلتموني لقد وضعت في احاديثكم اربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة والمشهورون من هؤلاء هم الوليد بن يزيد بن عبد الملك والحمادون حماد الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم بن ابي العوجاء وبشار بن برد ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وصالح بن عبد القدوس الازدي وعلي بن الخليل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكره وهم وان كان عددهم كثيرا فقد اقلهم الله واذلهم وارغمهم بما شهد به دلائله الواضحة وحججه اللائحة على عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف ونحن نذكر من اخبار كل واحد ممن ذكرنا ونعته في دينه نبذة ونومي فيها الى الجملة والذي دعانا الى التشاغل بذلك وان كان عنايتنا بغيره اقوى مسئلة من نرى اجابته ونوثر مواقفته فتكلفناه له ومن اجله مع انه غير خال من فايدة ينتفع علمها ويتادب بروايتها وحفظها اما الوليد فكان مشهورا بالالحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم في اطراح الدين احدا ولا مراقب فيه بشرا وفي الحديث انه ولد لاخي ام سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وآله

بحمو



سميتموه باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد لهو شر على هذه الامة من فرعون على قومه قال الاوزاعي فسالت الزهري عنه فقال ان استخلف الوليد بن يزيد والا هو الوليد بن عبد الملك فقد عزم على ان يبني فوق البيت الحرام قبة فيشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف فقال بعض الجهمية لقد رايت المجوسي الابناء فوق الكعبة وهو يقدر مواضع اركان القبة فلم يمس تلك الليلة حتى وافا الخبر بقتل الوليد واخبرنا المرزباني قال اخبرني عبد الله بن يحيى العسكري عن ابي اسحق الطلحي قال اخبرني احمد بن ابرهيم بن اسمعيل عن ابي العالية عن بعض اهل العلم قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب بالناقص لما ولي نشدت الله رجلا سمع شيئا من الوليد الا اخبر به فقام ثور بن يزيد فقال اشهد لقد سمعته يقول اسقياني وابن حرب واسترانا بازار ولهوكما من طلب الجنة يسعى في خسار سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار واخبرني المرزباني قال اخبرني احمد بن خالد النحاس قال حدثنا محمد بن مكحول قال نشر الوليد بن يزيد يوما المصحف وكان خطه كانه اصابع وجعل يرميه بالسهام وهو يقول تذكرني الحساب ولست ادري احقا ما تقول من الحساب فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي قال المرتضى رضي الله عنه ويله من هذه الجرأة على الله عز وجل وبلا طويلا وما اقدر الله عز وجل ان يمنعه طعامه وشرابه وحياته وما اولاه اللعين باليم العقاب وشديد العذاب لولا ما انتم به المحنة وينتظم به التكليف من تاخير المستحق من الثواب والعقاب في تبعيدهما من احوال الطاعات والمعاصي اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثني احمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقا وانه فتح المصحف يوما فراى فيه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فاتخذ المصحف غرضا ورماه بالنبل حتى مزقه وهو يقول ابيات اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد فان لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد فاما حماد الراوية فكان منسلخا من الدين زاريا على اهله مدمنا لشرب الخمر وارتكاب الفجور وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان ينفذ من

زياد الهلالي ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحفص ابن ابي وردة وقاسم بن زنقطة
وابن المقفع ويونس ابن ابي فروه وحماد بن عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن ابي ليلى
الراوية وحماد بن الزبرقان ووالبة بن الحباب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن الفيض
وجميل بن المحفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعث وابان اللاحقي يجتمعون على الشرب
وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضا وكلهم كان متهما في دينه وعمل يونس ابن ابي فروه
كتابا في مثالب العرب وعيوب الاسلام بزعمه وصار به الى ملك الروم واخذ به
مالا وقال احمد بن يحيى النحوي قال رجل يهجو حماد الراوية * نعم الفتى لو كان يعرف
ربه * ويقيم وقت صلوته حماد * بسطت مشافره الشمول فانفه * مثل القدوم يسنها
الحداد * وابيض من شرب المدامة وجهه * فبياضه يوم الحساب سواد * لا يعجبنك بزه
ولسانه * ان المجوس يرى لها اسباد * وكان حماد الراوية مشهورا بالكذب في الرواية وعمل
الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه في اشعارهم حتى ان كثيرا من الرواة قالوا
قد افسد حماد الشعر لانه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشاكل
طريقته فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل منه وان لم يكن دالا على الالحاد
فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية فاما حماد بن الزبرقان فمذموم الطريقة في التحرم و
التهتك اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا الاشنانداني
قال دعا حماد بن الزبرقان ابا الغول النهشلي الى منزله وكانا يتقارضان فاتهم ابو الغول
فلم يزل المفضل به حتى اجابه وانطلق معه فلما رجع الى المفضل قال له ما صنعتما انت وحماد
قال اصطلحنا ان لا امره بالصلوة ولا يدعوني الى شرب الخمر فانشد المفضل قوله *
نعم الفتى لو كان يعرف ربه * وذكر الابيات التي تقدمت في الرواية الاولى منسوبة الى
هجا حماد الراوية فاما حماد عجرد فشهرته في الغلا لشهرة الحمادين وكان يرى ذلك
بالتنبه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن ابي عبد الله الفارسي قال اخبرني
ابي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني الحكم الصباح

الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي يا ابا علي اما اني قد اوجعت صاحبكم
وبلغت منه يعني حماد عجرد قلت بماذا يا ابا معاذ قال بقولي فيه * يا ابن نهيا راس علي ثقيل *
واحتمال الراسين خطب جليل * فادع غيري الى عبادة ربين فاني بواحد مشغول *
فقلت له اتعرفني عماه ثم قلت قد بلغ حمادا هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال فما
يقول قلت يقول * وادع غيري الى عبادة ربين فاني عن واحد مشغول * قال فاطرق
اطراقة ثم قال احسن والله ابن الفاعلة ثم قال اني لاحسبك فلا تنشد احدا هذين البيتين
فكان انا اسئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون
عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد الارقط قال قال بشار بلغني ان رجلا
كان يقرء القران وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القاري فقال حماد علام يجتمعون
فوالله لما اقول احسن مما يقول فمقته الناس على هذا وروى ابن شبة عن ابي عبيدة
قال كان حماد عجرد يعير بشارا بالقبح لانه كان عظيم الجسد مجدورا طويلا جاحظ
العينين قد تغشاهما لحم احمر فلما قال حماد فيه * والله ما الخنزير في نتنه * بربعه في
النتن او خمسه * بل ريحه اطيب من ريحه * ومسه الين من مسه * ووجهه احسن من وجهه *
ونفسه افضل من نفسه * وعوده اكرم من عوده * وجنسه اكرم من جنسه * قال بشار ويلي
على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف ذلك قال ما اراد الزنديق الا
قول الله تعم لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فاخرج الجحود بها مخرج هجائي وهذا
خبث من بشار وتغلغل شديد لطيف واول من جعل نفي الالحاد تاكيدا للوصف به
واخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق في حماد عجرد فقال * لو ان ماني وديصانا
وعصبتهم * جاؤا اليك لما قلناك زنديق * انت العبادة والتوحيد مذ خلقا *
وذا التزندق نيرنج مخاريق * واما ابن المقفع فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي
انه قال ما وجدت كتاب زندقة قط واصله ابن المقفع وروى ابن شبة قال حدثني
من سمع من ابن المقفع وقد مر ببيت نار المجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل * يا بيت عاتكة

الذي اتعزل * حذر العدى وبه الفؤاد موكل * اني لامنحك الصدود وانني * قسما اليك
مع الصدود لاميل * وروى احمد بن يحيى بن ثعلب قال قال ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد
وقال الاخفش والصحيح انه يرثي ابن ابي العوجاء * رزينا ابا عمرو ولا حي مثله * فلله رب
الحادثات بمن وقع * فان تك قد فارقتنا وتركتنا * ذوي خلة ما في انسداد لها طمع *
لقد جر نفعا فقدنا لك اننا * امنا على كل الرزايا من الجزع * قال ثعلب البيت الاخير يدل
على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير واخبرني علي بن محمد الكاتب قال
اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه قال حدثنا خالد بن
خداش قال كان الخليل بن احمد يحب ان يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك
فجمعهما عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلثة ايام ولياليهن فقيل للخليل كيف رايت عبد الله
قال ما رايت مثله وعلمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رايت الخليل قال ما رايت
مثله وعقله اكثر من علمه قال المغيرة فصدقا ادى عقل الخليل الى ان مات ازهد الناس
وجهل ابن المقفع الى ان كتب امانا لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر امير المؤمنين بعمه
عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد
ذلك على المنصور جدا وخاصة امر البيعة وكتب الى سفيان بن معوية المهلبي وهو امير
البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام فصيح العبارة
له حكم وامثال مستفادة من ذلك ما روى ان يحيى بن زياد الحارثي كتب اليه يلتمس معاقدة
الاخاء والاجتماع على المودة والصفاء فلم يجبه فكتب اليه كتابا يعرض به فكتب اليه عبد الله
ان الاخاء رق فكرهت ان املكك رقي قبل ان اعرف حسن ملكتك وكان يقول
ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لا يكاد
يخطئك وكان يقول اذا نزل بك امر مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان
مما لا حيلة فيه فلا تجزع ودعاه عيسى بن علي الى الغداء فقال اعز الله الامير لست يومي
للكرام اكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار وكتب

الى بعض اخوانه اما بعد فتعلم العلم ممن هو اعلم به منك وعلمه من انت اعلم به منه فانك اذا فعلت
ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال لبعض الكتاب اياك والتتبع لوحشي الكلام
طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر وقال لاخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب
من الالفاظ السفلة وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها
وقال لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسال من تخاف منعه ولا تعد ما لا تقدر على انجازه
ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف
العجز عنه وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم قد ينسبون الى قلة الوفاء فلا تشعرن
قلبك استبطاءه فانه لم يشعر احد قلبه شيئا الا ظهر على لسانه ان كان سخيفا وعلى وجهه ان
كان حليما وكان يقول ان مما يسلي العاقل عن الدنيا علمه بان الارزاق لم تقسم فيها على قدر
الاخطار فاما ابن ابي العوجاء فقد ذكرنا ما روي من اعترافه بدسه في احاديث النبي صلعم
احاديث مكذوبة وروي عنه انه رئي بعدل وقد كتب عليه اية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت
هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال فهذا مصحفا يسرق ولبشار فيه * قل لعبد الكريم يا ابن ابي
العوجاء * بعت الاسلام بالكفر موقا * لا تصلي ولا تصوم فان صمت فبعض النهار صوما
رقيقا * لا تبالي اذا اصبت من الخمر عتيقا والا تكون عتيقا * ليت شعري غداة حليت في
الجيد حنيفا حليت ام زنديقا * فاما بشار بن برد فروى المازني قال قال رجل لبشار اتاكل اللحم
وهو مباين لديانتك يذهب الى انه ثنوي فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة
قال المبرد وروي ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوب راي ابليس في الامتناع
من السجود وروي له * النار مشرقة والارض مظلمة * والنار معبودة مذ كانت النار * وروى
بعض اصحابه قال كنا اذا حضرت الصلوة نقوم اليها ونقعد بشار فنجعل حوله ثيابنا لننظر
هل يصلي فنعود والتراب بحاله لم يقم الى الصلوة اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي
بن عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال حدثني ابن مهرويه عن احمد بن خلاد قال حدثني ابي
قال كنت اكلم بشارا وارد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد وكان يقول لا اعرف الا ما

عاينت او عاينه معاين وكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما اظن الامر يا ابا مخلد الا انه كما قال لي
انه حدثان ولذلك اقول طبعت على ما في غير مخير هواي ولو خيرت كنت المهذبا اريد فلا
اعطى واعطى ولم اُرد وقصر علمي ان انال المغيبا واصرف عن قصدي وعلمي مقصر فامسي وما اعقبت
الا التعجبا قال الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطاء الغزال قبل ان يظهر مذاهبه المكروهة
وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال تكلف
القول والاقوام قد حفلوا وحبروا لخطبا ناهيك من خطب فقال مرتجلا تغلي بداهته كمرجل القين
لما حف باللهب وجانب الراء لم يشعر به احد قبل التصفح والاغراق في الطلب ومثل ذلك
قول بعضهم في واصل ويجعل البر قمحا في تكلمه وجانب الراء حتى احتال للشعر ولم يطق مطرا
والقول يعجله فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر فلما اظهر بشار مذاهبه هتف به واصل وكان
يذكره وتكفيره وقصد فقال بشار فيه مالي اشايع غزالا له عنق كنقنق الدو ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم تكفرون رجالا كفروا رجلا فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده
قال عند ذلك اما لهذا الاعمى الملحد اما لهذا المشنف المكتني بابي معاذ من يقتله اما
والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست اليه من يبعج بطنه في جوف منزله
على مضجعه او في يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فعدل واصل من
الضرير الى الاعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى ابي معاذ
ومن الفراش الى المضجع وزاد قوم فقالوا ومن ارسلت الى دسست ومن يبقر الى يبعج
ومن داره الى منزله ومن المغيرية الى الغالية والاول اشبه بان يكون مقصودا وما
ذكرت ثانيا قد يتفق استعماله من غير عمد ولعدم استعمال الراء فاما قوله ولا يتولى
ذلك الا عقيلي او سدوسي فلان بشارا كان مولى لهم وذكر بني سدوس لان بشارا
كان ينزل فيهم واما لقب بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلثة اقوال احدها انه لقب بذلك
لبيت قاله وهو قال ريم مرعث ساحر الطرف والنظر لست والله نائلي قلت او يغلب
القدر والقول الثاني انه كان لبشار ثوب له جيبان احدهما عن يمينه والاخر عن شماله

وكان

وكان اذا اراد لبسه ضمه عليه ضما من غير ان يدخل راسه فيه فقيل انه سال الجيبين وتدليهما
بالرعاث وهي القرطة فقيل المرعث وقال ابو عبيدة انما سمي المرعث لانه كان يلبس في صباه رعاثا
وهذا هو القول الثالث وكان بشار مقدما في الشعر جدا حتى ان كثيرا من الرواة يجعله عن نقدم
عصره عليه من المجودين اخبرنا المرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسين العسكري
قال قيل لابي حاتم من اشعر الناس قال الذي يقول ولها مبسم كغر الاقاحي وحديث كالوشي
وشي البرود نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد عندها الصبر عن لقائي
وعندي زفرات ياكلن صبر الجليد يعني بشارا قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار
بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الزق والعود فبلغ ذلك المهدي فوجد عليه وكان سببا لقتله

مجلس آخر

فاما مطيع بن اياس الكناني فاخبرنا ابو عبد الله المرزباني عن علي بن هرون عن عمه
يحيى بن علي عن ابي ايوب المدني عن احمد بن ابرهيم الكاتب قال اخبرني ابي قال رايت بنتا لمطيع
قد اتي بها في ايام الرشيد فاقرت بالزندقة وقرات بها وتابت وقالت هذا شيء علمنيه ابي
فقبل الرشيد توبتها وردها الى اهلها وقال محمد بن داود بن الجراح في اخبار مطيع انه كان يرمى
بالزندقة وروي انه لما حضرته الوفاة احاط به اهل بيته فاقبلوا يقولون له قل يا مطيع لا اله الا الله
فلا يقول حتى اذا صارت نفسه في ثغرة نحره تنفس ثم اهوى الى الكلام فقالوا له قل لا اله الا الله فتكلم
كلاما ضعيفا فتسمعوا له فاذا هو يقول لهف نفسي على الزمان وفي اي زمان دهتني الازمان
حين جاء الربيع واستقبل الصيف وطاب الطلاء والريحان قال المرزباني وهذا الحديث
يروى للهيثم بن عدي ليحيى بن زياد فاما يحيى بن زياد الحارثي فهو يحيى بن زياد بن عبد الله بن
عبد الله بن عبد المدان بن ديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبد الله هو خال ابي العباس
السفاح ويكنى يحيى ابا الفضل وكان يعرف بالزنديق وكانوا اذا وصفوا انسانا بالظرف قالوا
هو اظرف من الزنديق يعنون يحيى لانه كان ظريفا وهذا المعنى قصد ابو نواس بقوله تيه مغن
وظرف زنديق قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق لا يرجع عن شيء ولا يمتنع مما يدعى اليه

فنسبه الى الظرف لمساعدته على كل شى وقلة خلافه وروى انه قيل ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه
قل لا اله الا الله فقال لم يبق الا الغبط والجلاجل ثم اغمى عليه فلما افاق اعيد عليه القول
فقال ويا زلل اتعلل به المراجل وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن اياس يرثى يحيى بن زياد
وكانا جميعا مرميين بالخروج من الملة يا اهل بكوا القلبى القرح وللدموع الهوامل السفح
راحوا بيحيى الى مغيبه في القبر بين التراب والصفح راحوا بيحيى ولو تساعدني الاقدار
لم يبتكر ولم يرح يا خير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان امس للمدح قد ظفر الحزن بالسرور
وقد اديل مكروهنا من الفرح ولمطيع يرثيه انظر الى الموت كيف باد هم والموت
مقدامة على البهم لو قد تدبرت ما صنعت به قرعت سنا عليه من ندم فاذهب بمن شئت
اذ ذهبت به ما بعد يحيى للرزء من الم فاما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهرا
بمذاهب الثنوية ويقال ان ابا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم قال له على اى شى تعزم
يا صالح قال استخير الله واقول بالاثنين قال ابو الهذيل فايهما استخرت لا ام لك وروى
ان ابا الهذيل ناظره في مسئلة مشهورة في الامتزاج الذى ادعوه بين النور والظلمة فاقام
عليه الحجة وانقطع فانشأ يقول ابا الهذيل هداك الله يا رجل فانت حقا لعمرى معضل جدل
وروى انه رئى يصلى صلوة تامة الركوع والسجود فقيل له ما هذا ومذهبك معروف فقال
سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الاهل والولد ويقال انه لما اراد المهدى قتله على الزندقة
دعا اليه بكتاب وقال له اقرء هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح اوتعرفه انت يا
امير المؤمنين اذ قرأته قال لا قال افتقتلنى على ما لا تعرف قال فانى اعرفه قال صالح فدع عرفته
ولست بزنديق فكذلك اعرفه ولست بزنديق وذكر محمد بن المبرد قال ذكر بعض الرواة ان صالحا
لما نوظر فيها قذف به من الزندقة بحضرة المهدى قال له المهدى الست القائل في حفظك ما
انت عليه رب سر كتمته فكانى اخرس او ثنى لسانى خبل ولو انى ابديت للناس علمى لم يكن
لى في غير حبسى اكل فقال له صالح فانى اتوب وارجع فقال له هيهات الست القائل والشيخ
لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه اذا ارعوى عاوده جهله كذى الضنا عاد الى نكسه

ثم قدم فقتل وبقى انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو في الحبس خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها
فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى اذا دخل السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا فان حسنت لم تأت عجلى وابطأت
وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى طوى دوننا الاخبار سجن ممنع له حارس تهدى العيون ولا
تهدى قبرنا ولم ندفن فنحن بمعزل من الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى الا احد باوى لاهل محلة
مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا قال المرتضى رضى الله عنه واظن ان ابن الجهم لحظ قول صالح
فعشا ولا نغشى في قوله يصف الحبس بيت يجدد للكريم كرامة ويزار فيه ولا يزور ويحفد
فاما على بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيبانى ويكنى ابا الحسن وهو كوفى يتهم بالزندقة
فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة وبها الرشيد فمدحه ومدح الفضل
بن الربيع وروى انه لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة حضره شيخ حسن الهيئة حسن الخضاب معه
قصيدة فاشار بها فامر الرشيد باخذها منه فقال يا امير المؤمنين انا احسن قراءة لها من غيرى
فاذن لى في قراءتها فعل فقال انى شيخ كبير ولا امن الاضطراب اذا قمت فان رايت ان تأذن
لى في الجلوس فعلت فقال اجلس فجلس ثم انشأ يقول يا خير من وخدت بارحله نجب الركاب
بمهمه جلس تطوى السباسب في ازمتها طى التجار عمائم البرس لما رأتك الشمس طالعة سجدت
لوجهك طلعة الشمس خير الخلائف انت كلهم في يومك الماضى وفى امس وكذاك لا
ننفك خيرهم تمسى وتصبح فوق ما تمسى من عصبة طابت اومتها اهل العفاف ومنتهى القدس
فوق النجوم فروع نبعتهم ومع الحضيض منابت الغرس اتى رحلت اليك من فزع كان النوكل
عنده ترسى ماذاك الا انتى رجل اصبو الى بقر من الانس بقر اوانس لا قرون لها يقتلن با
لتطويل والحبس واجاذب الفتيان بينهم صهباء مثل مجاجة الورس للماء في حافاتها حبب
نظم كلطى صحائف الفرس فالله يعلم في بقيته ما ان اضعت اقامة الخمس فقال له هرون من انت
قال على بن الخليل الذى يقال انه الزنديق قال انت امن وكتب الى جماعته الا يعرض له ومن تركنا
ذكره من هؤلاء اكثر ممن ذكرناه وانما اعتمدنا من كان يهتك الباطنية وامره فيها اظهر واعرف

قليلا من كثير وجملة من تفصيل وانا قد ذكرنا جملة من اخبار اهل الضلالة المنقادين للجهال
حسب ما سئلنا فنحن نتبعها بشيء من اخبار اهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم وسحن الفاظهم
ليعلم الفرق بين من يحب بعثه ومن خبث صنفه فقد سئلنا ايضا ذلك اعلم ان اصول التوحيد
والعدل ماخوذة من كلام امير المؤمنين وخطبه فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا
غاية وراءه ومن تامل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه
وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول وروي عن الائمة من اولاده عليهم السلم
من ذلك ما لا يكاد يحاط بكثرته ومن احب الوقوف عليه وطلبه في مظانه اصاب منه الكثير الغزير
الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدم ما نريد ذكره من ذلك شيئا
مما روي عنهم عليهم السلم في هذا الباب فمن ذلك ما روي عن امير المؤمنين ع انه قال وهو يصف الله
بمضادته بين الاشياء علم ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة
والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها
وروي عنه انه سئل بما عرفت ربك فقال بما عرفني به قيل وكيف عرفك قال لا تشبهه صورة
ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس وقيل له كيف يحاسب الله الخلق قال كما يرزقهم
قيل له كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه وسأله رجل فقال اين كان ربك قبل ان
يخلق السماء والارض فقال ع اين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وروي عن ابي عبد الله
الصادق ع انه سأله محمد الحلبي فقال هل رأى رسول الله ص ربه فقال نعم رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله
فلا تدركه ابصار الناظرين ولا يحيط به اسماع السامعين وروى صفوان بن يحيى قال دخل
ابو قرة المحدث على ابي الحسن الرضا فسأله عن اشياء من الحلال والحرام والاحكام والفرائض
حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال ابو قرة انا روينا ان الله تعالى قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى ع
الكلام ولمحمد ص الرؤية فقال الرضا فمن المبلغ عن الله تعالى الى الثقلين الانس والجن انه لا
تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء اليس محمد ص نبيا صادقا قال بلى قال
فكيف يجيء رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله يدعوهم اليه بامره ويقول

لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء ثم يقول انا رأيته بعيني واحطت به علما اما
تستحيون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه
اخر قال ابو قرة فانه يقول ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال ع ان ما بعد هذه الاية يدل
على ما رأى حيث يقول ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب فؤاد محمد ص ما رأت عيناه ثم اخبر
بما رأى فقال لقد رأى من ايات ربه الكبرى وايات الله غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون
به علما فاذا رأته الابصار فقد احاط به العلم فقال ابو قرة افاكذب بالرواية فقال الرضا ع اذا
كان القران كذبها وما اجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار وليس كمثله شيء
واتى اعرابي ابا جعفر محمد بن علي ع فقال له هل رأيت ربك حين عبدته فقال لم اكن لاعبد شيئا
لم اره قال كيف رأيته فقال لم تره الابصار بمشاهدة العيان بل رأته القلوب بحقائق
الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالايات منعوت بالعلامات لا
يجور في قضيته هو الله الذي لا اله الا هو فقال الاعرابي الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وروي ان شيخا حضر صفين مع امير المؤمنين ع فقال له اخبرنا يا امير المؤمنين عن مسيرنا الى
الشام اكان بقضاء من الله وقدر فقال له نعم يا اخا اهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة
ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدره فقال الشامي عند الله
احتسب عنائي يا امير المؤمنين وما اظن ان لي اجرا في سعيي اذ كان الله قضاه علي وقدره فقال ع
ان الله قد اعظم لكم الاجر على مسيركم وانتم سائرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا
في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي كيف ذلك
والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مصيرنا وانصرافنا فقال ع ويحك يا اخا اهل
الشام لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب
وسقط الوعد والوعيد والامر من الله والنهي وما كان المحسن اولى بثواب الاحسان
من المسيء والمسيء اولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان
وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله امر عباده تخييرا

فنهاهم تحذيرا وكلف يسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل الكتب الى عباده عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار قال الشامي فما القضاء والقدر اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما قال الامر من الله تعالى بذلك والحكم ثم تلا وكان امر الله قدرا مقدورا فقام الشامي فرحا مسرورا لما سمع هذا المقال فقال فرجت عني فرج الله عنك يا امير المؤمنين وانشا يقول انت الامام الذي نرجو بطاعته يوم الحساب من الرحمن غفرانا اوضحت من امرنا ما كان ملتبسا جزاك ربك بالاحسان احسانا

وروى ان ابا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فاتيت ابا عبد الله عم فسلمت عليه وخرجت من عنده فرايت ابنه موسى ع في دهليزه قاعدا في مكتبه وهو صغير السن فقلت له اين يحدث الغريب عندكم اذا اراد ذلك فنظر الي ثم قال يجتنب شطوط الانهار ومساقط الثمار وافنية الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك فممن المعصية فنظر الي فقال اجلس حتى اخبرك فجلست فقال ان المعصية لا بد ان تكون من العبد او من ربه او منهما جميعا فان كانت من الله تعالى فهو اعدل وانصف من ان يظلم عبده ويواخذه بما لم يفعله وان كانت منهما فهو شريكه والقوي اولى بانصاف عبده الضعيف وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم وقد نظم هذا المعنى شعرا فقيل لم تخل افعالنا اللاتي نذم لها احدى ثلاث خلال حين ناتيها اما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها او كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها او لم يكن لالهي في جنايتها ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها واحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن ابي الحسن البصري واسم ابيه يسار من اهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم امه خيرة مولاة لام سلمة زوج النبي ص ويقال ان ام سلمة كانت

زيادة في اخر القطعة
سيعلمون اذا الميزان شال بهم
اهم جنوها ام الرحمن جانيها

ثم اخذ

ثم اخذ الحسن اذا بكى فتسكته بثديها فكان بركة عليه فيقال ان الحكمة التي اوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة فمن تصريحه بالعدل ما رواه علي بن الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله تعالى جاء يوم القيمة مسودا وجهه ثم قرا يوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال داود بن ابي هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر الا المعاصي وكان الحسن بارع الفصاحة بليغ المواعظ كثير العلم وجميع كلامه من الوعظ وذم الدنيا او جله ماخوذ لفظا ومعنى او معنى دون لفظ من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع فهو في ذلك القدوة والغاية فمن ذلك قوله ع شتان احدهما ماخوذ من الاخر احدهما اكثر شيء في الدنيا والاخر اقل شيء في الدنيا العبر والاعتبار وقوله ع مثل الدنيا والاخرة مثل المشرق والمغرب متى ازددت من احدهما قربا ازددت من الاخر بعدا وقوله ع شتان ما بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى اجره وقوله ع في وصف الدنيا ما اصف من دار اولها عناء واخرها فناء وفي حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر حزن وقوله ع في كلام له فيها ايها الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى استذمت اليك بل متى غرتك بمضاجع ابائك من الثرى ام بمنازل امهاتك من البلى كم مرضت بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك قال المرتضى رضي وهذا باب ان ولجناه اغرقنا من لجج بحر زاخر او شؤبوب غمام ماطر وكل قول في هذا الباب لقائل اذا اضيف اليه او قوبل به كان كاضافة القطرة الى الغمر والحصاة الى الحرة وانما اشرنا اليه اشارة واومانا اليه ايماء ثم نعود الى ما كنا فيه وروي ان اعرابيا سمع كلام الحسن البصري فقال الملون فصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ وروي ان الحسن تلا يوما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ثم قال ان قوما غدوا في المطارف العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون للبلاء وهم منه في

ما فيه حتى اذا اخافوا من فوقهم من اهل العفة وظلموا من تحتهم من اهل الذمة اهزلوا دينهم واسمنوا
براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم الم تر الى احدهم قد جددوا الثياب واخلقوا الدين يتكي احدهم
على شماله فيأكل من غير ماله طعام غصب وخدمه سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد
ورطب بعد يابس حتى اذا اخذته الكظة تجشأ من البشم ثم قال يا جارية هاتي حاطوما يعني ما
يهضم الطعام يا احيمق لا والله لن تهضم الا دينك اين جارك اين يتيمك اين مسكينك
اين ما اوصاك الله عز وجل به وذكر يوما الحجاج فقال اتانا اعيمش اخيفش له جميمة يرجلها
واخرج الينا بنانا قصارا والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله فقال بايعوني فبايعناه ثم
رقى هذه الاعواد ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يامرنا بالمعروف ويجتنبه
وينهانا عن المنكر ويرتكبه وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة
فاقدعوها فانكم ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها سريعة الدثور
قال عيسى بن عمر فحدثت بذلك ابا عمرو بن العلا فتعجب من فصاحته وكان يقول في بعض
كلامه ما تشاء ان ترى احدهم ابيض بضا يملخ في الباطل ملخا ينفض مذرويه ويقول ها انا ذا
فاعرفوني قال فالبض هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على ما يظنه قوم لانه قد يكون
الرخاصة مع الادمة فاما قوله يملخ فان الملخ هو التثني والتكسر يقال املخ الفرس اذا لعب
قال وهو يصف الحمار سقدم الخليص ملخ الملوق والمذروان فرعا الاليتين قال عنترة
احولي تنفض استك مذرويها لتقتلني فها انا ذا عمارا هذا قول ابي عبيد وقال ابن قتيبة
رادا عليه ليس المذروان فرعي الاليتين حسب بل هما الجانبان من كل شيء تقول العرب
جاء فلان يضرب اصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما منكباه وذكر انه سمع رجلا
من فصحاء العرب يقول قنع الشيب مذرويه يريد جانبي راسه وهما فوداه وانما سميا بذلك
لانهما يذريان اي يشيبان والذرى الشيب قال وهذا اصل الحرف ثم استعير للمنكبين والاليتين
والطرفين من كل شيء قال عبد الله بن ابي عائذ الهذلي يذكر قوسا على عجس هتافة المذروين
زوراء مضجعة في الشمال اراد قوسا ينبض طرفاها قال فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكره

حسن

الحسن بانه يحرك اليتيه وانما اراد انه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرح المختال
وربما قالوا جاء ينفض مذرويه اذا تهدد وتوعد لانه اذا تكلم وحرك راسه نفض فرو
فوديه وهما مذرواه قال المرتضى ليس الذي ذكره ابو عبيد ببعيد لان من شان المختال
الذي يزهو بنفسه ان يهتز ويتثنى فتتحرك اعطافه واعضاؤه ومذرواه من جملة ما يهتز
ويتحرك لانهما بارزان من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز وانما خص المذروين بالذكر مع ان
غيرهما يتحرك ايضا على طريق التقبيح على هذا المختال المعجب لفعله وقول ابن قتيبة ليس من
شان من ينتخ ان يحرك اليتيه ليس بشيء لان الاغلب من شان البذاخ المختال الاهتزاز
وتحريك الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شان كل متوعد ان يحرك راسه
وينفض مذرويه فاذا قال ان ذلك في الاغلب قيل له مثله وكان الحسن يقول يا ابن ادم
جمعا جمعا سرطا سرطا جمعا في وعاء وشدا في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل مات
فافضى والله الى الاخرة فطال حسابه وكان يقول لمسكين ابن ادم مكتوم الاجل مكنون العلل
اسير جوع صريع شبع ان من تؤلمه البقة وتقتله الشرقة لبادي الضعف قريب الحتف وكان
يقول ما اطال احد الامل الا اساء العمل وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان طول البقاء
الى فناء فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام وكان يقول اذا رايت رجلا
ينافسك في الدنيا فنافسه في الاخرة وسأله رجل ما حالك فقال باشد حال ما حال من اصبح
وامسى ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل الله به وكان يقول يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكل
بك ملكان كريمان يكتبان عملك فامل ما شئت واكثر واقلل وفي خبر اخر وكل بك ملكان
كريمان ريقك مدادهما ولسانك قلمهما وروى ابو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة
واليا على العراق نزل واسطا فبعث الى الشعبي والى الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك
عبد اخذ الله ميثاقه وانتخبه لخلافته وقد اخذ واستوصينا واعطيناه عهودنا ومواثيقنا
وصفقة ايدينا فوجب علينا السمع والطاعة وانه بعثني الى عراقكم غير سائل اياه
الا انه لا يزال يبعث الينا في القوم نقتلهم او في الضياع نقبضها او في الدور نهدمها

فتولى من ذلك ما ولاه الله فان بان فاما الشعبي فقال قولا فيه بعض اللين واما الحسن فانه
قال يا عمر اني انهاك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله
انه يوشك ان ينزل عليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك
الى ضيق قبرك ثم لا يوسعه عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصرا لدين الله فلا
تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلونهم به فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
عز وجل وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن اكرمنا عليه وروى ابو بكر بن عياش قال قال
مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به قال عظني قال
اوليت قط قال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فأته الى من وليته وعن ثابت البناني
قال قال رجل للحسن اخذ عطائي ام ادعه حتى اخذه من حسناتهم يوم القيمة فقال له قم ويحك خذ
عطاءك فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيمة وولد للحسن غلام فهناه بعض اصحابه فقال
نحمد الله على هبته ونستزيده من نعمه ولا مرحبا بمن اذا كنت غنيا اذهلني وان كنت فقيرا
اتعبني لا ارضى بسعيي له سعيا ولا بكدي له في الحيوة كدا اشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وانا
في حال لا يصل الي من همه حزن ولا من فرحه سرور وكان الحسن يقول لو لم يكن من شوم الشراب
الا انه جاء الى احب خلق الله الى الله فافسده لكان ينبغي للعاقل ان يتركه يعني العقل وعزى جارا
له يهوديا فقال له جزاك الله عن مصيبتك باعظم ما جازى به احدا من اهل ملتك وهذا
تخلص منه مليح لانه لم يدع له بالثواب الذي لا يستحقه الكفار واراد بالجزاء العوض الذي
يستحق الكافر مع استحقاق العقاب وكان الحسن يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة
ولا لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة وقال في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا
حسنة قال العلم وفي الآخرة حسنة قال الجنة وخرج الحسن في جنازة معها نوائح فقال له رجل
اما ترى يا ابا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كلما رايت قبيحا تركت حسنا
اسرع ذلك في دينك وذكرت عنده الدنيا فقال احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها
لا يخدع وكان يتمثل اليوم عندك دلها وحديثها وغدا لغيرك كفها والمعصم وعن

ابو عبيدة

ابي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من خضراء واسط نادى في الناس ان يخرجوا فيدعوا له بالبركة
فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف اهل الشام على نفسه ان يقتلوه فرجع وهو
يقول قد نظرنا الى اخبث الاخبثين وافسق الفاسقين فاما اهل السماء فمقتوك واما اهل
الارض فغروك ثم قال ان الله تعالى الميثاق الذي اخذه على اهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم
انصرف وبلغ ذلك الحجاج فقال يا اهل الشام وهم حوله آالله ليقومن عبيد من عبيد اهل
البصرة فيتكلم فيّ بما تكلم له ثم لا يكون عند احد منكم تغيير ولا تنكير قالوا ومن ذلك اصلحك الله
استفادهم فقال علي به وامر بالنطع والسيف فاحضروا وبعث اليه فلما دنا الحسن الى الباب حرك
شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج ههنا واجلسه قريبا من فرشه وقال له
ما تقول في علي وعثمان قال اقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال موسى لفرعون اذ
قال له ما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى علم علي وعلم
وعثمان عند الله ثم فقال له الحجاج انت سيد العلماء يا ابا سعيد ثم دعا له بغالية فغلل
بها لحيته فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب قال له يا ابا سعيد والله لقد دعاك لغير ما فعل بك
ولقد احضر السيف والنطع فلما اقبلت رايتك قد حركت شفتيك بشيء فما قلت قال قلت
يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي في شدتي ويا ولي نعمتي ويا الهي واله آبائي ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب ارزقني مودته واصرف عني اذاه ومعرته ففعل ربي عز وجل ذلك وكان
الحسن يقول ما زال النفاق مقموعا حتى عمم هذا عمامة وقلد سيفا يعني الحجاج وروى ابو بكر
الهذلي ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد ان الشيعة تزعم انك تبغض عليا فاكب يبكي طويلا
ثم رفع راسه فقال لقد فارقكم بالامس رجل كان سهما من مرامي الله عز وجل على عدوه رباني
هذه الامة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من النبي قريبة لم يكن بالنؤمة عن امر الله ولا بالغافل
عن حق الله ولا بالسروقة من مال الله اعطى القران عزائمه فيما له وعليه فاشرف منها على رياض مونقة
واعلام بينة ذاك ابن ابي طالب يا لكع وكان الحسن اذا اراد ان يحدث في زمن بني امية عن علي
قال قال ابو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان امرا هذا آخره لينبغي ان يزهد فيه وان امرا

هذا اوله لينبغي ان يحذر منه وعن حميد الطويل قال خطب رجل الى الحسن ابنته فكنت السفير بينهما
فرضيته واراد ان يزوجه فاثنيت عليه ذات يوم وقلت وازيدك يا ابا سعيد انه يملك من الف
قال اقلت له خمسون الفا ما اجتمعت من حلال قال قلت يا ابا سعيد انه والله ما علمت لورع
مسلم فقال ان كان جمعها من حلال فقد ضن بها عن حق لا يجري والله بيني وبينه صهر ابدا و
قيل لعلي بن الحسين ع قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك وانما العجب ممن نجا
كيف نجا فقال ع انا اقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله
واتى علي يوما الحسن البصري وهو يقص عند الحجر فقال يا حسن اترضى نفسك للموت قال لا قال
فعملك للحساب قال لا قال افثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت
قال لا قال فلم اذا تشغل الناس عن الطواف **مجلس اخر** وممن تظاهر بالقول بالعدل

المجلس الحادي عشر
احوال واصل بن عطاء

واشتهر به واصل بن عطاء الغزال ويكنى ابا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى لمخزوم
وقيل مولى بني هاشم وذكر انه لم يكن غزالا وانما لقب بذلك لانه كان يكثر الجلوس في الغزالين
عند صديق له يعرف بابي عبد الله الغزال وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات
من النساء فيصرف صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب ابو سلمة حفص بن سليمان بالخلال
وهو وزير ابي العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين وكان
يجلس عندهم فسمي خلالا ومثله ابو علي الجرمازي وهو مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك
لانه كان ينزل في بني الجرماز وابرهيم بن يزيد الخوزي وليس بخوزي ولكنه كان ينزل بمكة شعب
الخوز وابو سعيد المقبري لانه ينزل المقابر وكان واصل الثغ في الراء قبيح اللثغة فكان يخلص كلامه
من الراءات ويعدل عنها في خطبه ومحاوراته وقد ذكرنا طرفا من ذلك في اخبار بشار بن برد وذكر ابو
البردعي المتكلم ان انسانا سال عمرو بن عبيد او غيره من شيء في الفقه بحضرة واصل بن عطاء فكلم السائل
اغضب عمرا فاجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل فقال له واصل اياك واجوبة الغضب فانها من
والشيطان يكون معها ولا في نصا عيبها اهمزة فقد اوجب الله عز وجل على نبيه ان يستعيذ من همزات
الشيطان الى خاتمة الاية وقل ما شاهدت احدا اجاب فيلث في جوابه وما ينطق به لسانه فلعله لم

وان يكونوا معه بقوله اعوذ بك من همزات الشياطين

قال

قال البردعي انظر الى واصل كيف كلم عمروا فاخرج الراء من كلامه فقال موضع والشيطان
يحضرها يكون معها وقال فقد اوجب الله تعالى على نبيه ص ولم يقل امره وقال وان يكونوا معه
بدلا من قوله وان يحضروه ثم قال الى خاتمة الاية ولم يقل الى اخر الاية قال المرتضى رض ومما
لم يذكره البردعي انه عدل عن افتتاح الاية من اجل الراء ايضا لان اولها وقل رب اعوذ بك
من همزات الشياطين ولولا قصده عن العدول لكان ذكرها واجبا من حيث ابتداء انها
لا سيما وفي ابتدائها انها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به وقيل ان رجلا
قال له كيف تقول اسرج الفرس فقال البد الجواد وقال له كيف تقول اركب فرسك وجر رمحك
فقال استوى على جوادك واسحب ذابلك وذكر ابو الحسين الخياط ان واصلا كان من اهل
مدينة الرسول ومولده سنة ثمانين ومات سنة احدى وثلثين ومائة وكان واصل ممن
لقي ابا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه واخذ عنه وقال قوم انه لقي اباه محمدا
وذلك غلط لان محمدا توفي سنة ثمانين او احدى وثمانين وواصل ولد في سنة ثمانين
وواصل هو اول من اظهر المنزلة بين المنزلتين لان الناس كانوا في اسماء اهل الكبائر من اهل
الصلوة على اقوال كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك والمرجئة تسميهم بالايمان وكان
الحسن البصري واصحابه يسمونهم بالنفاق فاظهر واصل القول بانهم فساق غير مؤمنين
ولا كفار ولا منافقين وكان عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن وتلاميذه فجمع بينه وبين واصل
لينناظره فيما اظهره من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما وقفوا على الاجتماع ذكر ان واصلا
اقبل ومعه جماعة من اصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان
في عنقه طول واعوجاج قال ارى عنقا لا يفلح صاحبها وسمع ذلك واصل فلما سلم عليه
قال له يا ابن اخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذي بين الصانع والمصنوع
فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة قد وعظت فاحسنت ولن اعود الى مثل الذي كان مني
وجلس واصل في الحلقة وسال ان يكلم عمروا فقال واصل لعمرو لم قلت ان من اتى كبيرة من اهل
الصلوة يستحق اسم النفاق فقال عمرو لقول الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة

شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
ثم قال في موضع آخر ان المنافقين هم الفاسقون وكان كل فاسق منافقا اذ كانت الف
ولام المعرفة موجودتين في الفاسق فقال له واصل اليس قد وجدت الله تعالى يقول ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون واجمع اهل العلم على ان صاحب الكبيرة يستحق اسم
ظالم كما يستحق اسم فاسق فالا كفرت صاحب الكبيرة من اهل الصلوة بقول الله تعالى والكافرون
هم الظالمون فعرف بالف ولام التعريف اللتين في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الظالمون كما قال في القاذف واولئك هم الفاسقون فسميته منافقا لقوله تعالى
ان المنافقين هم الفاسقون فامسك عمرو ثم قال له واصل يا ابا عثمان ايما اولى ان
يستعمل في اسماء المحدثين من امتنا ما اتفق عليه اهل الفرق من اهل القبلة او ما اختلف
فيه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه اولى فقال له واصل الست تجد اهل الفرق على اختلافهم
يسمون صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من اسمائه لان الخوارج
تسميه مشركا فاسقا والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقا قال المرتضى رحمه الله يعني بالشيعة الزيدية
والحسن يسميه منافقا فاسقا والمرجئة تسميه مومنا فاسقا فاجمعوا على تسميته بالفسق
واختلفوا فيما عدا ذلك من الاسماء التي تختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقا
ولا يقال فيه انه مومن ولا منافق ولا مشرك ولا كافر نعمة فهذا اشبه باهل الدين فقال له
عمرو بن عبيد ما بيني وبين الحق عداوة والقول قولك فليشهد علي من حضر اني تارك
للمذهب الذي كنت اذهب اليه من نفاق صاحب الكبيرة من اهل الصلوة قائل بقول ابي
حذيفة في ذلك واني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب فاستحسن الناس هذا
من عمرو وقيل ان اسم الاعتزال انما اختصت بهذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن
ابي الحسن في تسميته مرتكب الكبيرة من اهل الصلوة بالنفاق وحكى غير ذلك وقيل
ان قتادة بعد موت الحسن البصري كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو بن عبيد جميعا
رئيسين مقدمين في اصحاب الحسن فجرى بينهما نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة فاجتمع

ابـ

اليه جماعة من اصحاب الحسن فكان قتادة اذا جلس مجلسه سال عن عمرو واصحابه فيقول ما فعلت
المعتزلة فسموا بذلك قال المرتضى رحمه الله اما ما الزمه واصل بن عطاء عمرو بن عبيد اولا فقد يلزم
لازم واما ما كلمه به ثانيا فغير لازم ولا الزم لان الاجماع وان لم يوجد في تسمية صاحب
الكبيرة بالنفاق وغيره من الاسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع ان يسمي بذلك لدليل غير
الاجماع ووجود الاجماع في الشيء وان كان دليلا على صحته فليس فقده دليلا على فساده وواصل
انما الزم عمروا ان يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على التسمية بالفسق
للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ما ذكرناه ذكره للزم ان يقال له قد اتفق اهل الصلوة على
استحقاق صاحب الكبيرة من اهل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في
العقاب او يقول انهم اجمعوا على استحقاقه للعقاب ولم يجمعوا على فعل المستحق به فيجب ان
اقول بما اتفقوا عليه وانفي ما اختلفوا فيه فاذا قيل له استحقاق الخلود وفعل المستحق به من
العقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليل غير الاجماع قيل له مثل ذلك فيما عول عليه و
بطل على كل حال ان يكون الاختلاف في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا
ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها يطول على ان المقدمة التي قدمها لا تشبه ما الزم عليها لان الاجماع
اولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف في الموضع الذي كلم عليه
واصل عمروا في مكانين لان الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو في تسميته بما عدا
من الاسماء فلا تعارض بينهما وله ان ياخذ بالاجماع في موضعه ويقول فيما الاختلاف فيه
على دلالة غير الاجماع لان فقد الاجماع من القول لا يوجب بطلانه وحكي ان واصلا كان يقول
اراد الله تعالى من العباد ان يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلموا قال الله تعالى يا موسى اني انا الله فعرفه نفسه
ثم قال له اخلع نعليك فبعد ان عرفه نفسه امره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى والعصر
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا يعني صدقوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق و
تواصوا بالصبر علموا وعلموا وروى المبرد قال حدثت ان واصل بن عطا اقبل في رفقة
فاحسوا بالخوارج وكانوا قد اشرفوا على العطب فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شانكم

فاعتزلوا ودعوني واياهم فقالوا شانك فقال الخوارج له ما انت واصحابك قال مشركون
مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويفهموا حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا احكامكم فجعلوا يعلمونه
احكامهم وجعل هو يقول قد قبلت انا ومن معي قال فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال
لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه
مامنه فابلغونا مامننا فساروا باجمعهم حتى بلغوهم الامن وحكي ان محمدا وابرهيم ابني عبد الله
بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا
الناس بمكة والمدينة وحكى ابو القسم ان عبد الله قال لابنه محمد كل خصالك محمودة يا بني
الا قولك بالقدر فقال يا ابت افشي اقدر على تركه او لا اقدر على تركه فورد الكلام على رجل
عاقل فقال لا عاتبتك عليه ابدا قال المرتضى رضي الله عنه قال ابو القسم البلخي يقول ان كنت اقدر على
تركه فهو فعلي وان كنت لا اقدر فلم تعاتبني على شيء لا اقدر عليه فاما عمرو بن عبيد فيكنى

ابا عثمن مولى لبني العدوية في بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه
من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان ابو
عبيد شرطيا وكان عمرو متزهدا فكانا اذا اجتازا معا على الناس قالوا هذا شر الناس ابو
خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابرهيم وانا ازر وقال علي بن الجعد هو عبيد بن باب
وكان يتولى ابا الحكم بن ايوب قال وكان باب مكاتبا له وكان معروفا يقال له وكان باب كان
فارسيا وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته ولفحش فيه وذكر ابو الحسين الخياط
ان مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطا جميعا في سنة ثمانين قال ومات عمرو
في سنة اربع واربعين ومائة وهو ابن اربع وستين سنة وروي ان عمرا استاذن
على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالباب رجل قال اني عمرو بن عبيد وكانت على
المنصور جبة يمانية مخففة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قميصا
ابيض فاتاه به فالقاه عليه ثم قال ادن من خلفي فغط الجبة وانزع علي قال الربيع ولم اكن
اتى ان احدا يوقره المنصور حتى رايت عمرو بن عبيد قال فدخل عليه رجل ادم مربوع

الكدنة

الكدنة بين عينيه اثر السجود حسن اللسان كانه لم يزل مع الملوك في توقيره
للخليفة واعظامه اياه قال فسلم فاجتذبه المنصور ليجلسه معه فابى وطرح نفسه بين يديه
فساءله واحفى به فلما اراد عمرو القيام قال له عظني يا ابا عثمان واوجز قال له ان ما في يدك
ليس بوارثه عن احد وانما هو شيء صار اليك وقد كان في يد غيرك قبلك فلو دام له
لبقي في يد الاول وعن الاصمعي قال قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد اني لارحمك مما يقول الناس
فيك فقال عمرو افسمعتني اقول فيهم شيئا قال لا قال اياهم فارحم وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد
لم لا تاخذ مني فتقضي دينا ان كان عليك وتصل رحمك فقال له عمرو اما دين فليس علي واما
صلة رحمي فلا يجب علي وليس عندي قال فما منعك ان تاخذ مني قال يمنعني انه لم ياخذ احد من
احد شيئا الا ذل له وانا والله اكره ان اذل لك ويقال ان ابن لهيعة اتى عمرو بن عبيد
في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس اليه وقال له يا ابا عثمان ما تقول في قوله تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فقال له ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها
العبد ولا يكلفها فاما العدل بينهن في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مطيق
لذلك وقد كلفه بقوله فلا تميلوا كل الميل فيما تطيقون فتذروها كالمعلقة بمنزلة من ليست
ايما ولا ذات زوج فقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق ويقال ان عمرو بن عبيد اتى يونس
بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان اباك كان اصلك وان ابنك كان فرعك وان
امرا ذهب اصله وفرعه لحري ان يقل بقاؤه فقيل ان عبد الله بن عبد الاعلى اخذ هذا
المعنى فقال * صحبتك قبل الروح اذ انا نطفة * تصان فما يبدو لعين مصونها * ارى المرء
رهنا للمنايا وما لها * مطال اذا حلت بنفس ديونها * فما بقاء الفرع من بعد اصله * سيلقى
الذي لاقى الاصول غصونها * واول من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله * فبعض اللوم عاذلتي
فاني * ستغنيني التجارب وانتسابي * الى عرق الثرى وشجت عروقي * وهذا الموت يسلبني شبابي
فاخذ ذلك لبيد في قوله * فان انت لم تصدقك نفسك فانتسب * لعلك تهديك القرون
الاوائل * فان لم تجد من دون عدنان والدا * ودون معد فلترعك العواذل * واخذه ابن

في قوله: تود ابنتاي ان يعيش ابوهما * وهل انا الا من ربيعة او مضر * ونظر اليه محمود الوراق
وابرهيم بن العباس الصولي اما محمود ففي قوله: اذا ما انتسبت الى ادم * فلم يك بينكما من اب
وجاوزت سنوك بك الاربعين * وصرت الى الجانب الاجنب * ودب البياض خلال السواد
فاصبحت في شبه الاشهب * فكيف تؤمل طول الحيوة * اذا كان حكمك لم يعزب * واما ابرهيم
ففي قوله: نعى نفسي الى ابي * وخبر ابن منقلبي * بموعظة راها في ابيه كما رايت ابي * وكان ابا نواس
لحظ هذا المعنى في قوله: وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين
عريق * اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

مجلس اخر

روي ان عمرو بن عبيد دخل على معوية بن عمرو الغلابي وهو يجود بنفسه فقال له ان الله رحمك
تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ووضع عنك في هذه الحال عمل الجوارح
ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك ما يجب له عليك * وروي ان قوما اجتمعوا
الى عمرو بن عبيد فتذاكروا السخا فاكثروا وافي وصفه وعمرو ساكت فسالوه عما عنده فقال
ما اصبتم صفته ان السخي من جاد بماله تبرعا وكف عن اموال الناس تورعا * وذكر اسحق
بن الفضل الهاشمي قال اني لعلى باب المنصور يوما والى جنبي عمارة بن حمزة اذ طلع عمرو بن عبيد
على حمار فنزل عن حماره ثم نفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت الى عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا
منها باحمق فما فصل الكلام من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول ابو عثمن عمرو بن عبيد قال فوالله ما
دل على نفسه حتى ارشد اليه فاتكاه يده ثم قال اجب امير المؤمنين جعلت فداك فمر متكئا عليه
فالتفت الى عمارة فقلت ان الرجل الذي استحمقته قد ادخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك
فاطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه والربيع يقول يا غلام حمار ابي عثمن فما برح حتى
اقر بالحمار فاقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فاقبل عمارة على الربيع فقال لقد
فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك
مما فعل به اكثر واعجب فقال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ما هو الا ان سمع
الخليفة بمكانه فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل اليه والمهدي معه عليه سواده وسيفه

ثم اذن

ثم اذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكاه فخذه وتحفى به ثم
ساله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامراة وامراة ثم قال له يا ابا عثمن عظنا فقال
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم والفجر وليال عشر ومر فيها الى اخرها ثم قال ان ربك يا ابا جعفر
لبالمرصاد قال فبكا بكاء شديدا كانه لم يسمع تلك الايات الا تلك الساعة فقال له زدني فقال
ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان هذا الامر الذي
صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم افضى اليك وكذا يخرج منك الى من هو
بعدك واني احذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيمة قال فبكا اشد من بكائه الاول
حتى رجف جنباه وفي رواية اخرى انه لما انتهى الى اخر السورة قال يا امير المؤمنين ان
ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ان ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله فان من وراء بابك
نيرانا تاجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله فقال يا ابا عثمن انا
لنكتب اليهم في الطوامير نامرهم بالعمل بالكتاب والسنة فان لم يفعلوا فما عسى ان نصنع
فقال له مثل اذن الفارة يكفيك من الطوامير ان الله تكتب اليهم في حاجة نفسك فينفذونها
وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذونها انك والله لو لم ترض من عمالك الا بالعدل اذا
لتقرب اليك به من لا نية له فيه قال المرتضى رض رجعنا الى نسق الحديث فقال له سليمان بن
مجالد رفقا يا امير المؤمنين فقد اتعبته منذ اليوم فقال له بمثلك ضاع الامر وانتشر لا ابا لك
وماذا خفت على امير المؤمنين ان بكى من خشية الله وفي رواية اخرى ان سليمان بن مجالد
لما قال له ذلك رفع عمرو راسه فقال له من انت فقال ابو جعفر او لا تعرفه يا ابا عثمن قال لا والله
ان لا اعرفه قال هذا اخوك سليمان بن مجالد قال هذا اخو الشيطان ويلك يا ابن مجالد خزنت نصيحتك
عن امير المؤمنين ثم اردت ان تحول بينه وبين من اراد نصيحته يا امير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلما
لشهواتهم فانت كالاخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميت وحدك ومحاسب وحدك
ومبعوث وحدك ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيا فقال له المنصور يا ابا عثمن اعني باصحابك
استعن بهم فقال اظهر الحق يتبعك اهله قال بلغني ان محمد بن عبد الله بن الحسن كتب اليك كتابا

قال فلجا من كتاب يشبه ان يكون كتابه قال فيما ذا اجبته قال اولست قد عرفت رايي في الخروج
ايام كنت تختلف الينا واني لا اراه قال اجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك تقية
لا احلفن لك تقية قال له انت الصادق البار وقد امرت لك بعشرة الف درهم تستعين بها على
زمانك قال لا حاجة لي فيها قال والله لتاخذنها قال والله لا اخذتها فقال له المهدي يحلف
امير المؤمنين وتحلف فترك المهدي واقبل على المنصور وقال من هذا الفتى قال هذا ابو محمد وهو المهدي
وهو ولي العهد فقال والله لقد سميته اسما ما استحقه بعمل والبسته لبوسا ما هو من لبوس
الابرار ولقد مهدت له امرا امتع ما يكون به اشغل ما تكون عنه ثم التفت الى المهدي فقال نعم يا ابن اخي
اذا حلف ابوك حلف عمك لان اباك اقدر على الكفارة من عمك فقال المنصور يا ابا عثمان هل
من حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تبعث الي حتى اتيك قال اذا لا نلتقي قال عن حاجتي سالتني ثم ودعه
ونهض فلما ولى اتبعه بصره وانشا يقول كلكم طالب صيد كلكم ماشي رويد غير عمرو بن عبيد
وروي ان هشام بن الحكم قدم البصرة فاتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال
لعمرو اليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لانظر بهما في ملكوت السموات والارض
فاعتبر قال وجعل لك فما قال نعم قال ولم قال لاذوق الطعوم واجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس
كلها ثم قال وجعل لك قلبا قال نعم قال ولم قال لتؤدي اليه الحواس ما ادركته فيميز بينها
قال فانت لم يرض لك ربك تعالى اذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها اماما ترجع اليه اترضى
لهذا الخلق الذي جاء به العالم الا يجعل لهم اماما يرجعون اليه فقال له عمرو ارتفع حتى
ننظر في مسالتك وعرفه ثم دار هشام في حلق البصرة فما امسى حتى اختلفوا وروى ابو عبيدة
قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان
اخبرني عن صاحبك يعني الحسن حين يزعم ان عليا ع قال اني وددت اني كنت اكل الحشف
بالمدينة ولم اشهد مشهدي هذا يعني يوم صفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هذا لانه
ان امير المؤمنين ع شك ولكنه يقول وددت انه كان ياكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة
فقال له فقولك في عبد الله بن عباس يفتيننا في القملة والنملة وطار باموال الناس في ليلة فقال له

ولو

وكيف تقول هذا وابن عباس لم يفارق عليا ع حتى قتل وشهد صلح الحسن ع واي مال يجتمع
في بيت مال البصرة مع حاجة علي ع الى الاموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خميس ويرشه
وقالوا انه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة وهذا باطل قال الجاحظ نازع رجل
عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين
في القضاء والقدر قال لعمرو فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ولم يقل لنسالنهم
عما قضيت عليهم او قدرته فيهم او اردته منهم او شئته لهم وليس بعد هذا الا الاقرار بالعدل
او السكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى قال خلاد الارقط حدثني من سمع عمرو بن عبيد
قال سمعته في الليلة التي مات فيها يقول اللهم انك تعلم انه لم يعرض لي امران قط
احدهما لك فيه رضى والاخر لي فيه هوى الا قدمت رضاك على هواي فاغفر لي ورثاه ابو جعفر
المنصور على قبره بمران وهو موضع على اميال من مكة على طريق البصرة وانشا يقول
صلى الاله عليك من متوسد قبرا مررت به على مران قبرا تضمن مؤمنا متخشعا عبد
الاله ودان بالفرقان واذا الرجال تنازعوا في شبهة فصل الخطاب بحكمة وبيان
فلو ان هذا الدهر ابقى صالحا ابقى لنا عمرا ابا عثمان فاما ابو الهذيل العلاف فهو محمد بن

احوال ابي الهذيل

الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي وقال ابو القسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد
سنة اربع وثلثين ومائة وقال ابو الحسين الخياط ولد سنة احدى وثلثين ومائة
وقيل انه توفي في اول ايام المتوكل سنة خمس وثلثين ومائتين وكان سنه مائة سنة قال البلخي
لحق ابا الهذيل في اخر عمره خرف الا انه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته
وكف بصره قبل وفاته واخذ ابو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطا
وقيل ان ابا الهذيل في حداثته بلغه ان رجلا يهوديا قدم البصرة وقطع جماعة من متكلميها
فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودي حتى اكلمه فقال له عمه يا بني كيف تكلمه وقد عرفت
خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لا بد من ان تمضي بي اليه فمضى به قال فوجدته يقرر
الناس على نبوة موسى ع فاذا اعترفوا له بها قال نحن على ما اتفقنا عليه الى ان يجمع على ما تدعونه

فتقدمت اليه فقلت اسالك ام تسالني فقال بل اسالك فقلت ذاك اليك فقال لي اتعرف
بان موسى نبي صادق ام تنكر ذلك فقال صاحبك فقلت له ان كان موسى الذي تسلني
عنه هو الذي قد بشر بنبيي وشهد بنبوته وصدقه فهو صادق نبي وان كان غير من وصفت فذلك
شيطان لا اعترف بنبوته وصدقه فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال لي تقول ان التورية حق
فقلت هذه المسئلة تجري مجرى الاولى ان كانت هذه التورية التي تسالني عنها هي التي
تتضمن البشارة بنبيي فتلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا اقر بها فبهت وافحم
ولم يدر ما يقول ثم قال لي احتاج ان اقول لك شيا بيني وبينك قال فظننت انه يقول شيا
من الخير فتقدمت اليه فسارني وقال لي امك كذا وكذا وام من علمك لا يكنى وقدر اني
اثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي فاقبلت على من كان في المجلس وقلت اعزكم الله
قد وقفتم على مسئلته اياي وجوابي اياه قالوا ابلى قلت فليس عليه ان يرد جوابي ايضا قالوا
بلى قلت لهم فلما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وانما قدر اني
اثب عليه فيدعي اني واثبته وشغبنا عليه وقد عرفتكم شانه بعد الانقطاع فانصرفني
فاخذته الايدي من كل جهة وخرج هاربا من البصرة ومن ابو العيناء قال قال لي ابو الهذيل
ما معنى الخسف فقلت ان تنقلب الارض فيصير علاها اسفلها فقال ان لم يكن هذا اليوم بالارض
فانه ليا الناس وقال ابو الهذيل قال لي المعذل بن غيلان العبدي وكان من سادة عبد القيس
يجتمع اليه اهل النظر يا ابا الهذيل ان في نفسي شيا من قول القوم في الاستطاعة فهب لي ما يذهب
بالريب عني قال فقلت اخبرني عن قول الله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون هل يخلو من ان يكون اكذبهم لانهم مستطيعون
للخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا فاكذبهم الله تعالى على هذا
الوجه او يكون على وجه اخر يقول انهم لكاذبون اي ان اعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فاكون
معهم الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا يعقل للاية معنى ثالث غير الوجهين اللذين
وصفنا وحكى سليمان الرقي ان ابا الهذيل المأمور دخل من راي ترك في غرفة الى ان تطلب داره

وهم لو كانت مستطيعين فبس الخروج
فقال انهم لكاذبون ان لا مستطيعين الخروج

فصاح له قال فضربت به فقلت له يا ابا الهذيل اتنزل في مثل هذا المنزل فانشدني يقولون
زين المرء ياقوتة الاات زين المرء بالحمية اكبر وعن ابي مجالد قال رايت رجلا وقد
سال ابا الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح فقال له من جمع بين الزانيين يا ابا الهذيل
فقال له يا ابن اخي اما بالبصرة فانهم يقولون القوادون ولا احسب اهل بغداد يخالفونهم
على هذا القول فما تقول انت فخجل الرجل وسكت وقال ابو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي
الحركة ولم يسمه وزعم قوم انه الاصم خبرني عن قول الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة وذكر القاذف فقال اجلدوه ثمانين جلدة فانهما اكثر فقال حد الزاني
فقلت بكم قال بعشرين فقلت فحدثني عن الجلد اهو يد الجلاد قال لا قلت فهو السوط
قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا قلت فهو الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود قال
لا قلت فثم شي غير هذا هو الجلد قال لا قلت فانما تقول ان لا شي اكثر من لا شي بعشرين
فانقطع وقال ابو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة
الله قص اجنحتها وحطها الى الارض يحرث عليها فقلت فالماء قال نور الله قلت فالجوع
والعطش قال فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الارض قال بهمن الملك فقلت ما في الدنيا
شر من المجوس اخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله
ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على راس بهمن اعز ملائكة الله فانقطع المجوسي
وخجل مما لزمه ودخل ابو الهذيل يوما على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه
فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذي رفعه الامير لنوقيه بعرف حقه قال رجل من اهل النجوم
قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام قال الاحكام قال ذلك علم يبطل فاسال فاسال
فاخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه فقال له اكل هذه التفاحة ام لا قال تاكلها فوضعها
ابو الهذيل وقال لست اكلها قال فتعيدها الى يدك واعيد النظر فوضعها واخذ غيرها
فقال له الحسن لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لي لا تاكلها فاكلها اخلا فاعليه فيقول لي
قد اصبت في المسئلة الاولى وقال ثمامة المثاني يوما لابي الهذيل دل على حدث العالم

بغير الحركة والسكون فقال له ابو الهذيل مثلك مثل رجل قال للخصم احضر معي الى القاضي ولا تحضر
بيّنتك وذكر محمد بن الجهم صاحب الفراء قال رايت ابا الهذيل وقد جاء الى الديوان في
ايام المامون فسال سهل بن هرون بن راهيون ان يكتب له كتابا في حاجة له الى حفصويه
صاحب الجيش فنهض ابو الهذيل فاملى على سهل بن هرون ان الضمير اذا سالتك حاجة
لابي الهذيل خلاف ما ابدي فاذا اتاك لحاجة فامدد له حبل الرجاء بخلف الوعد
والين له كنف الحسن ظنه في غير منفعة ولا رفد حتى اذا طالت شقاوة وتجدده ورجا الغنى
فاجبهه بالرد وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضره بابلغ الجهد وانظر كلامي فيه
فارم به خلف الثريا مناسبا في البعد وكذلك فافعل غير محتشم ان جئت اسالك في ابي الهذ
قال المرتضى رض ويشبه هذا المعنى ما اخبرنا به ابو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابي
الازهر قال حدثنا ابو العيناء قال كان لي صديق فجاءني يوما فقال لي اريد الخروج
الى فلان العامل واحب ان يكون معي اليه وسيلة وقد سالت من صديقه قيل لي ابو
عثمان الجاحظ وهو صديقك فاحب ان تاخذ لي كتابه اليه بالعناية قال فصرت
الى الجاحظ فقال الحق اي شيء جاء ابو عبد الله فقلت مسلما وقاضيا الحق وفي حاجة
لبعض اصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة فاني في غد اوجه اليك
بالكتاب فلما كان من الغد وجه الي بالكتاب مختوما فقلت لابني وجه بهذا الكتاب الى
فلان ففيه حاجته فقال لي ان ابا عثمان بعيد الغور فينبغي ان تفضه وتنظر ما فيه ففعلت
واذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا اعرفه وقد كلمني فيه من لا اوجب حقه فان قضيت حاجته
لم احمدك وان رددته لم اذممك فلما قرات الكتاب مضيت الى الجاحظ من فوري فقال
يا ابا عبد الله قد علمت انك انكرت ما في الكتاب فقلت اوليس موضع نكرة فقال لا هذه
علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني به فقلت لا والله ما رايت رجلا اعلم بطبعك وما جبلت
عليه من هذا الرجل يعني صاحب الحاجة اعلمت انه لما قرا الكتاب قال ام الجاحظ عشرة آلاف
وام من يسال له فقلت له يا هذا اتشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن اشكره وفي زادا

اني



اخرى ان ابا العيناء سلم الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه مختوم
فقال له ابو العيناء طينه اهون من ظنه قال المرتضى رض واظن ان ابا العيناء نبه على فض الكتاب
وقراءته بخبر طرفة ابن العبد والمتلمس الضبعي المشهور وذلك انهما وفدا على عمرو بن هند
ونادماه واختصا به ثم افضى الامر الى ان هجاه كل واحد منهما وعرض به بالشعر المشهور
في الرواية فحنق عليهما وهم بقتلهما ثم اشفق من ذلك واراد قتلهما بيد غيره وكان على طرفة
احنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتابا الى البحرين وقال اني قد كتبت لكما بصلة
فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده والكتابان في ايديهما فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق
متكشفا يتبرز ومعه كسرة خبز ياكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال
احدهما لصاحبه هل رايت اعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالته فقال وما
ترى من عجبي ادخل طيبا واخرج خبيثا واقتل عدوا وان اعجب مني لمن يحمل حتفه بيده
وهو لا يدري فاوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه ولقيه غلام من اهل الحيرة
فقال له اتقرا يا غلام قال نعم ففض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام فقراه فاذا فيه اذا اتاك
المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فاقبل على طرفة فقال له تعلمن والله لقد كتب لي
فيك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقراه عليك فقال كلا والله ما كان ليجترئ علي قومي
بمثل هذا ولم يلتفت الى قول المتلمس فالقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال قذفت بها بالثني
من جنب كافر كذلك اقنو كل قط مضلل رضيت لها بالماء لما رايتها يجول بها
التيار في كل جدول كافر نهر بالحيرة واقنو اقني والقط الكتاب والتيار معظم الماء
وكثرته وقال المتلمس ايضا من مبلغ الشعراء عن اخويهم نبأ فتصدقهم بذاك الانفس اودى
الذي علق الصحيفة منهما ونجا حذار حياته المتلمس القى صحيفته ونجت كوره وجناء
مجمرة المناسم عرمس عيرانة طبخ الهواجر لحمها فكان نقبتها اديم املس لطرفة بن العبد
انك خائن اخا خير الملك الهمام تمرس الق الصحيفة لا ابا لك انه يخشى عليك من الحباء
النقرس النقرس ههنا الداهية ومضى طرفة بكتابه الى البحرين فامر به المعلى بن حنش

الثالث عشر

العبدي فقال المتلمس عصاني فما لاقى رشادا وانما تبين من امر الغوي عواقبه
فاصبح محمولا على ظهر آلة تمج نجيع الجوف منه ترائبه فالا تجللها يعالوك فوقها وكيف
توقى ظهر ما انت راكبه ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمروا وبلغه ان عمروا يقول لئن
وجده بالعراق ليقتلنه فقال آليت حب العراق الدهر اطعمه والحب ياكله في القرية السوس
وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق وهو يذكر الشعراء الذين اورثوه اشعارهم وهب
القصائد لي النوابغ كلهم وابو يزيد وذو القروح وجرول واخو بني قيس وهن قتلنه ومهلهل
الشعراء ذاك الاول يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني شيبان ويعني بابي
يزيد المخبل السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرء القيس واخو بني قيس هو طرفة ومعنى
قوله وهن قتلنه يعني القصائد التي هجا بها عمرو بن هند ويقال ان صاحب المتلمس وطرفة
في هذه القصة هو النعمن بن المنذر وذلك اشبه بقول طرفة ابا منذر كانت غرورا صحيفتي
ولم اعطكم في الطوع مالي ولا عرضي ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر
اهون من بعض وابو منذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد
مدح طرفة النعمان فلا يجوز ان يكون عمرو قتله فقتله ان تكون القصة مع نعمان

مجلس اخر

وكان ابو سهل بشر بن المعتمر من وجوه اهل الكلام ويقال ان جميع معتزلة بغداد كانوا من
مستجيبه وقال ابو القسم البلخي انه من اهل بغداد وقيل من اهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان
ابرص وحكي انه كان يوما في مجلسه وعنده اصحابه ومعهم مجبر يسالهم ويقول انتم تحمدون الله
على ايمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم وكانه يجب ان يحمد على ما لم يفعل وقد ذم ذلك في كتابه
فيقولون له انما ذم من احب ان يحمد على ما لم يفعل مما لم يعن عليه ولم يدع اليه وهو يتغابى اذ
اقبل ثمامة بن اشرس فقال بشر للمجبر قد سالت القوم واجابوك وهذا ابو معن فاساله فساله
عن المسئلة وقال اهل يجب عليك ان تحمد الله على الايمان قال بل هو يحمدني عليه لانه امرني
به ففعلته وانا احمده على الامر به والتقوية عليه والدعاء اليه فانقطع المجبر وقال بشر شنعت
فسهلت قال الجاحظ وكان بشر يقع في ابي الهذيل وينسبه الى النفاق فقال وهو يصفه

ابو الهذيل

ابو الهذيل لان يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم احب اليه من ان يعلم ويكون عند الناس
لا يعلم ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية احب اليه من ان يكون من العلية
وهو عند الناس من السفلة ولان يكون نبيل المنظر خفيف المخبر احب اليه من ان يكون
نبيل المخبر خفيف المنظر وهو بالنفاق اشد عجبا منه بالاخلاص ولباطل مقبول احب
اليه من حق مدفوع ولبشر اشعار كثيرة يحتج فيها على اصحاب المقالات وذكر الجاحظ
انه لم ير احدا اقوى على المخمس والمزدوج مما قوي عليه بشر وانه كان اكثر في ذلك واغزر من
ابان اللاحقي وهو القائل ان كنت تعلم ما اقول وما تقول فانت عالم او كنت تجهل ذا
وذاك فكن لاهل العلم لازم اهل الرياسة من ينازعهم رياستهم فظالم سهرت عيونهم
وانت عن الذي قاسوه حالم لا تطلبن رياسة بالجهل انت لها مخاصم لولا مقامهم
رايت الدين مضطرب الدعائم فاما ابو اسحق ابرهيم بن سيار النظام فانه كان
مقدما في العلم بالكلام حسن الخاطر فيه شديد التدقيق والغوص على المعاني وانما اداه الى
المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله وقيل انه مولى الزيادين
من ولد العبيد وان الرق جرى على احد آبائه وقيل للنظام ما الاختصار فقال الذي
اختصاره فساده وقال له رجل اتعرف فلانا المجوسي فقال نعم ذلك الذي حلو وسطراسه كما
يفعل اليهودي فقال النظام لا مجوسيا عرفت ولا يهوديا وصفت قال الجاحظ وذكر
النظام عبد الوهاب الثقفي فقال هو احلى من امن بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب بعد
جدب وغنى بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب
الناعم وللنظام شعر كثير صالح فمنه يا تاركي جسدا بغير فؤاد اسرفت في الهجران و
الابعاد ان كان يمنعك الزيارة اعين فادخل الي بعلة العواد ان العيون على القلوب اذا جنت كانت
بليتها على الاجساد ولذاك وملكت يداك بها منيع قيادي ان العيون اعظم نعمة
وله ايضا تاملة طرفي وقد اكثر ناظري ااثر وصار مكان الوهم من نظري اثر
وصافحه قلبي فالم كفه فمن صفح قلبي في انامله عقر ومر فمن لين وحسن تعطف يقال

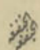
يقال به سكر وليس به سكر، ومر بقلبي خاطراً فجرحه، ولم ار جسماً قط يجرحه الفكر،
ويقال ان ابا العتاهية قال انشدت النظام: اذا هم النديم له بلحظ، تمشت في محاسنه
الكلوم، فقال ينبغي ان ينادم هذا اعمى، قال المرتضى وابيات النظام تتضمن معنى بيت ابي
العتاهية ولسنا ندري ايهما اخذ من صاحبه فالنظام يكرر هذا المعنى كثيراً في شعره
فمن ذلك قوله: رق فلو بزت سرابيله، علقه الجو من اللطف، يجرحه اللحظ بتكراره، ويشتكي
الايماء بالطرف، وحكي ان ابا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن احمد ليعلمه فقال
له الخليل يوماً يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة فقال ابمدح ام
بذم قال بمدح قال نعم تريك القذى، ولا تقبل الاذى، ولا تستر ما وراء، قال فذمها قال
سريع كسرها، بطيء جبرها، قال فصف هذه النخلة واومأ الى نخلة في داره فقال ابمدح ام بذم
قال بمدح قال حلو مجتناها، باسق منتهاها، ناضر اعلاها، قال فذمها قال هي صعبة المرتقى
بعيدة المجتنى، محفوفة بالاذى، فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك احوج، قال المرتضى
هذه بلاغة من النظام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذماً او مدحاً باقصى ما يقال فيه
ويشبه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور وهجاؤه للبقلة التي امتحن بهجائها واخبر بذمها فقال
فيها ابلغ ما يقال في مثلها وذلك ان عمارة وانسا وقيسا والربيع بني زياد العبسيين وفدوا
على النعمان بن المنذر ثم وفد عليه العامريون بنو ام البنين وعليهم ابو البراء عامر بن مالك
بن جعفر بن كلاب وهو ملاعب الاسنة وكان العامريون ثلثين رجلاً وفيهم لبيد بن
ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذؤابة وكان الربيع بن زياد العبسي
ينادم النعمان ويكثر عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه
وكماله فضرب النعمان قبة على ابي براء واجرى عليه وعلى من كان معه النزل وكانوا يحضرون
النعمان لحاجتهم فافتخروا يوماً بحضرته فكاد العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع اذا
خلا بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك مراراً لعداوته لبني جعفر لانهم كانوا اسروه
فصد النعمان عنهم حتى نزع القبة من ابي براء وقطع النزل فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه

خبر لبيد

جفاء

جفاء وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا وهموا بالانصراف
ولبيد في رحالهم يحفظ امتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاها فاذا امسى انصرف بها فاتاهم تلك
الليلة وهم يتذاكرون امر الربيع فقال لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا اليك عنا فقال
اخبروني فلعل لكم عندي فرجاً فزجروه فقال والله لا احفظ معكم متاعاً ولا اسرح لكم ابلاً او
تخبروني وكانت ام لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا له خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا
وجهه فقال هل تقدرون على ان تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعد الملك فارجز به رجزاً ممضاً
مؤلماً لا يلتفت اليه النعمان بعده ابداً فقالوا له وهل عندك ذلك قال نعم قالوا فانا نبلوك
بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالارض تدعى
التربة فاقتلعها من الارض واخذها بيده وقال هذه البقلة التربة التفلة الرذلة التي لا تذكي
ناراً، ولا تؤهل داراً، ولا تسر جاراً، عودها ضئيل، وفرعها ذليل، وخيرها قليل، بلدها شاسع،
ونبتها خاشع، وآكلها جائع، والمقيم عليها قانع، اقصر البقول فرعاً، واخبثها مرعى، واشدها قلعاً
فحرباً لجارها وجدعاً، فالقوا بي اخا عبس، ارجعه عنكم بتعس ونكس، واتركه من امره في لبس، فقالوا
نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رأيتموه نائماً فليس امره
بشيء انما تكلم بما جرى على لسانه وان رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم فرمقوه بابصارهم فوجدوه قد
ركب رحلاً يكدم واسطه حتى اصبح فلما اصبحوا قالوا انت والله صاحبه فحلقوا رأسه و
تركوا له ذؤابتين والبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه
الربيع ليس معه غيره والدار والمجالس مملوءة بالوفود فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا
عليه والربيع الى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن
احد شقي رأسه وارخى ازاره وانتعل نعلاً واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية
اذا ارادت الهجاء فمثل بين يديه ثم قال: يا رب هيجا هي خير من دعه، اذ لا تزال هامتي مقزعه،
نحن بنو ام البنين الاربعه، ونحن خير عامر بن صعصعه، المطعمون الجفنة المدعدعه، والضاربون
الهام تحت الخيضعه، مهلاً ابيت اللعن لا تأكل معه، ان استه من برص ملمعه، وانه يدخل

فيها اصبعه يدخلها حتى يواري اشجعه كانما يطلب شيا ضيعه فلما فرغ لبيد التفت النعمان الى الربيع يرمقه شزرا وقال اكذاك انت قال كذب والله ابن الحمق اللئيم فقال النعمان اف لهذا الطعام لقد خبث على طعامي فقال الربيع ابيت اللعن اما اني قد فعلت بامه لا يكنى وكانت في حجره فقال لبيد انت لهذا الكلام اهل اما انها من نسوة غير فعل وانت المرء قال هذا في يتيمه قال المرتضى رضي الله عنه ووجدت في رواية اخرى اما انها من نسوة فعل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبح وصدقه عليها الجهينان وكعوس فامر الملك بهم جميعا فاخرجوا واعاد على ابي براء القبه وانصرف الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وامره بالانصراف الى اهله فكتب اليه اني قد تخوفت ان يكون قد وقع في صدرك ما قال لبيد ولست برايم حتى تبعث الي من يجرد في ليعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال فارسل اليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيا ولا قادرا على ما زلت به الالسن فالحق باهلك ثم كتب اليه النعمان في جملة ابيات اجاب عن ابيات كتبها اليه الربيع مشهورة فقيل ذلك ان حقا وان كذبا فما اعتذارك من شيء اذا قيلا واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيده واخبرنا به المرزباني ايضا قال حدثني محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد الله بن ناصح النحوي قال اخبرنا محمد بن زياد بن زياد عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكاوي وقد كان ادرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الاخر ولم نات بجميع الخبر بل اسقطنا منه ما لم نحتج اليه واوردنا ما اوردنا منه بالفاظه قال المرتضى رضي الله عنه اما قوله نحن بني ام البنين الاربعة فانه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعا وام البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعه وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب فولدت له عامر بن مالك ملاعب الاسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو ابو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له وربيعه بن مالك ابا لبيد وهو ربيع المقترين ومعوية بن مالك معود الحكام وانما سمي معود الحكام بقوله اعود مثلها الحكام بعدي اذا ما الحق في الاشياء نابا وولدت عبيدة الوضاح وهولاء خمسة وقال لبيد اربعة لان الشعر لم يمكنه من غير ذلك فاما الجفنة المدعدعه فهي المملوءة واما



احوال الجاحظ

الخضعه فان الاصمعي يذكر ان لبيدا قال نحت الخضعه يعني الجبلة فسوته الرواة وقيل ان الخضعه اصوات وقع السيوف والخضعه ايضا البيضة التي تلبس على الراس والخضعه الغبار والقول يحتمل كل ذلك فاما ابيت اللعن فان اباحاتم قال سالت الاصمعي عنه فقال معناه ابيت ان تاتي من الامور ما تلعن عليه فاما الاشاجع فهي العروق والعصب التي على ظهر الكف وقد روي اكل يوم هامتي مقزعه والقزع هو ان يحلق بعض الشعر او الصوف ويترك بعضه يقال كبش اقزع ونعجة قزعاء واما الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لابي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما راى احرص على العلم من ثلثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع في يده كتاب قراه من اوله الى اخره اي كتاب كان واما الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام من بين يدي المتوكل للبول او للصلوة اخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه حتى ياخذ مجلسه واما اسمعيل بن اسحق فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه قال البلخي تفرد الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة وكان يقول في ساير الافعال انها تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعا وانها وجبت بارادتهم وليس بجائز ان يبلغ احد فلا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه به وشغفه به والفه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه وكان الجاحظ ملازما لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفا عن احمد بن ابي دواد للعداوة التي بين احمد ومحمد فلما قبض على ابن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من ادخاله تنورا فيه مسامير كان هو صنعه يعذب الناس فيه فعذب به حتى مات وروي انه اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن ابي دواد قال والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة كفورا للصنيعة معددا للمساوي وما فتني باستصلاحي لك ولكن الايام لا تصلح منك لفساد طويتك

وبدأته دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك ايدك
الله فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ولان اسيء وتحسن احسن في
الاحدوثة عنك من ان احسن فتسيء ولان تعفو عني في حال قدرتك اجمل بك من الانتقام
مني فقال له ابن ابي دواد قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان وقد جعلت
بيانك امام قلبك ثم اصطبغت فيه النفاق والكفر يا غلام صر به الى الحمام وامط
عنه الاذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وادخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب و
طويلة وخف فلبس ذلك ثم اتاه فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه فقال هات الآن حديثك
يا ابا عثمان وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من تأمن فانك على حذر ممن تخاف
وقال الجاحظ قلت لابي يعقوب الخريمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب
عليها قال الله قلت فلم قال لا ادري والله وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب ان يكون رقيق
حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى وقال لا تكلم
العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة وقال سوار بن ابي شراعة كنت عند الجاحظ
فرآني اكتب خطا رديا في ورق ردي متقارب السطور فقال لي ما احبك تحب ورثتك
قلت وكيف ذاك قال لاني اراك تبقي لهم فيما تخلفه وذكر ابو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ
يقول لرجل آذاه انت والله احوج الى الهوان من كريم الى اكرام ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو
ومن نعمة الى شكر وقال المبرد قال لي الجاحظ يقول لرجل آذاه يوما اتعرف مثل قول اسمعيل بن القسم
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب قلت نعم قول كثير ومنه اخذ فقلت
لها يا عز كل مصيبة اذا وطنت يوما لها النفس ذلت ورثى يموت بن المزرع خاله عمرو بن
بحر الجاحظ في الجماز يهجوه نسب الجماز مقصور اليه منتهاه تنتهي الانساب بالناس ولا يعدو قفاه
يتحاماه ابو الجماز فيه كاتباه ليس يدري من ابو الجماز الا من يراه اخبرنا المرزباني قال اخبرني
علي بن هرون قال انشدني وكيع قال انشدنا ابو العيناء قال انشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب
زرت فتاة من بني هلال فاستعجلت لي بالسؤال مالي اراك قاني السبال كانما كرعت

في جريال ما ينبغي مثلك من امثالي تنح قدامي من حيالي قال المرتضى رضي الله عنه قوله كانما كرعت
في جريال مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ لليبس وضعف كلامه وذكر ابو العيناء قال حدثني
ابرهيم بن رباح قال انشدني الجاحظ بيتين مدحني بهما حين آثرني باخوانه فضلا عنهم شباة العدم
وفكره الحزم ريب الزمان فبادرها بالعرف قبل الندم قال ابرهيم فذاكرت بهما احمد بن ابي دواد
فقال انشدنيهما يمدحني بهما ثم لقيت محمد بن الجهم فقال قد انشدنيهما يمدحني بهما وقال يموت
بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا اعرف شعرا يفضل قول ابي نواس ودار ندامى عطلوها
وادلجوا بها اثر منهم جديد ودارس مساحب من جر الزقاق على الثرى واضغاث ريحان
جني ويابس حبست بها صحبي فجددت عهدهم واني على امثال تلك لحابس ولم ادر
من هم غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البسابس اقمنا بها يوما ويوما وثالثا ويوما
له يوم الترحل خامس تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بانواع التصاوير فارس قرارتها
كسرى وفي جنباتها مها تدريها بالقسي الفوارس فللخمر ما زرت عليه جيوبها وللماء ما
دارت عليه القلانس قال الجاحظ فانشدتها ابا شعيب القلال فقال يا ابا عثمان لو نقر
هذا الشعر لطن قلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت قال المرتضى رضي الله عنه اخذ ابو
نواس قوله ولم ادر من هم غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البسابس من ابي خراش
الهذلي في قوله ولم ادر من القى عليه رداءه سوى انه قد سل عن ماجد محض ويقال ان ابا
خراش اول من مدح من لا يعرفه وذلك ان خراش بن ابي خراش اسر هو وعروة بن مرة فطرح
رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ونجاه فلما تفرغوا له قال افلت خراش
ويقال بل رآه في الاسر رجل من بني عمه فالقى عليه رداءه ليجيره وقال له انج ويلك فقال ابو
خراش في ذلك حمدت الهي بعد عروة اذ نجا خراش وبعض الشر اهون من بعض فاقسمت لا انسى قتيلا
رزئته بجانب قوسى ما مشيت على الارض بلى انها تعفو الكلوم وانما نوكل بالادنى
وان جل ما يمضي ولم ادر من القى عليه رداءه سوى انه قد سل عن ماجد محض واخبرني
المرزباني قال حدثنا ابرهيم بن محمد بن شهاب قال حدثنا ابو الحسن احمد بن عمر البردعي المتكلم

قال صرنا الى منزل الجاحظ فاول ما قدمت من بلدي وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستاذنت
عليه فخرج الي خادم من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت عنه
وذكر يموت بن المزرع قال وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ من البصرة
ساله الفتح ذلك فوجده لا فضل فيه فقال لمن اراد حمله ما يصنع بامرئ ليس بطائل ذي شق
مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل حائل قال المبرد وسمعت الجاحظ يقول انا من جانبي
الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت ومن جانبي الايمن منقرس فلو مر به الذباب لالمت
وبي حصاة لا يتسرح لي البول معها واشد ما علي ست وتسعون وقال يوما لمتطبب يشكو
اليه علته قد اصطلحت الاضداد على جسدي ان اكلت باردا اخذ برجلي وان اكلت حارا
اخذ براسي وتوفي في سنة خمس وخمسين ومائتين ٢٥٥

المجلس الرابع عشر

مجلس اخر تاويل اية ان سال
سائل عن قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم
الاخر والملئكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا
عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك
هم المتقون فقال كيف ينفي كون تولية الوجوه الى الجهات من البر وانما يفعل ذلك في الصلوة
وهي بر لا محالة وكيف خبر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم محض وعن اي شيء كنى بالهاء في
قوله واتى المال على حبه وما المخصوص بانها كناية عنه وقد تقدمت اشياء كثيرة وعلى اي شيء
ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرين وهم معطوفون على المؤمنين وكيف وحد الكناية
في مواضع وجمعها في اخرى فقال من امن واتى المال واقام الصلوة ثم قال والموفون والصابرين
يقال له فيما ذكرته اولا جوابان احدهما انه اراد تعالى ليس الصلوة هي البر كله لكنه عدد ما في الاية
من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات بصلواتكم
فقد احرزتم البر باسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه واكثره والجواب الثاني
ان النصارى لما توجهوا الى المشرق واليهود الى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين

قبلتين

قبلتين واعتقدوا في الصلوة اليهما انهما بر وطاعة خلافا على الرسول صلى الله عليه وآله اكذبهم الله تعالى
في ذلك وبين ان ذلك ليس من البر اذ كان منسوخا بشريعة النبي صلى الله عليه وآله التي تلزم الاسود والابيض
والعربي والعجمي وان البر هو ما تضمنته الاية فاما اخباره عن البر بمن ففيه ثلثة وجوه اولها
ان يكون معنى البر ههنا البار وذا البر وجعل احدهما في مكان الاخر والتقدير ولكن البار
من امن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ان اصبح ماؤكم غورا يريد غائرا ومثل قول الشاعر
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار واراد انها مقبلة ومدبرة ومثله تظل
جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا اراد نائحة عليهم ومثله هريقي من دموعهما
سجاما ضباع وجاوبي نوحا قياما والوجه الثاني ان العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل
وعن المصدر بالاسم فاما اخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى ولكن البر من امن بالله وقول
العرب انما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا واما اخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل
فمثل قول الشاعر لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندي فجعل ان تنبت
وهو مصدر خبرا عن الفتيان والوجه الثالث ان يكون المعنى ولكن البر بر من امن بالله فحذف البر
الثاني واقيم من مقامه كقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اراد حب العجل قال الشاعر وكيف تواصل من
اصبحت خلالته كابي مرحب اراد كخلالة ابي مرحب وقال النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي
على وعل في ذي المطارة عاقل اراد على مخافة وعل وتقول العرب بنو فلان يطاهم الطريق
اي اهل الطريق وحكى بعضهم اطيب الناس الزبد اي اطيب ما ياكل الناس الزبد وذلك قولهم
حببت صياحي زيدا اي صياح زيد وروي عن ابن عباس في قوله تعالى ليس على الاعمى حرج
اي ليس على من اكل مع الاعمى حرج وفي قوله تعالى ورابعهم كلبهم قال صاحب كلبهم وذكروا انه
كان راعيا تبعهم فاما ما كني عنه بالهاء في قوله تعالى واتى المال على حبه ذوي القربى ففيه وجوه
اربعة اولها ان تكون الهاء راجعة على المال الذي تقدم ذكره ويكون المعنى واتى المال
على حب المال واضيف الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل اشتريت
طعامي كاشترائك طعامك والمعنى كاشترائك طعامك والوجه الثاني ان يكون الهاء راجعة على

من آمن بالله فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه
والوجه الثالث ان ترجع الهاء على الايتاء الذى دل آتى عليه والمعنى اعطى المال على حب الاعطاء
ويجرى ذلك مجرى قول القطامى: هم الملوك وابناء الملوك لهم * والآخذون به والساسة
الاول * فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله الملوك عليه ومثله قول الشاعر: اذا نهي السفيه
جرى اليه * وخالف والسفيه الى خلاف * اراد جرى الى السفه الذى دل ذكر السفيه عليه والوجه
الرابع ان تكون الهاء ترجع الى الله تعالى لان ذكره عز وجل قد تقدم فيكون المعنى وآتى المال على
حب الله ذوى القربى واليتامى فان قيل فاى فائدة فى ذلك وقد علمنا الفائدة فى ايتاء المال مع
محبته والضن به وان العطية تكون اشرف وامدح فما الفائدة فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله
والمحبة عندكم هى الارادة والقديم تعالى لا يصح ان يراد قلنا اما المحبة عندنا فهى الارادة الا انهم يستعملونها
كثيرا مع حذف متعلقها مجازا او توسعا فيقولون فلان يحب زيدا اذا اراد منافعه ولا يقولون يريد زيدا
يريد عمرا بمعنى انه يريد منافعه لان العادة جرت فى استعمال الحذف والاختصار فى المحبة دون
الارادة وان كان المعنى واحدا وقد ذكر ان لقولهم زيد يحب عمرا مزية على قولهم يريد منافعه لان
اللفظ الاول ينبئ عن انه لا يريد الا منافعه وانه لا يريد شيئا من مضاره والثانى لا يدل على ذلك محصلا
لمزية وعلى هذا المعنى نصف الله تعالى انه يحب اولياءه والمؤمنين من عباده والمعنى فيه انه يريد لهم الخير من
التعظيم والاجلال والنعم واما وصف احدنا بانه يحب الله تعالى فالمعنى فيه انه يريد تعظيمه وعبادته
والقيام بطاعاته ولا يصح المعنى الذى ذكرناه فى محبة العباد بعضهم بعضا لاستحالة المنافع عليه ومن
جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصح ايضا ان يكون محبا له على هذا المعنى لانه باعتقاده ذلك فيه قد خرج من ان
يكون عارفا به فمحبته بالحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه اليه كما نقول فى اصحاب التشبيه انهم ما عبدوا
من اعتقدوه الها فقد عبدوا غير الله فاما الفائدة فى اعطاء المال مع محبة الله تعالى فهى ظاهرة لان
اعطاء المال متى قارنته ارادة وجه الله تعالى وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك
لم يستحق الفاعل به ثوابا وكان ضائعا وتاثير ما ذكرناه ابلغ من تاثير حب المال والضن به لان المحب
للمال الضنين به متى بذله واعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق به شيئا من الثواب

وانما

وانما يؤثر حبه للمال فى زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو
غير ضنين بالمال ولا محب له لاستحق الثواب وهذا الوجه لم نسبق اليه فى هذه الآية وهو احسن ما قيل
فيها وقد ذكر فيها وجه آخر وهو ان تكون الهاء راجعة الى من آمن ايضا وينتصب ذوى القربى بالحب
ولا يجعل لآتى منصوب لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام واعطى المال فى حال حبه ذوى القربى
واليتامى على محبته اياهم وهذا الوجه ليس فيه مزية فى باب رجوع الهاء التى وقع عنها السؤال وانما
تبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوى القربى بالحب وذلك غير ما وقع السؤال عنه والاجوبة الاول
اقوى واولى فاما قوله تعالى والموفون ففى رفعه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا على المدح لان النعت
اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج
وهذا اجود الوجهين والوجه الآخر ان يكون معطوفا على من آمن ويكون المعنى ولكن البر وذوى
البر المؤمنون والموفون بعهدهم فاما نصب الصابرين ففيه وجهان احدهما المدح لان مذهبهم
فى الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او الذم ليتميز الممدوح او المذموم
ويفردوه فيكون غير متبع لاول الكلام من ذلك قول الخرنق ابنة بدر بن هفان: لا يبعدن قومى
الذين هم * سم العداة وآفة الجزر * النازلين بكل معترك * والطيبين معاقد الازر * فنصبت
ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعا على ان يتبع آخر الكلام اوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع
الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه فى النصب والرفع ما ذكرناه
ومن ذلك قول الشاعر انشده الفراء: الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم *
وذا الراى حين تغم الامور * بذات الصليل وذات اللجم * فنصب ليث الكتيبة وذا الراى على المدح
وانشد الفراء ايضا: فليت التى فيها النجوم تواضعت * على كل غث منهم وسمين * غيوث الحيا
فى كل محل ولزبة * اسود الشرى يحمين كل عرين * ومما نصب على الذم قوله: سقونى الخمر ثم تكنفونى
عداة الله من كذب وزور * والوجه الآخر فى نصب الصابرين ان يكون معطوفا على ذوى القربى
ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوى القربى والصابرين قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان يكون
والموفون رفع على المدح للمضمرين لان ما فى الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول

وكان يقوي الوجه الاول فاما توحيد الذكر في موضع وجمعه في اخر فلان من امن لفظه الواحد
وان كان في المعنى للجمع فالذكر الذي اتى بعده موحدا اجري على اللفظ وما جاء في الوصف بعد ذلك
على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين في البأساء وقد اختلف قراءة القراء السبعة في رفع البر
ونصبها من قوله تعالى ليس البر فقرأه حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء وروى هبيرة
عن حفص عن عاصم انه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون البر بالرفع والوجهان جميعا حسنان
لان كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف فقد تكافئا في جواز كون
احدهما اسما والاخر خبرا كما يتكافأ في النكرات وحجة من رفع البر انه لان يكون البر اسم الفاعل اولى
لان ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول بعده الا ترى انك اذا قلت قام زيد
فان الاسم يلي الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام التاخير فلولا ان الفاعل اخص
بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيدا حيث لم يجز في الفاعل تقدير التاخير
كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة من نصب البر ان يقول كون الاسم ان وصلتها
اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر والاولى
اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر قال المرتضى رضي الله عنه
حدثنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي
الكاتب قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابي قال
قال ابن الكلبي لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير العبسي النمر بن قاسط فقال لهم اني
قد جاورتكم واخترتكم فزوجوني امرأة قد ادبها الغنى واذلها الفقر في حسب وجمال فزوجوه ظبية
بنت الكيس النمري وقال لهم ان في خلالا ثلاثا اني غيور واني فخور واني انف ولست افخر
حتى ابتلى ولا اغار حتى ارى ولا انف حتى اظلم فاقام فيهم حتى ولد له فلما اراد الرحيل عنهم
قال اني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالاناة فان بها تنال الفرصة وتسويد من
لا تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل
المسألة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح واجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت

الايامى

الايامى وخلط الضيف بالعيال وانهاكم عن الرهان فانه به ثكلت مالكا اخي والبغي فانه قتل زهيرا
ابي وعن الاعطاء في الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف في الدماء فان يوم الهباءة الزمني
العار وعليكم بمنع الحرم الا من الاكفاء فان لم تصيبوا الاكفاء فان خير مناكحها القبور او خير
منازلها واعلموا اني كنت ظالما مظلوما ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا اخي وظلمتهم بان قتلت من
لا ذنب له قال المرتضى رضي الله عنه اما قوله انهاكم عن الرهان فاراد المراهنة في سباق الخيل وذلك ان قيس
بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والحنفاء
وكان قيس كارها لذلك وانما هاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل بل رجل من عبس وجعل
في شرح ذلك شهورا ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية من واردات الى ذات الاصاد وجعلوا
القصبة في يد رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له ابن الحصين وفي يده رجل من بني العشراء من بني فزارة وملأوا
البركة ماء وجعلوا السابق والخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير اتيا المدى الذي
ارسلت الخيل فيه ينظران اليها والى خروجها فلما ارسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك
يا قيس فقال قيس ترك الخداع من اجرى من مائة يعني من مائة غلوة فارسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعلت
خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت يا قيس فقال قيس جري المذكيات غلاب فارسلها
مثلا والمذكيات المسان من الخيل ويروى غلاء اي كما يتغالى بالنبل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة
انك لا تركض مركضا سبقت خيلك فقال قيس رويدا يعلون الجدد فارسلها مثلا ويروى
يعدون الجدد اي يتعدين الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة اكمنوا بالثنية كمينا لينظروا
فان جاء داحس سابقا امسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقا فامسكوه ولم يعرفوا الغبراء
وهي خلفه مصلية حتى مضت الخيل واسهلت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر في آثارها فجعل يبدرها
فرسا فرسا حتى انتهى الى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية سبقها فاستقبلها
بنو فزاره فلطموها ثم حلؤوها عن البركة ثم لطموا داحسا وقد جاءا متواليين ثم جاء حذيفة وقيس
في اخر الناس وقد دفعتهم بنو فزاره عن سبقهم ولطموا فرسيهم وجرى من الخلف في اخذ السبق ما قد
شرحه الرواة وقد قيل في بعض الروايات ان الرهان والسبق كان بين حمل بن بدر وبين قيس وفي ذلك يقول

وقيل بعض بني فزارة الحنفاء

القصبة

قيس كالافيت من جمل بن بدر ولحوية على ذات الاصاد هم فخروا على بغير فخر وردوا دون غايته جوادي وقد دلفوا على بفعل سوء فالفوني لهم صعب القياد وكنت اذا منيت بخصم سوء دلفت له بداهية نئاد ثم ان قيسا اغار على عوف بن بدر فقتله واخذ ابله فبلغ ذلك بني فزاره فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسي دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية ويقال ان قيسا قتل ابنا لحذيفة يقال لها مالك وان حذيفة كان ارسل اليه يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن زياد حمل دية مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا يقال له اللقاطة قريبا من الحاجر ونكح امراة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب بن فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاورا لحذيفة بن بدر وكان تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال نام الخلي وما اغمض حار من سيئ النبا الجليل الساري من مثله تمسي النساء حواسرا وتقوم معولة مع الاسحار من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار يجد النساء حواسرا يندبنه يضربن اوجههن بالاسحار قد كن يخبان الوجوه تسترا فاليوم حين بدون للنظار افبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار ما ان ارى في قتله لذوي الحجى الا المطي تشد بالاكوار ومجنبات ما يذقن عذوفا يقذفن بالمهرات والامهار ومساعرا صداء الحديد عليهم فكانما طلي الوجوه بقار فاما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي ابي قيس فاختلف الرواية في سببه فيقال ان هوازن بن منصور كانت تؤتي الاتاوة زهير بن جذيمة ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد فهم اذل من يد في رحم فاتت عجوز من هوازن الى زهير بن جذيمة بسمن في نحي فاعتذرت اليه وشكت السنين اللواتي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها اي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها من الغيظ وكانت يومئذ قد امرت عامر بن صعصعة اي كثرت فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لاجعلن ذراعي وراء عنقه حتى اقتل او يقتل وفي ذلك يقول خالد بن جعفر اريغوني اراغتكم فاني وحذفة كالشجي تحت الوريد مقربة اواسيها بنفسي والجهها ردائي في الجليد لعل الله يمكنني عليها جهارا من زهير او اسيد واما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود ويقال بل كان السبب في ذلك

ان زهيرا

ان زهير بن جذيمة لما قتل قرعوس من قبل ابنه شاس وافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثا فقال يا ابو زهير اما ان لك ان تشتفي وتكف يعني مما قتل بشاس فاغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم امكني يدي هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم اعنى عليه فقال زهير اللهم امكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقالت قريش هلكت والله يا زهير قال انتم والله الذين لا علم لهم ثم اجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله واتفق نزول زهير بالقرب من ارض بني عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امراة زهير بن جذيمة وام ولده فمر بهم اخوها الحرث بن عمرو بن شريد فقال زهير لبنيه ان هذا الحمار لطليعة عليكم فاوثقوه فقالت اخته لبنيها ايزوركم خالكم فتوثقونه وقالت تماضر لاخيها الحرث انه لم يبق كبيننا انك وقرونك الا كبيتان الثم والقرو السكون فلا يا خذن فيك ما قال زهير فانه رجل بيذارة غبذارة منتوءة قال الاثرم البيذارة الكثير الكلام والغبذارة السيئ الخلق ثم حلبوا الوطبا واخذوا عليه عينا ان لا يخبر عليهم ولا ينذرهم احدا فخرج الحرث حتى اتى بني عامر فصعد الى شجرة يجتمع اليها بنو عامر فالقى الوطب تحتها وقال والقوم ينظرون ايتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه فقال القوم هذا رجل ماخوذ عليه وهو يخبركم خبرا فذاقوا اللبن فاذا هو حلو لم يقرص بعد فقالوا ان مخبرنا ان مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكبا فرسه حذفة فلقوا زهيرا فاعتنق خالد زهيرا وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يا بني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير بنيه فاقبل اليه ورقاء بن زهير يشتد بسيفه فضرب خالدا ثلث ضربات فلم يغن شيئا وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندح راس زهير فقتله وفي ذلك يقول ورقاء بن زهير رايت زهيرا تحت كلكل خالد فاقبلت اسعى كالعجول ابادر فشلت يميني يوم اضرب خالدا ويمنعه مني الحديد المظاهر فيا ليتني من يوم ضربة خالد ويوم زهير لم تلدني تماضر فاما خبر الهباءة فان بني عبس وبني فزارة لما التقوا الى جنب جفر الهباءة في يوم قائظ فاقتتلوا وتخبرهم شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة ليتبردوا فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يا بني عبس فاين العود واين

الاحلاة ضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق ماثور القول بعد اليوم فارسلها مثلا
وقتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر وقتل الحرث بن زهير حملا واخذ منه ذا النون سيف
مالك بن زهير اخيه وكان حمل بن بدر اخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك
تعلم ان خير الناس ميت على جفر الهباءة لا يريم ولولا ظلمه ما زلت ابكي عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعه وخيم اظن الحلم دل علي قومي وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فمعوج علي ومستقيم وقال قيس ايضا شفيت النفس من حمل بن بدر
وسيفي من حذيفة قد شفاني فان اك قد بردت بهم غليلي فلم اقطع بهم الا بناني مجلس اخر
تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقال اي وجه لتشبيه الذين كفروا بالصائح الناعق بالغنم والكلام
يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التامل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزا متاملا
محصلا يقال له في هذه الاية خمسة اجوبة اولها ان يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعي
لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع
صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبي ص ودعائه ونداءه
فيضربون عن قبول ذلك ويعرضون عن تامله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه
لاشتراكهما في عدم الانتفاع به وجاز ان يقوم قوله الذين كفروا مقام الواعظ والداعي لهم
كما يقول العرب فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى كخوفه الاسد فاضاف الخوف الى الاسد
وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير
اراد بتسليمي على الامير ونظائر ذلك كثيرة والجواب الثاني ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل
الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فاضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى
المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى وانتصب
الحرباء على العود وجاز التقديم والتاخير لوضوح المعنى انشد الفراء ان سراجا لكريم مفخره
تحلى به العين اذا ما تجهره معناه يحلى بالعين فقدم واخر وانشد الفراء ايضا كانت فريضة

ما تقول

ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم المعنى كما كان الرجم فريضة الزناء وانشد ايضا وقد خفت
حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل اراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ومثله كان لون
ارضه سماؤه اراد كان لون سمائه ارضه ومثله ترى الثور فيها مدخل الظل راسه وسائره باد
الى الشمس اجمع اراد مدخل راسه الظل وقال الراعي فصبحته كلاب الغوث يوسدها مستوضحون
يرون العين كالاثر يريد انهم يرون الاثر كالعين وقال ابو النجم قبل دنو الافق من جوزائه
طلب وقال العباس بن مرداس فديت بنفسه نفسي ومالي ولا آلوك الا ما اطيق اراد فديت
بنفسي نفسه وقال ابن مقبل ولا تهيبني الموماة اركبها اذا تجاوبت الاصداء بالسحر اراد
لا اتهيب الموماة وهذا كثير جدا والجواب الثالث ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا
او مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق اي مثلهم في الاعراض ومثلك في الدعاء والتنبيه
والارشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول ومثله قوله تعالى وجعل لكم سرابيل
تقيكم الحر واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر من البرد وقال ابو ذويب عصيت اليها القلب اني
لامره مطيع فما ادري ارشد طلابها اراد ارشد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر والجواب
الرابع ان يكون المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي يعبدونها من دون الله وهي
لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة والنداء
والدعاء على هذا الجواب ينتصبان بينعق والا تاكيد للكلام ومعناه الالغاء قال الفرزدق
هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم والمعنى هم القوم حيث سلوا
سيوفهم والجواب الخامس ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وعبادتهم لها
واسترزاقهم اياها كمثل الداعي الذي ينعق بغنمه ويناديها فهي تسمع نداءه ودعاءه ولا تفهم معنى كلامه
فشبه من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله تعالى بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهم
ولا نفع عندها فيه ولا مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وان كانت بينهما مزية ظاهرة
لان الاول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ويجب ان يكون مصروفا الى غير الغنم
وما اشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم

يفهمها والاصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب طيها ومناديها اسوء حالا من منادي الغنم
ويصح ان ينصرف الى الغنم وما اشبهها مما تشارك في السماع وتخالف في الفهم والتمييز وقد اختلف الناس
في ينعق فقال اكثرهم لا يقال نعق ينعق الا في الصياح بالغنم وحدها وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم والابل
والبقر والاول اظهر في كلام العرب قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء
ضلالا وقال ابن نعق الغراب ونعق بالعين المهملة اذا صاح من غير ان يمد عنقه ويحركها فاذا مدها
وحركها ثم صاح قيل نعب بالباء يقال نعب الفرس ينعب وينعب نعبا ونعيبا ونعبانا وهو صوته
ويقال فرس منعب اي جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة تأويل خبر روي عن النبي ص انه خرج مع
اصحابه الى طعام دعوا اليه فاذا بالحسين ع وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنتل رسول الله ص
امام القوم فطفق الصبي يفر مرة ههنا ومرة ههنا ورسول الله ص يضاحكه ثم اخذه فجعل احدى
يديه تحت ذقنه والاخرى تحت فاس راسه واقنعه وقبله وقال انا من حسين وحسين مني احب
الله من احب حسينا حسين سبط من الاسباط قال المرتضى رض معنى استنتل تقدم ويقال
استنتل الرجل استنتالا وابرنتى ابرنتاء وابرندع ابرندعا اذا تقدم هكذا ذكره ابو بكر بن
الانباري ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له قال تقول استنتلت للامر استنتالا
اذا استعددت له واستنتل الرجل تفرد من القوم وبل استنتل اشرف والمعاني تتقارب وكلها يليق
بكل واحد منها وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه في ابرنتى وابرندع انهما من الاستعداد فاما
السكة فهي المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى طفق ما زال قال الشاعر طفقت تبكي واسعدها
وكلانا ظاهر الكمد وفاس الراس طرف القمحدوة المشرف على القفا ومعنى اقنعه رفعه هكذا ذكر ابن
الانباري وقال غيره اقنع ظهره اذا طاطاه ثم رفعه برفق فاما الاسباط فاصلها في ولد اسحق ع
كالقبائل في بني اسمعيل ع وقال ابن الانباري هم الصبية والصبوة معا بالياء والواو ومعا حدثنا
ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن عمر بن يحيى بن حنيفا قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي
قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابي انه قال لابنة الخس
ما امانه من اللحم المعرق قال [illegible] مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما امانه من الضان

قال

قال سفر بها لا تحى بها قال فما امانه من الابل قال الشيخ جمال ومال ومنى الرجال قيل فما امانه من الخيل
قال البطن عند من كانت ولا توجد قيل فما امانه من الحمر قالت عار بئر الليل وخزي المجلس لا لبن
فتحلب ولا صوف فتجتز ان ربط عيرها ادلى وان ارسلته ولى وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي
قال قيل لابنة الخس والخص والخص قال كل ذلك يقال ما احسن شيء قالت غادية في اثر سارية في
نفاء قاوية قال نفاء ارض مرتفعة لان النبات في موضع مشرف احسن وقالوا ايضا نفحة من
رابية ليس بها رمل ولا حجارة قال والجمع النفاحي ونبت الرابية احسن من نبت الاودية لان
السيل يصرع الشجر فيقذر في الاودية ثم يلقي عليها الدمن قال المرتضى رض ومما يدل على ان نبت
الرابية احسن قول الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
وقول كثير فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها فخص الحزن للمعنى الذي
ذكرناه وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جاءنا بطعام لا ينادي وليده اذا
جاء بطعام كثير لا يراد فيه زيادة ووقع في امر لا ينادي وليده تقول لا يدعى له الصبيان ولا
يستعان الا بكبار الرجال فيه قال المرتضى رض وفي ذلك قولان اخران احدهما عن الاصمعي قال
اصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل الام عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل

شدة ولكل امر عظيم والقول الاخر عن الكلابي قال اصله من الكثرة والسعة فاذا اهوى الوليد الى شيء
لم يزجر عنه حذر الافساد لسعة ما هم فيه ثم صار مثلا لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعار
في كل موضع يراد به الغاية وانشد لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد شرائع جود لا ينادى وليدها
وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل ودفة الاسكي على معن بن زائدة الشيباني فقال
ارايت اكرمك الله ان تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فانك قد بلغت
حالا لو اعنقني الله فيها بكرمك من تنصف الرجال بعدك لم يكن كثيرا واني قد قدمت لرجائك
احسنت الثناء ولزمت الحفاظ ثم انشا يقول يا معن انك لم تنعم على احد فشاب نعماك تنغيص
والكدر فانظر الى بطرف غير ذي مرض فربما صح من طرفك النظر ايام وجهك لي طلق يخبرني
اذا سكت بما تخفي وتضطمر ومن هو الشفيع لئن يغفلني وان نابت وان قلت بي الذكر

قد كنت اثريت عندك مرة اثرا تهد تقارب يعقوب لك الاثر فاجبر بفضلك عظما كنت تجبره واجمع بفضلك
ما قد كاد ينتشر ما نازع العسر في اليسر مذ علقت كفي بحبلك الا ظفر اليسر وقد خشيت و
قد خشيت وهذا الدهر ذو غير بان يدال لطول الجفوة العسر وانما كان من عسر وميسرة فان
حظك فيها الحمد والشكر فقال معن او ما كنا اعطيناك شيئا قال لا قال اما الذهب والفضة
فليسا عندنا ولكن هات تختا من ثياب وغلاما فدفعه اليه وقد كان تحمل عليه بابن عياش حبيب
ابن بديل فاعطاها معه تختين وقال غرمتني يا وغد تختي ثياب قال المرتضى وكان معن بن
زائدة جوادا شجاعا شاعرا ويكنى ابا الوليد وهو معن بن زائدة ابن عبد الله بن مطر بن
شريك بن عمرو ومطر اخو الحوفزان بن شريك وكان معن من اصحاب ابن هبيرة فلما قتل
رثاه معن فقال الا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود عشية قام
النائحات وشققت جيوب بايدي مأتم وخدود فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد
الوفود وفود فانك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت التراب بعيد اخبرنا ابو عبد الله المرزباني
قال اخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن ابيه قال حدثني محمد بن القسم بن مهرويه قال حدثني ابو
يزيد الحكم بن موسى قال حدثني ابي قال كان معن بن زائدة من اصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة
وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا
على المنصور تقدم فاخذ بلجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا وتفرقوا
عنه قال لمن انت ويحك قال انا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه
ورتبه ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يا معن تعطي مروان بن ابي حفصة مائة الف
على ان قال لك معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان ان عد ايام الفعال
فانما يوماه يوم ندى ويوم طعان قال كلا يا امير المؤمنين ولكني اعطيته على قوله ما زلت
يوم الهاشمية معلما بالسيف دون خليفة الرحمن فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند
وسنان قال احسنت يا معن وفي خبر آخر انه دخل على المنصور فقال له ويلك ما اظن ما يقال فيك
من ظلمك لاهل اليمن واعتسافك بهم الا حقا قال وكيف ذلك يا امير المؤمنين قال بلغني

انك اعطيت شاعرا كان يلزمك الفي دينار وهذا من السرف الذي لا شيء مثله فقال يا امير المؤمنين
انما اعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات رزقي وكففته عن عرضي وقضيت الواجب
من حقه علي وقصده الي وملازمته لي فقال اجمل ابو جعفر ونكت بقضيب في يده الارض ولا
يعاوده القول واخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن ابي سعد الوراق عن خالد
بن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بعنقا من اهل خراسان وكان من ولاة
الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة سبعمائة رجل فكنا ندخل على المنصور في كل
يوم قال فقلت للربيع اجعلني في آخر من يدخل عليه فقال لست باشرفهم فتكون في اولهم ولا باخسهم
نسبا فتكون في آخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي
دراعة فضفاضة وسيف حنفي اقرع بنعله الارض وعمامة قد اسدلتها من قدامي وخلفي فسلمت
عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يا معن صيحة انكرتها فلبيته فقال الي فدنوت منه
فاذا به قد نزل عن فراشه الى الارض وجثا على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين واستحال لونه
ودرت اوداجه وقال انك لصاحبي يوم واسط لا نجوت ان نجوت مني قال قلت يا امير المؤمنين
تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت فاعدت عليه القول فما
زال يستعيد حتى رد العمود الى مستقره واستوى متربعا واسفر لونه وقال يا معن ان
باليمن هنات قلت يا امير المؤمنين ليس لكتوم راي وهو اول من ارسلها مثلا فقال
انت صاحبي فاجلس فجلست فامر الربيع باخراج كل من في الدار وخرج الربيع
فقال لي يا معن ان صاحب اليمن قد هم بالمعصية واني اريد ان آخذه اسيرا ولا يفوتني
شيء من ماله قلت ولني اليمن واظهر انك قد ضممتني اليه وامر الربيع ان يزيح علتي
في كل ما احتاج اليه ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهدا
من بين فراشين فوقع فيه باسمي وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع انا قد ضممنا
معنا الى صاحب اليمن فازح علته فيما يحتاج اليه من السلاح والكراع ولا يمسي
الا وهو راحل قال ثم ودعني فودعته وخرجت الى الدهليز فلقيني ابو الوالي فقال

يا معن اعزز علي ان تضم الى ابن اخيك قال فقلت انه لا غضاضة على الرجل ان يضم سلطانه
الى ابن اخيه وخرجت الى اليمن فاتيت الرجل فاخذته اسيرا وقرأت عليه العهد وقعدت
في مجلسه وروى عمر بن شبة قال اجتمع عند معن بن زائدة ابن ابي عاصية وابن ابي حفصة
والضمري فقال لينشد لي كل واحد منكم امدح بيت قاله في فانشده ابن ابي حفصة سبقت
ربيعة او جئت معن سابقا لمجرى وجرى ذوو الاحساب فقال معن ان الجواد يبعث فيهم جهده
من الغبار والعثار وغيرهما وانشده الضمري انسلم في فهمك المعالي ودلو معروفك
الربيع وروى ودون معروفك الربيع وشانك الجهد فشرير يشبعه عنك من يشبع فقال
له ما احسن ما قلت الا انك لم تقبحه ولم تذكرني فيه شاء انحله وانشد ابن ابي عاصية ان
زال معن بني زائدة لم يزل لندى الى بلد بغير مسافر فتفضله عليهم وروى انه اتى معن بن زائدة
بثلثمائة اسير فامر بضرب اعناقهم فقال له شاب منهم يا اخا بني شيبان ننشدك الله ان تقتلنا
عطاشا فقال اسقوهم ماء فلما شربوا قالوا له يا اخا شيبان ننشدك الله ان تقتل اضيافك
فقال اطلقوهم وذكر احمد بن كامل ان الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة احدى وخمسين ١٥١
ومائة وروى ان عبد الله بن طاهر كان يوما عند المأمون فقال له يا ابا العباس من اشعر من قال
الشعر في خلافة بني هاشم قال امير المؤمنين اعرف بهذا مني قال على كل حال قال عبد الله اشعرهم
الذي يقول في معن بن زائدة ايا قبر معن انت اول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا
ايا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا بلى قد وسعت الجود والجود
ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا والابيات للحسين بن مطير الاسدي وهي تزيد على
هذا المقدار واولها الما على معن فقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا فتى عيش
في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا ولما مضى معن مضى الجود وانقضى واصبح
عرنين المكارم اجدعا

المجلس السادس عشر ١٦

مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل فقال ما الوجه في قوله تعالى ان
الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق وفي موضع آخر وقتلهم الانبياء بغير حق
وظاهر هذا القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق وقوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به

وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به وقوله تعالى ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا وقوله لا يسألون الناس الحافا والسؤال عن كل هذه الآيات من وجه واحد وهو
الذي تقدم الجواب ان للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبا مشهورا
عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم ومرادهم بذلك المبالغة في النفي وتاكيده فمن ذلك قولهم فلان
لا يرجى خيره ليس يريدون ان فيه خيرا لا يرجى وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه ومثله
قل ما رايت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله لم ير لا قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس على
لاحب لا يهتدى بمناره اذا سافه العود الديافي جرجرا يصف طريقا واراد بقوله لا يهتدى بمناره
انه لا منار له فيهتدى به والعود المسن من الابل والديافي منسوب الى دياف قرية بالشام معروفة
وسافه شمه والجرجرة مثل الهدير وانما اراد ان العود اذا شم عرفه فاستبعده وذكر ما يلحقه فيه
من المشقة جرجر لذلك وقال ابن احمر لا يفزع الارنب اهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر اراد
ليس بها اهوال فتفزع الارنب وقال النابغة يحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
اراد ليس بها رمد فتكحل له وقال امرؤ القيس ايضا وصم حوام ما يقين من الوجى كان مكان الردف منه
على رال يصف حوافر فرسه وقوله ما يقين من الوجى فالوجى هو الحفاء ويقين اي يتوقين يقال
وقى الفرس اذا هاب المشي فاراد انه لا وجى بحوافره فيتهيبن الارض من اجله والرال فرخ النعام
وشبه اشرافه عجزه بعجز الرال وقال آخر لا يغمز الساق من اين ومن وصب ولا يعض على شرسوفه
الصفر اي ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلهما وقال سويد بن ابي كاهل من اناس
ليس في اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا ولا جزعا غير سيء
وانما اراد نفي الفحش والجزع عن اخلاقهم ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون
انه لا يقرب الخنا لا انه لا يسرع حسب وقال الفرزدق وهو يهجو بني جعفر بن كلاب ويعيرهم
بقتلى منهم اصيبوا في بعض حروبهم فحملت الغثاء هؤلاء القتلى حتى اتين بهم الحي ولم يات عير
اهلها بالذي اتت به جعفرا يوم الهضيبات عيرها اتتهم بعير لم تكن هجرية ولا حنطة الشام
المزيت خميرها يعني ان العير انما تحمل التمر والطعام الى الحي فحملت عير هؤلاء القوم القتلى

قبله
واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت
الى حمام شراع وارد الثمد
وبعد البيت
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا
الى حمامتنا او نصفه فقد

لم نكن هجرية اي لم نحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة ثم وصف الحنطة بما يحصل في خبزها
من الزيت وعلى هذا تاويل الابيات التي وقع السؤال عنها لانه لما قال يقتلون النبيين بغير حق
دل على ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ثم وصف القتل بما لابد ان يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف
الحق وكذلك ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به انما وصف لحال الدعاء وانه لا يكون الا عن
غير برهان وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها فوجهه ايضا انه لو كان هناك عمد لرايتموه
فاذا نفى رؤية العمد نفى وجود العمد كما قال لا يهتدى بمناره اي لا منار له من حيث علم انه لو كان له منار لاهتدي
به فصار نفي الاهتداء بالمنار نفيا لوجود المنار وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به تغليظ وتاكيد في تحذيرهم
من الكفر وهو ابلغ من ان يقول ولا تكفروا به ويجري مجرى قولهم فلان لا يسرع الى الخناء وقل ما رايت
مثله اذا ارادوا به تاكيد لفظ الخناء ونفي رؤية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى لا يسالون الناس الحافا
معناه لا مسالة تقع منهم المثل الاول ولا تنسه واباي فتى قليلا والفائدة ان كل عمر الحال لا يكون الا
قليلا فصار نفي الفتى القليل نفيا لكل ثمن وهذا واضح بحمد الله ومنه باب في ذكر شيء من اخبار
المعمرين واشعارهم ومستحسن كلامهم احد المعمرين الحرث بن كعب بن عمرو
بن وعلة بن خالد بن مالك بن ادد المذحجي ومذحج هي ام مالك بن ادد نسب ولد مالك اليها
وانما سميت مذحجا لانها ولدت على اكمة تسمى مذحجا واسمها مدلة بنت ذي منجشان قال
ابو حاتم السجستاني جمع الحرث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد اتى علي ستون ومائة سنة
ما صافحت بيميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي
مومسة قناعها ولا بحت لصديق سرا واني لعلى دين شعيب النبي وما عليه احد من العرب غيري وغير
اسد بن خزيمة وتميم بن مرة فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي الهكم فاتقوه يكفكم المهم من اموركم
ويصلح لكم اعمالكم واياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار يا بني كونوا
جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا وان موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل ما هو كائن كائن
وكل جمع الى تباين والدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبرة ويوم عبرة
والناس رجلان فرجل لك ورجل عليك تزوجوا الاكفاء وليستعملن في طيبهن الماء

وتجنبوا

وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى افن ما يكون الا انه لا راحة لقاطع القرابة واذا اختلف القوم
امكنوا عدوهم وافة العدد اختلاف الكلمة والتفضل بالحسنة يقي السيئة والمكافاة بالسيئة الدخول
فيها والعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين
يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة
يعقب البلية وسوء الرعة يقطع اسباب المنفعة والضغائن تدعو الى التباين ثم انشا يقول اكلت شبابي
فافنيته وانضيت بعد دهور دهورا ثلاثة اهلين صاحبتهم فبادوا واصبحت شيخا كبيرا
قليل الطعام عسير القيام قد ترك الدهر خطوي قصيرا ابيت اراعي نجوم السماء اقلب امري
بطونا ظهورا قوله ولا صبوت بابنة عم ولا كنة الصبوة هي رقة الحب والكنة هي امراة ابن الرجل

وامراة اخيه

فاما المومسة فهي الفاجرة البغي واراد بقوله لم تطرح عنده قناعها اي لم تتبذل عنده وتنبسط
كما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله يوم حبرة ويوم عبرة فالحبرة السرور والفرح والعبرة تكون من ضد
ذلك لان العبرة لا تكون الا من امر محزن مولم فاما الافن فهو الحمق يقال رجل افين اذا كان احمق ومن امثالهم
الرقين يغطي على افن الافين اي وجدان المال يغطي على حمق الاحمق وواحد الرقين رقة وهي الفضة فاما
قوله النصيحة تجر الفضيحة فيشبه ان يكون معناه ان النصيح اذا نصح من لا يقبل نصيحته ولا يصغي
الى موعظته فقد افتضح عنده لانه افضى اليه بسره وباح بمكنون صدره فاما سوء الرعة فانه يقال فلان
حسن الرعة والتورع اذا كان حسن الطريقة ومن المعمرين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر لبيت قاله وهو
ينش الماء في الربلات منها نشيش الرضف في اللبن الوغير الربلات واحدتها ربلة وربلة بفتح الباء
واسكانها وهي كل لحمة غليظة هكذا ذكر ابن دريد والرضف الحجارة المحماة وفي الحديث كانه على الرضف
واللبن الوغير لبن تلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب وغرة الظهيرة وهي اشد ما يكون من الحر وقد وغر
صدره فلان يوغر وغرا اذا التهب من غضب او حقد وقال اصحاب الانساب عاش المستوغر ثلثمائة
سنة وعشرين سنة وادرك الاسلام او كاد يدركه وقال ابن سلام كان المستوغر قديما وبقي بقاء
طويلا حتى قال ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا مائة اتت من بعدها

مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا هل ما بقي الا كما قد فاتنا يوم يكر وليلة تحدونا
وهو القائل اذا ما المرء صم فلم يكلم واودى سمعه الا ندايا ولاعب بالعشي بني بنيه كفعل الهر
يحترش العظايا يلاعبهم وودوا لو سقوه من الذيفان مترعة ملايا فلا ذاق النعيم ولا شرابا
ولا يشفى من المرض الشفايا اراد بقوله صم فلم يكلم اي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز ان
يريد انه لم يكلم لليأس من استماعه فاعرض عن خطابه لذلك وقوله اودى سمعه الا ندايا اراد
ان سمعه هلك الا انه يسمع الصوت العالي الذي ينادى به وقوله ولاعب بالعشي بني بنيه
فانه بالغ في وصفه بالهرم والخرف وانه قد تناهى الى ملاعبة الصبيان وانهم بنو بنيه ويشبه
ان يكون خص العشي بذلك لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها وقوله
يحترش العظايا اي يصيدها والاحتراش ان يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه ليحسبه
الضب افعى فيخرج اليه فياخذه يقال حرشت الضب واحترشته ومن امثالهم هذا اجل من
الحرش قال اذا سمعت يضرب عند الامر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب وقال ابن
دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع
يوما وقع الحفار فقال يا ابتاه هذا الحرش فقال هذا اجل من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع
الشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والذيفان السم والعظايا جمع عظاية وهو دويبة معروفة
ومن المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة بن
مالك بن مرة بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش دويد بن زيد اربعمائة سنة وستا وخمسين سنة
وقال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين وقال ولا تعد العرب معمرا
الا من عاش مائتي سنة وستا وعشرين قضاعة قال لبنيه اوصيكم بالناس شرا لا ترحموا لهم عبرة
ولا تقيلوهم عثرة قصروا الاعنة وطولوا الاسنة اطعنوا شزرا واضربوا هبرا واذا اردتم
المحاجة فقبل المناجزة والمرء يعجز لا المحالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد والمنية ولا الدنية
لا تاسوا على فائت وان عز فقده ولا تحنوا الى ظاعن وان الف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا
ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكون لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا خط

مضجعي

مضجعي ولا تضنوا علي برحب الارض وما ذلك بمود الى روحا ولكن راحة نفس خامرها الاشفاق
ثم مات قال ابو بكر بن دريد وفي حديث اخر انه قال اليوم يبنى لدويد بيته يا رب نهب
صالح حويته ورب قرن بطل ارديته ورب غيل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيته
لو كان للدهر بلى ابليته او كان قرني واحدا كفيته ومن قوله الفتى الى الدهر يعلا ويدا ولا
ما اصلح يوما افسدا يفسد ما اصلحه اليوم غدا قوله اطعنوا شزرا واضربوا هبرا معنى الشزر
ان يطعنه من احدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزرا اذا فتله على الشمال والنظر الشزر نظر
بمؤخر العين وقال الاصمعي نظر اليه شزرا اذا نظر اليه عن يمينه وشماله وطعنه شزرا كذلك
وقوله هبرا قال ابن دريد يقال هبرت اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا كبارا والاسم الهبرة
والهبرة وسيف هبار وهابر ولحم هبير ومهبور والمحالة الحيلة قوله بالجد لا بالكد
اي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود فاذا كسر
الجيم فهو الانكماش في الامر والمبالغة فيه وقوله التجلد ولا التبلد اي تجلدوا ولا تبلدوا
وقوله فتطبعوا اي تدنسوا والطبع الدنس يقال طبع السيف يطبع طبعا اذا ركبه الصدا
قال ثابت قطنة العتكي لا خير في طمع يدني الى طبع وغفة من قوام العيش تكفيني قوله ولا
تهنوا فتخرعوا فالوهن الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه سميت شجرة الخروع
للينها وقوله ان الموصين بنو سهوان فالموصون جمع موصى وبنو سهوان ضربه مثلا
اي لا تكونوا ممن تقدم اليهم فسهوا واعرضوا عن الوصية وقالوا انه يضرب هذا المثل
للرجل الموثوق به ومعناه ان الذين يحتاجون الى ان يوصوا بحوائج اخوانهم هم الذين
يسهون عنه لقلة عنايتهم وانت غير غافل ولا ساه عن حاجتي وقوله فارحبوا اي اوسعوا
والرحب السعة والروح الراحة وقوله ورب غيل فالغيل الساعد الممتلئ والمعصم موضع السوار
من اليد ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف
بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف
بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش زهير بن

جناب مائتي سنة وعشرين سنة واوقع مائتي وقعة وكان سيدا مطاعا شريفا في قومه ويقال
كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من اهل زمانه كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم
وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب في ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة
الكهان وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم فاوصى الى بنيه فقال يا بني اني
قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري فاحكمتني التجارب والامور تجربة واختبار فاحفظوا
عني ما اقول واياكم والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب فان ذلك داعية
للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها آمنين
ومنها ساخرين فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان في الدنيا
غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد انه
مصيبه قوله حرسا من الدهر يريد دهرا والحرس الدهر قال الراجز في سنبة عشنا بذاك
حرسا والسنبة المدة من الدهر والتواكل ان يكل القوم امرهم الى غيرهم من قولهم رجل وكل
اذا كان لا يكفي نفسه ويكل امره الى غيره ويقال رجل وكلة تكلة والغرض كل ما نصبته للرمي
وتعاوره اي تداوله قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وقد ضمن ابن الرومي معنى قول زهير بن جناب
الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز له وواقع عن يمينه وعن شماله
ثم لا بد ان يصيبه ابياتا فاحسن فيها كل الاحسان والابيات كفى بسراج الشيب في الرأس
هاديا الى من اضلته المنايا لياليا امن بعد ابداء المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني
ناجيا غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي اخلق ان يصبن سواديا وكان كرامي الليل
يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا اما البيت الاخير فانه ابدع فيه واغرب
وما علمت انه سبق الى معناه لانه جعل الشباب كالليل الساتر على الانسان الحاجز بينه وبين
من اراد رميه لظلمته والشيب هاديا للمقاتل هاديا الى اصابته لضوئه وبياضه وهذا في غاية
حسن المعنى واراد بقوله رماني اصابني ومثله قول الشاعر فلما رمى شخصي رميت سواده
ولا بد ان يرمي سواد الذي يرمي وكان ابن جناب على عهد كليب وائل ولم يكن في العرب

انطق

انطق من زهير ولا اوجه عند الملوك وكان لشدة رأيه يسمى كاهنا ولم يجتمع قضاعة الا عليه
وعلى رزاح بن ربيعة وسمع زهير بعض نسائه تكلم بما لا ينبغي لامرأة ان تتكلم به عند زوجها
فنهاها فقالت له اسكت عني والا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت ارى ان اسمع شيئا ولا
تعقله فقال عند ذلك ألا يا لقومي لا ارى النجم طالعا ولا الشمس الا حاجبا بيميني معزبتي عند
القفا بعمودها يكون نكيري ان اقول ذريني امينا على سر النساء وربما اكون على الاسرار
غير امين فللموت خير من حداج موطأ مع الظعن لا ياتي المحل لحين وهو القائل ابني ان
اهلك فقد اورثتكم مجدا بنيه وتركتكم ابناء سادات زنادكم ورية من كل ما نال الفتى
قد نلته الا التحية ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليه وخطبت خطبة حازم غير
الضعيف ولا العييه فالموت خير للفتى فليهلكن وبه بقيه من ان يرى الشيخ البجال وقد
تهادى بالعشيه وهو القائل ليت شعري والدهر ذو حدثان اي حين منيتي تلقاني أسبات
على الفراش خفات ام بكفي مفجع حران وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره لقد عمرت
حتى ما ابالي احتفي في صباحي ام مسائي وحق لمن اتت مائتان عاما عليه ان يمل من الثواء
قوله معزبتي يعني امرأته لانها تعزب الرجل وتكفيه وحسن كل ذلك امرأته وقوله امينا على سر النساء
فالسر خلاف العلانية والسر ايضا النكاح قال الحطيئة ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم
انف القصاع وقال امرؤ القيس الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يحسن السر امثالي
وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعا لانه اذا كبر وهرم لم تهبه النساء ان يتحدثن باسرارها
تهاونا وتعويلا على ثقل سمعه وكذلك شهر وكبر يوجبان كونه امينا على نكاح النساء لعجزه
عنه وقوله حداج موطأ الحداج مركب للنساء والجمع احداج وحدوج والظعن والاظعان
الهوادج والظعينة المرأة في الهودج ولا تسمى ظعينة حتى تكون في هودج والجمع ظعائن وانما
الخبر عن هرمه وان موته خير من كونه مع الظعن في جملة النساء وقوله زنادكم ورية الزناد
جمع الزند والزندة وهما عودان تقدح بهما النار فاحدهما فرض وهي ثقب فالتي فيها الفروض
هي الانثى والذي يقدح بطرفه هو الذكر فيسمى الزند الاب والزندة الام وكنى بزنادكم ورية

عن بلوغهم مرادهم تقول العرب وريت بك زنادي اي نلت بك ما احب من النجح والنجاة
ويقال للرجل الكريم واري الزناد فاما التحية فهي الملك فكانه قال من كل ما نال الفتى قد نلته الا الملك
وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء والبازل الناقة التي قد بلغت تسع سنين فهي اشد ما يكون
ولفظ البازل يقع على الناقة والجمل سواء والكوماء العظيمة السنام والولية برذعة تطرح على ظهر البعير تلي
جلده والبجال الذي يبجله قومه ويعظمونه ومعنى يهادى بالعشية اي يماشيه الرجال فيسندونه
لضعفه والتهادي المشي الضعيف وقوله أسبات فالسبات سكون الحركة وقيل مسبوت والخفات
الضعف يقال خفت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض او جوع والمفجع الذي فجع بولده او قرابته
والحران العطشان الملتهب وهو ههنا المحزون على قتلاه ومما يروى لزهير بن جناب اذا ما شئت
ان تسلى حبيبا فاكثر دونه عدد الليالي فما سلى حبيبك مثل ناي ولا بلى جديدك كابتذالي

مجلس آخر ومن المعمرين ذو الاصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة
بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن قيس بن
عيلان بن مضر وانما سمي الحرث عدوان لانه عدا على اخيه فهم فقتله وقيل بل فقأ عينه وقيل
ان اسم ذي الاصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنى ابا عدوان
وسبب تلقيبه بذي الاصبع ان حية نهشته على اصبعه فشلت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائة وسبعين سنة
وقال ابو حاتم انه عاش ثلثمائة سنة وهو احد حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان اثرم
عنه لا يبعدن عهد الشباب ولا لذاته ونباته النضر لولا اولئك ما حفلت متى عوليت في حرجي
للحجري هزئت هذيلة ان رأت هرمي وان انحنى لتقادم ظهري وكان لذي الاصبع بنات
اربع فعرض عليهن ان يزوجهن فابين وقلن خدمتك وقربك احب الينا ثم اشرف عليهن
يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منا ما في نفسها فقالت الكبرى الا هل اراها ليلة
وضجيعها اشم كنصل السيف غير مهند عليم بادواء النساء واصله اذا ما انتمى في سر اهلي
ومحتدي ويروى عين مهند ويروى من سر اصلي ومحتدي فقلن لها انت تريدين ذا قرابة
قد عرفته ثم قالت الثانية الا ليت زوجي من اناس اولي غنى حديث الشباب طيب الثوب والعطر

السابع عشر

حكاية بنات ذي الاصبع

لصوق

لصوق باكباد النساء كانه خليفة جان لا ينام على وتر ويروى لا ينام على هجر فقلن لها انت
تريدين فتى ليس من اهلك ثم قالت الثالثة الا ليته يكسى الجمال نديه له جفنة تشقى بها المعز والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة تشين فلا فان ولا ضرع غمر فقلن لها انت تريدين سيدا شريفا
وقلن للرابعة قولي فقالت لا اقول شيئا فقلن يا عدوة الله علمت ما في انفسنا ولا تعلمينا
ما في نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت مثلا فزوجهن اربعتهن فمكثن
حولا ثم اتى الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك فقالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة
قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب البانها جرعا ويروى جرعا بالراء ونأكل لحمانها مزعا
وتحملنا وضعفتنا معا فقال يا بنية زوج كريم ومال عميم ثم اتى الثانية فقال يا بنية كيف ترين زوجك
قالت خير زوج يكرم اهله وينسى فضله قال وما مالكم قالت البقر تألف الفناء وتملأ الاناء
وتودك السقاء ونساء مع النساء فقال حظيت ورضيت ثم اتى الثالثة فقال يا بنية كيف ترين بعلك
فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها
فطما ونسلخها ادما ويروى دما بالفتح لم نبغ بها نعما فقال لها جذوة مغنية ويروى جدوى مغنية
ثم اتى الصغرى فقال يا بنية كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم
قالت شر مال قال وما هو قالت الضأن جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن
وامر مغويتهن يتبعن فقال ابوها اشبه امرأ بعض بزه فمضت مثلا اما قول الحدى بناته في
الشعر اشم فالشمم هو ارتفاع ارنبة الانف وورودها يقال رجل اشم وامرأة شماء وقوم
شم قال حسان بن ثابت بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاول فالشمم
الارتفاع في كل شيء فيحتمل ان يكون اراد حسان بشم الانوف ما ذكرناه من ورود الارنبة لان
ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز ان يريد بذلك الكناية عن تنزههم وتباعدهم عن دنايا
الامور ورذائلها وخص الانوف بذلك لان الحمية والغضب والانفة فيها ولم يرد طول انافهم وهذا
اشبه بان يكون مراده لانه قال اول البيت بيض الوجوه ولم يرد بياض اللون في الحقيقة وانما
كنى بذلك عن نقاء اعراضهم وجميل اخلاقهم وافعالهم كما يقول القائل جاءني فلان بوجه ابيض

وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا وانما يعني ما ذكرناه وقوله المرام ثم كنصل السيف يحتمل الوجهين
احدهما ومعنى قول حسان من الطراز الاول اي فعالهم افعال آبائهم وسلفهم وانهم لم يحدثوا اخلاقا
مذمومة لا تشبه نجارهم واصولهم وقوله عين مهند اي هو المهند بعينه كما يقال هو هذا بعينه وعين
الشيء نفسه وعلى الرواية الاخرى غير مهند اي ليس هو السيف المنسوب الى الهند في الحقيقة وانما
هو مشبه به في مضائه وقولها من سراة اهلي اي من اكرمهم واخلصهم يقال فلان في سر قومه اي في
حسبهم وشرفهم وسر الوادي اطيبه ترابا والمحتد الاصل وقول الثانية اولي عدى فانما معناه ان يكون
لهم اعداء لان من لا عدو له هو الفسل الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس
هو المحسد المعادى وقولها لصوق باكباد النساء يعني في المضاجع ويحتمل ان يكون
ارادت في المحبة والمودة وكنت بذلك عن شدة محبتهن له وميلهن اليه وهو اشبه وقولها
كانه خليفة جان اي كانه حية لاصوفه والجان جنس من الحيات فخففت لضرورة الشعر وقول
الثالثة يكبي الجمال نديه فالندي هو المجلس وقولها لم حكمات الدهر تقول قد احكمته التجارب وجعلته
حكيما فاما الضرع فهو الضعيف والغمر الذي لم يجرب الامور وقول الكبرى يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة
فالحليلة هي امراة الرجل والوسيلة الحاجة وقولها تشرب البانها جزعا فالجزع جمع جزعة وهو الماء
القليل يبقى في الاناء وقولها مزعا المزعة البقية من دسم ويقال ما له جزعة ولا مزعة هكذا ذكره ابن
دريد بالضم في جزعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جزعة واذا كسرت فينبغي ان يكون تشرب البانها
جزعا وتكسر المزعة ايضا ليزدوج الكلام فيقول وتاكل لحمانها مزعا فان المزعة بالكسر هي القطعة من الشحم
والمزعة بالكسر ايضا من الريش والقطن وغير ذلك كالمزعة من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقيق
يقال انه ليكاد يتمزع من الغيظ ومزع الظبي في عدوه يمزع مزعا اذا اسرع وقولها مال عميم اي كثير
وقول الثانية يوديك السقا من الودك الذي هو الدسم وقول الثالثة يولدها فطما الفطم جمع فطيم
وهو المقطوع من الرضاع وقولها تلحمها ادما والادم جمع ادام وهو الذي يؤكل تقول لو انا
نطعمناها عند الولاد وسلحناها للادم من الحاجة لم نشبعها انعما وعلى الرواية الاخرى ادما من
الاديم وهو الجلد وقولها مغبة فالحذوة القطعة وقول الصغرى جوف لا يشبعن فالجوف جمع جوفاء وهي

العظيمة

العظيمة الجوف والهيم العطاش لا ينقعن اي لا يروين ومعنى قولها وام مغويهن يتبعن اي القطيع
من الضان تمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن كلهن اتباعا لها والضان توصف
بالبلادة اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة
عن يونس قال ابن دريد اخبرنا ابو العكلي عن ابن ابي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال حدثني
سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس الى
فرائضهم فاتيناه فقال من القوم قلنا من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك
عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض ومنهم كانت
السادات والموفون بالقرض ومنهم حكم يقضي ولا ينقض ما يقضي ومنهم من يجير الناس بالسنة
والفرض ثم اقبل على رجل كنا قدمناه امامنا جسيم وسيم فقال ايكم يقول هذا الشعر فقال لا ادري
فقلت انا من خلفه يقوله ذو الاصبع فتركني واقبل على ذلك الجسيم فقال وما كان اسم ذي
الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه اسمه حرثان فاقبل عليه وتركني فقال ولم سمي ذا الاصبع
فقال لا ادري فقلت انا من خلفه نهشته حية على اصبعه فاقبل عليه وتركني فقال من ايكم كان فقال
لا ادري فقلت انا من خلفه من بني ناج فاقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائة ثم اقبل
علي فقال كم عطاؤك فقلت اربعمائة فقال يا ابا الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلثمائة وزدها في
عطاء هذا فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه اربعمائة وفي رواية اخرى انه لما قال من ايكم كان
فقال لا ادري فقلت انا من خلفه من بني ناج الذين يقول فيهم الشاعر واما بنو ناج فلا تذكرنهم ولا
تتبعن عينيك من كان هالكا اذا قلت معروفا لتصلح بينهم يقول وهيب لا احاول ذلكا فاضحى
كظهر العود جب سنامه يدب الى الاعداء احدب باركا ويروى فاضحى كظهر العود جب سنامه
تحوم عليه الطير احدب باركا وقد رويت هذه الابيات لذي الاصبع ايضا ومن ابيات ذي الاصبع
ايضا قوله اكاشر ذا الضغن المبين منهم فاضحك حتى يبدو الناب اجمع واهدئه بالقول هدءا ولو يرى
سريرة ما اخفي لبات يفزع معنى اهدئه اسكنه ومن قوله ايضا اذا ما الدهر جر على اناس شراشره
اناخ باخرينا فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا معنى الشراشر ههنا الثقل

ويقال القى عليه شراشره وجراميزه اي ثقله ومن قوله ذهب الذين اذا رأوني مقبلا هشوا الي ورحبوا
بالمقبل وهم الذين اذا حملت حمالة ولقيتهم فكانني لم احمل ومن قوله ايضا وهي المشهورة لي ابن عم على
ما كان من خلق مختلفان فاقليه ويقليني ازرى بنا اننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته
دوني لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت دياني فتخزوني اني لعمرك ما بابي بذي غلق
عن الصديق ولا خيري بممنون ولا لساني على الادنى بمنطلق بالفاحشات ولا اغضي على الهون
ماذا علي وان كنتم ذوي رحمي ان لا احبكم اذ لم تحبوني يا عمرو ان لا تدع شتمي ومنقصتي اضربك
حيث تقول الهامة اسقوني وانتم معشر زيد على مائة فاجمعوا امركم طرا فكيدوني لا يخرج
القسر مني غير مابية ولا الين لمن لا يبتغي ليني كل امرئ صائر يوما لشيمته وان تخلق اخلاقا الى
حين قوله شالت نعامتنا معناه تنافرنا فصرت لا اطمئن اليه ولا يطمئن الي يقال
شالت نعامة القوم اذا جلوا عن الموضع وقوله لاه ابن عمك قال قوم اراد لله ابن عمك وقال
ابن دريد اقسم واراد والله ابن عمك وقوله عني اي علي والديان الذي يلي امره ومعنى تخزوني
اي فتسوسني والهون الهوان وقوله اضربك حيث تقول الهامة اسقوني قال الاصمعي العطش في
الهامة فاراد اضربك في ذلك الموضع اي على الهامة بحيث تعطش وقال اخرون العرب تقول ان
الرجل اذا قتل خرجت من راسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ
بثاره وهذا باطل ويجوز ان يعنيه ذو الاصبع على مذاهب العرب وقوله لا يخرج القسر مني غير مابية
فالقسر القهر اي ان اخذت قسرا لم ازدد الا اباء ومن المعمرين عمرو بن معدي كرب الحميري
من الذين عمروا قال ابن سلام قال عمرو بن معديكرب وقد طال عمره اراني كلما افنيت
يوما اتاني بعده يوم جديد يعود بياضه في كل فجر ويابى لي شبابي ما يعود ومن المعمرين الربيع
بن ضبع الفزاري ويروى انه بقي الى ايام بني امية ويروى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له
يا ربيع اخبرني عما ادركت من العمر والمدى ورايت من الخطوب الماضية قال انا الذي اقول ها انا ذا
امل الخلود وقد ادرك عقلي ومولدي حجرا قال عبد الملك قد رويت هذا الشعر من شعرك
وانا صبي قال وانا القائل اذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة والفتاء قال قد رويت

هذا من شعرك

هذا من شعرك وانا غلام وابيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي
سنة في فترة عيسى وعشرين ومائة سنة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام قال اخبرني عن فتية
من قريش متواطئي الاسماء فقال سل عن ايهم شئت قال اخبرني عن عبد الله بن عباس قال فهم وعلم و
عطاء معذم ومقرى ضخم قال فاخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم وطول كظم وبعد من الظلم قال
فاخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضررها
قال فاخبرني عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر ينحدر منه الصخر قال لله درك يا ربيع ما
اعرفك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري قال المرتضى رضي الله عنه ان كان هذا الخبر صحيحا فيشبه ان
يكون سؤال عبد الملك له انما كان في ايام معوية لا في ايام ولايته لان الربيع يقول في الخبر عشت
في الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحا فلا بد
مما ذكرناه فقد روي ان الربيع ادرك ايام معوية ويقال ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال ابلغ
بني بني ربيع فاشرار البنين لكم فداء باني قد كبرت ودق عظمي فلا تشغلكم عني النساء
وان كنائني لنساء صدق وما الى بني ولا اساؤوا اذا كان الشتاء فادفئوني فان الشيخ يهدمه
الشتاء واما حين يذهب كل قر فسربال خفيف او رداء اذا عاش الفتى مائتين عاما فقد
ذهب اللذاذة والفتاء وقال حين بلغ مائتين واربعين سنة اصبح مني الشباب قد حسرا
ان ينا عني فقد ثوى عصرا ودعنا قبل ان نودعه لما قضى من جماعنا وطرا ها انا ذا امل
الخلود وقد ادرك عقلي ومولدي حجرا ابا امرئ القيس هل سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والذئب اخشاه ان مررت به
وحدي واخشى الرياح والمطرا من بعد ما قوة اطول بها اصبحت شيخا اعالج الكبرا قوله
حذم اي سريع وكل شيء اسرعت فيه فقد حذمته وفي الحديث اذا اذنت فترسل واذا اقمت
فاحذم اي اسرع والمقري الاناء الذي يقرى فيه وقوله فما الى بني ولا اساؤوا اي لم يقصروا والالى
المقصر مجلس اخر ومن المعمرين ابو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة
بن القين قال ابو حاتم عاش ابو الطمحان مائتي سنة فقال في ذلك حنتني حانيات الدهر حتى كاني

ابي الطمحان القيني

خائل ادنو لصيد، قصير الخطو يحسب من راني، ولست مقيدا اني بقيد، ويروى قريب الخطو ا
ابوحاتم حدثني عدة من اصحابنا انهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين وينشد ابهم
تقارب خطو رجلك يا دويد، وقيدك الزمان بشر قيد، وهو القائل ايضا، ولي من القوم الذين
هم هم، اذا مات منهم ميت قام صاحبه، نجوم سماء كلما غار كوكب، بدا كوكب تاوي اليه كواكبه،
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم، دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه، وما زال منهم حيث كان
مسود، تسير المنايا حيث سارت كتائبه، ومعنى البيتين الاولين يشبه قول اوس بن حجر
اذا مقرم منا ذرا حد نابه، تخمط فينا ناب اخر مقرم، ولطفيل الغنوي مثل هذا المعنى وهو قوله
كواكب دجن كلما انقض كوكب، بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب، وقد اخذ الخزيمي هذا المعنى
فقال اذ الفهر منا تغور ادجنا، بدا قمر في جانب الافق يلمع، ومثل ذلك خلافة اهل الارض فينا وراثة
اذا مات منا سيد قام صاحبه، ومثله اذا سيد منا مضى لسبيله، اقام عمود الملك اخر سيد،
وكان مزاحما العقيلي نظر الى قول ابي الطمحان وقد احسن كل الاحسان اضاءت لهم احسابهم ووجوههم
في قوله، وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها، صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي، ويقارب ذلك
قول عبيد بن المضرب الكندي، اضاءت لهم احسابهم فتضاءلت، لنورهم الشمس المنيرة والبدر،
وانشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيت ابي الطمحان من البيض الوجوه بني سنان، لو انك تستضي
بهم اضاؤا، هم حلوا من الشرف المعلى، ومن كرم العشيرة حيث شاؤا، فلو ان السماء دنت
لمجد ومكرمة دنت لهم السماء، وابو الطمحان القائل، اذا كان في صدر ابن عمك احنة فلا
تستثرها سوف يبدو دفينها، وهو القائل اذا شاء راعيها استقى من وقيعة كعين الغراب
صفوها لم يكدر، ويروى صفوها لم يكدر، والوقيعة المستنقع في الصخرة للماء، ويقال
للماء اذا زل عن صخرة فوقع في بطن اخرى هو ماء الوقائع، وانشد والذي لرمة، ونلنا سقاطا
من حديث كانه جنى النحل ممزوجا بماء الوقايع، ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء
الحشرج وللذي يجري بين الحصباء والرمل ماء المفاصل، وانشد والابي ذويب مطافيل
ابكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل، وانشد ابو محلم السعدي لابي الطمحان

بني اذا ما سامك الذل قاهر عزيز فبعض الذل اتقى واحرز، ولا تحم من بعض الامور تعززا فقد يورث
الذل الطويل التعزز، وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معوية الجعفري ويروى لابي الطمحان
ايضا في هذا المعنى، يا رب مظلمة يوما لطت لها، تمضي علي اذا ما غاب نصاري، حتى اذا ما
انقضت عني غيابتها، وثبت فيها وثوب المخدر الضاري، ومن المعمرين ايضا عبد المسيح بن
بقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة وبقيلة اسمه ثعلبة وقيل
الحرث وانما سمي بقيلة لانه خرج في بردين اخضرين على قومه فقالوا له ما انت الا بقيلة فسمي
بذلك وذكر الكلبي وابو مخنف وغيرهما انه عاش ثلثمائة وخمسين سنة وادرك الاسلام فلم يسلم
وكان نصرانيا ويروى ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه اهلها ارسل اليهم
ابعثوا الي رجلا من عقلائكم وذوي اسنانكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن بقيلة فاقبل يمشي حتى
دنا من خالد فقال له انعم صباحا ايها الملك فقال قد اغنانا الله عن تحيتك هذه فمن اين اقصى
اثرك ايها الشيخ قال من ظهر ابي قال فمن اين خرجت قال من بطن امي قال فعلام انت قال على الارض
قال ففيم انت قال في ثيابي قال اتعقل لا عقلت قال اي والله واقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل
واحد قال خالد ما رايت كاليوم قط اني اساله عن الشيء وينحو في غيره قال ما انبأتك الا عما سالت
فسل عما بدا لك قال اعرب انتم ام نبيط قال عرب استنبطنا ونبيط استعربنا قال فحرب انتم ام
سلم قال بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجي الحليم وينهاه
قال كم اتى لك قال خمسون وثلثمائة سنة قال فما ادركت قال ادركت سفن البحر ترفا الينا في
هذا الجرف ورايت المراة من اهل الحيرة تضع مكتلها على راسها لا تزود الا رغيفا واحدا حتى تاتي
ارض الشام ثم اصبحت خرابا يبابا وذلك داب الله في البلاد والعباد قال ومعه سم ساعة
يقلبه في كفه فقال له خالد ما هذا في كفك قال هذا السم قال وما تصنع به قال ان كان عندك
ما يوافق قومي واهل بلدي حمدت الله وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم ذلا
وبلاء اشربه واستريح من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فاخذه ثم قال بسم الله
وبالله رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء ثم اكله فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره

طويلا ثم عرق فافاق كانما انشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه فقال قد جئتكم من عند شيطان اكل
سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم واخرجوهم عنكم فان هذا امر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة
الف درهم وانشا ابن بقيلة يقول، ابعد المنذرين ارى سواما، تروح بالخورنق والسدير، تحاماه
فوارس كل قوم، مخافة ضيغم عالي الزئير، وصرنا بعد هلك ابي قبيس، كمثل الشاء في اليوم المطير،
بدا بابا قابوس فصغر، بتفي لكمثل المعز تقسمنا القبائل من معد، علانية كايسار الجزور، نودي
الخرج بعد خراج كسرى، وخرج من قريظة والنضير، كذاك الدهر دولته سجال، فيوم من مساءة
او سرور، ويقال ان عبد المسيح بن بقيلة لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر ابن بقيلة قال لقد
بنيت للحدثان حصنا لو ان المرء تنفعه الحصون، طويل الراس اقعس مشمخرا لانواع الرياح به حنين
ومما يروى لعبد المسيح بن بقيلة قال، والناس ابناء علات فمن علموا ان قد اقل فمجفو ومحقور
وهم بنون لام ان راوا نشبا، فذاك بالغيب محفوظ ومخفور، والخير والشر مقرونان في قرن
فالخير متبع والشر محذور، وهذا يشبه قول اوس بن حجر، بني ام ذي المال الكثير يرونه وان
كان عبدا سيد القوم جحفلا، وهم لمقل المال اولاد علة، وان كان محضا في العمومة مخولا، وذكر
ان بعض مشايخ اهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط دارا فلما احتفر موضع الاساس وامعن في
الاحتفار اصاب كهيئة الكهف فدخله فاذا رجل على سرير من رخام وعند راسه كتابة انا عبد المسيح بن بقيلة
حلبت الدهر اشطره حياتي، ونلت من المنى بلغ المزيد، وكافحت الامور وكافحتني فلم احفل بمعضلة
كئود، وكدت انال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل الى الخلود، ومن المعمرين النابغة الجعدي واسمه
قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويكنى
ابا ليلى ويروى ابو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي اسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك
قوله تذكرت والذكرى تهيج على الهوى، ومن حاجة المحزون ان يتذكرا، ندامامي عند المنذر بن
محرق، ارى اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا، كهول وفتيان كان وجوههم، دنانير مما شيف في ارض
قيصرا، فهذا يدل على انه كان مع المنذر بن محرق والنابغة الذبياني كان مع النعمن بن المنذر بن
محرق فهو اشيف يعني جلي والمشوف المجلو ويقال ان النابغة غبر ثلثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات

وهو ابن مائة وعشرين سنة باصبهان وكان ديوانه بها وهو الذي يقول فمن يك سائلا عني
فاني من الفتيان ايام الختان، وايام الختان ايام كانت للعرب قديمة هلج بها فيهم مرض انوفهم
وحلوقهم، مضت مائة لعام ولدت فيه، وعشر بعد ذاك وحجتان، فابقى الدهر والايام مني
كما ابقى من السيف اليماني، تفلل وهو ماثور جراز، اذا جمعت بقائمه اليدان، وقال ايضا في طول عمره
لبست اناسا فافنيتهم، وكان الاله هو المستاسا، يعني المستعاض ويروى هشام بن محمد
الكلبي انه عاش مائة وثمانين سنة ويروى ابن دريد عن ابي حاتم في موضع اخر ان النابغة الجعدي
عاش مائتي سنة وادرك الاسلام ويروى له، قالت امامة كم عمرت زمانة، وذبحت من عتر على
الاوثان، العتر الشاة تذبح لاصنامهم في رجب الجاهلية، ولقد شهدت عكاظ قبل محلها
فيها وكنت اعد من الفتيان، والمنذر بن محرق في ملكه، وشهدت يوم هجاين النعمان، وعمرت حتى
جاء احمد بالهدى، وقوارع تتلى من القران، ولبست من اسلام ثوبا واسعا، من سيب لا حرم ولا منان
وله ايضا يقول في طول عمره، المرء يهوى ان يعيش، وطول عمر ما يضره، يفنى بشاشته ويبقى بعد حلو
العيش مره، وتتابع الايام حتى لا يرى شيئا يسره، كم شامت بي ان هلكت، وقائل لله دره، ويروى
ان النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فانشدته، بلغنا السماء مجدنا وجدودنا، وانا
لنرجو فوق ذلك مظهرا، فقال له ابن المظهر يا ابا ليلى قلت الجنة يا رسول الله فقال اجل ان شاء الله
ثم انشدته، فلا خير في حلم اذا لم يكن له، بوادر تحمي صفوه ان يكدرا، ولا خير في جهل اذا لم يكن له، حليم
اذا ما اورد الامر اصدرا، فقال لا يفضض الله فاك وفي رواية اخرى عن بعضهم لا يفضض فوك
فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم تسقط له سن ولا ضرس وفي رواية اخرى عن بعضهم
قال فرايته قد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية نبتت له اخرى مكانها وهو من احسن
الناس ثغرا معنى ترف تبرق وكان الماء يقطر منها قال المرتضى رضي الله عنه ومما يشاكل قوله الى الجنة في جواب قول
النبي صلى الله عليه وسلم الى اين المظهر يا ابا ليلى وان كان يتضمن العكس من معناه ما روي من دخول الاخطل على عبد
الملك بن مروان مستغيثا من فعل الجحاف السلمي وانه انشده، لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله
منها المشتكى والمعول، فان لم تغيرها قريش بحلمها، يكن عن قريش مستمار ومزحل، فقال له عبد الملك
مستجار

الى ابن يابن الخنا فقال الى النار فقال لو قلت غيرها لقطعت لسانك فقوله الى النار تخلص مليح على البديهة كما تخلص الجعدي بقوله الى الجنة واول قصيدة الجعدي التي ذكرنا منها الابيات خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما احدث الدهر اوذرا ولا تجزعا ان الحياة قصيرة فطيرا لروعات الحوادث او قرا وان كان امر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا الم تعلما ان الملامة نفعها قليل اذا ما الشيء ولى وادبرا تهيج البكاء والملامة ثم ما يقرب منا غير ما كان قدرا لوى الله علم الغيب عمن سواه ويعلم منه ما مضى وتاخرا وفيها يقول وجاهدت حتى ما احس ومن معي سهيلا اذا ما لاح ثم تغورا اريد اني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معنى وفيها يقول ونحن اناس لا نعود خيلنا اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا وتنكر يوم الروع الوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون اشقرا وليس بمعروف لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكرا ان تعقرا واخبرنا المرزباني قال انشدنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي تلوم على هلاك البعير ظعينتي وكنت على لوم العواذل زاريا الم تعلمي اني رزيت محاربا فما لك منه اليوم شيء ولا ليا ومن قبله ما قد رزيت بوحوح وكان ابن امي والخليل المصافيا فتى كملت خيراته غير انه جواد فما يبقي من المال باقيا فتى تم فيه ما يسر صديقه ويروى كان فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا اشم طويل الساعدين سميدع اذا لم يرح المجد اصبح غاديا ومما يروى للنابغة الجعدي عقيلية او من هلال بن عامر بذي الرمث من وادي المنار خيامها اذا ابتسمت في الليل والليل دونها اضاء دجى الليل البهيم ابتسامها وذكر الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء قال سال الفرزدق بن غالب عن النابغة الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده مطرف بالف وخمار بواف قال الاصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة في كلام اسهل من الزلال واشد من الصخر اذ لان فذهب ثم انشد له سما لك هم ولم تطرب وبت ببث ولم تنصب وقالت سليمى ارى راسه كناصية الفرس الاشهب وذلك من وقعات المنون فغيبي الكياب ولا تعجبي اتين على اخوتي سبعة وعدن على ربعي الاقرب فادخلك الله برد الجنان جذلان في مدخل طيب فلان كلامه حتى لوان ابا الشغمو قال هذا



البيت كان رديا ضعيفا قال الاصمعي وطريق الشعر اذا ادخلته في باب الخير لان الا ترى ان حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر وغيرهما لان شعره **مجلس اخر مسئلة** يتعلق بما ذكرناه ان سال سائل فقال كيف يصح ما اوردتموه من تطاول الاعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل اليه ومنهم من ينزل في انكاره درجة فيقول انه وان كان جائزا من طريق القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات وان العادات اذا وثق الدليل بانها لا تنخرق الا على سبيل الابانة والدلالة على صدق نبي من الانبياء علم ان جميع ما روي من زيادة الاعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت الى مثله الجواب قيل له اما من ابطل تطاول الاعمار من حيث الاحالة واخرجه من باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز ان يكون حيا وغير حي حيا وان شئت ان تقول هو استمرار كون الحي الذي لكونه على هذه الصفة ابتداء حيا وانما شرطنا الاستمرار لانه يبعد ان يوصف من كان حالة واحدة حيا بان له عمرا بل لا بد من ان يراعى في ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا جواز ان يكون غير حي او يكون حيا ابتداء احترازا من ان يلزم عليه القديم تعالى لانه جلت عظمته ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حيا وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما يحتاج اليه الحياة من البنية ومن المعاني ما يختص به عز وجل فلا يدخل الا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها فمتى فعل تعالى الحياة وما تحتاج اليه من البنية وهي مما يجوز عليه البقاء وكذلك ما يحتاج اليه فليس ينتفي الا بضد يطرء عليها او بضد ينفي ما تحتاج اليه والاقوى انه لا ضد لها في الحقيقة وانما ادعى قوم ان لما تحتاج اليه ضدا ولو كان للحياة ضد على الحقيقة لم يخل بما نقصده من هذا الباب فيما لم يفعل القديم تعالى ضدها ولا ضد ما تحتاج اليه ولا نقض ما نقض بنية الحي استمر كون الحي حيا ولو كانت الحياة ايضا لا تبقى على مذهب من راى ذلك لكان ما قصدناه صحيحا لانه تعالى قادر على ان يفعلها حالا فحالا ويوالي بين فعلها وفعل ما تحتاج اليه فيستمر كون الحي حيا فاما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص

بنية الانسان فليس مما لا بد منه وانما اجرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا ايجاب هناك ولا تاثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادر على ان لا يفعل ما اجرى العادة بفعله واذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل وانما اتي من احال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حيا موجب عن طبيعة وقوة لهما مبلغ من المادة متى انتهتا اليه انقطعتا واستحال ان تدوما ولو اضافوا ذلك الى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الاستحالة فاما الكلام في دخول ذلك في العادة وخروجه عنها فلا شك في ان العادة قد جرت في الاعمار باقدار متقاربة يعد الزائد عليها خارقا للعادة الا انه قد ثبت ان العادات قد تختلف في الاوقات وفي الاماكن ايضا ويجب ان يراعى في العادة اضافتها الى من هي عادة له في المكان والوقت وليس يمتنع ان يقل ما كانت العادة جارية به على تدريج حتى يصير حدوثه خارقا للعادة بغير خلاف ولا ان يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع ان يكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الاعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدريج حتى صارت عادتنا الان جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الاعمار خارقا للعادة وهذه جملة فيما اوردناه كافية **باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يسميها قوم المسكتة** اعلم ان اجوبة المحاورة والمناظرة انما تحمد وتؤثر اذا جمعت مع الصواب سرعة الحضور فكم من جواب اتى بعد لاي وورد بعد تقاعس ولم يكن له في النفوس وقع والحل في القلوب محل الحاضر السريع وان كان المتثاقل اعرق في نسب الاصابة واخذ باطراف الحجة ولهذا قيل احسن الناس جوابا واحضرهم القريش ثم العرب وان الموالي تاتي اجوبتها بعد لاي وفكرة وروية وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدي لمعوية بن ابي سفيان وقد ساله عن البلاغة فقال ان تجيب فلا تخطي وتسرع فلا تبطي ثم اختصر ذلك فقال لا تخطي ولا تبطي ولطول الفكرة والاغراق في الروية مذهب واوان لا يحمد فيهما التسرع والتعجل كما لا يحمد في اوان السرعة التثاقل والتباطؤ وانما تحمد السرعة في اجوبة المحاورة والمناظرة وتراد الفكرة والروية للاراء المستخرجة والامور المستنبطة التي على الانسان فيها مهلة وله

فيها ما فسح ولا عيب عليه معها في اطالة التامل واعادة التصفح ولهذا قال الاحنف بصفين اغبوا الراي فان ذلك يكشف لكم عن محضه وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما ارادته الخوارج على الكلام حين عقدوا له الامر في الراي الفطير والكلام القضيب وسئل عمرو بن التوام الرقاشي فامسك عن الجواب وقال ما احب الخير الا بايتا فاما ما لم تلبث يعرفن في الاحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل احد فمحمول على اسراعه بالجواب عند الراي والمشاورة والاحوال التي تستحب فيها التابد والتثبت او على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا اشكال فيه **ثم نعود** الى ما قصدناه يروى ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم سالته متى يعرف الانسان ربه فقال عليه السلام اذا عرف نفسه ولقي رسول الله رجل فقال اني اكره الموت فقال عليه السلام الك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب كل امرئ عند ماله وقال يهودي لامير المؤمنين عليه السلام ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت اقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ويروى انه لما فرغ من دفن الرسول صلى الله عليه وسلم سال عن خبر السقيفة فقيل له ان الانصار قالت منا امير ومنكم امير فقال عليه السلام فهلا ذكرتم للانصار قول النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الامر فيهم والوصاة بهم وقال له ابن الكوا يا امير المؤمنين كم بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة وقيل له كم بين المشرق والمغرب فقال عليه السلام مسيرة يوم للشمس واثنى عليه رجل وكان له متهما فقال انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وكان عليه السلام اذا اطراه رجل قال اللهم انك اعلم بي منه وانا اعلم بنفسي فاغفر لي ما لا يعلم واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال حدثني ابو علي احمد بن اسمعيل قال حدثني ايوب بن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الانصار يقال له نفيع وكان عريضا فحضر باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمار له فتلقاه الحاجب بالبشر والاكرام واعظمه من كان هناك وعجل له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ قال او ما تعرفه قال لا قال هذا شيخ ال ابي طالب هذا موسى بن جعفر قال ما رايت اعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر ان يزيلهم عن السرير اما لئن خرج لاسوانه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هؤلاء اهل بيت قل ما تعرض لهم احد في خطاب الا وسموه في الجواب سمة يبقى عارها

عليه مكر الدهر قال وخرج موسى بن جعفر من طعام اليه تبع الانصاري فاخذ بلجام حماره ثم قال له من انت
قال له يا هذا ان كنت تريد النسب فانا ابن محمد حبيب الله ابن اسمعيل ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله
وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت
تريد المفاخرة فوالله ما رضوا مشركو قومي مسلمي قومك اكفاء لهم حتى قالوا يا محمد اخرج الينا اكفاءنا
من قريش وان كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين امر الله تعالى بالصلوة علينا في الصلوات
الفرايض في قوله اللهم صل على محمد وال محمد ونحن ال محمد خل عن الحمار فخلى عنه ويده ترعد وانصرف
يخزى فقال له عبد العزيز الم اقل لك وقيل ان معوية استشار الاحنف بن قيس في عقد البيعة
لابنه يزيد فقال انت اعلم بليله ونهاره وقال احمد بن يوسف لابي يعقوب الخريمي مدحك محمد بن منصور
اجود من مراثيك فيه فقال كنا نعمل للرجا واليوم للوفاء وبينهما بون ودخل مطيع بن اياس على الهادي
في جوقة المهنئة فدهش فقال السلم عليك يا امير المؤمنين فقيل له مه فقال بعد امير المؤمنين وقال معوية
ابن ابي سفيان لعقيل بن ابي طالب وكان جيد الجواب حاضره انا خير لك من اخيك فقال عقيل ان
اخي اثر دينه على دنياه وانت اثرت دنياك على دينك فاخي خير لنفسه منك وانت خير لي منه وقال
له يوما ان فيكم لشبقا يا بني هاشم فقال هو منا في الرجال ومنكم في النساء وقال له يوما وقد دخل عليه
هذا عقيل عمه ابو لهب فقال عقيل هذا معوية عمته حمالة الحطب وعمة معوية ام جميل بنت حرب بن امية
وكانت امراة ابي لهب وقال له يوما يا ابا يزيد ابن ترى عمك ابا لهب فقال له عقيل اذا دخلت النار
فانظر عن يسارك تجده مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر ايهما اسوء حالا الناكح ام المنكوح
وقال له ليلة الهرير بصفين يا ابا يزيد انت معنا الليلة فقال ويوم بدر كنت معكم وقيل لسعيد
بن مسيب وقد كف لا تقدح عينك قال حتى افتحها على من ودخل معن بن زائدة على المنصور
فقال له كبرت يا معن قال في طاعتك قال وانك لتجلد قال على اعدائك قال وان فيك لبقية قال
هي لك وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لاقتلنك قال لم يتحدث بها بعدك فقال مسلم
اشهد انك لا تدع سوء القتلة ولؤم الغدرة اذ لا احد اولى بهما منك وقال لعمرو بن العاص الا تنفرغ
لك قال اذا وضعت في الشغل الان وقال معوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالاشدق الى من

اوصى بك ابوك فقال ان ابي اوصى لي ولم يوص بي وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته
الوفاة الا اوصي بك فلانا فالله يعلم بك فقال يا ابه اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت
وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي انشدني بعض قولك في الخمر فانشده كميت اذا شجت وفي الكاس
وردة لها في عظام الشاربين دبيب فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان رابك
نعتي لها فقد رابني معرفتك بها ولما اتى معوية نعي الحسن بن علي صلوات الله عليهما بعث الى ابن
عباس وهو لا يعلم الخبر فقال له هل عندك خبر من المدينة قال لا قال اتانا نعي الحسن واظهر سرورا
فقال ابن عباس اذا لا ينسي الله اجلك ولا يسد حفرتك قال واحسبه قد ترك صبية صغارا قال
كلنا كان صغيرا فكبر قال واحسبه بلغ سنا قال مثل مولده لا يجهل قال معوية لو قال فانك اصبحت
سيد قومك قال اما وابو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلم حي فلا فلما كان من غد لقي يزيد بن
معوية ابن عباس وهو في المسجد يعزي فجلس بين يديه جلسة المعزي له واظهر حزنا وغما فلما انصرف
اتبعه ابن عباس بصره وقال اذا ذهب الحرب ذهب حلم قريش وروى ان وفودا دخلت على عمر
بن عبد العزيز فاراد فتى منهم الكلام فقال عمر ليتكلم اكبركم فقال الفتى ان قريشا لترى فيها من هو
اسن منك فقال له تكلم يا فتى وروى محمد بن سلام الجمحي قال انشد كثير عبد الملك بن مروان
على ابن ابي العاص درع حصينة اجاد المسدي نسجها فاذالها فقال له هلا قلت كما قال الاعشى
واذا تكون كتيبة ملمومة شهباء يخشى الذايدون نهالها كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف
تضرب معلما ابطالها فقال انه وصفني بالخرق ووصفتك بالحزم وشبه ذلك ما روى عن ابي
عمرو بن العلاء انه لقي ذا الرمة فقال له انشدني قصيدتك ما بال عينك منها الماء ينسكب فانشده
اياها فلما انتهى الى قوله تصغي اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى في غرزها تثب فقال له
ابو عمرو قول عمك الراعي احسن مما قلت وهو تلها اذا قام في غرزها كمثل السفينة او اوقر ولا تعجل
المرء عند الوروك وهي بركبته ابصر فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وانا وصفت ناقة
سوقة وحكى الصولي ان اعرابيا سمع ذا الرمة ينشد بيته الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل فاما
الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو نسع مضفور وقوله تصغي يريد تميل براسها كانها تسمع

لانها ليست بنفور بل مودبة مقومة والكور الرحل وقد اخذ هذا المعنى ابو نواس فاحسن نهاية الاحسان
فقال يصف الناقة في مدحه الخصيب بن عبد الحميد فكانها مصغ لتسمعه بعض الحديث باذنه وقر
فلم يرض بان وصفها بالاصغاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل في الاذن لان الثقيل السمع يكون اصغاؤه
وميله الى جهة الحديث اشد واوكد واني لاستحسن القصيدة التي من جملتها هذا البيت لدنو اوخدا
لابي نواس لا تتجاوز العشرين بيتا وقد نسب في اولها ثم وصف الناقة باحسن وصف ثم مدح الرجل الذي
قصد مدحه واقتضاه حاجته كان ذلك الطبع يتدفق ويرونق يترقرق وسهولة مع جزالة وهو القصيدة
يا منة امتنها السكر ما ينقضي مني لها الشكر اعطتك فولى مناسم من قبل قدكن قبل مزاجها او غير
يثني اليك بها سوالفه رشا صناعته السحر خلت حميا الكاس بسطتنا حتى تهتك بيننا الستر
الستر في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر اما قوله حلت الخمر فيحتمل ان يريد به
ان ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحصول المامول فيه صار مقتضيا لشرب الخمر
وملجئا الى تناولها ورافعا الحرج فيها على مذهب الشعراء في المبالغة وتكون فائدة وصفها بانها
حلت المبالغة في وصف كمال الحسن والطيب ويحتمل ايضا ان يكون عقد على نفسه والى ان
لا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع معه مخرجا من العزيمة على مذهب العرب في
تحريم الخمر على نفوسهم الى ان ياخذوا بثارهم ويجري ذلك مجرى قول الشنفرى حلت الخمر وكانت حراما
وبلاي ما المت تحل ويحتمل ايضا ان يريد بحلت نزلت واقامت من الحلول الذي هو المقام لا
الحلال وكانه وصف بلوغ جميع اربه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التي
فيها جميع اللذات وهذا الوجه وان لم يشر اليه احد ممن تقدم في تفسير هذا البيت فالقول يحتمله
ولا مانع له ان يكون مرادا وقد قيل انه اراد انا استحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا العقول التي كنا
نمتنع بها من الحرام والوجوه المتقدمة اشبه واقرب الى الصواب تتمة ولقد يجوب بي الفلاة
اذا صام النهار وقالت العفر اراد بصام وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول والعفر
الظباء اللواتي في الوانهن حمرة يخالطها كمودة وقالت من القايلة لا من القول شدنية رعت الحمى
فاتت ملاء الجبال كانها قصر شدنية منسوبة الى شدن وهو موضع باليمن يقال الملكه ذو

تثني على الحاذين ذا خصل تعمال الشذران والخطر الحاذ مؤخر الفخذ والشذران رفع الناقة
ذنبها من المرح والنشاط والخطر معروف من خطر يخطر وتعمال اي عملة اما اذا نصته شامذة
فتقول رتق فوقها النسر معنى شامذة اي مبالغة في رفع ذنبها ويقال رتق الطير اذا نشر جناحه طائرا
من غير تحريك اما اذا وضعته خافضة فتقول ارخى خلفها سترا وتشف احيانا فتحسبها مترسما
بقتادة اثرا معنى تشف اي تدني راسها من الارض والمترسم الذي يتبع الرسم ويتامله ومعنى
بقتادة اثرا اي هو معنى بطلب الاثر وموكل بتتبعه ويقال اثر واثر واثر ثلث لغات وقد وهم الصولي
في تفسير هذا البيت لانه قال ان ابا نواس جمع الاثر اثارا ثم جمع الاثار اثرا ثم خفف فقال
اثرا وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما اوردناه وانما ذهب عليه انه يقال في الاثر اثر وبعد هذه الابيات
فاذا قصرت لها الزمام سما فوق المقادم ملطم حر فكانها مصغ لتسمعه بعض الحديث
باذنه وقر تبري لانقاض اضر بها جذب البرى فخدودها صعر معنى تبري تعرض
لهذه الانقاض والانقاض جمع نقض وهو البعير الذي قد هزله السفر والكد والبرى جمع برة
وهو الحلقة تكون في انف البعير يذللها ترمي اليك بها بنو امل عتبوا فاعتبهم بك الدهر

انت الخصيب وهذه مصر فتدفقا وكلاكما بحر لا تقعدا بي عن مدى املي شيئا فما لكما
به عذر ويحق لي اذ صرت بينكما ان لا يحل بساحتي فقر مجلس اخر قال الشريف المرتضى رضي
ثم نعود الى ما كنا اخذنا فيه من ذكر مستحسن الجوابات روي ان رجلا نظر الى جعفر عليه السلم
راكبا وابو جعفر محمد بن علي يمشي فقال له اتركب وابو جعفر يمشي فقال هو امرني بذلك وانا
بطاعته في الركوب افضل من عصياني اياه بالمشي وروي ان دعاة خراسان صاروا الى ابي
عبد الله الصادق ع فقالوا له اردنا ولد محمد بن علي فقال اولئك بالسراة ولست بصاحبكم
فقالوا اراد الله بنا خيرا الست صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لابي عبد الله اردت
الخروج علينا فقال انا نحن نبذل عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم وقال عبد الملك
بن مروان لنصيب هل لك في شراب فقال له نصيب الشعر مغلغل واللون مرمد وانما قربني
اليك عقلي فهبه لي وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولى منهزما كر عليهم بالسيف

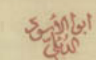
فقال لا طاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لاسوانك فقال وددت انك تقدر على ذلك
وقال يحيى بن خالد لشريك علمنا مما علمك الله يا ابا عبد الله قال له شريك اذا علمتم بما تعلمون
علمنا اكثر مما تجهلون وقال المامون لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال ما اجمد في حق ولا اذوب
في باطل وقيل لابي دواد الايادي ونظر الى بنت قوس فرسه اهنتها يا ابا دواد فقال اهنتها
بكرامتي كما اكرمها بهواني ومثل ذلك قول اعرابي لحقه ذل على باب السلطان: اهين لهم نفسي
لاكرمها بهم ولن تكرم النفس التي لا تهينها ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي
يجلس فيه فقام رجل الى المنصور فقال مظلوم يا امير المؤمنين فقال من ظلمك قال عمارة غصبني
ضيعتي فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخصم فقال الى كيف
فقال ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له ولا اقوم من مجلس قد شرفني
به امير المؤمنين لاقعد في ادنى منه بسبب ضيعة وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة سلني
حاجتك فقال لا اسال في بيت الله غير الله وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له
ان الله تعالى يقول قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا فقال
ذلك القليل نطلب وقد قيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهواما
فقال لاصحابه انا خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد ع فقال له ليقل كم هو
وكم الذكران منه والاناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحدة منهن وليامر الذي يسعى الى هذا الوجه
ان يرجع الى غيره فانقطع وهرب وقال المامون للفضل بن سهل اني اخاف عليك قوما ابغا دونك
فاذا ركبت فلا تركب الا في جيش فقال الفضل ما اخاف غيرك فان امنتني من نفسك لم يضرني انسان وقيل
لابي ثور ما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار فقال بينهما في العلم كما بينهما في الابوين
في الصرف واراد المامون تقبيل السواد وجلس بناظر العمال على ذلك فقام اليه رجل من الدهاقين فقال
يا امير المؤمنين ان الله عز وجل ولاك علينا بالامانة فلا تقبلنا فاضرب عن ذلك وقال رجل لابن
عباس تزوجني من فلانة وكانت يتيمة في حجره فقال لا ارضاها لك لانها تستشرف قال الرجل قد رضيت انا
فقال ابن عباس الآن لا ارضاك لها وشبه هذا الخبر قريب بخبر رواه المدايني قال رسل عمر بن عبد العزيز

رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس بن معوية المزني وبين القسم بن ربيعة الحوشني من
بني عبد الله بن غطفان فيولي القضاء احدهما فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال اياس للشامي
ايها الرجل سل عني وعن القسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين فمن اشارا عليك بتوليته فوله وكان
القسم يمر بابي الحسن وابن سيرين ولم يكن اياس ياتيهما فعلم القسم انه ان سالهما اشارا به فقال للشامي
لا تسال عني ولا عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياسا هو افضل مني وافقه واعلم بالقضاء فان كنت
عندك ممن يصدق فانه ينبغي لك ان تقبل مني وان كنت كاذبا فما يحل لك ان توليني وانا كاذب
فقال اياس للشامي انك جئت برجل فاقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار ان تقذفه فيها بيمين حلفها
كذب فيها يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي اما اذ فطنت لهذا فاني اوليك فاستقضاه
ولما امضى معوية بيعة يزيد جعل الناس يقرظونه فقال يزيد لابيه ما ندري انخدع الناس ام يخدعوننا
فقال معوية يا بني من تخادع لك ليخدعك فقد خدعته وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض
وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصار يقول ليتني كنت غسالا اعيش بما اكسب يوما بيوم فبلغ
ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى في الحين ما هم
فيه وقال الواثق للجاحظ يوما يا مثاني فقال لو كان الذي اضفته اليه عبدك ما قدرت على بيعه من
كثرة عيوبه فكيف اكون على دينه وقال ابن عباس رحمه الله للخوارج وقد ارسله امير المؤمنين ع اليهم نشدتكم
الله انما اعلم بالتنزيل والتاويل علي ام انتم فقالوا علي فقال البس تدرون لعل الذي حكم به فيكم
بفضل علمه على ما تعلمون فرجع اكثرهم وقال عتبة بن ابي سفيان لعبد الله بن العباس ما منع
علي بن ابي طالب ان يجعلك احد الحكمين فقال والله لو بعثني لاعترضت مدارج انفاسه الطير
اذا اسف واسيف اذا طار ولعقدت له عقدا لا تنقض مريرته ولا يبدي له طرفاه ولكنه سبق
قدر ومضى اجل والاخرة خير لامير المؤمنين من الدنيا وقال ابو جعفر محمد بن علي ع لكثير امدحت عبد الملك
بن مروان فقال لم اقل له يا امام الهدى انما قلت له يا شجاع والشجاع حية ويا اسد والاسد كلب
ويا غيث والغيث موات فتبسم ابو جعفر ع وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة
ما رايت الام من اصحابك اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم ياتوننا

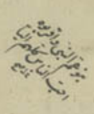
في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم وقيل لابرهيم النخعي متى كنت
قال جئت احتج الي وراى رجل رجلا يصلي صلوة خفيفة فقال له ما هذه الصلوة فقال صلوة
ليس فيها رياء اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابي الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد
النحوي قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند افضى الى اثاث لم ير مثله والات لم يسمع
بمثلها فاراد ان يري الناس عظيم ما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت
وفي صحنها قدور يرتقى اليها بسلاليم واذا الحصين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الرقاشي قد اقبل
والناس جلوس على مراتبهم والحصين شيخ كبير فلما راه عبد الله بن مسلم اخو قتيبة قال لقتيبة ائذن لي
في معاتبته فقال لا ترده فانه خبيث الجواب فابى عبد الله الا ان ياذن له وكان عبد الله يضعف
وكان قد تسور حايطا الى امراة قبل ذلك فاقبل على الحصين فقال امن الباب دخلت يا ابا ساسان
فقال اجل اسن عمك عن تسور الحيطان قال ارايت هذه القدور قال هي اعظم من ان لا ترى قال
ما احسب بكر بن وائل راى مثلها قال اجل ولا عيلان ولو راها سمي شبعان ولم يسم عيلان
فقال له عبد الله يا ابا ساسان من الذي يقول: عزلنا وامرنا وبكر بن وائل تجر خصاها تبتغي من
تحالف قال اعرفه واعرف الذي يقول: وخيبة من يخيب على غني وباهلة بن يعصر والرباب
قال اعرف الذي يقول كان فقاح الازد حول ابن مسمع وقد عرقت افواه بكر بن وائل قال اعرفه
واعرف الذي يقول: قوم قتيبة امهم وابوهم لولا قتيبة اصبحوا في مجهل قال اما الشعر فاراك
ترويه ولكن هل تقرأ من القران شيئا قال نعم اقرا منه الكثير الطيب هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فاغضبه فقال والله لقد بلغني ان امراة الحصين
حملت اليه وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله
وما يكون تلد غلاما على فراشي فيقال ابن الحصين كما يقال عبد الله بن مسلم فاقبل قتيبة
على عبد الله بن مسلم فقال لا يبعد الله غيرك ولقي الشريك النميري رجلا من بني
تميم فقال له التميمي يعجبني من الجوارح البازي فقال له شريك خاصة اذا صاد القطا
اراد التميمي بقول البازي قول جرير: انا البازي المطل على نمير اتيح من السماء لها انصبابا

واراد شريك بقوله اذا صاد القطا قول الطرماح: تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت
طرق المكارم ضلت وساير شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلته فتجاوزت
بغلته برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما اردت
ذاك فقال شريك ولا انا اردته ظن شريك ان عمر اراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير:
فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا وعنى شريك بقوله مكتوبة قوله
لا تامنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار ومعنى اكتبها اشددها وانشد
ابو تمام احمد بن المعتصم قصيدته السينية التي مدحه فيها فلما بلغ الى قوله: في حلم احنف
في شجاعة عامر في جود حاتم في ذكاء اياس فقال له الكندي وكان حاضرا ما صنعت شيا
قال وكيف قال لان شعراء دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الا ترى الى قول
العكوك في ابي دلف: رجل ابر على شجاعة عامر باسا وغبر في محيا حاتم فاطرق الطائي ثم
رفع راسه وانشد: لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس فالله قد
ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكوة والنبراس وقال ابن هبيرة لابي الاسد وكان مولى
لبني امية لما ظهرت المسودة لا تتخذن لك منهم عبدا صالحا يخدمك فلما علت كلمتهم
وفشت دعوتهم قال ابو الاسد لامه ليت الله قيض لي منهم مولى صالحا اخدمه وقال يحيى بن
خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك كاملة سوى حقد فيك فقال انا
خزانة تحفظ الخير والشر وقد نظر ابن الرومي الى هذا المعنى في قوله: وما الحقد الا
توام الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن الى بعض فحيث ترى حقدا على ذي اساءة
فثم ترى شكرا على حسن القرض اذا الارض ادت ريع ما انت زارع من البذر فيها
فهي ناهيك من ارض وقال الحجاج للحطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك قال ما
اقول في رجل انت خطيئة من خطاياه قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حال بيننا بين
ولدته وقد اعطيت الله عهدا ان سالتني لاصدقنك ولئن عذبتني لاصبرن لك
ولئن خليت عني بعد لاطلبنك فامر بقتله اما البين فهي القطعة من الارض قال ابن مقبل

بسر وحمير ابوال البغال به اتى تدبت وهنا ذلك البينا وقيل لابي العناهية لما قال
عتبت ما الخبال الخبر بتى وما لى خرجت من العروض قال انا اكبر من العروض وقال
عبد الملك بن مروان للهيثم بن الاسود ما مالك قال القوام من العيش وغنى عن الناس قيل
له لم تخبره فقال ان كان كثيرا حسدني وان كان قليلا ازدراني واغتاب الاعمش رجلا
من اصحابه فطلع الرجل على تفيئة ذلك فقال له رجل من اصحابه قل له ما قلته حتى لا تكون غيبة
فقال له الاعمش بل قل له انت حتى يكون نميمة وقال معوية لعمرو بن العاص هل غششتني منذ نصحتني
قال لا قال بلى يوم اشرت على بمبارزة علي بن ابي طالب وانت تعلم من هو فقال عمرو دعاك
رجل عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما ان تقتله فقد
قتلت قتال الاقران وازددت شرفا الى شرفك وخلوت بملكك واما ان يقتلك فتعجل
مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين فقال معوية لهذا اشد علي من الاولى فقال
عمرو فكنت من جهادك في شك فتوب منه الساعة فقال دعني منك الان وقيل
للاحنف بن قيس وقد راى مسيلمة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنبي صادق ولا بمتنبي



حاذق وروى المبرد قال قال زياد لابي الاسود الدئلي لولا انك كبرت لاستعنا بك
في بعض امورنا فقال ان كنت تريدني للصراع فليس عندي وان كنت تريد عقلي ورايي
فما اوفر واقوى ما لهما وكان ابو الاسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح النادرة
وروى عن الشعبي انه قال قاتل الله ابا الاسود الدئلي ما كان اعف اطرافه واحضر جوابه
دخل على معوية بالنخيلة فقال له معوية اكنت ذكرت الحكومة قال نعم قال فما كنت صانعا
قال كنت اجمع الفا من المهاجرين وابنائهم والفا من الانصار وابنائهم ثم اقول يا معشر من حضر
ارجل من المهاجرين احق ام رجل من الطلقاء فلعن معوية فقال الحمد لله الذي كفاناك وقد روى
ان ابا الاسود طلب ان يكون في الحكومة وقال لامير المؤمنين ع في وقت الحكمين يا امير المؤمنين
لا ترض بابي موسى فاني قد عجمت الرجل وبلوته وحلبت اشطره فوجدته قريب القعر
مع انه يماني وما ادري ما يبلغ من نصحه فابعثني فانه لا يحل عقدة الا عقدت له اشد منها



وانهم قد رموك بحجر الارض فان قيل انه لا صحبة لي فاجعلني ثاني اثنين فليس صاحبهم الا من
تقرب وكان في الخلاف عليهم كالنجم فابى ع عليه وروى محمد بن يزيد النحوي ان ابا الاسود
كان نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا فكانوا
يرمونه بالليل فاذا اصبح شكى ذلك فشكا مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك
فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما اخطاني وقال لهم يوما يا بني قشير ما في العرب احب الي
طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم
امرا علمت انه رشد فاتبعته فنازعوه في الكلام فانشا يقول يقول الارذلون بنو قشير
طوال الدهر لا تنسى عليا احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة والوصيا احبهم
لحب الله حتى اجئ اذا بعثت على هويا فان يك حبهم رشدا اصبه ولست بمخطئ ان
كان غيا فقالوا له شككت يا ابا الاسود فقال الم تسمعوا الله تع يقول وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين افترون الله تع شك اما قوله هويا فانه لغة هذيل يقولون ذلك في كل
مقصور مثل الهوى والعصى والتقى قال ابو ذويب الهذلي سبقوا هوي واعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع وروى ان ابا الاسود دخل على معوية يوما فقال له اصبحت
جميلا يا ابا الاسود فلو علقت عليك تميمة تدفع عنك العين فقال افنى الشباب الذي
فارقت بهجته كر الجديدين من ات ومنطلق لم يتركا لي في طول اختلافهما شيئا اخاف
عليه لذعة الحدق وروى انه دخل يوما السوق يشتري ثوبا فقال له رجل هلم افاديك
في هذا الثوب فقال ان لم تفادني باعدتك ثم قال له بكم هو قال قد اعطيت به كذا وكذا
قال انما تخبرني عما فاتك وروى انه كان ماشيا في طريق فقال له راكب الطريق الطريق فقال
له عن الطريق تعدلني مرض ابو الاسود فقيل له هوا امر الله فقال ذاك اشد له وقيل ان امراة
ابي الاسود خاصمته الى زياد في ولدها فقالت ايها الامير ان هذا الرجل يريد ان يغلبني
على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له فناء فقال ابو الاسود بهذا تريدين
ان تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل ان تحمليه ووضعته قبل ان تضعيه قالت ولا سواء

انك حملته خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال له زياد انها امراة عاقلة
يا ابا الاسود فادفع ابنها اليها فاخلق ان تحسن ادبه وقال رجل لابي الاسود انت والله
ظريف لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسلم
عليه اعرابي يوما فقال ابو الاسود كلمة مقولة فقال اتاذن لي في النزول فقال وراءك اوسع
لك وقال فهل عندك شي قال نعم قال اطعمني قال عيالي احق به منك قال ما رايت الام منك
قال نسيت نفسك وسال رجل شيئا فمنعه فقال يا ابا الاسود ما اصبحت حاتميا فقال بلى
والله قد اصبحت حاتميا من حيث لا تدري اليس حاتم الذي يقول اماوي اما مانع فمبين
واما عطاء لا ينهنهه الزجر اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابرهيم بن محمد
بن عرفة النحوي قال لما ولي سليمن بن عبد الملك الخلافة اتى بيزيد بن ابي مسلم مولى الحجاج في جامعة
وكان رجلا دميما تزدريه العين فلما راه سليمان قال لعن الله من اجرك رسنك وولاك

الاهتم

فقال يا امير المؤمنين رايتني والامر عني مدبر ولو رايتني وهو علي مقبل لاستعظمت
ما استصغرت ولاستجللت ما استحقرت فقال له سليمان اين ترى الحجاج ايهوي
في النار ام قد استقر فقال يا امير المؤمنين لا تقل كذا فان الحجاج قمع لكم الاعداء ووطا لكم المنابر
وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فانه ياتي يوم القيمة عن يمين ابيك عبد الملك
وشمال اخيك الوليد فضعه حيث شئت وروى ان خالد بن صفوان فاخر رجلا
من بني عبد الدار الذين يكنون الحجابة فقال له العبدري من انت فقال له انا خالد بن
صفوان بن الاهتم فقال له العبدري انت خالد كما هو خالد في النار وانت ابن صفوان وقال
الله عز وجل كمثل صفوان عليه تراب وانت ابن الاهتم والصحيح خير من الاهتم فقال له خالد
يا اخا بني عبد الدار اتتكلم وقد هشمتك بنو هاشم وامتك بنو امية وخزمتك بنو مخزوم
وجحمتك بنو جمح فانت عبد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام العبدري
مهموما وتقدم الاشعث بن قيس الى شريح فقال له الاشعث اتعلى بك يا ابا امية شريح
لقد عهدتك وان شانك لشوين فقال له شريح انت امرو تعرف النعمة في غيرك وتنساها

في نفسك وروى ابو العيناء عن العتبي قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده
الحطيئة فلما مثل بين يديه قال اليك فررت منك ومن زياد ولم احسب دمي لكما حلالا
فان يكن الهجاء احل قتلي فقد قلنا لشاعركم وقالا ترى الغر الجحاجح من قريش اذا
ما المرء في الحدثان غالا قياما ينظرون الى سعيد كانهم يرون به الهلالا فقال له الحطيئة
هذا والله الشعر لا ما كنا نعلل به منذ اليوم يا غلام ادركت امك الحجاز قال
الفرزدق لا بقوله ولكن قدم ابي اراد الحطيئة بقوله ان كانت امك قد هبت الحجاز فقد وقعت
بها وكنت مني فاراد الفرزدق بقوله ولكن قدم ابي اي وقع بامك فكنت انت منه ومثل
ذلك ما روي ان الفرزدق كان ينشد شعره يوما والناس حوله اذ مر به الكميت بن زيد
فقال له الفرزدق كيف ترى شعري فقال الكميت حسن بين فقال له الفرزدق ايسرك اني
ابوك قال اما ابي فلا اريد به بدلا ولكن يسرني ان لو كنت امي فقال له الفرزدق اكتم هذا على
عمك يا ابن اخي فما مر بي مثلها وقيل ان عبد الملك ظفر برجل من بني مخزوم زبيري الراي
فقال له لما احضر مجلسه اليس قد ردك الله على عقبيك فقال له الرجل او من رد اليك
يا امير المؤمنين فقد رد على عقبيه فوجم عبد الملك وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك
يا ابا عبد الله عزلوك عن القضاء وما راينا قاضيا عزل فقال شريك هم الملوك يعزلون
ويخلعون يعرض بان اباه خلع من ولاية العهد وذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المفضل
الضبي الراوية وهب لبعض جيرانه ايام الاضحى اضحية فلما لقيه قال كيف وجدت اضحيتك
قال ما وجدت لها دما يعرض بقول الشاعر ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللؤم للضبي
لحما ولا دما وروى عن المامون انه قال ما اعياني جواب احد قط مثل جواب ثلثة احدهم
ام الفضل بن سهل فاني عزيتها عن ابنها وقلت لئن جزعت على الفضل لانه ولدك فانا انا
ابنك مكانه فقالت وكيف لا اجزع على من جعل لي مثلك ولدا والثاني رجل احضرته يزعم
انه نبي الله موسى فقلت له ان الله تع اخبرنا عن موسى انه يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء
فقال انما فعل ذلك موسى لما بعد ان قال فرعون انا ربكم الاعلى فاعمل كما عمل فرعون حتى اعمل كما عمل موسى والثالث

انتجاعا من اهل الكوفة لجعفر الى ان يشكون عاملها فقلت ارضوا ابو احد منكم اسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل واكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب اصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال يا امير المؤمنين هو كما ذكرت فواس بين رعيتك في العدل فصرفه عنهم

ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي يوما على معوية فقال له ما فعل الطرفات يعني بنيه طريفا وطرفة قال قتلوا مع علي ابن ابي طالب فقال له ما انصفك ابن ابي طالب قدم بنيك واخر بنيه فقال عدي بل ما انصفته انا اذ قتل وبقيت وكتب رجل الى صديق له يقترض منه شيئا فاجابه يشكو اليه ضيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله كاذبا وان كنت معذورا فجعلك الله ملوما وان كنت ملوما فجعلك الله معذورا وسمع الاحنف رجلا يقول ما احلم معوية فقال لو كان حليما ما سفه الحق

ووصف رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل اغمد سيفه وفي قلبه على احد شي

وقال زياد لرجل حضر اين منزلك قال وسط البصرة قال فما لك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره اقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال للرجل داري بين اهل الدنيا والاخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشرة بنين فقدمت تسعة فهم لي وبقي واحد لا ادري اهو لي ام انا له وقال رجل لابن سيرين اني وقعت فيك فاجعلني في حل فقال اما احب ان احلك ما حرم الله عليك وخطب الحجاج يوم جمعة فاطال فقال له رجل ان الصلوة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فامر به فحبس فجاء اهله فشهدوا انه مجنون فقال ان اقر بالجنون اطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا اقول انه ابتلاني وقد عافاني

وحدث الحسن البصري بحديث فقال له رجل يا ابا سعيد عمن قال وما تصنع بعمن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه يماكس في درهم انما كس في درهم وانت تجود بما تجود به فقال ذلك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به وروي ان ابا العينا محمد بن القسم اليمامي حدث بعض الزبيريين بحديث في فضائل اهله فقال له الزبيري انجالب التمر الى هجر فقال ابو العينا نعم اذا اجدبت ارضها وعادم نخلها وكان ابو العينا

فرابه

من احضر الناس جوابا واجودهم بديهة واملحهم نادرة وروى الصولي عن ابي العينا قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابي وقال يا محمد بلغني ان فيك شرا فقلت يا امير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسي باساءته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية نعم العبد انه اواب وقال في الذم هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذمه الله تعالى حتى قذفه وقد قال الشاعر اذا انا بالمعروف لم اثن دائبا ولم اذم الجبس اللئيم المذمما ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما وان كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا بتمييز فقد صان الله عبدك من ذلك وروي انه قال له يوما الى كم تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساءوا وروي انه قال له يوما المتوكل اني لافرق من لسانك فقال له ان الشريف ذو فرقة وذو احجام وان اللئيم ذو امنة واقدام وقال له يوما وقد دخل عليه قد اشتقناك والله يا ابا العينا فقال له يا سيدي انما يشتد الشوق على العبد لانه لا يصل الى مولاه فاما السيد فمتى اراد عبده دعاه وروي انه قال له يوما ما بقي احد في مجلسي الا وقد اغتابك وذمك عندي الا هو فقال ابو العينا اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا علي لئامها وذكر ابو العينا قال قال لي المتوكل من اسخى من رايت ومن ابخل من رايت فقلت يا امير المؤمنين ما رايت اسخى من احمد بن دواد ولا ابخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقف على بخله فقلت رايته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة قال ابحثت الى من اطرحته فحبته والى من امسكته فحللته فقلت يا امير المؤمنين ان الصدق ما هو في موضع من المواضع انفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه الى السخاء فاذا انتسب الناس السخاء الى البرامكة فانما ذاك سخاء امير المؤمنين الرشيد واذا نسبوا الحسن بن سهل والفضل بن سهل الى السخاء فانما ذلك سخاء امير المؤمنين المامون واذا نسبوا احمد بن ابي دواد الى السخاء فذاك سخاء امير المؤمنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخاء فانما هو سخاؤك والا فما بال هؤلاء القوم لم ينسبوا الى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء فقال صدقت وسري عنه وقال له المتوكل ما اشد عليك من ذهاب بصرك فقال له فقد رويتك مع اجماع الناس

على جمالك وقال له يوما اريد لمجالستي قال لا اطيق ذلك وما اقول هذا جهلا بما لي في هذا المجلس من الشرف ولكني انا رجل محجوب والمحجوب تختلف اشارته ويخفى عليه ايماؤه ويجوز علي ان اتكلم بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم اميز بين هذين هلكت قال صدقت وروي انه قال له يوما لولا انك ضرير لنادمتك قال له ان اعفيتني من رؤية الاهلة وقراءة نقش الخواتيم فاني اصلح وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس بن رستم فقال هما الخمر والميسر واثمهما اكبر من نفعهما فقال بلغني انك تودهما فقال له قد ابتعت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال له يوما ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون وقال ابو العينا قال لي المنتصر يوما ما احسن الجواب ما اسكت المبطل وحير المحق وقيل لابي العينا ابرهيم بن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وراه زيرقان وهو يضاحك نصرانيا فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فقال ابو العينا لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم واخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا ابو العينا قال كان سبب اتصالي باحمد بن ابي دواد ان قوما من اهل البصرة عادوني وادعوا علي دعاوي كثيرة منها اني رافضي فاحتجت الى ان خرجت من البصرة الى سر من راى فالقيت نفسي على ابن ابي دواد وكنت نازلا في داره اجالسه كل يوم وبلغ القوم خبري فشخصوا نحوي الى سر من راى فقلت له ان القوم قد قدموا من البصرة يدا علي فقال يد الله فوق ايديهم فقلت ان لهم مكرا فقال ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فقلت انهم كثيرون فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقلت لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي لله در ابيك اي جنة خائف ومتاع دنيا انت للحدثان متخمط يطا الرجال بغلبة وطا الفنيق دوارج القردان ويكبهم حتى كانه وسمهم مأمومة تنحط للغربان ويفرج الباب الشديد رتاجه حتى يصير كانه بابان فقال لابنه ابي الوليد اكتب هذه الابيات فكتبها بين يديه قال الصولي حفظي عن

ابو العينا

ابي العينا الصموت الكلابي على انه رجل وقال لي وكيع حفظي انها الصموت الكلابية على انها امراة ودخل ابو العينا على الحسن بن سهل فاثنى عليه فامر له بعشرة الف درهم فقال له والله ما استكثر كثيرك ايها الامير ولا استقل قليلك لانه اكثر من كثير غيرك وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوما اعذرني فاني عنك مشغول فقال فاذا فرغت لم احتج اليك وقال له يوما قد تبينت فيك الغضب يا ابا عبد الله فقال له قد اجل الله قدرك عن غضبي انما يغضب الرجل على من هو دونه فاما على من هو فوقه فلا ولكن احزنني تقصيرك فتمثلت حزني غضبا وقال ان صاعد بن مخلد كان من احسن من اسلم دينا واكثرهم صلوة وصدقة فصار اليه ابو العينا مرات كثيرة يعتذر اليه فحجب وقيل انه مشغول بصلاته فقال ابو العينا لكل جديد لذة ودخل يوما على ابي الصقر اسمعيل بن بلبل في وزارته فقال له يا ابا عبد الله ما اخرك عنا قال سرق حماري قال وكيف سرق قال لم اكن مع الذي سرقه فاخبرك قال فهلا اكتريت او استعرت او اشتريت قال قعد بي عن الشراء قلة ايسري وكرهت منة العواري وذلة المكاري فوهب له حمارا ووصله وادناه ابو الصقر يوما وقربه فقال له تدنيني حتى كاني بعضك وتبعدني حتى كاني ضدك وقال يوما لعبيد الله بن سليمان ابنه وقد قعد الى الكبر فعني ولا يرفع بي راسا وقال له يوما وقد ساله عن حاله انا بك مغبوط الظاهر مرحوم الباطن ويقال ان ابا علي البصير قال لابي العينا وكانت بينهما ملاحاة معروفة في اي وقت ولدت قال له قبل طلوع الشمس فقال ابو علي لذلك خرجت شحاذا سائلا لانه الوقت الذي ينتشر فيه السؤال واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابو العينا قال ما رايت قط احسن شاهدا عند حاجة من ابن عائشة فقلت له كان ابو عمرو المخزومي يصلك كثيرا ثم قد جفاك فقال فان تنا عنا لا تضرنا وان تعد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم ثم قال والله لا ادري لمن هذا البيت فقلت له انا ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال انصر عني وذ بكر بن وائل وما خلت دهري وذهم يتصرم قوارص تاتيني فتحتقرونها وقد يملا القطر الاناء فيفعم وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقا العجلي يجيبه لقد بوانك الدار بكر بن وائل وردت لك الاحشاء اذ انت مجرم ليالي تمنى ان تكون



حمامة بمكة يغشاها الستار المحرم. فان تناءينا لا ننصرنا وان نعد نجدنا على العهد الذي كنت تعلم
فقال لابن عائشة انت والله يا بني ممن يتصل في العلم بمخائله ويكثر عليه دلائله. وقال ابو العيناء
لابي الصقر بن بلبل وهو وزير انت والله تقرب منا اذا احتجنا اليك وتبعد منا اذا
احتجت الينا. قال المرتضى رضي الله عنه وهذا يشبه قول ابرهيم بن العباس الصولي. ولكن الجواد ابا هشام
وفي العهد مامون المغيب. بطيء عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب
ولعله ماخوذ منه فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتمعا في زمان واحد في بعض الاوقات فان
ابا العيناء بقي بعد ابرهيم زمانا طويلا لان ابرهيم توفي سنة ثلث واربعين ومائتين وابو العيناء
توفي سنة اثنين او ثلث وثمانين ومائتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله لابي الصقر في وزارته
وكانت بعد وفاة ابرهيم بن العباس بزمان طويل ويشبه بيتا ابرهيم ان يكونا ماخوذين من قول
اوس بن حجر. وليس اخوك الدائم العهد بالذي يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا. ولكنه النائي
اذا كنت آمنا وصاحبك الادنى اذا الخطب اعضلا. ولابرهيم بن العباس ما يقارب هذا
المعنى ابهم. وهو اسد ضار اذا هجته واب بر اذا ما قدرا. يعلم الابعد ان اثرى ولا يعلم
الادنى اذا ما افتقرا. ويشبه ان يكون هذا ماخوذا من قول المرار الفقعسي. اذا افتقر المرء لم
ير فقره وان ايسر المرء ايسر صاحبه. ومما يشبه قول المرار بعينه قول ابرهيم بن العباس الصولي
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت. راى خلتي من حيث يخفى مكانها
فكانت قذى عينيه حتى تجلت. ومن قول المتنخل الهذلي. ابو مالك قاصر فقره على نفسه
ومشيع غناه. وهذا البيت الذي رويناه للهذلي من جملة ابيات يرثي بها المتنخل اباه وقيل
يرثي اخاه واولها. لعمرك ما ان ابو مالك بوان ولا بضعيف قواه. ولا بالالد له نازع يغاري
اخاه اذا ما نهاه. معنى له نازع اي خلق سوء ينزعه ويغاري اي يلاحي ويباري. ولكنه هين لين
كعالية الرمح عرد نساه. العرد الشديد يقال عرد وعرند وعرندد بالنون شديد والنسا عرق
معروف. اذا سدته سدت مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه. معنى سدته من المساودة وهي
المسارة والسواد هو السرار ايضا كانه قال اذا ساررته طاوعك وساعدك وقال قوم انه من السيادة

وكانه اراد

وكانه اراد اذا كنت فوقه وسدته اطاعك ولم يحسدك وان وكلت اليه شيئا كفاك وقوله ينمي
اذا سدته سدت مطواعة ولم اجد ذلك في رواية الا من ينادي ابا مالك افي امرنا هو ام في سواه ابو
مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه. **مجلس آخر تاويل آية**. ان سال سائل عن قوله تعالى سأصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا
يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فقال
ما تاويل هذه الآية على ما يطابق العدل فان ظاهرها كانه مخالف له. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها
ما ابتداناه ومنها ما سبقنا اليه فحررناه واحترزنا فيه من المطاعن ولجميعها العلة يعرض فيه من الشبهة اولها
ان يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن العز والكرامة اللذين يستحقهما من ادى الواجب عليه
في آيات الله وادلته وتمسك بها والآيات على هذا التاويل يحتمل ان تكون سائر الادلة ويحتمل ان تكون
معجزات الانبياء خاصة وهذا التاويل يطابق الظاهر لانه تعالى قال في ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين فبين ان صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه. وثانيها ان يصرفهم
عن زيادة المعجزات التي يظهرها على الانبياء بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما
يظهر هذا الضرب من المعجزات اذا علم انه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات فاذا علم خلاف ذلك
لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لا يؤمنون عنها ويكون الصرف على احد وجهين اما بان لا
يظهرها جملة او بان يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم فاذا قيل وما الفرق فيما ذكرتموه بين
ابتداء المعجزات وبين زيادتها قلنا الفرق بينهما ان المعجز الاول يجب اظهاره لازاحة العلة في التكليف ولانا
به نعلم صدق الرسول المؤدي الينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فاذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والالطاف
لتنزاح العلة وكان لا سبيل الى معرفتها على الوجه الذي يكون عليه لطفا الا من قبل الرسول وكان لا سبيل
الى العلم بكونه رسولا الا من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع وجعل
المعجز على يده لتعلق هذه الامور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين ان يعلم ان المبعوث اليهم الرسول
او بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين ان لا يعلم ذلك في وجوب البعثة وما يجب بوجوبها لان تعريف المصالح
مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين ان يقع عنده الايمان او لا يقع وليس هذا سبيل

ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها لانه متى لم ينتفع بها منتفع ولم يؤمن عندها من لم يؤمن
لم يكن في اظهارها فائدة وكانت عبثا فافترق الامران فان قيل كيف يطابق هذا التاويل قوله ذلك بانهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين ومن المعلوم ان صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقا بذلك قلنا يمكن ان يكون قوله تعالى
ذلك بانهم كذبوا بآياتنا لم يرد به تعليل قوله تعالى سأصرف بل يكون كالتعليل لما هو اقرب اليه في ترتيب الكلام وهو قوله
وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا
لان من كذب بآيات الله وغفل عن تاملها والاهتداء بنورها ركب الغي واتخذه سبيلا وحاد عن الرشد
وضل ضلالا بعيدا ورجوع لفظة ذلك الى ما ذكرناه اشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله تعالى سأصرف
لان رجوع اللفظ في اللغة الى اقرب المذكورين اولى وقد يمكن ايضا ان يكون قوله تعالى كذبوا وان كان بلفظ الماضي
المراد به الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب لما كان معلوما منهم لو اظهرت لهم الآيات جعل كانه واقع
وبني الخطاب عليه ولهذا نظائر في اللغة كثيرة او يكون جوابا لمحذوف فكانه تعالى قال ذلك بانه متى اظهرنا لهم آيات
كذبوا بها ويجري مجرى ما ذكرناه او كمجرى قوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة في انه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال وثالثها
ان يكون معنى سأصرف عن آياتي اي لا اوتيها من هذه صفته واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين
يفيد معنى واحدا فليس لاحد ان يقول هلا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات
التي يختص بها الانبياء. فان قيل فاي فائدة في قوله تعالى على سبيل التعليل ذلك بانهم كذبوا بآياتنا
واي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهو لا يؤتي الآيات والمعجزات الا الانبياء
دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التاويل وجه صحيح
لان من كذب بآيات الله لا يؤتى معجزاته لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غير مكذب ويمنع من ايتائه
الآيات علة اخرى فالتكبر والبغي بغير الحق مانع من ايتاء الآيات وان منع غيره ويجري هذا مجرى قول القائل
انا لا اودع فلانا لغدره ولا يلزم اذا لم يكن غادرا ان يودع لانه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة اخرى
تمنع من موقته ويجوز ايضا ان يكون الآية خرجت على ما يجري مجرى السبب وهو ان يكون بعض الجهال في ذلك العصر
اعتقد جواز ظهور المعجز على يد الكفار المتكبرين فاكذبهم الله بذلك ورابعها ان يكون المراد بالآيات
العلامات التي يجعلها الله في قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحد

منها

منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تاول اهل الحق الطبع والختم اللذين ورد بهما القرآن
على ان المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن فيكون معنى سأصرفهم عنها اي اعدل بهم عنها واخص
بها المؤمنين المصدقين بآياتي وانبيائي وهذا التاويل يشهد له ايضا قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين لان صرفهم عن هذه الآيات كالمستحق بتكذيبهم واعراضهم من آياته تعالى وخامسها ان يريد
تعالى اني اصرف من رام المنع من اداء آياتي وتبليغها لان من الواجب على الله تعالى ان يحول بين من رام ذلك
وبينه ولا يمكن منه لانه ينقض الغرض في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى والله يعصمك من الناس فلو
الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحملها الرسل والصرف وان كان متعلقا بنفس الآيات
فقد يجوز ان يكون في المعنى متعلقا بغيرها مما هو متعلق بها فاذا ساغ ان يعلقه بالثواب والكرامة المستحقين
على التمسك بالآيات ساغ ان يعلقه بما يمنع من تبليغها واداءها واقامة الحجة بها وعلى هذا التاويل
لا يجعل قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا راجعا الى سأصرف بل نرده الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا على ما بيناه في الوجه الثاني
من تاويل هذه الآية وسادسها ان يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على
غيره بالانصراف عن شيء جاز ان يقال صرفه عنه كما يقال اكفره وكذبه وفسقه وكما قال تعالى ثم انصرفوا صرف الله
قلوبهم اي شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وهذا التاويل
يطابقه قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين لان الحكم عليهم بما ذكرناه والتسمية من
موجب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله واعراضهم عنها وسابعها انه تعالى لما علم ان الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق سينصرفون عن النظر في آياته والايمان بها اذا اظهرها على ايدي رسله جاز ان يقول سأصرف عن آياتي
فيريد ساظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه ويجري ذلك مجرى قولهم سأبخل فلانا وسأخطئه اي سأسأله
ما يبخل ببذله وامتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى اني افعل فيه البخل والخطاء والآيات على هذا الوجه يجوز
ان تكون المعجزات دون سائر الادلة الدالة على الله تعالى وجائز ان تكون جميع الادلة ويجب على هذا الوجه ان
يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا غير راجع الى قوله تعالى سأصرف بل الى ما قدمنا ذكره ولنصحح القائل في ثامنها
ان يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن ان تكون ادلة وحججا

فيكون تقدير الكلام اني بما اوقعه من حججي ولطائفي من آياتي وبيناتي صارف للمبطلين والمكذبين عن القدح
في الآيات والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هذه الاحكام والتأييد يعترضونه ويفعلونه من تمويه
الحق ولبسه بالباطل ويجري هذا مجرى قول احدنا قد منع فلان اعداءه بافعاله الكريمة واخلاقه المرضية
وطرائقه المحمودة من عيبه وصرفهم عن ذمه واخرس السنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى الذي ذكرناه
فان قيل اليس قد طعن المبطلون على آيات الله واوردوا الشبهة فيها مع ذلك قلنا لم يرد الله تعالى بصرفهم عن الطعن
الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من احسن النظر وانما اراد ما قدمناه وقد يكون الشيء في نفسه مطعونا عليه وان لم
يطعن عليه طاعن كما قد يكون بريئا من الطعن وان طعن فيه بما لا يؤثر الا ترى الى قولهم فلان قد اخرس اعداءه عن ذمه
ليس يريدون انه منعهم عن التلفظ بالذم وانما المعنى فيه انه لم يجعل للذم عليه طريقا ومجالا ولا يجب ان يخفى على هذا
الوجه ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا يرجع الى ما قبله بلا فصل ولا يرجع الى قوله ساصرف عن آياتي
ان الله عز وجل لما وعد موسى وامته باهلاك عدوهم قال ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق فاراد جل وعز انه يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم بما قد كان منهم من
التكذيب بآيات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته وبشر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء بها
وهو تعالى اذا اهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته من حيث قطعهم عن مشاهدتها
والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفات اهله وهذا الوجه يمكن ان يقال فيه ان العقوبة لا تكون
الا مضافة الى الاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لا بد ان يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل والامر ان الله تعالى لا
وما يفعله بهم من بوار واهلاك يجري ان اليه ما لا بد ان يكون مقترنا الى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما
يفعله تعالى بالبهائم على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن ان يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع
ان يعلم الله تعالى ما يفعله بهؤلاء الكفار المتكبرين من الاهلاك والبوار واللعن والذم والاستخفاف والاهانة
ويأمرنا ان نفعل ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من الايلام على وجه العقوبة وبشروطها ولا يمتنع ايضا ان يكون
الله تعالى يتعبدنا بالامر باهلاكهم وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ويضيف الله تعالى ذلك اليه من حيث وقع بامره
وعن اذنه فان قيل فما معنى قوله تعالى يتكبرون في الارض بغير الحق وهل يكون التكبر بالحق قلنا في هذا جوابان
احدهما ان يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن ان التكبر لا يكون الا بغير الحق وان هذه صفة

لازمة غير مفارقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم
وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ولم يرد تعالى الا المعنى الذي ذكرناه ومثله قوله تعالى ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا لم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير بل اراد تعالى به تأكيد القول بان كل ثمن يؤخذ عنها
يكون قليلا بالاضافة اليها ويكون المتعوض به عنها مغبونا مبخوسا خاسر الصفقة والوجه الآخر في التكبر
ما يكون ممدوحا لان من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد عن فعلها وتجنب اهلها يكون مستحقا
للمدح سالكا لطريق الحق وانما التكبر المذموم هو الواقع على جهة القوة والبغي والاستطالة على ذوي
الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذي ندب الله اليه وارشد
الى الثواب المستحق عليه مستحق بذلك الذم والمقت فلهذا شرط الله تعالى ان يكون التكبر بغير الحق وقوله تعالى
في هذه السورة قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق يحتمل ايضا هذين الوجهين
اللذين ذكرناهما فان اريد به البغي المكروه الذي هو الظلم وما اشبهه كان قوله بغير الحق تأكيدا واخبارا
عن ان هذه صفته وان اريد بالبغي الطلب وفي البغي من اصله في اللغة كان الشرط في موضعه لان الطلب قد يكون
بالحق وبغير الحق فان قيل فما معنى قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلا وهل الرؤية ههنا العلم والادراك بالبصر وهب انها يمكن ان تكون في قوله تعالى وان يروا كل آية
لا يؤمنوا بها انها محمولة على رؤية البصر لان الآيات والادلة مما تشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على
العلم وسبيل الرشد انما هي طريقه ولا يصح ان يرجع بها الا الى المذاهب والاعتقادات التي لا يجوز عليها
رؤية البصر فلا بد اذا من ان يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشد لا يجوز ان ينصرف عنه الى
طريق الغي لان العقلاء لا يختارون مثل ذلك قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة اوجه احدها ان يكون
المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل المذكورة في الآية هي الادلة والآيات لانها مما يدرك
بالبصر وتسمى بانها سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل
الغي هي الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغلون في الدين ليوقعوا بها الشبهة على اهل
الايمان وتسمى سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي من حيث كان المعلوم ممن اشتغل بها
واغتر باهلها انه يصير الى الغي والوجه الثاني ان يكون المراد بالرؤية العلم الا ان العلم لم يرتفعا ولكنها

سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغي بل يتيقنا ولها لامر هذا الوجه الآخر الا ترى ان كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب اهل
الحق واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة وحججهم الا انهم يجهلون كونها صحيحة مفضية الى الحق فيجتنبونها
وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة الا انهم يجهلون كونها باطلة
ويعتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب ان يكون الله تعالى وصفهم بالعناد
وترك الحق مع العلم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين بسبيل الرشد والغي ومميزين بينهما
غير انهم للميل الى اغراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون
ما يعلمون كما اخبر الله تعالى عن كثير من اهل الكتاب بانهم يجحدون الحق وهم يعلمون ويستيقنونه فان قيل
فما معنى قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا والتكذيب لا يكون في الحقيقة الا في الاخبار دون غيرها
قلنا التكذيب قد يطلق في الاخبار وغيرها الا ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا اذا كان لا يعتقد صحته
ولو صرفنا التكذيب ههنا الى اخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على ايدي رسله لجاز فيكون
الآيات ههنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات فان قيل فما معنى ذمه تعالى لهم بانهم كانوا عن الآيات
غافلين والغفلة على مذاهبكم من فعله تعالى لانها السهو وما يجري مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ولا
تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك قلنا المراد ههنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة ووجه التشبيه انهم لما
اعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها اشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلا عنها واطلق
عليهم هذا القول كما قال تعالى صم بكم عمي على هذا المعنى وكما يقول احدنا لمن يستبطئه ويصفه بالاعراض عن
التأمل والتبين انت ميت وراقد لا تسمع ولا تبصر وما اشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله تأويل خبر
ان سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين
من اصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك
وعما يرويه انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من قلب آدمي الا وهو بين اصبعين من اصابع الله فاذا شاء ان يثبته ثبته
وان شاء ان يقلبه قلبه وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لام سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله ما كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله قالت
كان اكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت قلت يا رسول الله ما اكثر دعاءك يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك فقال يا ام سلمة ما من آدمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله عز وجل ما شاء اقام وما شاء

ازاغ فقال ما تأويل هذه الاخبار على ما يطابق التوحيد ونفي التشبيه اوليس من مذهبكم ان الاخبار التي
يخالف ظاهرها الاصول ولا تطابق العقول لا يجب ردها والقطع على كذب راويها الا بعد ان لا يكون لها
في اللغة مخرج ولا تأويل وان كان لها ذلك فما استنكرناه وتعسف فلستم ممن يقول ذلك في مثل هذه الاخبار
فما تأويلها الجواب ان الذي يعول عليه من تكلم في تأويل هذه الاخبار هو ان يقول ان الاصبع في كلام العرب
وان كانت الجارحة المخصوصة فهي ايضا الاثر الحسن يقال لفلان على ماله وابله اصبع حسنة اي قيام واثر حسن
قال الراعي يصف راعيا حسن القيام على ابله: ضعيف العصا بادي العروق ترى له ... عليها اذا ما اجدب الناس
اصبعا ... وقال طفيل الغنوي يصف غلاما: كميت كركن الباب يحيا بنانه ... مقاليتها واستحقبتهن اصبع
وقال لبيد بن ربيعة: من يبسط الله عليه اصبعا ... بالخير والشر باي اولعا ... يملأ له منه ذنوبا مترعا
وقال حميد بن ثور: اغر كلون البدر في كل منكب ... من الناس نعمى يحتذيها واصبع ... وقال الآخر: واوهنت فيهم
ابن ذو اصابع في منعها وفي فطن ... وقال الآخر: اكرم نزارا واسقها المشعشعا ... فان فيه خصلات اربعا
جدا وجدوا وندى واصبعا ... والاصبع في كل ما اوردناه المراد به الاثر الحسن والنعمة فيكون المعنى
ما من آدمي الا وقلبه بين نعمتين من الله جليلتين حسنتين فان قيل هذا قد ذكره حكيم الا انه لم يفصل
ما النعمتان وما وجه التثنية ههنا ونعم الله على عباده كثيرة لا تحصى قلنا يحتمل ان يكون الوجه في ذلك
نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لانهما كالجنسين وكالنوعين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير
لان الله قد انعم على عباده بان عرفهم بادلته وبراهينه ما انعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما
لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل ويمكن ان
يكون الوجه في تسميتهم الاثر الحسن بالاصبع هو من حيث يشار اليه بالاصبع اعجابا به وتنبيها عليه
وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما الرب ملقه وقد قال قوم في بيتي طفيل والراعي انهما ارادا ان
يقولا يدا في مكان الاصبع لان اليد النعمة فلم يمكنهما فعدلا عن اليد الى الاصبع لانها من اليد وفي الاصبع
التي هي الجارحة ثماني لغات اصبع بفتح الالف والباء واصبع بفتح الالف وكسر الباء واصبع بضم الالف
وكسر الباء واصبع بضم الالف وضم الباء واصبوع بضم الالف مع الواو واصبع بكسر الالف والباء
واصبع بكسر الالف وفتح الباء واصبع بكسر الالف وضم الباء وفي هذه الاخبار وجه آخر هو اوضح مما

ذكره واشبه بمذاهب العرب في ملاحن كلامها وتصرف كناياتها وهو ان يكون المعنى في ذكر الاصابع الاخبار
عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها والفعل فيها عليه جلت عظمته ودخول ذلك تحت قدرته الا ترى انهم يقولون
هذا الشي في خنصري واصبعي وفي يدي وقبضتي كل ذلك اذا ارادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة والمؤنة
وعلى هذا المعنى يتاول المحققون قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
وكانه تعالى لما اراد المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة وان كان
يجري من ذلك ولا يتمكن منه قال انها بين اصابعه كناية عن هذا المعنى واختصارا للفظ الطويل وجريا
على مذاهب العرب في اخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب ان يكون مقدما
على الوجه الاول ومعتمدا عليه فانه اوضح واجلى ويمكن ان يكون في الخبر وجه اخر على تسليم ما يقترحه
المخالفون من ان الاصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم استظهارا في الحجة واقامتها على كل وجه
وهو انه لا ينكر ان يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الاصبعين يحركه الله تعالى بهما ويقلبه بالفعل
فيهما ويكون وجه تسميتهما بالاصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله تعالى
وان كان جميع افعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة انه لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين
عما جاورهما غيره تعالى فقيل انهما اصبعان له من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره تعالى انما
يقدر على تحريك القلب بما هو مجاور للقلب من الاعضاء بتحريك جملة الاسم ولا يقدر على تحريكه
وتصريفه منفردا عما يجاوره غيره تعالى فمن اين للمبطلين المتاولين هذه الاخبار بما هو اشنع وضعف
انهم ان الاصابع ههنا اذا كانت لحما ودما فهي جوارح تعالى الله عن ذلك وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد
وعلى المتاول ان يورد كل ما يحتمله الكلام مما لا تدفعه حجة وان ترتب بعضه على بعض في القوة والوضوح
ونحن نعود الى تفسير ما لعله يشتبه من الابيات التي استشهدنا بها اما قوله جدا وجودا ويرى وصبعا
فمعنى الجد ههنا المضاء والنفاذ وقول الاخر وابن بنات ليس فيهن ابن فالاوزنات العصي والابن
العقد فاما قول حميد بن ثور في كل منكب من الناس فالمنكب الجماعة والمنكب ايضا الناحية واما
معنى ابيات لبيد فانه اراد من سبق الله تعالى اليه الخير او صرف عنه شرا انهما اصل ذلك واسبغ له حتى
ينتهي منتهاه واما بيت طفيل الغنوي فمعناه ان هذا الفحل الذي وصفه بانه كميت وانه كركن اياب

لثماله

لثماله وشدته لما ضرب في الابل التي وصفها عاشت اولادها التي هي نتاجه بعد ان كن مقاليت و
المقلاة التي لا يعيش لها ولد فكان هذا منه اثرا جميلا عليه فاما بيت الراعي فمعنى قوله ضعيف العصا
بديء انه قليل الضرب اما لانهن لا يحوجنه لسدادها وتاديبا او لشفقته عليهن وهذه كناية عن
الحسن ولخصار شديد وقد يجوز ان يكون ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها
في الضرب فيختارها قوية ويجوز ان يكون حذف واراد ضعيف فعل العصا وقوله بادي العروق في
يعني عروقه جلد لفسادها مال السعي في اثر هذه الابل واراد بالاصبع ان له عليها في جذب الناس اثرا
جميلا لحسن قيامه وتعاهده وقد قيل انه سمي الراعي لبيت قاله في هذه القصيدة بعد بيتين
من البيت الذي انشدناه وهو لها امرها حتى اذا ما تبوات باخفافها ماوى تبوا مضجعا
وهذا قول الاصمعي وقال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة ايضا صدا ان اخو
وطب وصاحب علبة يرى المجد ان يلقى خلاه ومرتعا وروي عن بعض بني نمير
انه قال انما سمي بذلك لقوله بنيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا
فقال بعض بني نمير لما سمع هذا والله ما هو الا راعي ابل فبقيت عليه وقال محمد بن سلام
انما سمي الراعي لكثرة وصفه للابل وحسن نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن
جندل وكنيته ابو جندل وقيل ابو نوح

تم الجزء الاول بعون الله عز وجل
ويتلوه في الجزء الثاني تاويل
اية تعلم ما في نفسي ولا
اعلم ما في نفسك

رب يسر وتمم بالخير

تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب
فقال ما المراد بالنفس في هذه الاية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله تعالى ويحذركم الله نفسه او بخلافه
وهل يطابق معنى الاثنين والمراد بالنفس ويطابق معنى الاثنين والمراد بالنفس فيهما ما رواه
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل اذا احب العبد لقائي احببت لقاءه واذا ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم واذا تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا واذا
تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا او لا يطابقه الجواب قلنا ان النفس في اللغة لها معان مختلفة ووجوه
في التصرف متباينة فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوانات وهي التي اذا فقدها خرج عن كونه
حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والنفس ذات الشي الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه
اذا تولى فعله والنفس الانفة من قولهم ليس لفلان نفس اي لا انفة له والنفس الارادة من قولهم نفس فلان في
كذا اي ارادته وقال الشاعر فنفساي نفس قالت ائت ابن بحدل تجد فرجا من كل غمى تهابها ونفس
تقول اجهد نجاءك لا تكن كخاضبة لم يغن شيئا خضابها ومنه ان رجلا قال للحسن البصري يا ابا سعيد
لم احج قط فنفس تقول لي حج ونفس تقول لي تزوج فقال الحسن انما النفس واحدة ولكن لك هم يقول حج
وهم يقول تزوج وامره بالحج وقال النمر بن تولب العكلي ويروى لجعفر بن حماد البارقي الا من لعين قد نآها
حميمها وارقني بعد المنام همومها فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها وقال
النمر بن تولب العكلي اما خليلي فاني لست معجله حتى يؤامر نفسيه كما زعما نفس له من نفوس القوم
صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما اراد انه بين نفسين نفس تامره بالجود واخرى تامره بالبخل
وكنى برضاع الغنم عن البخل لان البخيل يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت
الشخب فيهتدي اليه ومنه قيل لئيم راضع وقال كثير فاصبحت ذا نفسين نفس مريضة من الياس ما
ينفك هم يعودها ونفس ترجى وصلها بعد صرمها تجمل كي يزداد غيظا حسودها والنفس العين
التي تصيب الانسان يقال اصابت فلانا نفس اي عين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي فيقول بسم الله
ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابي
النفوس الذي يصيب الناس بالعين وذكر رجلا فقال كان والله حسودا نفوسا كذوبا وقال عبيد الله بن

قيس

قيس الرقيات يتقي اهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم وقال مضرس بن ربعي الفقعسي واذا
نموا صعدا فليس عليهم منا الخبال ولا نفوس الحسد وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان
بن عبد الملك اعطى سلمت من المكاره والردى وعثارها ووقيت نفس الحسد والنفس ايضا من الدباغ
مقدار الدبغة تقول اعطني نفسا من دباغ اي قدر ما ادبغ به مرة والنفس الغيب يقول القائل اني لا اعلم
نفس فلان اي غيبه وعلى هذا تاويل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي وما عندي
ولا اعلم غيبك وقيل ان النفس ايضا العقوبة من قولهم احذر نفسي اي عقوبتي وبعض المفسرين حمل
ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كانه قال يحذركم عقوبته وروي ذلك عن ابن عباس والحسن واخرون
قالوا معنى الاية ويحذركم الله اياه وقد روي عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما
في نفسك ما ذكرناه من التاويل بعينه فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع ان يكون الوجه
في ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد في ستره منزلتها وسمي باسمها
فقيل فيه انه نفس مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وانما حسن ان يقول تعالى مخبرا عن نبيه ولا اعلم ما في
نفسك من حيث تقدم قوله تعلم ما في نفسي ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء ان تقول انا لا اعلم
ما في نفس الله وان حسن على الوجه الاول ولهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة فاما الخبر الذي
ذكره السائل فتاويله ايضا ظاهر وهو خارج على مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه ان من ذكرني
في نفسه جازيته على ذكره لي واذا تقرب الي شبرا جازيته على تقربه الي وكذلك الخبر الذي تقدم الى اخره فسمى
المجازاة على الشي باسمه اتساعا كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ويمكرون ويمكر الله والله يستهزئ بهم
كما قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب
ولما اراد تعالى المبالغة في وصف ما يفعله من الثواب والمجازاة على تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن
ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال باعا وذراعا اشارة الى المعنى من ابلغ الوجوه واحسنها

مجلس

اخر تاويل اية ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وكيف يجوز ان تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم احياء
ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن اي شيء زاغت الابصار

وبأي شيء تعلقت ظنونهم بالله ثم الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها أن يكون المراد بذلك
أنهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم وخافوا من بوائقهم وبوادرهم ومن شأن
الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته ولهذا يقول للجبان انتفخ سحره أي رئته و
ليس يمتنع أن يكون الرئة إذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به إلى نحو الحنجرة وهذا التأويل قد
ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ومنها أن القلوب قد توصف
بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع قال الشاعر كأن قلوب أدلائها معلقة بقرون
الظباء وقال امرؤ القيس ولا مثل يوم في قذاران ظلته كأني وأصحابي على قرن أعفرا ويروى
في قذار ظللته أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون
والاستقرار وإنما خص الظبي لأن قرنه أكثر تحركا واضطرابا لنشاطه ومرحه وسرعته وقد قال
بعض الناس أن امرأ القيس لم يصف شدة أصابته من إصابته في هذا البيت فيليق قوله على قرن
أعفر بالتأويل المذكور بل وصف أماكن كان فيه مسرورا مستمتعا ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت
ألا رب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا فيكون معنى قوله
على قرن أعفر على هذا الوجه أنه كان على مكان عال مشرف شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي
وهذا القول لابن الأعرابي والأول للأصمعي وأما قول الآخر ألا قل لخير الشام كيف تغيرت فأصبح من
الناس عن قرن أعفرا فلا يحتمل إلا الشدة والحال المذمومة ويجوز أن يريد أن الناس فيهم غير
مطمئنين بل هم منزعجون قلقون كأنهم على قرن ظبي ويحتمل أن يطلعهم بقرن ظبي كقولك رماه
بداهية ويكون معنى عن هاهنا معنى الباء فقال عن قرن أعفر وهو يريد بقرن أعفر وقد ذكر في
هذا البيت الوجهان معا فيكون معنى الآية على هذا التأويل أن القلوب لما اتصل وجيبها
واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها أن يكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب
والخوف تبلغ الحناجر وإن لم تبلغ في الحقيقة فألقى ذكر كادت لوضوح الأمر فيها ولفظة كاد
ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف
راكب ديار التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب معناه قاربت أن تحل

وإن لم

وإن لم تحلل في الحقيقة وقوله غير موقف راكب فيه وجهان أحدهما أنه ليس بموضع يقف فيه راكب
لخلوه من الناس ووحشته والآخر أن يكون المعنى كادت أراد به أنه وحش إلا أن راكبا وقف فيه
يعني نفسه وقال نصيب وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت هتوف الضحى محزونة بالترنم أموت
لمبكاها أسى إن لوعتي وتجدي بعد تجوه غير منجم معنى لمبكاها أي لبكائها وقال ذو الرمة وقفت
على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه وأسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمني أحجاره و
ملاعبه وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ومتى أدخلت العرب على كاد جحدا فقالوا ما كاد عبد الله يقوم
ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان أجودهما قام عبد الله بعد إبطاء ولأي ومثله قوله تعالى
فذبحوها وما كادوا يفعلون أي ذبحوها بعد إبطاء وتأخر لأن وجدان البقرة عسر عليهم
ويروى أنهم لما أصابوها ليتيم لا مال له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهبا
فقال تعالى وما كادوا يفعلون أما لأنهم لم يقفوا عليها أو لغلائها وكثرة ثمنها والوجه الآخر
في قولهم ما كاد عبد الله يقوم أي ما يقوم عبد الله ويكون لفظة كاد على هذا المعنى مطرحة
لا حكم لها وعلى هذا المعنى يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى إذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يرها أصلا
لأنه عز وجل لما قال أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض كان بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر إلى اليد وسائر المناظر
فيكد على هذا التأويل زيدت للتأكيد والمعنى أنه إذا أخرج يده لم يرها وقال قوم معنى الآية
إذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر لتكاثف الظلمة وترادف الموانع من الرؤية فيكد على هذا
الوجه ليست بزائدة وقال آخرون معنى الآية إذا أخرج يده لم يرد أن يراها لأن ما شاهده من
تكاثف الظلمات آيسه من تأمل يده وقرر في نفسه أنه لا يدركها ببصره وحكي عن العرب أولئك
أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم أي أريد أن أنزل عليهم وقال الشاعر كادت وكدت وتلك خير
إرادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى أي أرادت وأردت وقال الأفوه الأودي فإن
تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا أي أرادوا وقال بعضهم معنى قوله تعالى
كذلك كدنا ليوسف أي أردنا ليوسف وقال ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه

كذلك صنعنا ليوسف ومما يشهد لمن جعل لفظة يكد زائدة في الآية قول الشاعر سريع إلى الهيجاء
شاك سلاحه فما إن يكاد قرنه يتنفس أي فما إن يتنفس قرنه ويكاد مزيدة للتوكيد وقال حسان
وتكاد تكسل أن تجيء فراشها في جسم خرعبة وحسن قوام معناه وتكسل أن تجيء فراشها وقال
الآخر وألا ألوم النفس فيما أصابني وألا أكاد بالذي نلت أنجح أي لا أنجح بالذي نلت
ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحا وروى عبد الصمد بن المعذل بن غيلان
عن أبيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة وأنشدنا بالكناسة وهو على راحلته
قصيدته الحائية التي يقول فيها إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال إذا غير النأي المحبين لم أجد
رسيس الهوى من حب مية يبرح قال فأخبرت أبي بما كان من قول ذي الرمة واعتراض ابن
شبرمة عليه فقال أخطأ ذو الرمة في رجوعه عن قوله الأول وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه هذا
عليه كقوله عز وجل إذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يرها فأما قوله عز وجل إن الساعة آتية
أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فيحتمل أن يكون المعنى أريد أخفيها لكي تجزى كل نفس بسعيها
ويجوز أن يكون زائدة ويكون المعنى إن الساعة آتية أخفيها لتجزى كل نفس وقد قيل فيه وجه
آخر وهو أن يتم الكلام عند قوله تعالى إن الساعة آتية أكاد ويكون المعنى أكاد آتي بها ويقع الابتداء
بقوله أخفيها لتجزى كل نفس ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابئ البرجمي هممت ولم أفعل
وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله أراد وكدت أفعل فحذف الفعل لبيان معناه
ويروى عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ أكاد أخفيها فمعنى أخفيها على هذا أظهرها وقال عبدة بن
الطبيب يصف ثورا يحفي التراب بأظلافه ثمانية في أربع مسهن الأرض تحليل أراد أنه يظهر
التراب ويستخرجه بأظلافه وقال امرؤ القيس فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب
لا نقعد أي لا نظهره وقال النابغة يخفي بأظلافه حتى إذا بلغت يبس الكثيب تداعى الترب
فانهدما وقد روى بعض أهل العربية أخفيت الشيء بمعنى سترته وأخفيته بمعنى أظهرته وكان القراءة
بالضم تحتمل الأمرين الإظهار والستر والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الإظهار فإذا كانت بمعنى

الإظهار

الإظهار كان الكلام في كاد محتملا للوجوه الثلاثة التي ذكرناها وكان الكلام فيها إذا كانت بمعنى الستر والتغطية
فإن قيل أي معنى لقوله إني أسترها لتجزى كل نفس بما تسعى وأظهرها على الوجهين جميعا وأي فائدة في ذلك
قلنا الوجه في هذا ظاهر لأنه تعالى إذا ستر عنا وقت الساعة كانت دواعينا إلى فعل الجميل والقبيح مترددة
وإذا عرفناه فيها بعينها كنا ملجئين إلى التوبة بعد مقارفة الذنوب وينقض ذلك الغرض بالتكليف و
استحقاق الثواب به فصار ما أريد به من المجازات للمكلفين بسعيهم وإيصال ثواب أعمالهم يمنع من
اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم فأما إذا كانت لفظة أخفيها بمعنى الإظهار فوجه الآية
واضح لأنه تعالى إنما يقيم القيامة ويقطع التكليف ليجازي كلا باستحقاقه ويوفي مستحق الثواب ثوابه
ويعاقب المسيء باستحقاقه فوضح وجه قوله تعالى أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى على المعنيين جميعا
قال المرتضى رضي الله عنه وجدت أبا بكر محمد بن القسم الأنباري يطعن على جواب من أجاب في قوله تعالى وبلغت القلوب
الحناجر بأن معناه كادت تبلغ الحناجر ويقول كاد لا تضمر ولا بد من أن تكون منطوقا بها ولو جاز
ضميرها لجاز قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله لأن
معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم عبد الله وهذا الذي ذكره غير صحيح ونظن أن الذي حمله على الطعن في
هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة لأن من شأنه أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وإن تعسف في الطعن عليه
والذي استبعده غير بعيد لأن كاد قد تضمر في مواضع ويقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن صريحة
ألا ترى أنهم يقولون أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع ما مات عنده وخرجت نفسه
ولما رأى فلان فلانا لم يبق فيه روح وما أشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ولا بد من
إضمار كاد فيه وقال جرير إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا وإنما المعنى
كدن يقتلننا وهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره فأما قوله يحيين قتلانا فالأظهر من معناه
أنهن لم يزلن يفعلن ما قاربنا عند الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك ويسمى هذه
الأمور حياة كما سمى أضدادها قتلا وقد قيل أن معنى يحيين أنهن لم يدين قتلانا لأن الدية
تسمى عند العرب كالحياة لمن قتل ثم لم يحيين قتلانا وهذه رواية شاذة لا أسمع على الأول
محصل ومعناها ضعيف ركيك وإذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال قام فلان بمعنى كاد

يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال فلان يعني كاد يموت فاما قوله فيكون تاويل قام عبد الله لم يقم عبد الله فخطأ لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله واراد كاد يقوم فقد افاد ما لا يفيده قوله لم يقم واما قوله تعالى زاغت الابصار فمعناه زاغت عن النظر الى كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها ويجوز ان يكون المراد بزاغت حارت وعالت عن القصد في النظر دهشا وتحيرا فاما قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فمعناه انكم تظنون مرة انكم تنتصرون وتظهرون على عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم ويجوز ايضا ان يريد الله تعالى ان ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعد الله به من النصر وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وظن المؤمنون ما طابق وعد الله لهم كما حكى جل وعز عنهم في قوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وكل ما ذكرناه واضح في تاويل الاية وما يتعلق بها

مجلس آخر تاويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا فقال اذا كان السبات هو النوم فكانه قال وجعلنا نومكم نوما وهذا مما لا فائدة فيه الجواب قيل له في هذه الاية وجوه منها ان يكون المراد بالسبات الراحة والدعة وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت فسمي اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله تعالى امر بني اسرائيل فيه بالاستراحة من الاعمال وقيل ان اصل السبات التمدد يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته من العقص وارسلته قال الشاعر: وان سبتته مال جثلا كانه ... سدى وابلات من نواسج خثعما. اراد وان ارسلته ومنها ان يكون المراد بذلك القطع لان السبت القطع والسبت ايضا الحلق يقال سبت شعره سبتا اذا حلقه وهو يرجع الى معنى القطع والنعال السبتية التي لا شعر عليها قال عنترة: بطل كان ثيابه في سرحة ... يحذى نعال السبت ليس بتوام. ويقال لكل ارض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتاء وجمعها سباتي فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم سباتا اي قطعا لاعمالكم وتصرفكم ومن اجاب بهذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان في يوم الاحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فرجع التسمية الى معنى القطع وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال اهل التوراة ان الله ابتدا في يوم الاحد فكان الخلق في يوم الاحد والثلثاء والاثنين والاربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول اهل التوراة وقال آخرون ان الابتداء كان في يوم الاثنين الى السبت وفرغ يوم الاحد وهذا قول اهل الانجيل فاما قول اهل الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان في يوم السبت واتصل الى الخميس وجعلت الجمعة عيدا فعلى هذا القول الاخير يمكن ان يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الارض فقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال ان الله تعالى خلق التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد ومنها ان يكون المراد بذلك انا جعلنا نومكم سباتا ليس بموت لان النائم قد يفقد من علومه وقصوده واحواله اشياء كثيرة يفقدها الميت فاراد تعالى ان يمتن علينا بان جعل نومنا الذي تضاهي فيه بعض احوالنا احوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا يخرج لنا عن الحيوة والادراك فجعل التاكيد بذكر المصدر قائما مقام نفي الموت وسادا مسده قوله وجعلنا نومكم ليس بموت ويمكن ان يكون في الاية وجه آخر لم يذكر فيها وهو ان السبات ليس هو كل نوم وانما هو من صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الطويل الممتد والسكون ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم واذا كان الامر على هذا الوجه لم يجر قوله وجعلنا نومكم سباتا مجرى ان يقول وجعلنا نومكم نوما والوجه في الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتدا طويلا ظاهر وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة لان التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئا من الراحة بل يصحبهما في الاكثر القلق والانزعاج والهموم التي هي تقلل النوم وتنزره وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح قال المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا بكر محمد بن القسم الانباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه اولا ويقول ان ابن قتيبة اخطا في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح واراح ويعتمد على الجواب الذي ثنينا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبتت المرأة شعرها ان معناه ايضا القطع لان ذلك انما يكون بان تحل الشداد الذي كان مجموعا به وقطعه والمقدار الذي ذكره ابن الانباري لا يقدح في جواب ابن قتيبة لانه لا ينكر ان يكون السبات هو الراحة والدعة اذا كانتا من نوم وان لم توصف كل راحة بانها سبات ويكون هذا الاسم يختص بالراحة اذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الاسماء واذا امكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على ان السبات لا يكون اسما للراحة عند النوم والذي يبقى على ابن قتيبة ان يبين ان السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر او لغة فان البيت الذي ذكره يمكن ان يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال فان قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه اخيرا قلنا الفرق بينهما بين لان ابن قتيبة جعل السبات نفس الراحة وجعله عبارة عنها واخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات من صفات النوم والراحة والدعة عنده للامتداد وبطول السكون فيه فلا يلزمنا ان يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عنده حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات وليس اياها بعينها على ان في الجواب الذي اختاره ابن الانباري ضربا من الكلام لان السبت وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويحتاج في اثبات مثل هذا البناء الى سماع عن اهل اللغة وقد كان يجب ان يورد من اي وجه اذا كان السبت هو القطع جاز ان يقال سبات على هذا المعنى ولم يفعل ذلك

تاويل خبر

ان قال قائل ما تاويل الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه وفي رواية اخرى ان الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة ايضا فقال سمعت النبي صلى الله عليه يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه الجواب انا اذا كنا قد علمنا بادلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال والاتساع والمجاز قبح مؤاخذة احد بذنب غيره وعلمنا ايضا ذلك بادلة السمع مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا بد من ان نصرف ظاهر ما يخالف هذه الادلة الى ما يطابقها والمعنى في الاخبار التي سئلنا عنها ان صحت روايتها انه ان اوصى موص بان يناح عليه ففعل ذلك بامره وعن اذنه فانه يعذب بالنياحة عليه وليس معنى يعذب بها انه يؤاخذ بفعل النواح وانما معناه انه يؤاخذ بامره بها ووصيته بفعلها وانما قال عليه السلام ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيامرون به ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم قال طرفة بن العبد: فان مت فانعيني بما انا اهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد. وقال بشر بن ابي خازم لابنته عميرة: فمن يك سائلا عن بيت بشر ... فان له بجنب الردة بابا ... ثوى في ملحد لا بد منه ... كفى بالموت نايا واغترابا ... رهين بلى وكل فتى سيبلى ... فاذري الدمع وانتحبي انتحابا

وقد روي عن ابن عباس في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه على يهودي فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره وقد روي انكار هذا الخبر عليه عن بعض ازواج النبي وانها قالت لما اخبرت بروايته وهل ابو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر انما قال ان اهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب في قبره بجرمه قال المرتضى رضي الله عنه معنى وهل اي ذهب وهمه الى غير الصواب ويقال وهلت الى الشيء فانا اوهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه اوهل وهلا اي نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا اذا فزع والوهل الفزع فاما القليب فهي البئر والجمع القلب قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين: يناديهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب في القليب ... الم تجدوا حديثي كان حقا ... وامر الله ياخذ بالقلوب. وقال آخر يبكي على قتلى بدر من المشركين: فماذا بالقليب قليب بدر ... من القينات والشرب الكرام ... وماذا بالقليب قليب بدر ... من الشيزى تكلل بالسنام. ومعنى وهله في ذكر القليب انه روي ان النبي صلى الله عليه وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم يسمعون ما اقول فانكر ذلك عليه وقيل انما قال انهم الان ليعلمون ان الذي كنت اقول لهم هو الحق واستشهد بقول الله تعالى انك لا تسمع الموتى واهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال بينا رسول الله ذات يوم قائما يصلي بمكة واناس من قريش في حلقة فيهم ابو جهل بن هشام فقال ما يمنع احدكم ان ياتي الجزور الذي نحرها آل فلان فياخذ سلاها ثم ياتي به حتى اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث اشقى القوم وانا انظر اليه فجاء به حتى وضعه على ظهره فقال عبد الله فلو كانت يومئذ لي منعة لمنعته وجاءت فاطمة عليها السلام وهي يومئذ صبية حتى اماطته عن ظهره ابيها ثم جاءت حتى قامت على رؤسهم فاوسعتهم شتما قال والله لقد رايت بعضهم يضحك حتى انه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبي صلى الله عليه اقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما راوا النبي قد دعا عليهم اسقط في ايديهم قال فوالله الذي لا اله غيره ما سمى النبي صلى الله عليه يومئذ احدا الا وقد رايته يوم بدر وقد اخذ برجله يجر الى القليب مقتولا قوله ياخذ سلاها اي جلدتها التي فيها ولدها ما دام في بطنها والجمع الاسلاء وقال ابن حبيب السلاء التي فيها الاولاد قال الاخطل

يمرحن بالثغر البخار كأنما يتقين بالأسلات أو دبة العصب وقال الشماخ والعيس دامية المناسم
خثم يقذفن بالأسلاة تحت الركب وقال الفراء سقط في أيديهم من الندامة وسقط وأسقط
لغتان وهي بغير ألف أكثر وأجود ويمكن أن يكون في قوله يعذب ببكاء أهله وجه آخر وهو أن يكون
المعنى أن الله تعالى إذا علم ببكاء أهله وأعزته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهم تألم بذلك وكان عذابا
له والعذاب ليس بجار مجرى العقاب الذي لا يكون إلا على ذنب متقدم بل يستعمل كثيرا بحيث يستعمل
الألم والضرر ألا ترى أن القائل قد يقول لمن ابتدأه بالضرر والألم قد عذبتني بكذا وكذا وأذيتني
كما يقول أضررت بي وآلمتني وإنما لم يستعمل العقاب حقيقة في الآلام المبتدأة من حيث كان اشتقاق لفظه من
المعاقبة التي لا بد من تقدم سببها وليس هذا في العذاب تأويل خبر إن سأل سائل عن الخبر الذي يروى
عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ما من أحد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا
أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل يقولها ثلاثا فقال أليس في هذا دلالة على أن الله تعالى يتفضل بالثواب
غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف ذلك الجواب قلنا فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين إلى
الله تعالى وحاجتهم إلى ألطافه وتوفيقاته ومعوناته وأن العبد لو أحوج إلى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة
واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكأنه عليه السلام أراد أن أحدا لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى
عليه ولا لطف له فيه ولا أرشده إليه وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه فأما الثواب فإنا نقول إنه
تفضل بمعنى أن الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول إنه لا يجب على الله تعالى شيء ابتداء وإنما يجب
ما أوجبه على نفسه فالثواب تعالى كأنه أوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكين والألطاف وكل ما
يجلبه ويوجبه بالتكليف ولولا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب فإن قيل فقد سمى الرسول صلى الله عليه وآله
ما يفعله فضلا فقال إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا هذا يطابق ما ذكرناه لأن الرحمة
نعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وإن حملنا قوله برحمة منه وفضل قلنا
على ما يفعله من الألطاف والمعونات فهي أيضا فضل وتفضل لأن سببها غير واجب فأما قوله يتغمدني
فمعناه يسترني يقال غمدت السيف إذا سترته قال الشاعر نصبنا رماحا فوقها جد عامر كظل السماء
كل أرض تغمدا والجد هاهنا الحظ وشبه ما قسم لعامر من الغلبة والظفر بظل السماء الذي

ويظهر عليه أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد
الحكيمي قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي قال أخبرنا ابن الأعرابي قال
يقال للقوم إذا دعوت عليهم بهرهم الله والمبهور هو المكروب وأنشدنا أبرزوها مثل المهاة
تهادى بين خمس كواعب أتراب ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب قال المرتضى
وقد قيل في معنى قوله بهرا غير هذا الوجه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى
الصولي قال حدثنا القاسم بن إسماعيل قال حدثني التوزي عن أبي عمرو والأصمعي قال سمعت أبا عمرو بن
العلاء يقول عمر بن أبي ربيعة حجة في العربية وما أخذ عليه شيء إلا قوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا وله
فيه عذر إن أراد الخبر لا الاستفهام كأنهم قالوا أنت تحبها على جهة الإخبار منهم لا الاستفهام
فأكد هو إخبارهم بجوابه فهذا حسن وبهرا يجوز أن يكون أراد نعم حبا بهرني بهرا ويكون أيضا بمعنى
عفرا وتعسا دعاء عليهم إذ جهلوا أمر حبه لها ما لا يجهل مثله وأنشد أبو عمرو لحا الله قومي إذ
يبيعون مهجتي بجارية بهرا لهم بعدها بهرا قال أبو عمرو ويكون بهرا بمعنى ظاهرا أي حبا ظاهرا
من قولهم قمر باهر وقد حكى بعض الرواة أنه قال قيل لي هل تحبها قلت بهرا والرواية الأولى
هي المشهورة ولعل من روى ذلك فر بهذه الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن أبي ربيعة
المخزومي من جملة أبيات منها من رسولي إلى الثريا بأني ضقت ذرعا بهجرها والكتاب وهي مكنونة
تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب سلبتني مجاجة المسك عقلي فسلوها بما يحل اغتصابي
أزهقت أم نوفل إذ دعتها مهجتي ما لقاتلي من متاب حين قالت لها أجيبي فقالت من دعاني
قالت أبو الخطاب أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب أتراب ثم قالوا تحبها قلت بهرا
عدد القطر والحصى والتراب والثريا هذه التي عناها عمر أموية وقد اختلف في نسبها فقيل إنها
الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ابن عبد شمس وقيل إنها الثريا بنت علي بن عبد الله
بن الحارث بن أمية الأصغر ابن عبد شمس وذكر الزبير بن بكار أن الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله
بن الحارث بن أمية الأصغر وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جواب العبلي الذي قتله داود بن علي
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثني أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار

قال حدثني موسى بن عمر بن أفلح قال أخبرني بلال مولى ابن أبي عتيق في حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة
مع الثريا اختصرناه وأوردنا بعضه قال لما سمع ابن أبي عتيق قول عمر من رسولي إلى الثريا قال
إياي أراد وبي نوه لا جرم والله لا أذوق أكالا حتى أشخص إليها لأصلح بينهما فنهض ونهضت معه
فجاء قوما من بني الدئل بن بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرونها فاكترى منهم راحلتين وأعلى
لهم بهما فقلت له استوضعهم شيئا أو دعني أماكسهم فقد استشطوا فقال لي ويحك أما علمت
أن المكاس ليس من خلق الكرام وركب إحداهما وركبت الأخرى فسار سيرا شديدا فقلت له
ارفق على نفسك فإن ما تريد لا يفوتك فقال ويحك بادر حبل الود أن يتقضبا وما ملح الدنيا
أن يتم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج إليه فسلم
عليه فما نزل ابن أبي عتيق عن راحلته وقال لعمر بن أبي ربيعة اركب أصلح بينك وبين الثريا فأنا
رسولك الذي سألت عنه فركب معه فقدمنا الطائف فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني
سفر المدينة إليك فجئتك به معترفا بذنب لم يجنه معتذرا من إساءة لم تكن إليه فدعيني من
التعداد والترداد فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وكر بنا
إلى المدينة ولم يقم ابن أبي عتيق بمكة ساعة وفي الثريا يقول عمر وأيضا لما تزوجها سهيل بن عبد الرحمن
بن عوف المكنى بأبي الأبيض وقيل بل تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان أيها المنكح الثريا
سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

مجلس آخر

تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم فقال ما الفائدة
في قوله ما غشيهم وقوله فغشيهم يدل عليه ويستغنى به عنه لأن غشيهم لا يكون إلا الذي غشيهم وما
الوجه في ذلك قلنا قد ذكر في هذا أجوبة أحدها أن يكون المعنى فغشيهم من ماء اليم البعض الذي
غشيهم لأنه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم بعضه فقال تعالى ما غشيهم ليدل على أن الذي غرقهم بعض الماء
وأنهم لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه يحكى عن الفراء وذكره ابن الأنباري واعتمده وغيره أوضح منه
واليم هو البحر قال الشاعر وبنى تبع على اليم صرحا عاليا مشرفا على البنيان وثانيها أن يكون المعنى
فغشيهم من ماء اليم ما غشي موسى عليه السلام وأصحابه وذلك أن موسى وأصحابه وفرعون وأصحابه سلكوا جميعا

البحر فغشيهم كلهم إلا أن فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى وقومه جعل لهم في البحر طريقا يبسا
فقال تعالى فغشي فرعون وقومه من ماء اليم ما غشي موسى وقومه فنجا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا الوجه
يكون الهاء والميم في قوله ما غشيهم كناية عن غير من كنى عنه بقوله فغشيهم لأن الأولى كناية عن فرعون
وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه وثالثها أنه غشيهم من عذاب اليم وإهلاكه لهم ما غشي الأمم السالفة
من العذاب والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم وإقامتهم على رداءة أفعالهم والعدول عن إرشادهم
والأمم السالفة وإن لم يغشهم العذاب والإهلاك من قبل البحر فقد غشيهم عذاب وإهلاك
استحقوهما بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم فشبه بينهم وبين هؤلاء من حيث اشتمال العذاب على
جميعهم عقوبة على التكذيب ورابعها أن يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم من العطب والهلاك
فيكون لفظة غشيهم الأولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر ويمكن في الآية
وجه آخر لم يذكر فيها وهو واضح بين يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو أن تكون
الفائدة في قوله تعالى ما غشيهم تعظيم الأمر وتفخيمه كما يقول القائل فعل فلان ما فعل وأقدم على ما أقدم
إذا أراد التفخيم وكما قال جل وعز وفعلت فعلتك التي فعلت ومما يجري هذا المجرى ويدخل
في هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وأنت أنت وفي القوم هم هم قال الهذلي رفوني وقالوا يا
خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم وقال أبو النجم أنا أبو النجم وشعري شعري كل ذلك
إذا أراد تعظيم الأمر وتكبيره تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم
فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو لا يفيد إلا ما يفيد قوله تعالى فخر عليهم السقف لأن السقف لا يكون إلا فوقهم
على القول الأول لا يذهب وهم أحد إلى أن السقف يخر عليهم من تحتهم الجواب قيل في ذلك وجوه
أولها أن يكون على بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم أي خر عن كفرهم وعن جحودهم
بالله وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه فيكون على وعن بمعنى واحد
أي من أجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية فخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم قال الشاعر أرمي
عليها وهي فرع أجمع وهي ثلاث أذرع وإصبع أراد أرمي عنها لأن كلام العرب رميت عن
القوس فأقام على مقام عن ولو أنه تعالى على هذا المعنى فخر عليهم السقف لم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم

يتوهم ان السقف خر ولبسوا تحته وثانيهما ان يكون على بمعنى اللام والمراد فخر لهم السقف فان على تقام
مقام اللام وحكي عن العرب ما اغيظك علي وما اغمك علي يريدون ما اغيظك وما اغمك لي وقال الكرماني
يصف ناقة كان نحواها على ثفناتها معرس خمس وقعت الجناجن اي خمس ابوفي اراد وقعت على
الجناجن وهي عظام الصدر فاقام اللام مقام على وقد يقول القائل ايضا تداعت على فلان داره واستهدم
عليه حائطه ولا يريد انه كان تحته فاخبر تعالى بقوله من فوقهم عن فائدة لولاها ما فهمت لجاز ان يتوهم منه
في قوله فخر عليهم السقف ما يتوهم من قولهم خرب عليه بعيره وقد نفقت عليه دابته واشباه ذلك والعرب
هذا المذهب طريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع الا في الشر والامر المكروه
الضار ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك الا ترى انهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا
من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وهكذا
من شانهم اذا قالوا قال علي وروى علي فانه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عني وروى عني ومثل
ذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان لانهم لما اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن ان يقول
يتلون عليه فلو كان خيرا لقيل عنه ومثله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وقوله تعالى اتقولون على
الله ما لا تعلمون وقال الشاعر عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصح مر وما لي ان اكون اغشت
يحيى ويحيى طاهر الاخلاق بر ولكن قد اتاني ان يحيى يقال عليه في بقعاء شر فقلت له تجنب كل شيء
يعاب عليك ان الحر حر ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان
يتتبع شعره ويخطيه ويلحنه لقد كان في معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوي على القصائدا فقال على
ولم يقل عنه للمعنى الذي ذكرناه وثالث الوجوه في الاية ان يكون من فوقهم تاكيدا للكلام وزيادة في
البيان كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب لا يكون الا في الصدور ونظائر ذلك
في الكتاب وكلام العرب كثير **تاويل خبر** ان سال سائل عن الخبر الذي رواه نافع عن ابي اسحق الهجري عن
ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلعم انه قال ان هذا القران مادبة الله فتعلموا مادبته ما
استطعتم وان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله فقال ما تاويله وكيف بيان غريبه الجواب قلنا المادبة
في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو الناس اليه فشبه النبي صلعم ما يكتسبه الانسان من خير القران

وينفعه ويعايده عليه اذا قراه ويحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال قد ادب
الرجل يادب ادبا فهو آدب اذا دعا الناس الى طعامه ويقال للمادبة المدعاة وذكر الاحمر انه يقال فيها
ايضا مادبة بفتح الدال قال طرفة نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر ومعنى الجفلى
انه عم بدعوته ولم يخص بها قوما دون قوم والنقرى اذا خص بها بعضا دون بعض ومعنى ينتقر
من النقرى قال بعض هذيل وليلة يصطلي بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها لا ينبح
الكلب فيها غير واحدة عند الصباح ولا تسري افاعيها معنى يصطلي بالفرث جازرها انه يخرج
اذا شق الكرش ادخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفئا به ومعنى يختص بالنقرى المثرين داعيها
انه يخص بدعائه للطعام الاغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافاة وقال الاخر قالوا ثلاثا ثاوه
خصب ومادبة وكل اياميه يوم الثلاثاء وقال الهذلي يصف عقابا كان قلوب الطير في جوف
وكرها نوى القسب يلقى عند بعض المادب اراد جمع مادبة وقد روي هذا الحديث بفتح الدال
المادبة وقال الاحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره المادبة بالفتح
مفعلة من الادب معناه ان الله تعالى ترك القران ادبا للخلق وتقويما لهم وانما دخلت الهاء في
مادبة ومادبة والقران مذكر بمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة
والكفر مخبثة لنفس المنعم وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب المدح على جهة
التشبيه بالداهية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة ويقال لطعام الاملاك
وليمة ولطعام الزفاف العرس ولطعام الختان العذيرة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام
حلق الراس الشعر العقيقة ولطعام القادم من سفر النقيعة ولطعام النفاس الخرس وللذي تطعمه
النفساء الخرسة قال الشاعر اذا النفساء لم تخرس ببكرها غلاما ولم تسكت بحتر فطيمها الحتر الشيء
القليل وقال الحزر كل الطعام تشتهي ربيعه العرس والاعذار والنقيعة وروى الخرس وينشد ايضا
في النقيعة قول الشاعر انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ضرب القدار نقيعة القدام فالقدار
الجزار والقدام جمع قادم وقال ابو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة
ولطعام الختان الاعذار والعذيرة وقال الفراء الشندخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس

وقال ابو زيد يقال من النقيعة نقعت وقال الفراء يقال منها انقعت وقال ابن السكيت يقال
للطعام الذي يتعلل به قدام الغداء السلفة واللهنة يقال الهنوا ضيفكم اي اطعموه اللهنة قال
عجز عارضها منقل طعامها اللهنة او اقل وقال ابن السكيت يقال فلان ياكل الوزمة اذا كان ياكل
اكلة في اليوم وقال الاصمعي يقال فلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل في اليوم والليلة اكلة قال بشار
فاستغن بالوجبات عن ذهب لم يبق قبلك لامرئ ذهبه وقال ابن السكيت قال الاصمعي
لرجل اسرع في سيره كيف كان سيرك قال كنت اكل الوجبة وانجو الوقعة واعرس اذا افجرت وارتحل
اذا اسفرت واسير الوضع واجتنب الملع فجئتكم لمسي سبع قوله انجو الوقعة معناه اقضي حاجتي
مرة في اليوم وهو من النجو وقوله اسير الوضع فالوضع سير فيه بعض الاسراع والملع سير اشد منه
واراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة ان يقف ظهره قبل ان يبلغ الارض التي يقصدها و
يقال سير السير الحقحقة اي السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته قال الشاعر اذا ما ارت
الارض ثم تباعدت عليك فضع رحل المطية وارتحل اي اسرع حتى تقوى على السير فان جهدت
نفسك لم تقطع ارضا ولم تبق ظهرا وهذا من ابيات المعاني التي يسال عنها والذي قيل فيه ما ذكرنا
ويمكن ايضا ان يكون معنى البيت اذا تباعدت عليك ارض فدعها وانسل عنها كما يقال دواء ما عز
الصبر وما جرى مجرى ذلك من الفاظ التسلية والامر بالعدول عن تتبع ما صعب من الامور وقال
الاخر في معنى البيت الاول تقطع بالنزول الارض عنا وبعد الارض يقطعه النزول وقوله جئتكم لمسي
سبع معناه لمساء سبع ليال ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير ان يدعوه اليه الوارش والواغل
وقول العامة طفيلي مولد لا يوجد في العتيق من كلام العرب واصل ذلك ان رجلا يقال له طفيل كان
بالكوفة لا يفقد من وليمة من غير ان يدعى اليها فقيل للوارش طفيلي تشبيها بطفيل هذا في وقته ويقال
للذي يحضر شراب القوم من غير ان يدعى اليه واغل قال امرؤ القيس فاليوم فاشرب غير مستحقب
اثما من الله ولا واغل ويقال لما يشربه الواغل الوغل قال الشاعر وان اكسى اقلا اشرب
الوغل ولا يسلم مني البعير وقوله ان اصفر البيوت لبيت اصفر من كتاب الله معناه ان اخلا البيوت
والصفر عند العرب الخالي من الانية وغيرها ويمكن في قوله مادبة وجه اخر وهو ان يكون وجه التشبيه

للقران بالمادبة وتشبيهه بها من حيث دعا الخلق اليه وامرهم بالاجتماع عليه فهما مادبة
لهذا الوجه لان المادبة هي التي يدعا الناس اليها ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الاول
لان الاول يتضمن ان وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقران كما ينتفع المدعو الى
المادبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الاخر يتضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس والدعاء
اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد ان يريد بالخبر المعنيين معا فلا تنافي بينهما اخبرنا
ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كنا في مجلس الاصمعي
اذ اقبل اعرابي فقال ابن عم لكم فاشرنا الى الاصمعي فقال له ما معنى قول الشاعر لا مال الا العطاف
تؤزره ام الثلاثين وابنة الجبل لا يرتقي النز في ذلاذله ولا يعدي نعليه من بلل فقال الاصمعي
عصرته نطفة تضمنها لصب تلقى مواقع السبل او وجبة من جناة اشكلة ان لم يرعها
بالقوس لم تنل فقال له الاعرابي وهو يقول لم اركاليوم عضلة قال ابن دريد انما وصف
رجلا خائفا في راس جبل يقول لا مال له الا العطاف وهو السيف تؤزره ام الثلاثين يعني كنانة
فيها ثلاثون سهما وابنة الجبل يعني القوس لانها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره وقوله لا
يرتقي النز في ذلاذله لانه في راس جبل فلا نز هناك يتعلق بما يفضل من ثيابه ولا بلل يعدي نعليه
والعصرة الملجأ والنطفة الماء المجتمع في صخر او غيره من بقية ماء المطر واللصب الشق في الجبل
اضيق من اللهب واوسع من الشعب والسبل المطر والوجبة ان ياكل كل يوم مرة والاشكل السدر
الجبلي واحده اشكلة يقول هذه النطفة والوجبة من الاشكل عصرتاه وقوله ان لم يرعها بالقوس يعني
انها لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وانما جعل الاصمعي انشاد باقي الابيات
دلالة على معرفة معناها لانه يبعد ان يعرفها ولا يعرف معناها والاعرابي انما سال عن المعنى فاقام
انشاده لها مقام تفسيرها فاستغنى الاعرابي بذلك وعلم بانه للابيات معرفة بمعناها وكان
الاصمعي كثيرا ما انشد بيتا من الشعر ينشد بيتا في معناه في الحال فمن ذلك ان اسحق بن ابرهيم الموصلي
انشده يوما لنفسه اذا كانت الاحرار اصلي ومنصبي وقام بنصري حازم وابن حازم عطست بانفي
شامخا وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم قال فلما فرغت من انشادهما انشد بعقب ذلك الا

ايها السائلي جاهلاً ليعرفني انا انف الكرم نمت في الكرام بني عامر فروعي واصلي قريش العجم قال فجاءه الله بالشعر الذي نحوته وعملت بيتي عليه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحق بن ابرهيم قال ما انشدت الاصمعي شيئاً قط الا انشدني مثله كان اعده فانشدته يوماً للاعشى علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق اخرى غيرها الرجل فانشدني من وقته تملك لحب بني لوي اذ رميت واصاب نبلك اذ رميت سواها واعار الحدثان منك مودة واعار غيرك ودها وهواها وذكر ابو العيناء قال كان الاصمعي اذا سمع انساناً ينشد شعراً في معنى انشد في ذلك المعنى من غير ان يريه انه اراده فانشد رجل قول القطامي والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولام المخطي الهبل فانشد هو قول عتب القرابي فمن يلق خيراً يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وروى ميمون بن هرون قال سمعت اسحق بن ابرهيم الموصلي يقول انشدت الاصمعي لحل الاعشى طلباً ان ينشدني مثله وكان مع بخله بالعلم الا بمثل هذا ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا او تنزلون فانا معشر نزل فانشدني لربيعة بن مقروم الضبي ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم اوظفة القوائم هيكل فدعوا نزال فكنت اول نازل وعلام اركبه اذا لم انزل وروى عن اسحق بن ابرهيم ايضاً انه قال دخل الي يوما الاصمعي وعندي اخ العماني الراجز حافظ راويته فلما دخل عبث به اخو العماني فقال له من هذا فقال هو الباهلي الذي يقول فما حصه ثماد ومنزباها الذي باطيب من فيها ولا اقط رطب فقال له قبل الكلام هو على كل حال اصلح من قول اخيك العماني يا رب جارية حوراء ناعمة كانما عوسج في راوود قال اسحق فقلت له اكنت اعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر بي شيء الا وانا اعرف طرفا

مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم فقال اي معنى لقوله بافواههم ومعلوم ان القول لا يكون الا بالافواه الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في لغة العرب احدهما القول باللسان والاخر القول بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن او الاعتقاد ولهذا الوجه ذهب العرب بالقول مذهب الظن فقالوا اتقول عبد الله خارجاً ومتى تقول محمداً منطلقاً يريدون متى تظن قال الشاعر

اما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا اراد فمتى تظن الدار وقال الاخر اجهالاً تقول بني لوي لعمر ابيك ام متجاهلينا اراد اتظن بني لوي وقال توبة بن الحمير الا يا صفي النفس كيف تقولها لو ان طريداً خائفاً يستجيرها تخبران شطت بها غربة النوى ستنعم ليلى او يفك اسيرها اراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الامرين معاً افاد قوله تعالى بافواههم فصل المعنى على ما يكون باللسان دون القلب فلو اطلق تعالى القول ولم يأت بذكر الافواه لجاز ان يتوهم المعنى الاخر ومما يشهد لذلك قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فلم يكذبهم تعالى في قول السنتهم لانهم لم يخبروا بافواههم الا بالحق بل كذب ما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات ووجه آخر وهو ان يكون الفائدة في قوله بافواههم ان القول لا برهان عليه وانه باطل كذب لا يرجع فيه الا الى قول مجرد باللسان لان الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقاً اذا كان راجعاً الى الحجة فيكون اضافة القول الى اللسان يقتضي ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله او يكذبه هكذا تقول وليس الشان فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك فكانهم ارادوا ان يقولوا هذا قول لا برهان عليه فاقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا بافواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان عليه ولا يرجع فيه الا الى اللسان ووجه آخر وهو ان تكون الفائدة في ذلك التاكيد فقد جرت به عادة العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين اولى لان حمل كلامه تعالى على الفائدة اولى من حمله على ما يسقط معه الفائدة

تأويل آية اخرى ان سال سائل عن قوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فقال اي معنى لرد الايدي في الافواه واي مدخل لذلك في التكذيب بالرسل الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون اخباراً عن القوم بانهم ردوا ايديهم في افواههم عاضين عليها غيظاً وحنقاً على الانبياء كما يفعل المتوعد لغيره المبالغ في معاندته ومكايدته وهذه عادة معروفة في المغيظ المحنق انه يعض على اصابعه ويفرك انامله ويضرب باحدى يديه على الاخرى وما شاكل ذلك من الافعال وثانيها ان تكون الهاء في الايدي والتي في الافواه معاً للرسل

للكفار المكذبين والهاء التي في الافواه للرسل فكانهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وانذارهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل مانعين لهم من الكلام كما يفعل المسكت منا لصاحبه والراد لقوله وثالثها ان تكون الهاء في الايدي والتي في الافواه معاً للرسل والمعنى انهم كانوا ياخذون ايدي الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ورابعها ان يكون الهاءان جميعاً راجعان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم اذا سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا ايدي انفسهم على افواههم مشيرين لهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد منا تسكيت غيره ومنعه من الكلام من وضع اصبعه على في نفسه وخامسها ان يكون المعنى فردوا القول بايديهم الى افواه الرسل اي انهم كذبوهم ولم يصغوا الى اقوالهم فالهاء الاولى للقوم والثانية للرسل والايدي انما ذكرت مثلاً وتاكيداً كما يقول القائل اهلك فلان نفسه بيده اي وقع الهلاك به من جهته لا من غيره وسادسها ان المراد بالايدي النعم وفي محمولة على الباء والهاء الثانية للقوم المكذبين والتي قبلها للرسل والتقدير فردوا بافواههم نعم الرسل اي ردوا وعظهم وانذارهم وتنبيههم على مصالحهم التي لو قبلوها لكانت نعماً عليهم ويجوز ايضاً ان يكون الهاء التي في الايدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز اضافتها اليهم وحمل لفظة في على معنى الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك ورضيت عليك وحكى في الفرزدقي ادخلك الله بالجنة يريدون في الجنة فيعبرون بالباء عن معنى في كذلك ايضاً يصح ان يعبروا بفي عن الباء قال الشاعر وارغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن سنبس لست ارغب اراد وارغب بها فحمل في على الباء وسابعها وهو جواب اختاره ابو مسلم محمد بن بحر وزعم انه اولى من غيره وقال المضمرون في قوله تعالى ايديهم الرسل وكذلك المضمرون في قوله في افواههم والمراد باليد هاهنا ما نطق به الرسل من الحجج والبينات التي ذكرها تعالى انهم جاءوا بها قومهم واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان ايضاً وعلى الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذي اتى به الانبياء قومهم هو الحجة والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع عليه اسم اليد ولما كان ما يعظ به الانبياء قومهم وينذرونهم به انما يخرج من افواههم فردوه وكذبوهم

قيل انهم ردوا ايديهم في افواههم اي انهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز ان يكون الضمير في ذلك للمرسل اليهم كما قاله بعض المفسرين وذكر ان معناه عضوا عليهم انامليهم غيظاً لان راضع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى رادا ليده الى فيه الا اذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردها فلما كثر وليس ما استنكره ابو مسلم من رد الايدي الى الافواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه والى وجهه وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وان لم يتقدم ذلك الفعل ولو لم يسغ هذا القول تحقيقاً لساغ تجوزاً واتساعاً وليس يجب ان نوجد العرب بالتحقيق في كلامها فان تجوزها واستعاراتها واتساعاتها اكثر على انه يمكن ان يكون المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئاً بعد شيء وتكرر منهم فلهذا جاز ان يقول ردوا ايديهم في افواههم لانه قد تقدم فيهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب اذا اصرنا الى مراده

تأويل خبر روى ان مسلماً الخزاعي ثم المصطلقي قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد انشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقي لا تامنن وان امسيت في حرم ان المنايا بكفي كل انسان واسلك طريقك تمشي غير مختشع حتى تبين ما يمني لك الماني فكل ذي صاحب يوما مفارقه وكل زاد وان ابقيته فان والخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك ياتيك الجديدان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لو ادركته لاسلم فبكى مسلم فقال له ابنه يا ابه ما يبكيك اتبكي لمشرك مات في الجاهلية فقال يا بني لا تفعل فما رايت مشركة تلقفت من مشرك خيراً من سويد قوله ما يمني لك الماني معناه ما يقدره لك القادر قال الفراء يقال مني الله عليه الموت اي قدره الله عليه الموت وقال يعقوب بن السكيت يقال مني الله عليه ما يمني اي قدره الله بما قدر لك اي قدره لك السماء يريد ذلك وانشد لعمر ابي عمرو لقد ساقه المني الى جدث يوزى له بالاهاضب وقال ابن الاعرابي ساقه المني اي ساقه القدر وانشد ابن الاعرابي منت لك ان تلاقيني المنايا احاد احاد في شهر الحلال معناه قدرت لك وقال ابو عبيدة في قوله تعالى من نطفة اذا تمنى معناه اذا تخلق وتقدر وقال بعض اهل اللغة انما سمي منى منى لما يمنى فيه من الدماء اي يقدر فيه وقيل ايضاً فيما يمنى فيه من الدم وقيل انما سمي بذلك لان ابرهيم عليه السلام لما انتهى اليه قال له الملك تمن قال اتمنى الجنة فهي منى لذلك ومنى يذكر ويؤنث والتذكير اجود قال الشاعر في

الذكر سقى منى ثم رواه وساكنه ومن ثوى فيه واهي الودق منبعق وقال الاخر في التابيت لكونهما
بمنى اذ نحن نتربطها اسر من يومنا بالعرج او ملل واما قوله الخير والشر مقرونان في قرن فالقرن
الحبل واراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خير صرف لا شر
فيه فلهذا قال انهما مقرونان ويجوز ايضا ان يريد ان لسرعة تقلب الزمان وابداله الخير بالشر كان
الخير والشر مقرونان مجموعان معا للتقارب بينهما فاما الجديدان فهما الليل والنهار وهما ايضا الاجدان
والملوان والفتيان والردفان والعصران قال الشاعر ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان
ولكن يفسد الناس وقال الاخر وامطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والانف راغم
قال ابو عبيدة ويقال الليل والنهار ابنا سبات وانشد ابن الاعرابي وكنا وهم كابني سبات
تفرقا سوى ثم كانا منجدا وتهاميا ويقال للغداة والعشي القرتان والبردان والصرعان
اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن احمد الحكيمي قال
املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي لرفيع الوالبي كذبتك
ما وعدتك امس صالح وعسى يكون لما وعدت نجاح بردي من السقم الطويل ضمانه لا يستوي
سقم بكم وصحاح اصالح انك قد رميت نوافذا وجوايفا ليست لهن جراح ولقد رميت
بالفؤاد لحبة وعلي من سدد في العشي رياح معنى رياح ههنا اي علو وثب من العشي ومثله
رواح وقوم يروونه بالكسر وليس بشيء ما كان ابصرني بغرات الصبي فاليوم قد شعفت لي
الاشباح ومشى بجنب الشخص شخص مثله والارض نابية الشخوص براح خلق الحوادث لمتي
فتركن لي راسا يصل كانه جماح ونكى باصداغي وفرق ذوائبي قبض المشيب بكلهن مضاح
قوله كانه جماح من ابيات الاساد والجماح سهم او قصبة يجعل عليه طين ثم يرمى به الطير وبهذا الاسناد
لبعضهم ارى الناس للصعلوك حربا ولا ارى لذي نشب الا خليلا مصافيا ارى المال يغشى
ذا الوصوم فلا ترى ويدعى من الاشراف من كان غانيا الصعلوك الفقير وهو ايضا القرضوب
والسبروت والوصوم العيوب وبهذا الاسناد لعقيل بن علفة اني ليحمدني الخليل اذا
اجتدى مالي ويكرهني ذوو الاضغان وابيت تخلجني الهموم كانني دلو السقاة تمد بالاشطان

خبر عقيل بن علفة

واعيش بالبلل القليل وقد ارى ان الرموس مصارع الفتيان واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثني علي بن ابي منصور قال اخبرني محمد بن موسى عن دعبل بن علي قال قال عقيل بن علفة وذكر
الابيات الثلاثة وزاد فيها ولقد علمت لئن هلكت لتذكرن قومي اذا علن النجي مكاني
قال المرتضى رضي الله عنه وكان عقيل بن علفة مع قوة شعره جيد الكلام حكيم الالفاظ وروى المدائني
قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفة المري ما اخس اموالكم فقال ما نال الرجل احدنا عن
تفضلا قال ثم ايها قال المواريث قال فايها اشرف قال ما استفدناه بوطء خولت نعما وافادت عزا قال
فما مبلغ عزكم قال ما لم يطمع فينا ولم نؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به منا وابقينا به
به ذكرا قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك
هكذا فليصف الرجل قومه وروي انه قيل لعقيل بن علفة قد عنست بناتك فما تخشى عليهن
الفساد فقال كلا اني خلفت عندهن الحافظين قيل وما هما قال الجوع والعري اجيعهن فلا
يأشرن واعريهن فلا يظهرن وقال له عبد الملك يوما ما لك تهجو قومك قال لانهم اشباه
الغنم اذا صيح بها رفعت واذا سكت عنها رتعت وقيل له انما تقول من القصيدة البيت والبيتين
قال حسبي من القلادة ما احاط بالعنق فاما معنى علفة اسم ابيه فان ابن الاعرابي قال
العلفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الزهر من البقل وغيره وقال ابو سعيد السكري العلفة ضرب
من العشب او نبت من بعض النبات مثل قشرة الباقلاء واللوبيا وهو الغلاف الذي يجمع عدة حب وقيل
ان عقيلا كان يكنى بابي الوليد وكان عقيل رجلا غيورا موصوفا بشدة الغيرة وروى ابو عمرو
بن العلاء انه حمل يوما ابنة له وانشا يقول اني وان سيق الي المهر الف وعبدان وذود عشر احب
اصهاري الي القبر وذكر الاصمعي ان عقيلا كان لغيرته اذا راى الرجل يتحدث الى النساء اخذه
وشد يديه ورجليه وطرحه في قرية النمل فلا يعود الى محادثتهن وروى الاصمعي
قال كان عقيل بن علفة في بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجرباء فانشا يقول قضت وطرا
من دير سعد وربما على عجل ناطحنه بالجماجم ثم اقبل على ابنه فقال اجز يا عملس فقال واصبحن بالموماة
يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميل العمائم ثم اقبل على ابنته فقال اجيزي يا جرباء فقالت

كان الكرى يسقاهم صرخدية عقارا تمشت في المطا والقوائم قال فاقبل على ابنته يضربها ويقول
والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه اخوها فناله دونها ثم رماه احدهم
بسهم فانتظم فخذيه فقال عقيل ان بني زملوني بالدم من يلق ابطال الرجال يكلم ومن يكن
ذا اود يقوم شنشنة اعرفها من اخزم الشنشنة الطبيعة والسجية وقيل الشبه وهذا مثل
اجتلبه عقيل وقد قيل قبله ولعقيل وللدهر اثواب فكن في ثيابه كلبسته يوما اجد واخلقا
وكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم وان كنت في الحمقى فكن انت احمقا

مجلس آخر تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى والى الله ترجع الامور فقال كيف يصح القول بانها ترجع اليه وهي
لم تخرج عن يده الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه منها ان الناس في دار المحنة والتكليف قد
يغتر بعضهم ببعض فيعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم وقد دخل
عليهم الشبهة لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبد قوم الاصنام وغيرها من
المعبودات الجامدة التي لا تسمع ولا تبصر ويعبد اخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى وينحلونهم
العبادة ويضيف كل هؤلاء افعال الله عز وجل فيهم الى غيره فاذا جاءت الاخرة وانكشف الغطاء
واضطروا الى المعارف الى ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وايقن كل منهم ان لا
خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله تعالى ردوا اليه امورهم وانقطعت امالهم من غيره وعلموا
ان الذي كانوا عليه من عبادة غيره وتاميله للنفع والضر غرور وزور فقال الله تعالى والى الله
ترجع الامور لهذا المعنى والوجه الثاني ان يكون معنى الاية ان الامور كلها لله وفي يده وقبضته من
غير خروج ورجوع حقيقي وقد تقول العرب قد رجع علي من فلان مكروه بمعنى صار الي منه مكروه
ولم يكن سبق مكروه الي قبل هذا الوقت وكذلك يقولون قد عاد علي من زيد كذا وان لم يقع منه على
سبيل الابتداء قال الشاعر فان تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب اي صارت لهن
ذنوب لم تكن من قبل كان منها احسان فحمل الاية على هذا المعنى سائغ جائز تشهد له اللغة
والوجه الثالث انا قد علمنا ان الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف امورا تنقطع بانقطاع التكليف
وافضاء الامر الى دار الاخرة مثل ما ملكه للمولى من العبد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك

فيجوز ان يريد تعالى برجوع الامر اليه انتهاء ما ذكرناه من الامور التي يملكها غيره بتمليكه الى ان يكون هو
وحده مالكها ومدبرها ويمكن في الاية وجه اخر وهو ان يكون المراد بها ان الامر ينتهي الى ان لا يكون
موجود قادر غيره ويقضي الامر في الانتهاء الى ما كان عليه في الابتداء لان قبل انشاء الخلق هكذا
كانت الصورة وبعد افنائهم هكذا تصير فيكون الكناية برجوع الامور اليه عن هذا المعنى وهو رجوع
حقيقي لانه عاد الى ما كان عليه متقدما ويحتمل ايضا ان يكون المراد بذلك ان الى قدرته تعود الذوات
لان ما افناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض الباقية يرجع الى قدرته ويصح منه ثم ايجاده بعوده
الى ما كان عليه وان كان ذلك لا يصح في مقدورات العبد وان كانت باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص
مقدور القدر باستحالة العود اليها من حيث لم يجز فيها التقديم والتاخير وهذا ايضا حكم لله تعالى منفرد به
دون سائر القادرين والله اعلم بما اراد

تاويل آية اخرى

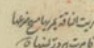
ان سال سائل عن قوله تعالى وليس البر بان
تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها فقال اي معنى لذكر البيوت وظهورها
وابوابها وهل المراد بذلك البيوت المسكونة على الحقيقة او كنى بهذه اللفظة عن غيرها فان كان الاول فما
الفائدة في اتيانها من ابوابها دون ظهورها وان كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها الجواب قيل
في الاية وجوه اولها ما ذكره من ان الرجل من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل
من موخر البيت ولم يدخل من بابه تطيرا فاعلمهم الله تعالى ان هذا من فعلهم لا بر فيه وامرهم من التقى بما ينفعهم
ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطير وقال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر اي لا يعدي شيء شيئا
وقال لا يوردن ذو عاهة على مصح ومعنى هذا الكلام ان من لحقت ابله آفة او مرض فلا ينبغي ان يوردها
على ابل غيره صحاح لانه متى لحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقا لا لاجل العدوى لم يؤمن من صاحب الصحاح
ان يقول انما لحق ابلي هذه الافة من تلك الابل وهي لحقتها بلى فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا لزوال المأثم بين الفريقين
والظن القبيح وثانيها ان العرب الا قريشا ومن ولدته قريش كانوا اذا احرموا في غير الاشهر الحرم لم يدخلوا
بيوتهم من ابوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من اهل الوبر واذا كانوا من اهل المدر نقبوا في بيوتهم
ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من ابواب البيوت فنهاهم الله تعالى عن ذلك واعلمهم انه
لا معول له وانه ليس من البر وان البر غيره وثالثها وهو جواب ابي عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر

بان تطلبوا الخير من غير اهله وتلتمسوه من غير بابه وأتوا البيوت من ابوابها معناه واطلبوا الخير من وجهه ومن عند
اهله وراغبيها وهو جواب ابي علي الجبائي ان يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل واراد ليس البر بان
ياتي الرجل الشيء من خلاف جهته لان اتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى الاثم
والخطأ وبين ثم ان البر التقوى ثم امر باتيان الامور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التي لها وجبت
وحسنت وجعل ثم ذكر البيوت وظهورها وابوابها مثلا لان العادل في الامر عن وجهه كالعادل في
البيت عن بابه وخامسها ان يكون البيت كناية عن النساء ويكون المعنى واتوا النساء من حيث
امركم الله والعرب تسمى المراة بيتا قال الشاعر * ما لي اذا انزعها صايت * أكبر غيرني ام بيت اراد
بالبيت المراة ومما يمكن ان يكون شاهدا للجواب الذي حكيناه عن ابي علي الجبائي والجواب
عن ابي عبيدة ايضا ما اخبرنا به ابو القسم عبد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله
محمد بن احمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي * اتعجب
لام العمرو اذ هزئت * من شيب راسي وما للشيب من عار * ما شقوة المرء بالاقتار يقتره * ولا سعادته
يوما بالكثار * ان الشقي الذي في النار منزله * والفوز فوز الذي ينجو من النار * لا ادخل البيت احبو
من مؤخره * ولا اكسر في ابن العم اظفاري * اعوذ بالله من امر يزين لي * شتم العشيرة او يدني الى النار
وخير دنيا ينسى امر اخرة * وسوف يبدي لي الجبار اسراري * قوله لا ادخل البيت احبو من مؤخره
يحتمل ان يريد به انني لا آتي الامور من غير وجوهها على احد الاجوبة في الاية ويحتمل ايضا انني لا
اطلب الخير الا من اهله على جواب ابي عبيدة ويحتمل وجها اخر وهو ان يريد انني لا اقصد البيوت
للريبة والفساد لان من شان من يسعى الى افساد الحرم ويقصد البيوت للريبة والفساد لان من شانه
ان يعدل عن ابوابها طلبا لاخفاء امره فكانه نفى عن نفسه بهذا القول القبيح ونزه عنه كما نزه بقوله
ولا اكسر في ابن العم اظفاري عن مثله واراد انني لا ابدي لابن العم مني السوء ولا ينال مني ما يكره من جهتي
فاكون كانني قد جرحته باظفاري وكسرتها في لحمه وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب ويجري
مجرى هذه الابيات ويقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم * واني لعف عن زيارة
جارتي * واني لمشنوء الي اغتيابها * اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها * زؤورا ولم تنبح علي كلابها *

وما انا بالداري احاديث بيتها * ولا عالم من اي حوك ثيابها * وان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك
سوءات الامور اجتنابها * قال المرتضى رضي الله عنه وقد جمعت هذه الابيات نقرا عجيبة وكنايات
بليغة لانه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لانها ادنى الى الريبة واخص
بالتهمة قال ولم تنبح علي كلابها اراد اني لا اطرقها ليلا مستخفيا متنكرا فتنكرني كلابها وتنبحني وهذه
الكناية تجري مجرى قول الشاعر المتقدم لا ادخل البيت احبو من مؤخره وقد روي ولم تانس الي كلابها
وهذا معنى اخر كانه اراد انه ليس بكثير الطروق والغشيان لمنزلها فتانس به كلابها لان الانس لا يكون
الا مع المواصلة والموازرة وقوله وما انا بالداري احاديث بيتها يحتمل ان يريد به ايضا تاكيد نفي زيارتها
وطروقها عن نفسه لانه اذا ادمن الزيارة عرف احاديث بيتها واذا لم يزرها وصارمها لم يعرف ويحتمل
ان يريد انني لا اسال عن احوالها واحاديثها كما يفعل اهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك وقوله ولا عالم
من اي حوك ثيابها كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها و[illegible]
المتقدم لحارثة بن بدر الغداني * اذا الهم امسى وهو داء فامضه * ولست بممضيه وانت تعادله
ولا تنزلن امر الشديدة بامرئ * اذا هم امرا عوقته عواذله * فما كل ما حاولته الموت دونه * ولا دونه
ارصاده وحبائله * وما الفتك الا لامرئ ذي حفيظة * اذا صال لم ترعد عليه خصائله * وما الفتك
ما امرت فيه ولا الذي * تحدث من لاقيت انك فاعله * ولا تجعلن سرا الى غير اهله * فتقعد ان
افشى عليك يجادله * ولا تسال المال البخيل ترى له * غنى بعد ضر او رشته او آكله * ارى المال افياء
الظلال فتارة * يؤوب واخرى يختل المال خائله * معنى امرت شاورت والخصائل كل لحم مجتمع
وقد روينا في هذه الابيات زيادة على القدر الذي ذكرناه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني
الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثني المفضل بن محمد عن ابي المنهال المهلبي [illegible]
السائر قول حارثة بن بدر الغداني * لعمرك ما ابقى لي الدهر من اخ * حفي ولا ذي خلة لي اواصله
ولا من خليل ليس فيه غوائل * فشر الاخلاء الكثير غوائله * وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة * من الروع
افرخ اكثر الروع باطله * معنى افرخ اي اسكن يقال افرخ روعه اذا سكن * وما كل ما حاولته الموت دونه
ولا دونه ارصاده وحبائله * وذكر البيتين اللذين بعده وزاد * وكن انت ترعى سر نفسك واعلن

بان اقل الناس بالسر جاهله * اذا ما قتلت الشيء علما فبح به * ولا تقل الشيء الذي انت جاهله * ومما
يستحسن لحارثة بن بدر قوله لنا نبعة كانت تقينا فروعها * فقد بلغت الا قليلا عروقها * وانا
لتسحي المنايا نفوسنا * وتترك اخرى مرة لا نذوقها * وشيب راسي قبل حين مشيبه * رعود
المنايا بيننا وبروقها * قوله لنا نبعة كانت تقينا فروعها مثل ضربه وانما اراد عشيرته واهل بيته
وقد روى هذه الابيات علي بن سليمان الاخفش عن ابي العباس ثعلب وزاد فيها * رايت المنايا
باديات وعودا * الى دارنا سهلا الينا طريقها * وقد قسمت نفسي فريقين منهما * فريق مع الموتى وعندي
فريقها * وبينا نرجي النفس ما هو نازح * من الامر لا تفك دونه ما نعوقها * وروى ابو العباس قال انشد
الشعبي عبد الله بن جعفر الابيات الثلاثة الاول قال عبيد الله لمن هذا الشعر يا شعبي قال لحارثة
بن بدر فقال نحن احق بهذا ثم امر للشعبي باربعمائة دينار ومن مستحسن قول حارثة * ولقد وليت
امارة فرجعتها * في المال سالمة ولم اتمول * ولقد منعت النصح من متقبل * ولقد بذلت النصح من
لم يقبل * فباي لمة لائم لم المس * وباي حيلة حائل لم احتل * يا طالب الحاجات يرجو نجحها *
ليس النجاح مع الاخف الاعجل * فاصدق اذا حدثت تكتب صادقا * واذا حلفت مماريا فتحلل *
معنى تكتب صادقا اي تكون عند الله صادقا وقوله فتحلل اي فاستثن * واذا رايت الباهشين
الى العلى غبرا اكفهم بريث فاعجل * معنى الباهشين المادين ايديهم الى الشيء الهاشين له واحذر
مكان السوء لا تنزل به * واذا نبا بك منزل فتحول * واذا ابن عمك كان بعض لحاجة * فانظر به غده
ولا تستعجل * واذا افتقرت فلا تكن متخشعا * ترجو الفواضل عند غير المفضل * استغن ما اغناك
ربك بالغنى * واذا تكون خصاصة فتجمل * واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن
ابي الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل تميم في وقته
وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليه وهو مستهتر
بالشراب فقال زياد كيف باطراح رجل هو يسايرني مذ دخلت العراق لم يصطك ركابي ركابه
ولا تقدمني فنظرت الى قفاه * ولا تاخر عني فلويت عنقي اليه ولا اخذ علي الشمس في شتاء قط
ولا الروح في صيف قط ولا سالته عن علم الا ظننته لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله

ابنه فقال له حارثة ايها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند ابي المغيرة فقال له عبيد الله
ان ابا المغيرة قد كان برع بروعا لا يلحقه معه عيب وانا حدث وانما انسب الى من يغلب علي وانت رجل
نديم الشراب فمتى قربتك ظهرت منك رائحة الشراب لم امن ان يظن بي فدع الشراب وكن اول
داخل علي وآخر خارج عني فقال له حارثة انا لا ادعه لمن يملك ضري ونفعي افادعه للحال عندك
قال فاختر من عملي ما شئت قال تولني رامهرمز فانها ارض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف
لي فولاه اياها فلما شيعه الناس قال انس بن ابي انيس وقيل ابن ابي اياس الدؤلي * احار بن بدر
قد وليت امارة * فكن جرذا فيها تخون وتسرق * ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته * فحظك
من ملك العراقين سرق * وباه تميما بالغنى ان للغنى * لسانا به المرء الهيوبة ينطق * فان
جميع الناس اما مكذب * يقول بما يهوى واما مصدق * يقولون اقوالا ولا يعلمونها *
فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا * وهذه الابيات تروى لابي الاسود الدؤلي وانه كتب بها
الى حارثة لما وليت اليه سرق وزاد فيها * وكن حازما في اليوم ان الذي به * يجيء غد يوم على
الناس مطبق * ولا تعجزن فالعجز اعطاء مركب * وما كل من يدعى الى الخير يرزق * اذا ما دعاك
القوم عدوك كاذبا * فكل جار اوجع لست من يحقق * ويقال ان حارثة بن بدر اجاب عن هذه
الابيات بقوله * جزاك اله الناس خير جزائه * فقد قلت معروفا واوصيت كافيا * امرت بامر
لو اشرت بغيره * لالفيتني فيه لرايك عاصيا * ويقال ان حارثة بن بدر اجاب عن هذه الابيات
والاحنف بن قيس دخلا على ابن زياد فقال لحارثة اي الشراب اطيب وكان يتهم فقال برة طاسانية
واقطة عنزية وسمنة عنبرية وسكرة سوسية ونطفة سرقانية فقال للاحنف يا بحر اي الشراب
اطيب قال الخمر قال وما يدريك ولست من اهلها قال رايت فيها خصلتين عرفت انها اطيب
الشراب بهما قال وما هما قال رايت من احلت له لا يتعداها الى غيرها ومن حرمت عليه يتناولها
فعرفت انها اطيب الشراب ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه به
كان بابيه اهان واقصى ثم ينتصحونني * واي امرئ يعطي نصيحته قسرا * رايت اكف المصلتين عليكم
ملاء وكفي من عطائكم صفرا * واني مع الساعي اليكم بسيفه * اذا احدث الايام في عظمكم كسرا * متى



تسألوني ما علمي وتمنعوا الذي لي لا أستطيع على ذا لكم صبرا
وله يعاتبه: وكم من أمير قد تجبّر بعد ما
مريت له الدنيا بسيفي فدرّت
إذا ازبأرّ من فواق أتت به
دعاني ولا أدعى إذا ما أقرّت
إذا ما هي احلولت فما حق مقتهي
ويقسم لي منها إذا ما أمرّت
ازبأرّ أي شعثر (؟) وأن يحلبها والفواق اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين ومعنى أقرّت تركته يحلبها وفيه أبيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير الأسدي يعاتب معوية ومروان وأهل بيته من جملة قصيدة وهي أبيات لو بهجتها عطاكم للضاربين
بغابكم ومن عطا إذا ما كان نحر الكراكر
نحن أخوكم في المضيق وسهمنا
إذا ما قسمتم في الحظاء الأطاعن
الحظاء سهام صغار وتدنيكم الأدنى إذا ما سألتم
وتلقى بشدّي حين قال باسر وإن كان حينا
الذنب في الناس مثله لحقنا بمن قبل تاه وأمر معشر من قبل تاه والمر أي من قبل أن تنهى عنه ويوم
باجتنابه وإن جاءكم منا غريب بأرضكم
لويتم له لوما جنوب المناخر
فهل يفعل الأعداء إلا كفعلكم
هوان السراة وابتغاء العواثر
وغيرُ تقضّي عنكم ما فعلتم
وذكركم هوانٌ منكم متظاهر
وذكر جفاؤكم من عالج الحرب عنكم
وأعداؤكم من بين جاب وعاثر
فلا تسألوني من هواي وذكره
وقل في فؤاد قد توجّد نافر
ولحارثة يرثي زياد الهمني: صلى الإله على قبر تضمّنه
بين العقيق وبين الجرف مدحور
أما القبور فإنهن أوانس
بجوار قبرك والديار قبور
عمّت فواضله فعمّ مصابه
فالناس فيه كلهم مأجور
ردّت صنائعه إلى حياته
فكأنه من نشرها منشور
قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه وأظن أن أبا تمام الطائي نظر إلى قول حارثة بن بدر ردت صنائعه إلى حياته في قوله: الرمثُ يا شقيق النفس
مدنه من فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه. وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه فجعل لا يمر بمجلس من مجالس تميم إلا قالوا مرحبا بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاما قط هو أقر لعيني وألذ في سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني ما سمعت كلاما قط أكره إليّ منه ثم قال:
ذهب الرجال فسدت غير مدافع
ومن الشقاء تفرّدي بالسودد
وهذا البيت يقال إن حارثة لا أنه تمثل به وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكناني مر حارثة بن بدر بالأحنف بن قيس فقال لولا أنك مستعجل



لشاورتك فقال له أجل كانوا يكرهون أن يشاور الجائع حتى يشبع والظمآن حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق.

مجلس آخر. تأويل آية. إن سأل سائل عن قوله تعالى أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فقال أي تمدّح في سرعة الحساب ليس بظاهر وجه المدح فيه. الجواب قلنا في ذلك وجوه أولها أن يكون المعنى أنه سريع المجازاة للعباد على أعمالهم وأن وقت الجزاء قريب وإن تأخر ويجري مجرى قوله تعالى وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب وإنما جاز أن يعبر عن المجازات أو الجزاء بالحساب لأن ما يجازى به العبد هو كفو لفعله وبمقداره فهو حساب له إذا كان مماثلا مكافيا ومما يشهد بأن في الحساب معنى المكافاة والكفاية قوله تعالى جزاء من ربك عطاء حسابا أي عطاء كافيا ويقال أحسبني الطعام يحسبني إحسابا إذا كفاني قال الشاعر: فإن لا ترى في الناس حسنا يفوتها * وفي الناس حسن لو تأملت محسب. معناه كاف. وثانيها أن يكون المراد أنه عز وجل يحاسب الخلق جميعا في أوقات يسيرة ويقال إن مقدار ذلك مقدار حلب شاة لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل يكلمهم جميعا ويحاسبهم كلهم على أعمالهم في وقت واحد وهذا أحد ما يدل على أنه تعالى ليس بجسم وأنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة لأنه لو كان بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبة الخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة كما أن جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون في الكلام إلى الآلات. وثالثها أن ما ذكره بعضهم من أن المراد بالآية أنه سريع العلم بكل محسوب وأنه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب والإحصاء في أكثر أمورهم أعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب وإنما سمّى العلم حسابا لأن الحساب إنما يراد به العلم وهذا جواب ضعيف لأن العلم بالحساب والمحسوب لا يسمى حسابا ولو سمّي بذلك لمجاز أيضا. إن قوله سريع العلم بكذا لأن علمه بالأشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة. ورابعها أن الله سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم وذلك أنه يسأل في وقت واحد سؤالات مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل إليه عند دعائه

ومسألته ما يستوجبه بحد ومقدار فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب فأعلمنا تعالى أنه سريع الحساب أي سريع القبول للدعاء بغير إحصاء من فيه ويجب عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما يحتبس المخلوقون للحساب والإحصاء. وهذا الجواب أيضا مبني على دعوى لأن قبول الدعاء لا يسمى حسابا في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه وإلا فلا طائل فيما ذكره. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيمة ومواقفتهم عليها ويكون الفائدة في الإخبار بسرعة الإخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى سريع العقاب. وليس لأحد أن يقول إن هذا هو الجواب الأول الذي حكيتموه وذلك أن بينهما فرقا لأن الأول مبني على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافاة على الأعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة المعروفة والمقابلة بالأعمال وذكر جميعها وذلك غير الجزاء الذي يقتضيه الحساب إليه. وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضا على أبي علي الجبائي في اعتماده إياه بأن قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي زجرا ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب أن يكون المراد الإخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة له على الأعمال. وهذا الجواب ليس أبو علي هو المبتكر به بل قد حكي عن الحسن البصري واعتمده أيضا قطرب بن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة. وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له لأنه اعتقد على أن مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لأنه تعالى قال فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعدا بالثواب وراجعا إلى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أو يكون راجعا إلى الجميع فيكون المعنى أن للجميع نصيبا مما كسبوا فلا يكون وعيدا خالصا بل إما أن يكون وعدا خالصا أو وعدا ووعيدا على أنه لو كان وعيدا خالصا على ما ذكره الطاعن لكان لقوله تعالى والله سريع الحساب

على تأويل من أراد قصر الزمان وسرعة المواقفة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد والإحاطة بخيرها وشرها وإن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لأن من علم أنه يحاسب على أعماله ويواقف على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب في فعل الواجب فبهذا ينصر الجواب وإن كنا لا ندفع أن حمل الحساب على قرب المجازات أو قرب المحاسبة على الأعمال ترغيبا في الطاعات وزجرا عن المقبحات فالتأويل الأول أشبه بالظاهر وأليق بالآية إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضا.

تأويل آية أخرى. إن سأل سائل عن قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فقال أي تمدّح في الإعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب أجزل عطية من المعطي بغير حساب. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أولها أن يكون المراد أنه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب هاهنا راجع إلى المرزوق لا إليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا في حسابي أي لم أقدّره ولم أظن أن يكون وهذا وصف الرزق بأحسن الأوصاف لأن الرزق إذا لم يكن محتسبا كان أهنأ له وأحلى وقد روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه قال عنى بها أموال بني قريظة والنضير وأنها تصير إليكم بلا حساب ولا قتال وعلى أسهل الأمور وأقربها وأيسرها. وثانيها أنه تعالى يرزق من يشاء رزقا غير مضيّق ولا مقتّر بل يزيد في السعة والكثرة على عطاء المخلوقين فيكون نفي الحساب فيه نفيا للتضييق ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب تقول في العطاء القليل محسوب كما قال قيس بن الخطيم: أنّى سربت وكنت غير سروب * وتقرّب الأحلام غير قريب * ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه * في النوم غير مصرّد محسوب. وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق من يشاء بغير طلب للمكافاة أو إرادة لفائدة تعود إليه أو منفعة ترجع عليه لأن من شأن أهل الدنيا أن يعطوا للمكافاة أو لينتفعوا ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية إلى هذه الأمور فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله إليهم وما أشبه ذلك فلما انتفت هذه الأمور عن عطاياه سبحانه جاز أن يقول إنه يرزق من يشاء بغير حساب. ورابعها ما أجاب به قطرب فقال معنى الآية يعطي العدد الكثير مما لا يضبط الحساب أو يأتي عليه العدد لأن مقدوره تعالى لا يتناهى وما في خزائنه لا ينحصر ولا يصح عليه النفاد وليس كل المعطين منا إلا في الألفين والعشرة من المال لأن مقدار ما يتسع له ويتمكن منه محدود متناه ولا تناهي ولا انقطاع لما يقدر تعالى عليه. وخامسها

وثالثها انه يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات اكثر مما استحقوا وازيد مما وجب لهم بمحاسبته
اياهم على طاعتهم كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وكما قال عز وجل
ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم وكما قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
ورابعها ان المعطي منا غيره شيئا والرازق سواه رزقا قد يكون لذلك فيكون فعله حسنا لا يسأل عنه
ولا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى
عن نفسه ان يفعل من الرزق القبيح وما ليس له ان يفعله بنفي الحساب عنه وانبأنا انه لا يرزق ولا يعطي
الا على افضل الوجوه واحسنها وابعدها من الذم ويجري الاية مجرى قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
وانما اراد تعالى من حيث وقعت افعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز ان يسأل عنها وان يسأل العباد عن
افعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح معا وخامسها ان الله تعالى اذا رزق العبد واعطاه من فضله كان
الحساب عن العبد ساقطا من جهة الناس فليس لاحد ان يقول للمرزوق لم رزقت ولا يقول للرب لم رزقته ولا
لم اعطيته ولا يسأل ربه عن الرزق في مملكه وانما يسأل العبد عن انفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذا الوجه عما يرزقه
الله تعالى فلذلك قال تعالى بغير حساب وسادسها ان يكون المراد بمن يشاء ان يرزقهم من اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا
لا يصح ان يتناوله الحساب ولا العدد والاحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق
هذه الاية قوله تعالى في موضع اخر فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب تاويل خبر ان سأل سائل
عن الخبر الذي يروى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال توضؤوا مما غيرت النار فقال ما المراد بالوضوء
ههنا ومذهبكم ان مس ما غيرته النار لا يوجب وضوء الجواب ان معنى توضؤوا اي نظفوا ايديكم
من الزهومة لانه روي ان جماعة من الاعراب كانوا لا يغسلون ايديهم من الزهومة ويقولون فقدها اشد
علينا من ريحها فامر عليه السلام بتنظيف الايدي لذلك فان قيل كيف يصح ان تحملوا الخبر على اللفظ اللغوي
مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الافعال المخصوصة بدلالة ان من غسل يديه ووجهه لا يقول على الاطلاق
توضأت قلنا لو سلم لكم ان الوضوء اصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامنا اخص بالعرف
الشرعي وحمله اولى من حمله على اللغة قلنا ليس ينكر ان يكون اطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة الى العرف
والمختص بالافعال المعينة وكذلك المضاف منه الى الحدث او الصلوة وما اشبههما فاما المضاف الى

الطعام

الطعام ولا يجري مجراه فباق على اصله الا ترى انهم لو قالوا توضأت من الطعام او من الغمر او توضأت للطعام
لم يفهم منه الا الغسل والتنظيف واذا قال توضأت اطلاقا او توضأت من الحدث او للصلوة فهم منه الافعال
الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة الى فائدة في
الشرع على كل وجه كذلك يجوز ان ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على
ما كان عليه في اللغة وقد ذهب كثير من الناس الى ان اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين
ومختص باستحقاق الثواب وان كان مقيدها باقيا على ما كان عليه في اللغة ويبين ذلك ايضا ما روي
عن الحسن عليه السلام انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وانما اراد غسل اليد بغير شك وروي
عن قتادة انه قال غسل اليد وضوء وروى عكراش ان رسول الله صلى الله عليه وآله اكل وغسل يديه ومسح ببلل يديه وجهه وذراعيه
ورأسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على انه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الافعال
الشرعية المخصوصة لصح ان نحملها في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى اصلها بالادلة وان كان الاولى
لولا الادلة ان نحمل على مقتضى الشرع فمن الادلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله اكل كتف
شاة فقام وصلى ولم يتوضأ وروى عطاء عن ام سلمة قال قربت جنبا مشويا الى النبي صلى الله عليه وآله فاكل منه
ولم يتوضأ وروى محمد بن المنكدر عن جابر انه قال كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء مما مسته
النار وكل هذه الاخبار يوجب العدول عن ظاهر الخبر الاول لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا انه لا ظاهر له
فاما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسنها قيل
وضأها ويقال فلان وضيء الوجه وقوم وضاء قال الشاعر مساميح الفعال ذوو اناة مراجيح واوجههم
وضاء والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك بضم التوضؤ والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ به كما كان
الوقود اسم لما يتوقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز ان يكون الوقود بفتح
بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو وكما قالوا حسن القبول فجعلوا القبول مصدرا وهو مفتوح
الاول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم الا معنى المصدر وحده قال جرير اهوى اراك برامتين
وقودا ام بالجنينة من مدافع اودا وقال آخر اذا سهبل لاح كالوقود فردا كشاة البقر المطرودة
وقال آخر واججنا بكل يفاع ارض وقود النار للمتنورينا اخبرنا ابو عبيد الله قال حدثني محمد بن

ابرهيم قال حدثني احمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا احمد بن ابرهيم بن المنذر قال
حدثني ابرهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن شهاب قال اتيت
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوما في منزله فاذا هو مغيظ ينفخ فقلت ما لي اراك
هكذا فقال دخلت على اميركم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان
فسلمت فلم يردا علي السلام فقلت الا ابلغا عني عراك بن مالك فان انت لم تفعل فابلغ ابا
بكر فقد جعلت تبدو شواكل منكما كانكما بي موقران من الصخر وطاوعتما بي غادرا ذا
معاكرة لعمري لقد اوري وما مثله يوري بما لعك به وسدك به اذا تعرضه بشر ولولا
اتقاء الله بقياي فيكما للمتكما لوما احر من الجمر فما تراب الارض منها خلقتما وفيها
المعاد والمقام الى الحشر ولا انا فا ان تغشيا فنكلما فما تخشى الاقوام شرا من الكبر ولو
شئت ادلى فيكما غير واحد علانية او قال عنده في السر معناه لو شئت اغتابكما عندي
غير واحد فان انا لم آمر ولم آته عنكما ضحكت له حتى يلج ويستشري وكيف تريدان ابن سبعين حجة
على ما اتى وهو ابن عشرين او عشر لقد علقت لو انكما دلو حولي من القوم لا ارخو المراس ولا نزر
قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك وفقهك تقول
الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برأ وانما ذكر عراك بن مالك وابا بكر بن عمرو بن حزم لانهما كانا
صديقيه كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما وقد جاءت رواية اخرى بان ابا بكر بن حزم وعراك بن
مالك كانا يجتازان على عبيد الله بن عتبة فلا يسلمان عليه فقال الابيات يخاطبهما بها وروى
محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة اذا كان لي سر فحدثته العدى وضاق به صدري
فللناس اعذر هو السر ما استودعته وكتمته وليس بسر حين يفشو ويظهر وانشد مصعب الزبيري
لعبد الله بن عتبة بن مسعود ولي رجال لست مطلع بعضهم على سر بعض ان صدري واسعه
اذا هي حلت في سط عوذ بن غالب فذلك وذا نازح لا اطالعه تلاقت حيازيمي على قلب حازم
كتوم لما ضمنت عليه اضالعه بني لي عبد الله في سورة العلى وعتبة مجد الا نال مصانعه
والبيت الاول يشبه قول مسكين الدارمي وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض كان

عندي جماعها وما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله تغلغل حب عثمة في فؤادي
فباديه مع الخافي يسير تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور شققت القلب
ثم ذررت فيه هواك فليم فالتأم الفطور اكاد اذا ذكرت العهد منها اطير لو ان انسانا يطير
غني النفس ان ازداد حبا ولكني الى وصل فقير واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال احللت من قلبي
هواك محلة ما حلها المشروب والماكول واخذه المتنبي في قوله وللسر مني موضع لا يناله
نديم ولا يفضي اليه شراب وكان العباس بن الاحنف الم به في قوله لو شق عن قلبي قرى وسطه
اسمك والتوحيد في سطر وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة احسن من الجميع وبعده بيت
المتنبي واخذ اسمعيل بن عباد هذا المعنى فقال لو شق قلبي لرأوا وسطه سطرين قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد من جانب وحب اهل البيت في جانب ولعبد الله بن عبيد الله بن عتبة
لعمر ابي المحصين ايام نلتقي لما لا نلاقيها من الدهر اكثر يعدون يوما واحدا ان اتيتها وينسون
ما كانت على الدهر تهجر ومن مستحسن قوله لعمري لئن شطت بعثمة دارها لقد كنت من وشك
الفراق اليح اروح بهم ثم اغدو بمثله ويحسب اني في الثياب صحيح اخذ هذا المعنى بشار بن برد
فقصر عنه في قوله يصبح محزونا ويمسي به وليس يدري ما له عندك مجلس آخر تاويل آية
ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن شعيب قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا فقال اليس هذا تصريحا منه بانه
يجوز ان يشاء الكفر والقبيح لان ملة قومه كانت كفرا وضلالا وقد اخبر انه لا يعود فيها الا
ان يشاء الله الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اولها ان تكون الملة التي عناها الله انما هي
العبادات الشرعية التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها
ما يرجع الى الاعتقادات في الله وصفاته مما لا يجوز ان تختلف العبادة فيه والشرعيات يجوز فيها
اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والالطاف المعلوم من احوال المكلفين فكانه قال
ان ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بان الله قد نسخها وازال حكمها الا ان يشاء الله ان يتعبدنا بها
فنعود اليها وتلك الافعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وان كانت ضلالا

فان يكن الواشون اغروا بهجرها
فانا بتجديد المودة اجدر

المجلس الثامن والعشرون

وكفر اقصد كان يجوز فيما هو مثلها ان يكون ايمانا وهكذا بل فيها انفسها قد كان يجوز ذلك ومن يجري هذه الافعال مجرى الجهل بالله الذي لا يجوز ان يكون الا قبيحا وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز ان يتعبدهم الله بتلك الملة مع قولهم قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فيقال له لم ينف الله عودهم اليها على كل وجه وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منهيا عنها والذي علقه بمشية الله لما كان معلوما من العود اليها هو بشرط ان يامرها ويتعبد بمثلها فالجواب مستقيم لا خلل فيه وثانيها انه اراد ان ذلك لا يكون ابدا من حيث علقه بمشية الله لما كان معلوما انه لا يشاؤه وكل امر علق بما لا يكون فقد نفي كونه على ابعد الوجوه ويجري الآية مجرى قوله لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكما يقول القائل انا لا اصلك حتى يبيض القار او يشيب الغراب وكما قال الشاعر وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل والقارظان لا يؤوبان ابدا وكليب لا ينشر ابدا فكانه قال ان هذا لا يكون ابدا وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من ان في الكلام تقديما وتاخيرا وان الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب فكانه قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا الا ان يشاء الله ان تعود في ملتنا ثم قال حاكيا عن شعيب وما يكون لنا ان نعود فيها على كل حال ورابعها ان يكون الهاء التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها وخامسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال حاكيا عنهم او لتعودن في ملتنا كان معناه او لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول بعده الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فان قيل الاستثناء بالمشية انما كان بعد قوله وما يكون لنا ان نعود فيها وهو ان نصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز ان يوقع الاستثناء على المعنى فيقول الا ان يشاء الله ان نتفق في الملة بان ترجعوا انتم الى الحق فان قيل فكان الله ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك الا انه ما شاءه على كل حال بل على وجه دون

وجه وهو ان يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي اجرى بالتكليف اليه ولو شاءه على كل حال لما جاز الا ان يقع منهم فكان شعيب عم قال ان ملتنا لا يكون واحدة ابدا الا ان يشاء الله ان يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لانه لو اطلق انا لا نتفق ابدا ولا تصير ملتنا ملة واحدة لتوهم متوهم ان ذلك مما لا يمكن على حال من الاحوال فافاد بتعليقه له بالمشية هذا الوجه ويجري قوله الا ان يشاء الله مجرى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا وسادسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين ويقوي هذا الوجه قوله او لو كنا كارهين وسابعها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه لان اظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الاحوال اذا تعبد الله باظهارها وقوله او لو كنا كارهين يقوي هذا الوجه ايضا فان قيل كيف يجوز في نبي من انبياء الله ان يتعبد باظهار الكفر وخلاف ما جاء به الشرع قلنا يجوز ان يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكانه قال وما يكون لي ولا لامتي ان نعود فيها الا ان يشاء الله ان يتعبد امتي باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهذا جائز غير ممتنع تاويل خبر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال خير الصدقة ما ابقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقد قيل في قوله خير الصدقة ما ابقت غنى قولان احدهما ان خير ما تصدقت به ما فضل من قوت عيالك وكفايتهم فاذا خرجت صدقتك عنك الى من اعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ومثله الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو قال ما فضل عن اهلك والجواب الآخر ان يكون اراد خير الصدقة ما اغنيت به من اعطيت عن المسألة اي تجزل له العطية فيستغني بها ويكف عن المسألة وذلك مثل ان يريد الرجل ان يتصدق بمائة درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج فيستغني بها ويكف عن المسألة فذلك افضل من ان يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم والتاويل الاول اشبه لاجل آخر الخبر وهو قوله وابدأ بمن تعول ويشهد له الحديث الآخر ايضا انما الصدقة عن ظهر غنى وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى قال قوم يريد ان اليد المعطية خير من الآخذة وقال آخرون ان العليا هي الآخذة والسفلى

هي المعطية قال ابن قتيبة ولا ارى هؤلاء الا قوما استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق هو الذي اعتق والمولى من اسفل هو الذي اعتق والناس انما يعلون بالعطاء والنوال لا بالسؤال قال سيدنا وعندي ان معنى قوله عم اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعا وهو ان يكون اليد ههنا هي العطية او النعمة لان النعمة قد تسمى يدا في مذهب اهل اللسان بغير شك فكانه اراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه عم على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف باوجز الكلام واحسنه مخرجا ويشهد لهذا التاويل احد التاويلين المتقدمين في قوله ما ابقت غنى وهذا اشبه واولى من ان يحمل اليد على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل المعطية خيرا من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن ياخذ من هو خير عند الله ممن يعطي ولفظ خير لا يحمل الا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب فاما من جعل الآخذة خيرا من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن ايضا مع انه قد قال قولا شنيعا وعكس الامر على ما ذكره ابن قتيبة فان قيل كيف يصح تاويلكم مع قوله عم خير الصدقة ما ابقت غنى وهي لا تبقي غنى الا بعد ان تنقص عن غيرها واذا كانت العطية التي هي اجزل افضل فالتي لا تبقي غنى والتي تبقي غنى ليست الجزيلة وهذا تناقض قلنا اما تاويلنا فمطابق للوجهين المذكورين في قوله ما ابقت غنى لان من تاول ذلك على ان المراد بها المعطى وان خير العطية ما اغنت عن المسألة فالمطابقة ظاهرة ومن تاوله على الوجه الآخر وحمل ابقاء الغنى على المعطي واهله واقاربه فتاويلنا ايضا مطابق له لانه قد يكون في العطايا التي تبقي بعدها الغنى على الاهل والاقارب جزيل وغير جزيل فكانه قال خير الصدقة ما ابقت غنى بعد اخراجها والعطية الجزيلة هي التي يبقى بعدها الغنى على الاهل والاقارب خير من القليلة فمدح عم بعد ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدني ابن الاعرابي لثابت قطنة العتكي يا هند كيف بنصب بات يبكيني وعابر في سواد العين يؤذيني كان ليلي والاصداء هاجدة ليل السليم واعيى من يداويني لما حنى الدهر من قوسي وعذرني شيبي وقاسيت امر الغلظ واللين اذا ذكرت ابا غسان ارقني هم اذا عرض الساري من يشجيني كان المفضل عز في ذوي يمن وعصمة وثمالا للمساكين غيثا الذي لم يزل عبرا يسابقه من السنين وماوى كل مسكين

اني تذكرت قتلى لو شهدتهم في حومة الحرب لم يصلوا بها دوني لا خير في العيش ان لم يجن بعدهم حربا تبيئهم قتلى فتشفيني لا خير في طمع يدني الى طبع وغفة من قوام العيش تكفيني لا اركب الامر تزري بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولا ديني لا يغلب الجهل حلمي عند مقدرة ولا العضيهة من ذي الضغن تكبيني كم من عدو رماني لو قصدت له لم ياخذ النصف مني حين يرميني قال سيدنا رضي الله عنه وهذه الابيات يروى بعضها لعروة بن اذينة وتداخل ابياتا له على هذا الوزن فمما التي يقول فيها لقد علمت وما الاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف ياتيني اسعى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت اتاني لا يعنيني كم قد افدت وكم اتلفت من نشب ومن معاريض رزقي غير ممنون فما اشرت على فقر وما ضرعت نفسي لخلة عسر جاء يبلوني خيمي كريم ونفسي لا تحدثني ان الاله بلا رزق يخليني ولا اشريت بمالي قط مكرمة الا ثقفت الى غير مغبون ولا دعيت الى مجد ولا كرم الا اجبت اليه من يناديني لا ابتغي وصل من يبغي مفارقتي ولا الين لمن لا يبتغي ليني اني لاعرف من لست اعرفه ولو كرهت وابدو حين يخفيني فعطني جاهدا واجهد على انا لا امت قومك فانظر هل تعطيني وقوم يخطئون فيروون قوله لقد علمت وما الاشراف بالسين غير معجمة وذلك خطاء وانما اراد بالاشراف اني لا استشرف ولا اتطلع الى ما فاتني من امور الدنيا ومكاسبها ولا تتبعها نفسي قال سيدنا رضي الله عنه ولي ابيات في معنى بعض ابيات ثابت قطنة وعروة بن اذينة التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عني منذ عشرة اعوام ستة والابيات تعاقبني بؤس الزمان وخفضه وادبني حرب الزمان وسلمه وقد علم المغرور بالدهر انه وراء سرور المرء في الدهر غمه وما المرء الا نهب يوم وليلة تخب به شهب الفناء ودهمه يعلله برد الحياة بمسه ويغتره روح النسيم وشمه وكان بعيدا عن منازعة الردى فالقته في كف المنية امه الا ان خير الزاد ما سد فاقة وخير تلاديّ الذي لا اجمه وان الطوى بالعز احسن بالفتى اذا كان من كسب المذلة طعمه واني لانهى النفس عن كل لذة اذا ما ارتقى منها الى العرض وصمه واعرض عن نيل الثراء اذا بدا وفي نيله سوء المقال وذمه اعف وما الفحشاء مني بعيدة وحسبي في صد عن الامر اثمه وما العف

مَن ولّى عن الضرب ببقيه * ولكن من ولّى عن السوءة حزمه * ولي في معنى قوله وما الاشراف من خلقي *
ماخامر الرزق قبل مجابته * ولا بسطت لدى اثنا بيابات يدي * كم قد ترادف لم احفل بزيادته * ولم يجابه رزق
مافت في عضدي * ان استخط الامر ادبر الله عنه مضطربا * وان ارد بدلا من مذهب اجد * ومعنى
ماخامر الرزق قلبي اي لم اهتم به ولا تطلعت الى حضوره ولا خطر لي ببالي تنزها وتعففا والوجه في
تخصيص نفي بسط اليد في النوائب لان النوائب يضرع عندها اكثر المتنزه ويطلب المتعفف فمن لم
يتراهن مع الحاجة وشدة الضرورة فهو كامل المروءة ومعنى البيت الثاني ظاهر فاما الثالث فالمراد به انني
ممن اذا كره شيئا تمكن من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن تضعف عزيمته وتقصر قدرته عن استبدال
ما يحب بما يكره وفيه فائدة اخرى وهي انني ممن لا تملكه العادات وتقتاده الاهواء بل متى اردت
مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك علي متعذرا من حيث كان لي رأي على هواي السلطان
والرجحان اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال
حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب بن عبد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن اذينة نازلا مع ابي
في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه * ان التي زعمت فؤادك ملّها * خلقت هواك كما خلقت
هوى لها * فبك الذي زعمت بها فكلاكما * ابدى لصاحبه الصبابة كلها * ولعمرها لو كان حبك فوقها
يوما وقد ضحيت اذا لاظلها * واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فادقها واجلها * لما عرضت مسلّما لي حاجة * اخشى صعوبتها
وارجو ذلها * منعت تحيتها فقلت لصاحبي * ما كان اكثرها لنا واقلها * فدنا فقال لعلها معذورة
في بعض رقبتها فقلت لعلها * قال عروة بن عبد الله فجاءني ابو السائب المخزومي يوما فسلم علي
وجلس الي فقلت له بعد الترحيب الك حاجة يا ابا السائب فقال وكما تكون الحاجة ابيات لعروة بن
اذينة بلغني انك سمعتها منه قلت اي ابيات قال وهل يخفى القمر * ان التي زعمت فؤادك ملها
فانشدته اياها فقال ما يروي هذه الا اهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود الدائم العهد
لا الهذلي الذي يقول * ان كان اهلك يمنعونك رغبة * عني فاهلي بي اضن وارغب * لقد عدا الاعرابي
طوره واني لارجو ان يغفر الله لابن اذينة في حسن الظن بها وطلب العذر لها فدعوت له بطعام

فقال

فقال لا والله حتى اروي هذه الابيات فلما رواها وثب فقلت له كما انت يغفر الله لك
حتى تاكل فقال والله ما كنت لاخلط بمحبتي لها ولحذقي اياها غيرها وانصرف قال المرتضى رضي
والهذلي الذي عناه وانشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي وقول
عروة باكرها النعيم اراد انها لم تعش الا في النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلق بؤسا
فتخشع وتضرع ويؤثر ذلك في جمالها ونمائها والبكور هو التقدم في كل وقت وكان عروة
بن اذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والنزاهة فروي ان سكينة بنت الحسين عم مرت به فقالت
يا ابا عامر انت الذي تقول اذا وجدت اوار الحب في كبدي * اقبلت نحو سقاء القوم ابترد *
هبني بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد * وانت القائل قالت وابثثتها
وجدي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر * الست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك
وما القى على بصري * قال نعم قالت هن حرائر واشارت الى جواريها ان كان خرج هذا من قلب
سليم * وانشد ابو الحسن علي بن احمد عن احمد بن يحيى لعروة * كان تحرامي طلحة صلبها الندى وفاح
بسابخ منها تيابها * فكدت لذكراها اطير صبابة * وغالبت نفسا زاد شوقا غلابها * اذا
اقتربت سعدى لجحت بهجرها * وان تغترب يوما يرعك اغترابها * فمي ايّ هذا دار الك عندها
سواء لعمري نايها واقترابها * وعاد الهوى منها كظل سحابة * الاحت ببرق ثم راحت سحابها *
قال ومن ها هنا اخذ هذا البيت من قول كثير * واني وتهيامي بعزة بعدما * تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما * تبوا منها للمقيل اضمحلت * كاني واياها سحابة ممحل * رجاها فلما
جاوزته استهلت * وروي يحيى بن علي قال حدثنا ابو هفان قال اشعر ابيات قيلت في الحسد
والدعاء لهم بالكثرة اربعة فاولها قول الكميت بن زيد * ان يحسدوني فاني لا الومهم * قبلي من
الناس اهل الفضل قد حسدوا * فدام لي ولهم ما بي وما بهم * ومات اكثرنا غيظا بما يجد * انا
الذي يجدوني في حلوقهم * لا ارتقي صعدا منها ولا ارد * لا ينقص الله حسادي فانهم * اسر عندي
من اللاتي لهم ودّ * قال عروة بن اذينة * لا يبعد الله حسادي وزادهم * حتى يموتوا بداء في
مكنون * اني رايتهم في كل منزلة * اجل قدرا من اللاتي يحبوني * وقال نصر بن سيار * ان يحسدوني



على ما بي وما بهم * فمثل ما بي مما يجلب الحسدا * وقال معن بن زائدة * اني حسدت فزاد الله
في حسدي * لا عاش من عاش يوما غير محسود * ما يحسد المرء الا من فضائله * بالفضل و
العلم والنعماء والجود * قال سيدنا المرتضى رض وقد لحظ البحتري هذا المعنى في قوله يحسد
بخلا الفتى فاضله * وليس تعرف النعماء والحسد * واظن ان ابا العتاهية اخذ قوله كم عايب
لك لم اسمع مقالته * ولم يزدك لديّ الا تزيينا * كان عائبكم يبدي محاسنكم * وصفا
فقد حكم عندي ويغريني * ما يوفي حبك حب لست اعلمه * فلا يضرك ان لا تستريدين
من قول عروة بن اذينة * لا يبعد سعيكم يحيى من جهى سقم * يوما ولا فرجا ان حم يشفيني * اذا الوشاة
لحوا فيها عصيتهم * وخلت ان بعد اللوم يغريني * وقد اخذ ابو نواس هذا المعنى في
قوله * ملحظات لو اشون عن رتبته * عندي فلا ضرك معتاب * كانهم اثنوا ولم يعلموا * عليك
عندي بالذي عابوا * ولعروة بن اذينة * روعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تخفى ذاهبات *
كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات * الثلة القطيعة من الضان وهذا المعنى
قد سبق اليه بعض الاعراب فقال * ونحدث روعات لدى كل فزعة * ونسرع نسيانا وما جاءنا
امن * وانا ولا كفران لله ربنا * لكا البدن لا تدري متى يومها البدن * اخذه ابو العتاهية
في قوله * اذا ما رايتم ميتين جزعتم * وان غيبوا ملتم الى الصبوات * اخذه من قوله ان الفتى
مثل الهلال له * نور ليالي ثم يمحق * يبلى وتغيره الدهور كما * يبلى ويخلق الجدة الخلق * من قول
بعض شعراء طي * مما يكن ريب الزمان فانني * ارى قمر الليل المعذب كالفتى * يهل صغيرا
ثم يعظم ضوءه * وصورته حتى اذا ما هو استوى * تقارب يخبو ضوءه وشعاعه * ويمصح
حتى يستسر فلا يرى * كذلك زيد المرء ثم انتقاصه * يعود الى مثل الذي كان قد بدا * اخذه
محمد بن يزيد الكاتب فقال * المرء مثل هلال عند مطلعه * يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق
حتى اذا ما تم اعقبه * كر الجديدين نقصانا فيمتحق * مجلس اخر تأويل اية * ان سال سائل
من قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة

فلا تكفر

فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس
ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فقال كيف ينزل السحر على الملائكة ام كيف يعلم الملائكة
الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك الى الله باذنه وهو تعالى
قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف اثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله ولقد علموا لمن اشتراه
ثم قال لو كانوا يعلمون **الجواب** قلنا في الاية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لم يمعن النظر
فيها **اولها** ان يكون ما في قوله وما انزل على الملكين بمعنى الذي فكانه تعالى خبر عن طائفة من اهل
الكتاب انهم اتبعوا ما يكذب فيه الشياطين على ملك سليمان وتضيفه اليه من السحر فبراه الله تعالى
من قرفهم واكذبهم في قولهم فقال وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمويه على
الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين واراد انهم يعلمونهم السحر والذي انزل على
الملكين وانما انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس
فيجتنبوه ويحذروه كما انه تعالى قد اعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا احوال القبائح لنجتنبها الا ان
الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين
لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما يعلمان من احد يعني الملكين ومعنى
يعلمان يعلمان والعرب تستعمل لفظ علمه بمعنى اعلمه قال القطامي * تعلم ان بعد الغي رشدا * وان لتالك
الغمر انقشاعا * وقال كعب بن زهير * تعلم رسول الله انك مدركي * وان وعيدا منك كالاخذ
باليد * ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم والذي يدل على انه ههنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كانا محنة من حيث القيا الى المكلفين امرا
ليتزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه
على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في القاء هذا اليك فانه انما القي اليك واطلعت عليه
لتجتنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه
في هذا الباب وان كان الملكان ما القياه اليهم لذلك ولهذا قال تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم

لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك سوء اختيار منهم ضررا عليهم وثانيهما ان يكون ما انزل موضعه موضع جر ويكون معطوفا بالواو على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمن وعلى ما انزل على الملكين اى معهما وعلى السنتهما كما قال تعم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة اى على السنتهم ومعهم وليس بمنكر ان يكون ما انزل معطوفا على ملك سليمن وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لان رد الشئ الى نظيره وعطفه على ما هو اولى هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظاير فى القران وكلام العرب كثيرة قال الله تعم الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقيما من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فالمسجد الحرام ههنا معطوف على الشهر الحرام اى يسالونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام وحكى عن بعض علماء اهل اللغة قال العرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمى بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره كقوله تعم ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وهذا واضح فى مذهب العرب كثير النظائر ثم قال تعم وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة والمعنى انهما لا يعلمان احدا بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما عنه وحذرهما من فعله واستعماله ان يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهذا كما يقول الرجل ما امرت فلانا بكذا ولقد بالغت فى نهيه حتى قلت له انك ان فعلته اصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة فى الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعانى الكثيرة لانه استغنى بقوله تعم وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة عن بسط الكلام الذى ذكرناه ولذلك نظائر فى القران قال الله تعم ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض فلولا الاختصار لكان مع شرح الكلام يقول ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولو كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ومثله قوله تعم

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اى فيقال للذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وامثاله اكثر من ان نورد ثم قال تعم فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وليس يجوز ان يرجع الضمير على هذا الجواب الى الملكين وكيف يرجع اليهما وقد نفى عنهما التعليم بل يرجع الى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم ايضا ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه فى قوله ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف عليه مع السحر جائز وان كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعم سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى اى يتجنب الذكرى الاشقى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سيذكر ويجوز ايضا ان يكون معنى فيتعلمون منهما اى بدلا مما علمهم الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهى عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا اى بدلا منه كما قال الشاعر جمعت من الخيرات وطبا وعلبة وصرا لاخلاف المزممة البزل ومن كل اخلاق الكرام نميمة وسعيا على الجار المجاور بالمحل يريد جمعت مكان الخيرات ومكان اخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان احدهما ان يكونوا يغوون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله فيكون بذلك قد فارق زوجه الاخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحلة والملة والوجه الاخر ان يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة وثالث الوجوه فى الاية ان يحمل ما فى قوله تعم وما انزل على الجحد والنفى فكانه تعم قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا ولا انزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هروت وماروت ويكون قوله ببابل هروت وماروت من المؤخر الذى معناه التقديم فيكون على هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان اسماهما وانما ذكر بعد الناس تمييزا وتبيينا ويكون الملكان المذكوران

اللذان نفى تعم عنهما السحر جبرئيل وميكائيل عليهما السلم لان السحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعى ان الله تعم انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل الى سليمن بن داود فاكذبهما الله بذلك ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين فكانه قال ولكن الشياطين هروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ فى قوله تعم وكنا لحكمهم شاهدين يعنى حكم داود وسليمن ع ويكون قوله على هذا التاويل وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هروت وماروت اللذين هما من الشياطين او من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحا او قال باطلا هذا فعل من لا يفلح وقول من لا يحب الله لا حصلت لا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على المجون والتهالك ويجوز ايضا على هذا التاويل الذى يتضمن النفى والجحد ان يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفى عنهما انزال السحر بقوله وما انزل على الملكين ويكون قوله تعم وما يعلمان من احد يرجع الى قبيلتين من الجن او الى شياطين الجن والانس فحسن التثنية لهذا وقد روى هذا التاويل الاخر فى حمل ما على النفى عن ابن عباس رض وغيره من المفسرين وحكى عن بعضهم انه كان يقرء وما انزل على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين وانما كانا ملكين وعلى هذه القراءة لا يتنكر ان يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويمكن على هذه القراءة فى الاية وجه اخر وان لم يحمل قوله وما انزل على الملكين على الجحد والنفى وهو ان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوه الشياطين وتدعيه على ملك سليمن واتبعوا ما انزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافا الى الله تعم وان اطلق لانه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال والعصاة ويكون معنى انزل وان كان من الارض حمل اليهما الكلام انه الى بهم من نجود البلاد واعاليها فان من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى فاما قوله تعم وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها ان يريد بالاذن العلم من قولهم اذنت فلانا بكذا اذا اعلمته واذنت لكذا اذا سمعته وعلمته قال الشاعر فى سماع

باذن الشيخ له وحديث مثل ماذى مشار ومنها ان يكون الاذن اباحة فيكون المعنى وما هم بضارين به من احد باذن الله ويجرى مجرى قول احدنا الغيث زيد الا ان كرمه اى لغيث زيدا فاكرمه ومنها ان يكون اراد تعم بالاذن التخلية وترك المنع فكانه افاد بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم بضارين احدا الا بان يخلى الله بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائدا على منعهم بالزجر والنهى ومنها ان يكون الضرر الذى عنى انه لا يكون الا باذنه واضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الادوية والاغذية التى تطعمه اياها السحرة ويدعون انها موجبة لما يقصدونه فيه من الامور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعم بالعادة لان الاغذية لا توجب ضررا ولا نفعا وان كان المعرض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض ومنها ان يكون الضرر المذكور انما هو ما يحصل عن التفريق بين الازواج لانه اقرب اليهم من ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا اغووا احد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته واستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر الا ان الفرقة لم تكن الا باذن الله وحكمه لانه تعم هو الذى حكم وامر بالتفريق بين المختلفى الاديان فلهذا قال تعم وما هم بضارين به من احد الا باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله واذنه فى الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوى هذا الوجه ما روى انه كان من دين سليمن ع انه من سحر بانت منه امراته فاما قوله تعم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق ثم قوله تعم لو كانوا يعلمون ففيه وجوه اولها ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين والذين خبر عنهم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به انفسهم وثانيها ان يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعم وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصير اليه من عقاب الله الذى لا نفاد له ولا انقطاع وثالثها ان تكون الفائدة فى نفى العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا وهذا كما يقول احدنا لغيره ما ادعوك اليه خير لك واعود عليك لو كنت تعقل وتنظر فى العواقب وهو يعقل وينظر

في العواقب لانه لا يعمل بموجب علمه فحسن ان يقال له بمثل هذا القول وقال كعب بن زهير يصف ناقة
وغرابا اتبعاها ليصيبا من زاده اذ حضرا لي قلت لو تعلمانه الم تعلما اني من الزاد مرمل فنفى عنهما
العلم ثم اثبته بقوله الم تعلما وانما المعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا بما علما فكانهما لم يعلما وبعيد
ان يكون المعنى ان هؤلاء القوم الذين قد علموا ان الآخرة لا حظ لهم فيها مع علمهم القبيح الا انهم
ارتكبوه طمعا في حطام الدنيا وزخرفها فقال الله تعالى ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ان الذي
آثروه وجعلوه عوضا من الآخرة لا يبقى لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل ومضمحل باطل وان المآل



الى المستحق في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله **مجلس آخر تأويل خبر** روى عقبة بن عامر عن النبي
انه قال لو كان هذا القرآن في اهاب ما مسته النار وقد ذكر في تأويل هذا الحديث عن النبي وهذا وجوها
كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وانا اذكرها ذكرا وابين ما فيه ثم اذكر الوجه الصحيح قال ابن قتيبة
ذهب الاصمعي الى ان من تعلم القرآن من المسلمين لو القي في النار لم تحرقه فكنى بالاهاب وهو الجلد
عن الشخص والجسم واحتج على تأويله هذا بالحديث عن سليم بن محمد قال سمعت ابا امامة يقول اقرؤا
القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن قال ابن قتيبة وفي
الحديث تأويل آخر وهو ان يكون القرآن لو كتب في جلد ثم القي في النار على عهد رسول الله لم تحرقه
النار على جهة الدلالة على صحة امر النبي ثم انقطع ذلك بعده قال ويجري هذا مجرى كلام الذئب
وشكاية البعير وغير ذلك من آياته قال وفيه تأويل ثالث وهو ان يكون الحرق الذي نفي عن القرآن
لا على الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في اهاب ثم القي في النار ما احترق القرآن فكانت النار
تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لان الله تعالى ينسخه ويرفعه عن الجلد صيانة له عن الاحتراق
وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري رادا على ابن قتيبة ومعترضا عليه تدبرت ما قاله ابن
قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئا صحيحا اما قوله الاول فيرده ما روي عنه من قوله
يخرج من النار قوم بعد ما يحترقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل وقال
وقد روى ابو سعيد عن النبي انه قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار قال الله عز وجل
انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه منها قال ابو بكر وكيف يصح قوله

ابن قتيبة

ابن قتيبة فزعم ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسلمين ان الخوارج وغيرهم
ممن يلحد في دين الله ويقرأ القرآن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر ابي امامة ان الله تعالى لا
يعذب قلبا وعى القرآن ومعناه قرأ القرآن وعمل به فاما من حفظ الفاظه وضيع حدوده
فانه غير واع له قال فاما قوله انه دلالة النبوة التي انقطعت بعده فما روي هذا الحديث
احد انه كان في زمانه ولو اراد ذلك دليلا لكان يجعل القرآن في اهاب ثم يلقيه في النار
فلا يحترق قال وقول ابن قتيبة الثالث لا حترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح
لان الذي يصح هذا القول يوجب ان القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف
هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون
ومثل الحديث لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو وانما يريد المصحف قال ابو بكر الانباري
القول عندنا في تأويل هذا الحديث انه اراد لو كان القرآن في جلد ثم القي في النار ما ابطلته لانها
وان احرقته فلا تدرسه اذ كان الله قد ضمنه قلوب الاخيار من عباده والدليل على هذا قول
النبي فيما يرويه عنه ان الله تعالى قال اني منزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا فلم يرد ان القرآن
لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم يغتسل وانما اراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذا كانت القلوب
تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير في كتاب الله وفي لغة العرب قال الله تعالى يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا فهم قد كتموا الله لما قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين وانما اراد الله ولا يكتمون الله حديثا في حقيقة الامر لانهم وان
كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه قال الشريف المرتضى والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير
ما توهمه ابن قتيبة وابن الانباري جميعا وهو ان هذا من كلام النبي على طريق المثل والمبالغة
في تعظيم شأن القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم خطره والمعنى انه لو كتب في اهاب والقي
في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئا لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار ولهذا نظائر في القرآن
وكلام العرب وامثالهم كثيرة ظاهرة لا تخفى على من له ادنى انس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك
قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها

للناس لعلهم يتفكرون ومعنى الكلام انا لو انزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع اشفاقا
من شيء او خشية لامر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم يا معاشر المكلفين مع ضعفكم وانتم
اولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى بان الكلام خرج مخرج المثل بقوله وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون ومثله قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
ومثله قول الشاعر اما وجلال الله لو تذكرينني كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا فقالت بلى والله
ذكرا لو انه تضمنه صم الصفا لتصدعا ومثله فلو ان ما بي بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يسمع
لهن هبوب ومثله وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه واسقيه حتى كاد
مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفلق
الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير ويستنزل الوعول وليس في ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لو جاز
ان يفعل مثل هذه الامور لو تأتت ولو كانت مما ينفعل ويتيسر شيء من الاشياء لانفعلت
ومن اجله واما الجواب الاول المحكي عن ابن قتيبة فالذي يفسده زائدا على ما رده ابن الانباري
انه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعي لكان النبي قد اغرانا بالذنوب لانه اذا امن
حافظ القرآن ومتعلمه من دخول النار والعذاب فيها ركن المكلفون الى تعلم القرآن والاقدام على
القبائح آمنين غير خائفين وهذا لا يجوز عليه والمعنى في قول ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا
وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري فاما جواب ابن قتيبة الثاني فمن اين له ان ذلك مختص بزمانه
وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه والقوي ما يبطله انه لو كان هذا كما ذكر لما جاز ان يخفى ذلك على جماعة
المسلمين الذين رووا جميع معجزاته وضبطوها وفي وجدانا من روى ذلك وجمعه غنى به غير عارف
بهذه الدلالة والآية ابطال لما توهمه فاما جوابه الثالث فباطل لان القرآن في الحقيقة ليس يحل الجلد ولا
يكون فيه حتى يضيف الاحتراق الى الجلد دونه واذا كان الامر على هذا لم يكن في قوله ان الاهاب يحترق
دون القرآن فائدة لان هذه سبيل كل كلام كتب في اهاب وغيره انه اذا احترق الاهاب لم يضف الاحتراق
الى الكلام لاستحالة هذه الصفة عليه ومن عجيب الامور قول ابن الانباري وهذا يوجب ان القرآن غير المكتوب
لان كلام ابن قتيبة ليس ما يوجب ظنه بل يوجب ان المكتوب هو القرآن ولهذا علق الاحتراق بالكتاب

والجلد

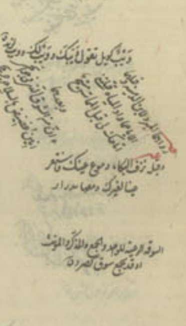
والجلد دون المكتوب الذي هو القرآن واذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الانباري
فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان احدا لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما يقول قوم انه
مكتوب فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى احدهما دون الآخر وهذا كله تخليط من الرجلين لان القرآن
غير حال في الجلد على الحقيقة وليست الكتابة عين المكتوب وانما الكتابة امارة الحروف التي تكون
هي الكلام على الحقيقة او يوجد معها الكلام مكتوبا في حال فاما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله
لا تسافروا بالقرآن فذلك تجوز وتوسع وليس يجب ان يجعل اطلاق الالفاظ المحتملة دليلا على اثبات
الاحكام والمعاني ومعترضة على ادلة العقول وقد يتجوز القوم بأكثر من هذا فيقولون هذا الكتاب
شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان ولم يقتض ذلك انه يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين
في الدفتر وقد بينا الكلام في هذا الباب في مواضع هي اولى به فاما جواب ابن الانباري الذي ارتضاه
لنفسه فلا طائل ايضا فيه لانه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر او
الكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم احرق او غسل لم يذهب ما في الصدور منه بل يكون
ثابتا بحاله فاي مزية للقرآن في هذا على غيره واي فضيلة فان قال وجه المزية ان غير القرآن من الشعر وغيره
ممكن ان يعدم ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان هو المتولي لابدا عن الصدور فيه لا يتم ذلك
قلنا الكل سواء لان غير القرآن انما يبطل باحراق الاهاب المكتوب فيه ومتى لم يكن محفوظا مودعا للصدور
ومتى كان بهذه الصفة لم يبطل باحراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق
ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان القرآن وثباته كالشرط في بطلان غير القرآن وثباته
فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه لغير ما ذكرناه
في الخبر وهو اشبه بمذاهب العرب واولى بتفضيل القرآن وتعظيمه اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب
قال اخبرنا ابن دريد قال انشدنا ابو حاتم قال ابن دريد وانشدنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه
الحسين بن مطير الاسدي قال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما اثم منشده الا حب بالبيت
انت اهله وانت بملح من الطرف زائره لانك من بيت لعيني معجب واملح في عيني من البيت عامره
اصد حياء ان يلج بي الهوى وفيك المنى لولا عدو احاذره وفيك حبيب النفس لو تستطيعه لما

الهوى والشوق حين تجاوره * فان ابه لا انجح الا بنظرة * وان بانه فهوى تنطفي جمرات * وكان حبيب
النفس للقلب فائرا * وكيف يحب القلب من هو وابره * فان يكن الاعداء احموا كلامها * علينا فلن يحموا لنا
نظرة * احبك يا سلمى على غير ريبة * ولا باس في حب تعف سرائره * ويا عاذلي لولا نفاسة حبها * عليك
لما بالبيت انك خابره * بنفسي من لا بد اني هاجره * ومن انا في الميسور والعسر ذاكره * ومن قد لحاه
حتى لقاهم * بعض الاماني حين ضمائره * احبك حبا لن اعنف بعده * محبا ولكني اذا ليم عاذره * لقد مات
قلبي اول الحب فانقضى * ولو مت اضحى الحب قد مات آخره * كلامك يا سلمى وان قل نافعي * ولا نحب الرقى
وان قل حاظره * الا لا ابالي اي حي تحملوا * اذا ثمد البرقاء لم يخل حاضره * وانشد ابن الاعرابي لابن مطير
لعمرك للبيت الذي لا نطوره * احب لينا من بلاد نطورها * تقلبت من راي في الاخوان حتى
عرفتهم * ولا يعرف الاخوان الا خبيرها * فلا اصرم الخلان حتى يصارموا * وحتى يسيروا واسيرها حتى
لا اسيرها * فانك بعد الشر ما انت واجد * خليلا لامدعا شيمة لا تديرها * مغيديرها بقلبها
مرة هيهنا ومرة هيهنا * وانك في عين الاخلاء عالم * بان التي يخفي عليك ضميرها * فلا تك
مغرورا بمسحة صاحب * من الود لا تدري علام مصيرها * وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى
ولكنه خيم الرجال وخيرها * وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها * فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها * وكائن
ترى من حال دنيا تغيرت * وحال صفا بعد اكدرار غديرها * ومن طامع في حاجة لن ينالها * ومن
آيس منها اتاه بشيرها * ومن يتبع ما يعجب النفس لا يزل * مطيعا لها في فعل شيء يضيرها * فنفسك
اكرم عن امور كثيرة * فما لك نفس بعدها تستعيرها * قال المرتضى رضي الله عنه ولي في معنى قول ابن مطير وقد
تغدر الدنيا والبيت الذي بعده من جملة قصيدة * وكيف ابن بالدنيا ولست ارى الدار
قد تعري من عوالي بها * نصبوا اليها بالمال محبة * كانا ما نرى عقبى امانيها في وحشة الدار
ممن كان يسكنها * كل اعتبار لمن قد ظل باويها * لا تكذبن فما قلبي لها وطنا * وقد رايت طلولا
من مغانيها * واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا علي بن سليمن الاخفش قال انشدنا
احمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير * لقد كنت جلدا قبل ان يوقد الهوى * على كبدي نارا بطيا
خمودها * ولو تركت نار الهوى لتصرمت * ولكن شوقا كل يوم يزيدها * وقد كنت ارجو ان تموت

صبابتي

صبابتي * اذا قدمت ايامها وعهودها * فقد جعلت في حبة القلب والحشا * عهاد الهوى تولى
بشوق يعيدها * بمرتجة الارداف هيف خصورها * عذاب ثناياها عجاف قيودها * يعني انها عجاف
اللثات واصول الاسنان وهي قيودها قال ابو العباس ثعلب عجاف بالخفض لحن لانه من صفة النساء
وسبيله ان يكون نصبا لانه حال من الثنايا * مخصرة الاوساط زانت عقودها * باحسن مما
زينتها عقودها * وصفر تراقيها وحمر اكفها * وسود نواصيها وبيض خدودها * وصف التراقي
بالصفرة من الطيب وحمرة اكفها من الخضاب * يمنيننا حتى ترف قلوبنا * رفيف الخزامى بات
طل يجودها * اخذ قوله مخصرة الاوساط زانت عقودها من قول مالك بن اسماء بن خارجة
وتزيدين طيب الطيب طيبا * ان تمسيه اين مثلك اينا * واذا الدر زان حسن وجوه كان
للدر حسن وجهك زينا * وقد روى ابو تمام الطائي في الحماسة بعض الابيات التي ذكرناها للحسين
بن مطير وروى له ايضا ويشبه ان يكون الجميع من قصيدة واحدة * وكنت اذود العين ان ترد
البكا * فقد وردت ما كنت عنه اذودها * خليلي ما بالعيش عيب لو اننا * وجدنا لايام الصبى
من يعيدها * وروى ابو تمام ايضا لغيره وبعض الرواة يرويها لابن مطير * ولي نظرة بعد الصدود
من الجوى * كنظرة ثكلى قد اصيب وليدها * هل الله عاف عن ذنوب تسلفت * ام الله
ان لم يعف عنها يعيدها * وانشد ابو محلم لابن مطير * قضى الله يا اسماء ان كنت بارحا
احبك حتى يغمض العين مغمض * وحبك بلوى غير ان لا يسرني * وان كان بلوى انني لك مبغض
اذا انا رضت النفس في حب غيرها * اتى حبها من دونها يتعرض * فيا ليتني اقرضت جلدا صبابتي
واقرضني صبرا على الشوق مقرض * ويشبه ان يكون اخذ قوله اذا انا رضت النفس في حب
غيرها من قول رجل من فزاره * واعرض حتى يحسب الناس انما * بي الهجر لا ها الله ما بي لك الهجر
ولكن اروض النفس انظر هل لها * اذا فارقت يوما احبتها صبر * ومن قول نصيب * واني لاستحيي
كثيرا واتقي * عيونا واستبقي المودة بالهجر * وانذر بالهجران نفسي اروضها * لتعلم عند
الهجر هل لي من صبر * ويشبه ان يكون اخذ قوله فيا ليتني اقرضت جلدا صبابتي من
قول بعض العرب * رمى ظلبة البرق الملالي رمية * بحبث الحمى وهنا فكاد تهيم * فهل من معير

طرف عين جلية * فانسان عين العامري كليم * وللحسين في هذا المعنى ما رواه المبرد * ولي كبد مقروحة
من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح * ابى الناس ويب الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة
بصحيح * واخذ العباس بن الاحنف هذا المعنى فقال * من ذا يعيرك عينه تبكي بها * ارايت عينا
للبكاء تعار * واخبرنا المرزباني قال حدثنا ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع
قال حدثني محمد بن حميد قال كنا عند الاصمعي فانشده رجل ابيات دعبل * اين الشباب واية
سلكا * لا اين يطلب ضل بل هلكا * لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب براسه فبكى
يا سلم ما بالشيب منقصة * لا سوقة يبقي ولا ملكا * قصر الغواية عن هوى قمر * وجد السبيل
اليه مشتركا * يا ليت شعري كيف نومكما * يا صاحبي اذا دمي سفكا * لا تاخذا بظلامتي احدا
قلبي وطرفي في دمي اشتركا * قال فاستحسنها كل من كان في المجلس واكثروا التعجب من جودة قوله
ضحك المشيب براسه فبكى فقال الاصمعي انما اخذ قوله هذا من ابن مطير الاسدي في قوله
اين اهل القباب بالدهناء * اين جيراننا على الاحساء * جاورونا والارض ملبسة * نور الاقاحي
تجاد بالانواء * كل يوم عن اقحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء * وقد اخذ
مسلم صريع الغواني قوله * مستعبر يبكي على دمنة * وراسه يضحك فيه المشيب * قال المرتضى
ولابي الحسناء نصيب الاصغر مثل هذا المعنى وهو قوله * فبكى الغمام به فاصبح روضه جذلان
يضحك بالجميم وزهره * ولابن المعتز مثله * الحت عليه كل طخياء ديمة * اذا ما بكت اجفانها
ضحك الزهر * ولابن دريد مثله * تبسم المزن واهلت مدامعه * فاضحك الروض جفن الصاحك
الباكي * وغازل الشمس نور ظل يلحظها * بعين مستعبر بالدمع ضحاك * وروى عن ابي العباس
المبرد انه قال اخذ ابن مطير قوله تضحك الارض من بكاء السماء من قول دكين الراجز * جن النبات
في ثراها وزكى * وضحك المزن به حتى بكى * مجلس آخر تاويل آية * ان سال سائل عن قوله تعالى



واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب * الجواب قلنا قد ذكر في هذه
الآية وجهان مطابقان للحق احدهما ان يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى فكانه قال وما

بعلم

يعلم تاويله الا الله والا الراسخون في العلم وانهم مع علمهم به يقولون آمنا به فوقع قوله يقولون
آمنا به في موضع الحال والمعنى انهم يعلمون قائلين آمنا به كل من عند ربنا وهذه غاية المدح لهم لانهم
اذا علموا ذلك بقلوبهم واظهروا التصديق به على السنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بادآء
الواجب عليهم والحجة لمن ذهب الى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على الاول وقدر ان يكون قوله
يقولون آمنا به على هذا التاويل لا ابتداء له قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول
الى قوله شديد العقاب فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال للفقراء
المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله انك رؤوف رحيم
وقال تعالى في الذين تبوؤا الدار والايمان وهم الانصار يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم وقال تعالى فيمن جاء من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان فهذه الآية تدل على انه لا ينكر في آية الراسخين في العلم ان يكون قوله تعالى يقولون
آمنا به حالا لهم مع العلم بتاويل المتشابه ولو اشكل شيء من ذلك لما اشكل قوله تعالى والذين جاؤا من
بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا في انه موافق لقوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به وان الصورة
واحدة ومما استشهد على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمى بردا باعه ثم ندم على بيعه
وشريت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه * هامة تدعو صدى * بين المشقر فاليمامه * الريح تبكي شجوه * والبرق
يلمع في الغمامة * فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع كانه قال والبرق ايضا يبكيه لامعا في الغمامة
اي في حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفا على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة ويمكن
ايضا على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان يكون قوله تعالى
يقولون آمنا به استيناف جملة واستغنى فيه عن حرف العطف كما استغنى في قوله تعالى سيقولون ثلثة رابعهم
كلبهم ونحو ذلك مما الجملة الثانية فيه التباس بالجملة الاولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف
بحرف العطف كان حسنا بتنزيل الملتبس منزلة غير الملتبس والوجه الثاني في الآية ان يكون قوله والراسخون
في العلم مستانفا غير معطوف على ما تقدم ثم اخبر تعالى عنهم بانهم يقولون آمنا به ويكون المراد بالتاويل
على هذا الجواب المتاول لانه قد يسمى تاويلا قال الله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله والمراد

بذلك لاصحة المتأول والمتأول الذي لا يعلمه العلماء وان كان الله عز وجل عالما به كنحو وقت قيام
الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر الى غير ذلك فكانه قال وما
يعلم تأويله جميعه على المعنى الذي ذكرناه الا الله والعلماء يقولون آمنا به وقد اختار ابو علي الجبائي
هذا الوجه وقواه وضعف الاول بان قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا
دلالة على استسلامهم لانهم لا يعرفون تأويل المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم ولان ما ذكره
من وقت القيامة ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تأويل القرآن اذا كان داخلا في
خبر الله والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك وليس الذي ذكره بشيء لانه لا يمتنع ان يقول العلماء
مع علمهم بالمتشابه آمنا به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن انهم لا يقولون ذلك الا
مع فقد العلم به وما المنكر من ان يظهر الانسان بلسانه الايمان بما يعلمه ويتحققه فاما قوله
ولان ما ذكرناه من تأويل القرآن فذلك انما يكون تأويلا للقرآن اذا حملت هذه اللفظة على
التأويل لا على الفائدة والمعنى فاما اذا حملت على انه وما يعلم معنى المتشابه وفائدته الا الله
فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه ان يقول ان حمل التأويل على المتأول اظهر من حمله على
المعنى والفائدة لان الامر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى اظهر واكثر في الاستعمال واشبه
بالحقيقة على انه لو قيل ان الجواب الاول اقوى من الثاني لكان اولى من قوله من قبل انه لو كان
المراد بالتأويل المتأول لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم معنى
لان في متأول المحكم كاخباره عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكما مما
لا يعرف تفصيله ولا كنهه الا الله فاي معنى لتخصيص المتشابه والكلام يقتضي توجهه
نحو المتشابه الا ترى الى قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تأويله فخص الله المتشابه بالذكر ايضا فالاولى ان يكون المراد بلفظة تأويله
الثانية هو المراد بلفظة تأويله الاولى وقد علمنا ان الذين في قلوبهم زيغ انما اتبعوا تأويله
على خلاف معناه ولم يطلبوا تأويله الذي هو متأوله فالوجه الاول اقوى وارجح ويمكن
في الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه على ان يكون قوله تعالى والراسخون في العلم مستأنفا غير

معطوف

معطوف ويكون المعنى وما يعلم تأويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهذا صحيح
لان اكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لادلة العقول فيذكر المتأول
جميعها ولا يقطع على مراد الله تعالى منها بعينه لان الذي يلزم في مثل ذلك ان يعلم في الجملة انه تعالى
لم يرد من المعنى ما يخالف الادلة وانه قد اراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة
للحق وليس من تكليفنا ان نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى اللذين يبين احتمالهما
لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع على انه تعالى لم يرده ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم في الجملة
انه قد اراد احدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآي المتشابه فان اكثرها يحتمل
وجوها والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون
في العلم يقولون آمنا به اي صدقنا بما نعلمه مفصلا او مجملا من المحكم والمتشابه وان الكل من عند
ربنا وهذا ايضا وجه صحيح واضح اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن ابي الازهر
قال انشدنا محمد بن يزيد لابي حية النميري وهي ابيات مختارة ❊ وخبرك الواشون ان لا احبكم
بلى وستور البيت ذات المحارم ❊ اصد وما الصد الذي تعرفينه ❊ عزاء بنا الا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا ان تشيع نميمة ❊ بنا وبكم اف لاهل النمائم ❊ وان دما لو تعلمين جنيته ❊ على الحي
جاني مثله غير سالم ❊ اما انه لو كان غيرك ارقلت ❊ صعاد القنا بالراعفات اللهاذم ❊ ولكن
والله ما طل مسلما ❊ كبيض الثنايا واضحات الملاغم ❊ قال ثعلب الملاغم ما حول الفم وقال المبرد
الملاغم يريد العوارض وقوله ما طل مسلما اي ما ابطل دمه ❊ اذا هن ساقطن الحديث حسبته ❊
سقوط حصى المرجان من سلك ناظم ❊ ويروى ساقطن الاحاديث للفتى ويروى ساقطن الحديث
كانه ❊ رمين فاصمين القلوب فلا ترى ❊ دما مائرا الا جوى في الحيازم ❊ قال ومن مستحسن ما
مضى في هذه القصيدة قوله ❊ كان لم ارح بالغيور واقتل ❊ بتقبيل ابصار الصحاح النواعم ❊
معنى اقتل امل ❊ ولم اله بالحديث لا لقب الذي له ❊ غداة غد لم يجرمن فارا للطائم ❊ اذا الله
يطيبني واذا استميله ❊ بحلو لكات الفودين وخف المقادم ❊ واذا انا منقاد لكل مقود ❊ الى اللهو
حلاف لبطالات اثم ❊ ويروى ابن حبيب مقود ومعنى حلاف البطالات اي حلاف في البطالات

يمين المطايا مسلف غير انني ❊ على قطع ما اسلفته غير نادم ❊ ارى خير يومي الخميس وان علا بي
اللوم لم احفل ملامة لائم ❊ معنى خير يومي الخميس اي احب يومي الي الذي هو احسن عند اهل
الراي والعقل وانشد ابو اسحق ابراهيم سفيان الزيادي لابي حية قال واسمه هيثم بن الربيع
ترحل بالشباب الشيب عنا ❊ فليت الشيب كان به الرحيل ❊ وقد كان الشباب لنا خليلا ❊ فقد قضى
مآربه الخليل ❊ لعمر ابي الشباب لقد تولى ❊ حميدا ما يراد به بديل ❊ اذ الايام مقبلة علينا ❊ وظل ايكة
الدنيا ظليل ❊ وانشد المبرد قال انشدنا ابو عثمان المازني لابي حية ❊ زمان الصبا ليت ايامنا ❊
رجعن لنا الصالحات القصارا ❊ زمان علي غراب غداف ❊ فطيره الدهر عني فطارا ❊ فلا يبعد الله
ذاك الغراب ❊ وان هو لم يبق الا ادكارا ❊ كان الشباب ولذاته ❊ وريق الصبي كان ثوبا معارا ❊
يبيع الصبي ويبطنه ويرتقمه اوله ❊ وهازئة ان رأت لمتي ❊ تقنع شيبا بها فاستدارا ❊ وقلدني
منه بعد الخطام ❊ عذارا فما استطيع اعتذارا ❊ اجارتنا ان ريب الزمان ❊ قبلي غال الرجال الخيارا ❊
فاما ترى لمتي هكذا ❊ فاسرعت منها المشيب النفارا ❊ فقد ارتدي وحفته ظلة ❊ وقد ابرز الخمارا
اما قوله زمان علي غراب غداف فطيره اراد به الشباب والشعر الاسود ويشبه ان يكون ماخوذا من قول الاول
وما طلابك شيئا لست مدركه ❊ ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا ❊ ولابي حية من قصيدة اولها
الا يا اسلمي اطلال خنساء وانعمي ❊ وخنساء مخماص الوشاحين مثلها ❊ الى الزوج افنان تحطى
المخضم ❊ الا يا اسلمي قبل ان ترمي النوى ❊ بنا فذة تبض الفواد المتيم ❊ بقفقاعة شق لم يسوم من نفسه
ولا عظته للسلوة غير التوهم ❊ فقلن لها سرا فديناك لا يرح ❊ صحيحا وان لم تقتليه فالمم ❊ فالقت قناعا
دونه الشمس واتقت ❊ باحسن موصولين كف ومعصم ❊ وهذا البيت الاخير ماخوذ من قول
النابغة ❊ سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ❊ فتناولته واتقتنا باليد ❊ ولقوله فقلن لها سرا فديناك
البيت خبر وهو ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني
الباطرقاني قال اتصل بعبيد الله بن سليمن بن وهب امر علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته
لابي الحسين القسم ابنه وسمع شيئا من اهاجيه فقال لابي الحسين قد احببت ان ارى ابن
الرومي هذا فدخل يوما عبيد الله الى ابي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فانشده

وخاطبه

وخاطبه فرآه مضطرب العقل جاهلا فقال لابي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا
اطول من عقله ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند اول عتب ولا يفكر في عاقبة فاخرجه
عنك فقال اخاف ان يعلن ما يكتمه في دولتنا ويذيعه في تمكننا فقال يا بني اني لم ارد
باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت ابي حية النميري ❊ فقلن لها سرا فديناك لا يرح ❊
صحيحا وان لم تقتليه فالمم ❊ فحدثني القسم بن قراس الجري وكان من اعلم الناس لابن
الرومي وقد هجاه باهاج قبيحة فقال له الوزير اعزه الله اشار بان يغتال حتى يستريح منه
وانا اكفيك ذلك فسمه في الخشكنانج فمات قال الباطرقاني والناس يقولون قتله ابن فراس
وانما قتله عبيد الله فقال ابن الرومي لما رجع الى داره وقد دب السم في اعضائه ❊ اشرب
الماء اذا ما التهبت ❊ نار احشائي لاطفاء اللهب ❊ فاراه زائدا في حرقتي ❊ فكان الماء للنار
حطب ❊ وذكر محمد بن يزيد المبرد قال انما يفضل المتخلص من التكلف وسلامته من التزيد
وبعده من الاستعانة قول ابي حية النميري ❊ رمتني وستر الله بيني وبينها ❊ عشية آرام الكناس
رميم ❊ الا رب يوم لو رمتني رميتها ❊ ولكن عهدي بالنضال قديم ❊ قال الشريف المرتضى رضي
وقد روي هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني واصابتني
بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رمت وفتنت كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول
بالشباب وهذا كلام واضح واما الاستعانة فهو ان يدخل في الكلام ما لا حاجة به
للمستمع اليه ليصحح نظما او وزنا قال ومما نختاره من قول ابي حية ❊ الا حي من اجل الحبيب
المغانيا ❊ لبسن البلى مما لبسن اللياليا ❊ اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ❊ تقاضاه شيء لا يمل
التقاضيا ❊ ويقال ان احسن ما وصف به السواك قول ابي حية ❊ لقد طالما عنيت راحلة
الصبا ❊ وعلت شيطان الغوي التشوق ❊ وداويت قرح القلب منهن بالمنى ❊ وبالحظ لو
بهذا له المفرق ❊ وساقيتني كاس الهوى وسقيتها ❊ بفاو الثنايا عذبة المترقرق ❊ وخمصانة تجلو
تفتر عن متنضد ❊ كنور الاقاحي طيب المذوق ❊ ويروى عن مستنسق يعني ثغرا على نسق واحد
لا اختلاف فيه ❊ اذا مضغت بعد امتناع من الضحى ❊ انابيب من عود الاراك المحلق ❊ الا تاسع

الارتفاع يقال متع النهار وامتع اذا طال والمخلوق الذي طلي به الخلوق والطيب من يديها وقال بعضهم
غنى بالمخلوق المملس سقت شعث المسواك ماء غمامة فضيضا بخرطوم المدام المروق الغضير
الندى حين سال من الغمام اي كما فض والخرطوم سلافة الخمر وهو اول ما يخرج من غير عصر ولا
دوس وان ذقت فاها بعد ما سقط الندى بعطفي مخنداة رداح للنطق المخنداة الضخمة
والرداح العظيمة الارداف شممت العرار الطل غب هميمة ونور الاقاحي في الندى المترقرق
العرار البهار البري والطل الغض الطري والهميمة مطر لين واخبرنا المرزباني قال حدثني علي
بن هرون بن علي قال سمعت ابي وقد ذكر قول ابي حية نظرت كاني من وراء زجاجة الى الدار
من فرط الصبابة انظر بعينين طورا تغرقان من البكا فاعشى وطورا تحسران فابصر قال
لو اعترضني مملك يحتجب عنه ويلزم الانقياد لامره فقال اي شعر اجود واولى ان يتحصن ولم
يفسح لي ان امتنع المدح من الهجو والفخر من التشبيه وساير اصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما
عدلت عن هذين البيتين وقال ان ابا احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اجاز بيتي ابي حية
هذين بقوله فلا مقلتي من غامر الماء تنجلي ولا دمعتي من مكمد الوجد تقطر وبين البيت الى البيتين
بعد ولابي حية من المبكيات الجلد حتى كانما اتت بعينيه الدموع شعيب الشعيب مزادة
من اديمين يشعب احدهما بالاخر ليالي اهلا لاجميع وحولنا سوايم منها رايح وغريب
واذ يحتبين الذنوب وما لنا اليهن الا ودهن ذنوب ولابي حية اصد عن البيت
الحبيب واتقي لاصغي الى البيت الذي اتجنب ازور بيوتا غيره ولاهله على ما عداهم
اعز واقرب وقطع اسباب المودة معشر غضابى وهل في احسن القول مغضب وان كان
يا ام عمرو غيمة تدب بها بيني وبينك عقرب وما هبتنا لو انه كان عالما بذاك الاولى يود
ما يترقب حديث اذا لم تخش عينا كانه اذا ساقطته الشهد بل هو اطيب لو انك تشفي
بعد سكرة من الموت كادت سكرة الموت تذهب وقلت لها ما تامرين فانني ارى البين
ادنى وهنة تترقب قال محمد بن يحيى الصولي ولا احسبه في قوله لو انك تشتفي به بعد سكرة
من الموت الا اتبع قول توبة بن الحمير ولو ان ليلى الاخيلية سلمت علي ودوني تربة وصفايح

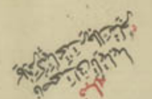
لسلمت تسليم البشاشة او زقا اليها صدى من جانب القبر صايح قال المرتضى رضي الله عنه واول من سبق
الى هذا المعنى احسن الاعشى في قوله عهدي بها في الحي قد درعت صفراء مثل المهرة الضامر
لو اسندت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر
ومعنى الناشر المنشور يقال انشر الله الميت فنشر وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق
بمعنى مدفوق وقال بعض اصحاب المعاني ان الجارية التي وصفها انها ايهم مينة بمعنى انها
ستموت كما قال تعالى انك ميت وانهم ميتون اي ستموت فيكون المعنى ان الناس يعجبون
من ان يكون من يموت ينشر الموتى ومن قال هذا اجاز نشر الله الموتى بمعنى انشر والقول الاول
اظهر وما نقل الاعشى عنى غيره

مجلس آخر تاويل آية

ان سال سايل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فقال لم خص اليوم بالقول لانما
اراد العفو عنهم في جميع مستقبل الاوقات الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اربعة اولها انه لما
كان هذا الوقت الذي اشار اليه هو اول اوقات التي كشف فيها نفسه لهم واطلعهم على ما كان
يستره عنهم من امره اشار الى الوقت الذي لو اراد الانتقام لانتقم فيه والذي متى عفى فيه لم
يرجع الانتقام وثانيها ان يوسف عليه السلام لما قدم توبيخهم وعدد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم ما
ارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند تبيين امره لا
تثريب عليكم اليوم اي قد انقطع عنكم توبيخي وبعض عتابي ولا عتب عند اعترافكم بالذنب فكان
ذكر اليوم دلالة على انقطاع المعاقبة والتوبيخ وعلى ان الاوقات المتصلة باليوم يجري
مجراه في زوال الغضب وتمام العفو وسقوط المواقفة لهم على ما سلف منهم
وثالثها ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله
المشتمل على الليالي والايام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره قد كنت تشرب
الخمر فاليوم وقت تركها ومعناها يريد في هذا الزمان ولا يريد يوما واحدا بعينه
ومثله قد كنت تقصر عن الجواب في فنون العلم فاليوم ما تعجزك مسئلة ولا تقف
عن مشكلة يريد باليوم باقي الزمان كله وقال امرؤ القيس حلت لي الخمر وكنت امرءا

عن شربها في شغل شاغل فاليوم فاشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل ولم يقصد يوما
بعينه ومثله اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا وقال لبيد وما
الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كل ذلك لا يراد بذكر اليوم
او الغد فيه الا جميع الاوقات المستقبلة ورابعها ان يكون المراد لا تثريب عليكم البتة ثم
قال اليوم يغفر الله لكم فعلق اليوم بالغفران وكان المعنى غفر الله لكم اليوم وقد ضعف قوم هذا
الجواب من جهة ان الدعاء لا ينتصب ما قبله ثم لا يكون اخبارا محضا بالغفران حتى لا يعتبر
بذلك وله وجه اخر وهو ان يكون المعنى اليوم اقول لكم هذا القول الذي هو يغفر الله لكم
فاختصر فاما معنى التثريب فان ابا عبيدة قال معناه لا تعيير ولا معاتبة ولا افساد قال الشاعر
فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد وقال ابو العباس ثعلب يقال
ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه وقال بعضهم وهو ابن مسلم التثريب ماخوذ من
لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكانه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى ابعد غاياتهما
تاويل خبر روى ابو عبيد القسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان
وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسب الزمارة وقال ابو عبيد
قال حجاج الزمارة الزانية قال وهذا مثل حديثه الاخر انه نهى عن كسب البغي قال ابو عبيد وقال
غير حجاج هي الرمازة بتقديم الراء قال وقول حجاج اثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون اماءهم
على البغاء فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة
الدنيا قال فالعرض هو كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه قال ابو عبيد ولا اعلم تم احدا ان الزمارة
غير التي وجدتها مفسرة في الحديث وقال ابن قتيبة الامر على ما ذكر ابو عبيد الا ما انكره على من
زعم انها الرمازة لان الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز اي تومي بعينيها وحاجبيها
وشفتيها قال الفراء واكثر الرمز بالشفتين ومنه قول الله تعالى ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا
رمزا فالرمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار استعمالها كالاسم لها وكذلك قيل لها ملوك
لانها تنهالك على الفراش او على الرجل ثم صار اسما لها دون غيرها من النساء وان تهالكت

على زوجها وقيل لها خريع للينها وتثنيها ثم صار ذلك اسما لها دون غيرها من النساء وان تثنت
وتثنت لزوجها ونحوه قولهم للبعير اعلم للشق في مشفره الاعلى ثم صار كالاسم له وكذلك
قولهم للذئب ازل للرسح ثم صار كالاسم له والمرمزة المريبة لا تكاد تعلن الكلام وانما تومض
او ترمز او تصفر قال الشاعر تعرت الى مخافة من بعلها من غير ان يبدو هناك كلامها وقال
الاخطل احاديث سقاها ابن جدراء فرقد ورمازة مالت لمن يستميلها وقال الراجز
يومضن بالاعين والحواجب ايماض برق في عماء ناصب والعماء السحاب والناصب البعيد
وقال بعضهم انما قيل للفاجرة القحبة من القحاب وهو السعال وخبرها انها تنحنح او تسعل
وترمز بذلك قال وبلغني عن المفضل انه كان يقول في قول الناس اجبن من صافر انه الرجل يصفر
للفاجرة فهو يخاف من كل شيء فاما الاصمعي فانه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف
بالجبن لانه ليس من الجوارح قال ابن قتيبة ولا ارى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك
قول الكميت بن زيد الاسدي ارجو لكم ان تكونوا في اخائكم كلبا كورهاء تقلي كل صفار لما اجابت
صفيرا كان ايتها من قابس شيط الوجعاء بالنار وهذه امراة كان يصفر لها رجل فتجيبه
فتمثل زوجها به وصفر لها فاتته فشيط عجيزتها بميسم فلما اعاد الصفير قالت قد قلينا كل صفار
يريد انا قد عففنا واطرحنا كل فاجر وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري والاختيار عندي
الزمارة بتقديم الزاي على ما قاله ابو عبيد لحجج ثلث احدهن اجماع اصحاب الحديث على الزمارة
والحجة الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نغمها وكلامها والزمر عند العرب
التحسين قال عمرو بن احمر الباهلي يصف شرابا وغناء دنان حنانات بينهما رجل اجش
غناؤه زمر قال الاصمعي معناه غناؤه حسن كانه من مزامير داود عليه السلام والحجة الثالثة انهم
سموا الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قول العرب نعجة زمرة اذا كانت
قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروة اذا كان قليلها قال ابن احمر مطلنفئا لون الحصى
لونه يحجر عنه الذر ريش زمر المطلنفي اللاصق بالارض والذر النمل والزمر القليل فسمت
البغي زمارة على وجه الذم لها والتصغير لشانها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال



فجر الرحيل اذا ما آل البيد فان تتقدم نفش منهما مقدما غليظا وان اخرت فالكفل فاجر
اى مائل والكفل كساء يوضع على ظهر البعير يوفى من العرق قال المرتضى رضى الله عنه ولا ارى لاحد الروايتين
على الاخرى رجحانا لان كل واحدة منهما قد اتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرج
فى اللغة وتاويل يرجع الى معنى واحد لان الرمارة بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة
الى المعنى الفجور ومن رواها بالزاى المعجمة فالمرجع فى معناها الى ذلك ايضا على الوجهين اللذين
ذكرهما ابن الانبارى والاولى ان يكونا متساويين ويكون الراوى مخيرا فيهما اخبرنا ابو عبيد الله
محمد بن عبد الله المرزبانى قال انشدنى محمد بن احمد الكاتب قال انشدنا ابن الاعرابى للمضرب وهو
عقبة بن كعب بن زهير بن ابى سلمى وما زلت ارجو نفع سلمى وودها وتبعد حتى ابيض
منى المسايح وحتى رايت الشخص يزداد مثله اليه وحتى نصف راسى واضح على حاجبى
الشيب حتى كانه ظباء جرت منها سنيح وبارح وهزة اظعان عليهن بهجة طلبت
وريعان الصبى بى جامح فلما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطى الاباطح وشدت على حدب
المهارى رحالها ولا ينظر الغادى الذى هو رائح فقلنا على الخوص المراسيل وارتمت بهن
الصحارى والصفاح الصحاصح وانشد ابن الاعرابى له قصدت بعينى شادن وتبسمت
بجماء عن غر لهن غروب جرى الاسحل الاحوى عليهن او جرى عليهن من فرع الاراك قضيب
اخبرنا ابو الحسين على بن محمد الكاتب قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى محمد بن الحسن
البلخى قال حدثنا ابو حاتم قال سمعت الاصمعى يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه
مع معشوقه فقلت له هذا والله يا امير المؤمنين احسن من قول عروة بن حزام العذرى لعفراء
ارانى اذا ما اذكر الدهر وعندها ابن جلدى والعظام دبيب وما هو الا ان اراها فجاءة
فابهت حتى لا اكاد اجيب واصرف عن رايى الذى كنت ارتاى ويعزب عنى علمه ويغيب
ويضمر قلبى عذرها ويعينها على فما لى فى الفؤاد نصيب فقال الرشيد من قال هذا وهما فانى
اقوله علما ولله درك يا اصمعى فانى اجد عندك ما يفضل عند العلماء قال فاخذه العباس بن

الاحنف



الاحنف فقال يهيم بحزان الجزيرة قلبه وفيها غزال فاتر الطرف ساحر يوازره قلبى على وليس لى
يدان بمن قلبى عليه يوازره واشار اليه ايضا فى قوله قلبى الى ما ضرنى داعى يكثر احزانى و
اوجاعى كيف احتراسى من عدوى اذا كان عدوى بين اضلاعى واخذه سهل بن هرون الكاتب
فقال اعان طرفى على جسمى واعضائى بنظرة وقفت جسمى على دائى وكنت غرا بما يجنى على يدى
لا علم لى ان بعضى بعض اعدائى وقال البحترى ولست اعجب من عصيان قلبك لى
يوما اذا كان قلبى فيك يعصينى وروى ابو عكرمة الضبى عن مسعود بن بشر المازنى قال
قال لنا الاصمعى يوما ما احسن ما قيل فى صفة امراة عجزاء خميصة فانشد قول الاعشى
صفر الوشاحين ملؤ الدرع بهكنة اذا تاتى يكاد الخصر ينخزل وانشد قول علقمة
بن علقمة بن عبدة صفر الوشاحين ملؤ الدرع خرعبة كانها رشا فى البيت ملزوم
وانشد قول ذى الرمة ترى خلفها نصفا قناة قويمة ونصفا نقى يرتج او يتمرمر فقال
احسن ما قيل فيه قول ابى وجزة السعدى ادماء فى وضح يكاد ازارها يطوى ويتبع ما
احب ازارها قال ابو عكرمة ومثله قول الحرث بن خالد المخزومى غرثان منبط وشاحها
قلق وريان من ارادفها المرط واخبرنا المرزبانى قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا
ابو العينا قال حدثنا الاصمعى قال لما مات محمد بن سليمن بن على الهاشمى دخلت على اخيه
جعفر بن سليمن وقد حزن عليه حزنا شديدا ولم يطعم ثلثا فانشدته لابن اذينة الثقفى لعمرى لئن
اتبعت عينك ما مضى به الدهر او ساق الحمام الى القبر لتستنفدن ماء الشؤون باسره ولو كنت
تمريهن من ثبج البحر فقلت لعبد الله اذ حن باكيا تعز وماء العين منهمر يجرى تبين فان كان البكا
رد هالكا على احد فاجهد بكاك على عمرو ولا تبك ميتا بعد ميت اجنه على وعباس وآل ابى بكر
قال فامر بجى بالطعام فاكل من ساعته قوله اذ حن باكيا معناه رفع صوته بالبكاء قال قوم الحنين بالحاء
المهملة الالف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد منهما واخبرنا المرزبانى قال حدثنا
محمد بن الياس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال سمعت الثورى يقول دخلنا مع الاصمعى الى
اسمعيل بن جعفر ليلة فى حاجة فانشده الاصمعى ابيات ابن هرمة اتيناك نرجو حاجة ووسيلة

اليك وقد يحظى لديك الوسائل وقد شده الله بيننا على الدهر لم تدبل اليه الغوائل فاقسم
ما الكبى زنادك قادح ولا كذبت فيك الرجاء القوابل ولا رجعت ذا حاجة عنك علة ولا
عاق خيرا عاجلا منك آجل ولا لام فيك الباذل الوجه نفسه ولا احكمت فى الجود منك المباخل
لم نزد على هذه الابيات فقضى حاجته واجاب مسالته قال الشريف المرتضى رضى الله عنه ويشبه ان يكون ابن هرمة
اخذ قوله ولا كذبت فيك الرجاء القوابل من قول الحزين الكنانى فى زيد بن على بن الحسين عليهم السلام فلما تردى
بالحمائل وانتهى يصول باطراف القنى الذوابل تبينت الاعداء ان سنانه يطيل حنين الامهات
الثواكل تبين فيه ميسم العز والتقى وليدا يفدى بين ايدى القوابل واخبرنا على بن محمد الكاتب
قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا محمد بن الحسن البلخى قال حدثنا ابو حاتم عن الاصمعى قال
قال الرشيد يوما يا اصمعى اتعرف للعرب اعتذارا او ندما ودع امر النابغة فانه يحتج ويعتذر فقلت
له ما اعرف ذلك الا لبشر بن ابى حازم الاسدى فانه هجا اوس بن حارثة بن لام فاسره بعد ذلك واراد
قتله فقالت له امه وكانت ذات راى والله لا يمحو هجاءه لك الا مدحه اياك فعفا عنه فقال بشر وانى
على ما كان منى لنادم والى الى اوس بن لام لتائب والى الى اوس ليقبل توبتى ويعرف ودى ما حييت
لراغب فهب لى حياتى فالحيوة لقائم بشرك فيها خيرها انت واهب سامحو بمدحى فيك اذ انا صادق
كتاب هجاء سار اذ انا كاذب فقال الرشيد للاصمعى ان دولتى لتحسن بقائك فيها واخبرنا على بن
محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن يعنى ابن اخ الاصمعى عن عمه قال سمعت
بيتين لم احفل بهما ثم قلت هما على حال خير من موضعهما من الكتاب قال فانى عند الرشيد يوما وعنده
عيسى بن جعفر فاقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم فى بيت مال السرور فقال ما فيه شى فقال عيسى هذا
بيت مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد فاقبل على عيسى فقال والله لنعطين الاصمعى سلفا على بيت مال
السرور الف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت فى نفسى جاء موضع البيتين فانشدت الرشيد اذا
شئت ان تلقى اخاك معبسا وجداه فى الماضين كعب وحاتم فكشفه عما فى يديه فانما تكشف
اخبار الرجال الدراهم قال فتجلى عن الرشيد وقال يا مسرور اعطه على بيت مال السرور الفى
دينار فاخذت بالبيتين الفى دينار وما كانا يساويان عندى درهمين



مجلس اخر ٢٢ تاويل اية ان سال سائل عن تاويل قوله تعالى خلق الانسان من عجل سأريكم
آياتى فلا تستعجلون الجواب قيل له قد ذكر فى هذه الاية وجوه من التاويل نحن نذكرها
ونرجح الارجح فاولها ان يكون معنى القول المبالغة فى وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال
لما يؤثره من الامور لهج باستدناء ما يجلب اليه نفعا او يدفع عنه ضررا ولهم عادة فى استعمال مثل هذا اللفظ
عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت الا من نوم وما خلق فلان الا من شر اذا ارادوا
كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما انت الا اكل وشرب وما اشبه ذلك وقال الشاعر يصف بقرة
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار وانما اراد ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال و
الادبار منها ويشهد لهذا التاويل قوله تعالى فى موضع اخر وكان الانسان عجولا ويطابقه قوله
فلا تستعجلون لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من شانهم فعلها ثم نهاهم عن
الاستعجال وقادرين على التثبت والتاييد وثانيها ما اجاب به ابو عبيدة وقطرب بن المستنير
وغيرهما من ان فى الكلام قلبا والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهدا على ذلك بقوله تعالى وقد
بلغنى الكبر اى قد بلغت الكبر وبقوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة والمعنى ان العصبة تنوء بها
وتقول العرب عرضت الناقة على الحوض انما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعرى
استوى العود على الحرباء ويريدون استوى الحرباء على العود وبقول الاعشى لمحفوفة ان تنجي
لصوته وان تعلى ان المعان موفق يريد ان الموفق معان وبقول الاخر على العباد ات هذا
قد بلغت نجران او بلغت سواتهم هجر والمعنى ان السوات هى التى بلغت هجر وبقول خداش
بن زهير وتركب خيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر يريد تشقى الضياطرة
بالرماح وبقول الاخر تمشى به عوذ النعاج كانها عذارى ملوك فى بياض ثيابها يريد فى ثياب
بياض وبقول الاخر حسرت كفى عن السربال اخذه فردا اجر على ايدى المفديننا يريد حسرت السربال
عن كفى وبقول الاخر وهو ابن احمر وجرد طال باطلها انيلا واحدث قومها شعرا قصارا اراد
طال انيلها باطلا وبقول الاخر وقسورة اكنافهم فى قسيهم اذا ما مشوا لا يغمزون من النساء
اراد قسيهم فى اكنافهم وبقول الاخر وهن من الاخلاف والولعان اى الاخلاف والولعان منهن

وبقي على صاحب هذا الجواب مع التعسف ان يحمل كلامه على القلب من غير دلالة وما للمعنى والفائدة في قوله
خلق العجل من الانسان اتريدون بذلك ان الله خلق في الانسان العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل
من افعال الانسان فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك لما جاز ان ينهاهم عن الاستعجال
في الآية فيقول سأريكم آياتي فلا تستعجلون لانه لا ينهاهم عما خلقه فيهم فان قالوا لم نرد انه تعالى خلقها
لكنه اراد كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال يستعملها قيل لهم هذا الجواب الذي قدمناه من غير حاجة
الى القلب والتقديم والتأخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه
وقد ذكر ابو القسم البلخي هذا الجواب في تفسيره واختاره وقواه وسال نفسه عليه فقال كيف جاز ان
يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم واجاب بانه قد اعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم و
كفها وقد يكون الانسان مطبوعا عليها وهو مع ذلك مأمور بالتثبت قادر على ان يجانب
العجلة وذلك كخلقه تعالى في البشر شهوة النكاح وامرهم في كثير من الاوقات بالامتناع منه وهذا
الذي ذكره البلخي تصريح بان المراد بمن ههنا في لان الشهوة بالعجل غير وهو الطبع الداعي اليه
والشهوة المتناولة له ويجب ايضا ان يكون المراد بمن ههنا في لان شهوة العجل لا تكون مخلوقة
من الانسان وانما تكون فيه وهذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب لو لم يجا[ز]
ثم هو من بعيد المجاز وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من مقام في كل على انه تعالى اذا
نهاهم عن العجلة بقوله عز وجل فلا تستعجلون اي معنى لتقديم قوله انني خلقت شهوة العجلة
او الطبع الداعي اليها على ما عبر به البلخي وهذا الى ان يكون عذرا لهم اقرب منه الى ان يكو[ن]
حجة عليهم وايسر الاحوال ان لا يكون عذرا ولا احتجاجا فلا يكون لتقديمه معنى وفي
الجواب الاول يحسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتقريع من غير اضافة له اليه عز وجل
فالجواب الاول اوضح واصح وثالثها جواب يحكى عن الحسن قال يعني بقوله من عجل اي
من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب ان كان له في اللغة شاهد على
ان العجل يكون عبارة عن الضعف ومعناه ورابعها ما حكي ان ابا الحسن الاخفش اجاب
به وهو ان يكون المراد ان الانسان خلق من تعجيل الامر لانه تعالى قال انما امرنا لشيء اذا اردناه

ان نقول

ان نقول له كن فيكون فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون قلنا
يمكن ان يكون وجه المطابقة انهم لما استعجلوا بالآيات واستبطؤوها اعلمهم الله تعالى انه ممن لا
يعجزه شيء اذا اراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤونة بان قال له كن فكان
مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما
استعجلوه من الآيات وخامسها ما اجاب به بعضهم من ان العجل الطين فكأنه قال تعالى خلق
الانسان من عجل طين كما قال في موضع آخر وبدأ خلق الانسان من طين واستشهد بقول الشاعر
والنبع ينبت بين الصخر ضاحية ... والنخل ينبت بين الماء والعجل ... ووجدنا قوما يطعنون
في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن
بعضهم ان العجل هو الحمأة ولم يستشهد عليه الا ان البيت الذي انشدناه يمكن ان يكون شاهدا
له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وخالف في شيء من الفاظه فرواه ... والنبع في الصخرة الصماء
منبته ... والنخل ينبت بين الماء والعجل ... واذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك
وبين قوله فلا تستعجلون على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة
فيه من الطين لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات او يكون المعنى انه لا يجب لمن خلق
من الطين المهين وكان اصله هذا الاصل الحقير الضعيف ان يهزأ برسل الله تعالى وآياته
وشرائعه لانه تعالى قال قبل هذه الآية واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا
الذي يذكر آلهتكم وسادسها ان يكون المراد بالانسان آدم ومعنى من عجل اي في سرعة
من خلقه لانه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وانما ابتدأه الله ابتداء
وانشأه انشاء فكأنه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له وانه عز وجل يري عباده من آياته
وبيناته اولا اولا ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه احوالهم وسابعها ما روي عن مجاهد
وغيره ان الله تعالى خلق آدم بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس
وروي ان آدم لما نفخ فيه الروح وبلغت اعالي جسده ولم يبلغ اسافله قال يا رب استعجل
بخلقي قبل غروب الشمس وثامنها ما روي عن ابن عباس والسدي ان آدم لما خلق وجعلت

الروح في اكثر جسده وثب عجلان مبادرا الى ثمار الجنة وقال قوم بل هم بالوثوب فهذا معنى قوله
خلق الانسان من عجل وهذه الاجوبة الثلاثة المتأخرة مبنية على ان المراد بالانسان ههنا
آدم دون غيره قال المرتضى رضي الله عنه واني لاستحسن لمسكين الدارمي قوله ... ورب امور قد بريت لحاءها
وقومت من اصلابها ثم رعتها ... اقيم بدار الحزم ما لم اهن بها ... فان خفت من دار هوانا
تركتها ... واصلح جل المال حتى تخالني ... شحيحا وان حق عراني اهنتها ... ولست بولاج البيوت
لفاقة ... ولكن اذا استغنيت عنها ولجتها ... ابيت من الادلاج في الحق تائما ... وارض بادلاج وهم
قطعتها ... الا ايها الجاري سنيحا وبارحا ... تعرض نفسا لو اسأت قتلتها ... تعارض فخر الفاخرين
بعصبة ... ولو وضعت لي في اناء اكلتها ... وان لنا بيت المجد كلها ... مواريث آباء كرام ورثتها
اذا قصرت ايدي الرجال عن العلى ... مددت يدي طولا عليهم فنلتها ... وداع دعاني للعلى
فاجبته ... ودعوة باغ في الصديق خذلتها ... ومكرمة كانت رعاية والدي ... فطلبتها والدي
فعلتها ... وعوراء من قيل امرئ ذي قرابة ... تصاممت عنها بعد ما قد سمعتها ... رجاء غد
ان تعطف الرحم بيننا ... ومظلمة منه بجنبي عركتها ... اذا ما امور الناس رثت وضعضعت وجدت
اموري كلها قد رممتها ... واني سالقى الله لم ارم حرة ... ولم تاتمني يوم سر خنتها ... ولا قاذف
نفسي بريئة ... وكيف عذاري بعد ما قد قذفتها ... اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
اخبرنا ابو ذر القراطيسي قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ابي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن
بن صالح الازدي ان رجلا من الانصار حدثه قال قال مسكين الدارمي ... ولست اذا ما سرني
الدهر ضاحكا ... ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر ... ولا جاعلا عرضي لمالي وقاية ... ولكن
اقي عرضي فيحرز وفري ... اعف لدى عسري وابدي تجملا ... ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر
واني لاستحيي اذا كنت معسرا ... صديقي واخواني بان يعلموا فقري ... واقطع اخواني وما طال
عهدهم ... حياء واعراضا وما بي من كبري ... فان يك عارا ما اتيت فربما ... اتى المرء يوم السوء
من حيث لا يدري ... ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ... ومن يحي لا يعدم بلاء من الدهر
ومستحسن قوله ... ان ادع مسكينا فما قصرت ... قدري بيوت الحي والجدر ... [illegible] ان مسكينا

ليس يسمى وان اسمه ربيعة وانما سمي بذلك لقوله ... وسميت مسكينا وكانت لجاجة ... واني لمسكين
الى الله راغب ... ومعنى قصرت قدري اي سترت يريد انها بارزة لا يحجبها السواتر والحيطان
ما مس رحلي العنكبوت ولا جدياته من وضعه غبر ... هذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن
لان العنكبوت انما تنسج على ما لا تناله الايدي ولا يكثر استعماله والجديات جمع جدية وهي
باطن دفة الرحل ... لا آخذ الصبيان التمهم ... والامر قد يعزى به الامر ... يقول لا اقبل الصبي وانا اريد
التعريض بامه ومثله لغيره ... ولا الفتى الذي لو دعاك صوتي ... الاعبه وريبته اريد ... ويروى
وريبته اريد وانشد ابن الاعرابي مثله ... اذا رايت صبي القوم يلثمه ... ضخم المناكب لا عم ولا خال
فاحفظ صبيك منه ان يدنسه ... ولا يغرنك يوما قلة المال ... رجع الى تمام القصيدة ... ورب امرئ
قد تركت وما بيني وبين لقائه ثمر سر ... ومخاصم قاومت في كبد ... مثل الدهان فكان لي العذر
ما غابني قومي بنو عدس ... وهم الملوك وخالي البشر ... عمي زرارة غير منتحل ... وابي الذي حدثتم
عمرو في المجد غرتنا مبينة ... للناظرين كانها البدر ... لا يرهب الجيران غدرتنا ... حتى يواري ذكرنا
القبر ... لسنا كاقوام اذا كلحت ... احدى السنين فجارهم تمر ... مولاهم لحم على وضم ... تنتابه العقبان
والنسر ... ناري ونار الجار واحدة ... واليه قبلي تنزل القدر ... يقال انه كانت له امراة تماضر فلما
قال ذلك قالت له اجل انما ناره ونارك واحدة لانه اوقد ولم توقد والقدر تنزل اليه
قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وانت تستطعمه ... ما ضر جاري اذ اجاوره ... ان لا يكون لبيته
ستر ... قال وتقول انها قالت له في هذا البيت نعم اجل وان كان له ستر هتكته ... اعمى اذا ما جارتي
برزت ... حتى يواري جارتي الخدر ... ويصم عما كان بينهما ... سمعي وما بي غيره وقر ... وانشد
عمر بن شبة لمسكين ايضا ... لا تجعلني كاقوام علمتهم ... لم يطلعوا الليلة يوما ولا ودجا ... الا اعلام
باللحم قد علموا انبا وارخصهم باللحم ان نضجا ... انا ابن قاتل جوع القوم قد علموا ... اذا
السماء كست آفاقها رهجا ... يا رب امرين قد فرجت بينهما ... اذا هما نشبا في الصدر
واعتلجا ... اديم خلقهما دامت خليقته ... وامزج الحلق احيانا لمن مزجا ... واقطع الخرق
بالخرقاء لاهية ... اذا الكواكب كانت في الدجى سرجا ... ما انزل الله من امر فاكرهه ... الا

سيجعل لي من بعده فرجا * ما سد قوم بابا يدنيهم الى شرف الا ارانا فتاها ما فوقهم درجا *
وانشد ابو العباس ثعلب له * اضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ولم يلهني عنه غزال مقنع *
احدثه ان الحديث من القرى * وتعلم نفسي انه سوف يهجع * ومثله لغيره اضاحك ضيفي
قبل انزال رحله * ويخصب عندي والمكان جديب * وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى *
ولكنما وجه الكريم خصيب * وروى ثعلب لحاتم الحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهني
عنه غزال مقنع * احدثه ان الحديث من القرى * وتعلم نفسي انه سوف يهجع * ومعنى احدثه ان
الحديث من القرى اي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا اعرض عن محادثته فاكون قد
محضت قراي والحديث الحسن من تمام القرى وقال الاصمعي احسن ما قيل في الغيرة قول مسكين
الدارمي * الا ايها الغاير المستشيط * علام تغار اذا لم تغر * فما خير عرس اذا خفتها * وما خير بيت
اذا لم يزر * تغار على الناس ان ينظروا * وهل يفتن الصالحات النظر * فاني ساخلي لها بيتها *
فتحفظ لي نفسها او تذر * اذا الله لم يعطه ودها * فلن يعطي الود سوط ممر * ومن ذا يراعي له عرسه
اذا ضمه والمطي السفر * قال المرتضى رضه وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك
قوله ولست امرء لا الفا البيت قاعدا * الى جنب عرسي لا افرطها شبرا * ولا مقسم لا ابرح
الدهر بيتها * لاجعله قبل الممات لها قبرا * اذا هي لم تحصن امام فنائها * فليس بمنجيها
بنائي لها القصرا * وانها مل ظني ولا قيل قائل * على غيرة حتى احيط به خبرا * فهبني امرء راعيت
ما دمت شاهدا * فكيف اذا ما غبت من بيتها شهرا * وانشد ابو العينا عن ابي العالية
المسكين * ما احسن الغيرة في حينها * واقبح الغيرة في كل حين * من لم يزل متهما عرسه * مناصبا
فيها لرجم الظنون * يوشك ان يغريها بالذي * يخاف او ينصبها للعيون * حسبك من تحصينها
ضمها * منك الى خلق كريم ودين * لا تظهرن منك على عورة * فيتبع المقرون حبل القرين *



مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف ولقد همت به وهم
بها لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين
فقال هل يسوغ ما تاول بعضهم هذه الاية عليه من ان يوسف عزم على المعصية واردها

وانه جلس مجلس الرجال من المراة ثم انصرف عن ذلك بان اري صورة ابيه يعقوب
عاضا على اصبعه متوعدا له على مواقعة المعصية او بان نودي بالنهي والزجر في الحال على ما
ورد به الحديث الجواب قلنا اذا ثبت بادلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه
التاويلات ان المعاصي لا تجوز على الانبياء صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب
او سنة الى ما يطابق الادلة ويوافقها كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفا لما تدل عليه العقول
من صفاته تعالى وما يجوز عليه او لا يجوز ولهذه الاية وجوه من التاويل كل واحد منها يقتضي نزاهة
نبي الله من العزم على الفاحشة وارادة المعصية اولها ان الهم في ظاهر الاية متعلق بما لا يصح ان يتعلق
به العزم او الارادة على الحقيقة لانه تعالى قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز
ان تراد او يعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير محذوف يتعلق العزم
به وقد يمكن ان يكون ما تعلق به همه عم انما هو ضربها او دفعها عن نفسه كما يقول القائل قد كنت
هممت بفلان وقد هم فلان بفلان اذا هم بان يوقع به ضربا او مكروها فان قيل فاي معنى لقوله تعالى
لولا ان راى برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها قلنا يمكن ان يكون
الوجه في ذلك انه لما هم بدفعها وضربها اراه الله برهانا على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه اهلها
او قتلوه او انها تدعي عليه المراودة على القبيح وتقرفه بانه دعاها اليه وان ضربه لها كان لامتناعها
فيظن به ذلك بعض من لا تامل له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه فاخبر الله تعالى بانه صرف بالبرهان عنه السوء
والفحشاء ويعني بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك
من حيث القبح او يعني بالسوء والفحشاء ظنهم به ذلك فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا
يتقدمها ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه لهم بضربها ودفعها وتقديم جواب لولا قبيح
مستعمل او يقتضي ان تكون لولا بغير جواب قلنا اما تقدم جواب لولا فجائز وسنذكر ما فيه عند
الجواب المختص بذلك غير انا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لان العزم بالضرب قد وقع الا انه انصرف
عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان راى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب
في الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته

وان الله رؤف رحيم معناه ولولا فضل الله عليكم لهلكتم ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون
الجحيم معناه لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا في الدنيا وتتفاخروا بها وقال امرؤ القيس فلو انها
نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط انفسا * اراد فلو انها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت
فحذف الجواب على ان من تاول هذه الاية على الوجه الذي لا يليق بنبي الله عم واضاف العزم على المعصية
اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزناء وهم به لولا
ان راى برهان ربه لفعله فان قيل قوله هم بها كقوله همت به فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح
وهمه بها متعلقا بما ذكرتم من الضرب وغيره قلنا اما الظاهر فلا يدل على ما تعلق به الهم و
العزم فيهما جميعا وانما اثبتنا همها به بان يكون متعلقا بالقبيح لشهادة الكتاب والاثار
به وهي ممن يجوز عليه فعل القبيح ولم يؤمن دليل من امتناعه عليها كما امن ذلك فيه عم و
الموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود
فتيها عن نفسه الى قوله انا لنريها في ضلال مبين وقوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
وقوله تعالى حاكيا عنها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفي
موضع اخر قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والاثار
واردة باطباق مفسري القران ومتاوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية والوجه الثاني
في تاويل الاية ان يحمل الكلام على التقديم والتاخير ويكون التقدير ولقد همت به ولولا ان
راى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك
وقتلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم
يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر فلا يدعني قومي ليوم كريهة * لئن لم اعجل طعنة
او اعجل * وقال اخر * فلا يدعني قومي صريحا لحرة * لئن كنت مقتولا ويسلم عامر * فقدم الجواب
في البيتين جميعا وقد استشهد عليه ايضا بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طائفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع لمكان فضل الله تعالى ورحمته ومما يشهد لهذا التاويل
ان في الكلام شرطا وهو قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول

الشرط وليس لهم ان يجعلوا جواب لولا محذوفا مقدرا الا ان جعل جوابها موجودا اولى
وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو و
قصدتك لولا بكر وقد بينا بما اوردناه من الامثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا عليها
والذي ذكروه لا يشبه ما اجزناه وقد يجوز ان يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا و
قد كنت قصدتك لولا ان صدني فلان وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو الذي
يشبه الاية وليس تقديم جواب لولا بابعد من حذف جواب لولا جملة من الكلام واذا جاز عندهم
الحذف لئلا يلزمهم تقديم الجواب جاز لنا تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف والجواب الثالث ما اختاره ابو علي
الجبائي وان كان غيره قد تقدم الى معناه وهو ان يكون معنى همها به اشتهاها ومال طبعه
الى ما دعته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة في مجاز اللغة هما كما يقول القائل فيما لا يشتهيه
ليس هذا من همي وهذا اهم الاشياء الي ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق
القبح بتناول المشتهى وقد روى هذا التاويل عن الحسن البصري قال اما همها فكان اخبث الهم
واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى
لولا ان راى برهان ربه متعلقا بمحذوف كانه قال لولا ان راى برهان ربه لعزم او فعل
والجواب الرابع ان من عادة العرب ان يسموا الشيء باسم غيره مما يقع في الاكثر عنده وعلى هذا
لا ينكر ان يكون المراد بهم بها ما اخطر بباله من امرها ووسوس اليه الشيطان بالدعاء اليها من غير
ان يكون هناك هم او عزم فسمي الخطور بالبال هما من حيث كان الهم يقع في الاكثر عنده والعزم
في الاغلب يتبعه وانما انكرنا ما ادعاه جهلة المفسرين ومتخرصوا القصاص وقرفوا به انبياء الله عم لما
في العقول من الادلة على ان مثل ذلك لا يجوز على الانبياء من حيث كان منفرا عنهم وقادحا
في الغرض المجرى اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لانه قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ومن
اكبر السوء والفحشاء العزم على الزناء ثم الاخذ فيه والشروع في مقدماته وقوله تعالى ايضا انه من
عبادنا المخلصين يقتضي تنزيهه عن الهم بالزناء والعزم عليه وحكايته عن النسوة قولهن
حاش لله ما علمنا عليه من سوء تدل ايضا على براءته من القبيح فاما البرهان الذي راه ففيه

ان يكون لطفا لطف الله به في تلك الحال وقبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها
ويحتمل ايضا ما ذكره ابو علي وهو ان يكون البرهان دلالة الله له على تحريم ذلك عليه وعلى ان
من فعله استحق العقاب وليس يجوز ان يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤيته صورة ابيه
يعقوب متوعدا له والنداء بالزجر والتخويف لان ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض بالتكليف
ويقتضي ان لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحا ولا ثوابا وهذا سوء ثناء على الانبياء و
اقدام على قرفهم بما لا يجوز منهم ونحمد الله على حسن التوفيق ۞ روى احمد بن عبيد الله بن العباس
الصولي المعروف بطماس قال كنت يوما عند عمي ابرهيم بن العباس فدخل اليه رجل فرفعه حتى جلس
الى جانبه او قريبا من ذلك ثم حادثه الى ان قال له عمي يا ابا تمام ومن بقي ممن يعتصم به ويلجأ
اليه فقال انت لا عدمت وكان ابرهيم طويلا وانت والله كما قيل ۞ يمد نجاد السيف حتى كانه
باعلى سنامي فالج يتطوح ۞ ويدلج في حاجات من هو نائم ۞ ويوري كريمات الندى حين يقدح
اذا اعتم بالبرد اليماني خلته ۞ هلالا بدا في جانب الافق يلمح ۞ يزيد على فضل الرجال فضيلة ۞ ويقصر
عنه مدح من يتمدح ۞ فقال له ابرهيم انت والله تحسن قائلا وراويا ومتمثلا فلما خرج تبعته
قلت له لمن هذه الابيات فقال هي لابي الجويرية العبدي فحفظتها من شعره وروي عن يحيى بن البحتري
قال رايت ابي يذاكر جماعة من امراء اهل الشام بمعان من الشعر فمر فيما ذكر قلة نوم العاشق وما قيل
فيه وانشدوا انشادات كثيرة فقال لهم ابي قد فرغ من هذا كله ابن بالعراق فقال ۞ احسب النوم
حكاكا اذ راى منك جفاكا ۞ مني الصبر ومنك الهجر فابلغ بي مداكا ۞ بعدت همة عين طمعت
في ان تراكا ۞ او ما يحظ لعيني ان ترى من قد راكا ۞ ليت حظي منك ان تعلم ما بي من هواكا ۞
قال ابي انه قد تصرف في معان من الشعر في هذه الابيات قال فكتبها عنه جماعة من حضر والابيات لابرهيم
بن العباس الصولي واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المامون
لعلي بن موسى الرضا ع بالعهد وامر الناس بلبس الخضرة صار اليه دعبل بن علي الخزاعي وابرهيم بن
العباس الصولي وكانا صديقين لا يفترقان فانشده دعبل ۞ مدارس ايات خلت من تلاوة ۞
ومنزل وحي مقفر العرصات ۞ وانشد ابرهيم بن العباس على مذهبها قصيدة اولها ۞ ازالت عزاء القلب

بعد التجلد ۞ مصارع اولاد النبي محمد ۞ قال فوهب لهما عشرين الف درهم من الدراهم التي عليها اسمه
وكان المامون امر بضربها في ذلك الوقت فاما دعبل فصار بالعشرة التي له منها الى قم فاشترى اهلها منه
كل درهم بعشرة دراهم فتباع حصته بمائة الف درهم واما ابرهيم فلم يزل عنده بعضها الى ان مات
قال الصولي ولم اقف من قصيدة ابرهيم على اكثر من هذا البيت قال وكان السبب في ذهاب هذا الفن
من شعره ما حدثني به ابو العباس احمد بن محمد بن الفرات والحسين بن علي الباقطاني قالا كان ابرهيم
بن العباس صديقا لاسحق بن ابرهيم اخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن فانتسخ شعره في علي بن موسى
الرضا ع وقد انصرف من خراسان ودفع اليه شيئا بخطه منه وكانت النسخة عنده الى ان ولي المتوكل
وولي ابرهيم بن العباس ديوان الضياع وقد كان تباعد ما بينه وبين اخي زيدان فعزله عن
ضياع كانت في يده بحلوان وغيرها وطالبه بمال والح عليه واساء مطالبته فدعا اسحق
بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض الى ابرهيم بن العباس فاعلمه ان شعره في علي بن موسى
بخطه عندي وبغير خطه والله لئن استمر على ظلمه ولم يزل عني المطالبة لاوصلن الشعر الى
المتوكل قال فصار الرجل الى ابرهيم بن العباس فاخبره بذلك فاضطرب اضطرابا شديدا و
جعل الامر في ذلك الى الواسطة حتى اسقط جميع ما كان طالبه به واخذ الشعر منه واحلفه انه
لم يبق عنده منه شيء فلما حصل عنده احرقه بحضرته وذكر ابو احمد يحيى بن علي المنجم ان اباه علي
بن يحيى كان الواسطة بينهما فقال الصولي وما عرفت من شعر ابرهيم في هذا المعنى شيئا الا ابياتا
وجدتها بخط ابي قال انشدني اخي لعمه في علي بن موسى ع من قصيدة ۞ كفى بفعال امرئ عالم على اهله
عادلا شاهدا ۞ ارى لهم طارفا مونقا ۞ ولا يشبه الطارف التالدا ۞ يمن عليكم باموالكم ۞ و
تعطون من مائة واحدا ۞ فلا يحمد الله مستبصرا ۞ يكون لاعدائكم حامدا ۞ فضلت قسيمك
في قعدد ۞ كما فضل الوالد الوالدا ۞ قال الصولي فنظرت في قوله فضلت قسيمك في قعدد فوجدته
علي بن موسى ع والمامون متساويين في قعدد النسب الى هاشم التاسع من ابائهما جميعا وروى
الصولي ان مقيدا انشد ابرهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع ۞ ربما تكره النفوس
من الامر له فرجة كحل العقال ۞ فاطرق ينكت بقلمه ساعة ثم قال ۞ ولرب نازلة يضيق بها الفتى

ذرعا وعند الله منها مخرج ۞ كملت فلما استحكمت حلقاتها ۞ فرجت وكان يظنها لا تفرج ۞ فعجب
من جودة بديهته واخبرنا ابو الحسن علي بن محمد قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القسم بن
اسمعيل ابو ذكوان الراوية قال كنت بالاهواز ايام الواثق وابرهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها
فوصفت له بالادب فامر باحضاري فلما دخلت عليه قرب مجلسي وقال تسلف الانس المطاولة فان
الاستمتاع لا يتم الا به فانبسطت وتساءلنا عن الاشعار فما رايت قط احدا اعلم بالشعر منه
فقال لي ما عندك في قول النابغة ۞ الم تر ان الله اعطاك سورة ۞ ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب ۞ اذا طلعت لم يبد منهن كوكب ۞ فقلت اراد تفضيله على الملوك فقال ذهبت
ولكن في الشعر خبء وهو انه اعتذر الى النعمان من ذهابه الى الجفنة الى الشام ومدحه لهم فقال
انما فعلت هذا لجفائك بي فاذا انت صلحت لم ارو غيرك كما انه من اضاءت له الشمس لم يحتج الى
ضوء الكواكب قال فعجبت بهذا وبتفضيله قال فاستحسنت ذلك منه وكان ابرهيم بن العباس
من اصدق الناس لاحمد بن ابي دواد فعتب على ابنه ابي الوليد من شيء فذمه ومدح اباه واحسن في
التخلص كل الاحسان ۞ عفت مساو تبدت منك واضحة ۞ على محاسن بقاها ابوك لكا ۞ لئن
تقدمت ابناء الكرام به ۞ لقد تقدم ابناء اللئام بكا ۞ ولابرهيم ۞ تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا
ويصدع قلبي ان يهب هبوبها ۞ قريبة عهد بالحبيب وانما ۞ هوى كل نفس حيث حل حبيبها ۞
تطلع من نفسي اليك نوازع ۞ عوارف ان الياس منك نصيبها ۞ واخذ هذا من قول ذي الرمة
اذا هبت الارواح من نحو جانب ۞ به ال مي هاج شوقي هبوبها ۞ هوى تذرف العينان منه
وانما ۞ هوى كل نفس حيث كان حبيبها ۞ ولابرهيم ۞ دنت باناس عن تناء زيارة ۞ وشط
بليلى عن دنو مزارها ۞ وان مقيمات بمنعطف اللوى ۞ لاقرب من ليلى وهاتيك دارها ۞
واخذ ذلك من قول النظار الفقعسي ۞ يقولون هذي ام عمرو قريبة ۞ دنت بك ارض نحوها
وسماء ۞ الا انما بعد الحبيب وقربه ۞ اذا هو لم يوصل اليه سواء ۞ ووجدت بعض اهل الادب يظن
ان ابرهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله ۞ فكن كيف شئت وقل ما تشاء ۞ وابرق يمينا وارعد
شمالا ۞ نجا بك لومك منجى الذباب ۞ حمته مقاديره ان ينالا ۞ حتى رايت مسلم بن الوليد

قد سبق الى هذا المعنى واحسن غاية الاحسان في قوله ۞ اما الهجاء فدق عرضك دونه ۞ والمدح عنك
كما علمت جليل ۞ فاذهب فانت طليق عرضك انه ۞ عرض عززت به وانت ذليل ۞ مجلس اخر
تاويل اية ۞ ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف ع قال رب السجن احب الي مما يدعونني
اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فقال اذا كانت المحبة عندكم
هي الارادة فيجب ان يكون يوسف ع مريدا للمعصية لان حبسه في السجن وقطعه عن التصرف
معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما ادعي اليه من الزنا وقوله
تعالى والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن يدل على ان امتناعه من القبيح مشروط بمنعهم وصرفهم عن
كيده وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرف الله عن كيدهم
بصرفهم الجواب قلنا اما قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ففيه وجهان من التاويل اولهما
ان المحبة متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة ان يكون محبوبا مرادا لان السجن انما هو الحبس
والاجسام لا يجوز ان يريدها وانما يريد الفعل فيها او المتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية
وانما الافعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي تقع عليها فادخال القوم يوسف ع
الحبس واكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي تناله باستيطانه
طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالما لو اكره مؤمنا على ملازمة بعض المواضع وترك التصرف في غيره
لكان فعل المكره حسنا وان كان فعل المكره قبيحا وهذه الجملة تبين انه لا ظاهر في الاية يقتضي
ما ظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم ان يقدروا ما يرجع الى الحابس من الافعال
الا ولنا ان نقدر ما يرجع الى المحبوس فاذا احتمل الكلام الامرين ودل الدليل على ان النبي ع لا يجوز
ان يريد المعاصي والقبائح اختص المقدر المحذوف بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مريده
ومحبه فان قيل كيف يجوز ان يقول السجن احب الي مما يدعونني اليه وهو لا يحب ما دعوه اليه جملة
ومن شان مثل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن في معناها اشتراك على الحقيقة الا
ترى ان من خير بين ما يحبه وما يكرهه جاز ان يقول هذا احب الي من هذا اذا كان لا يحب
احدهما جملة وانما يسوغ ذلك على احد الوجهين دون الاخر من حيث كان المخير بين الشيئين

لا تخيير بينهما الا وهما مرادان له ومما يصح ان يريدهما فموضوع التخيير يقتضي ذلك وان حصل
فما ليس هذه صورته والمجيب على هذا متى قال كذا احب الي من كذا كان مجيبا على ما يقتضيه
موضوع التخيير وان لم يكن الامران على الحقيقة يشتركان في تناول محبته ومما يقارب ذلك
قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون ونحن نعلم انه لا خير في العقاب وانما حسن
ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيارهم المعاصي على الطاعات وانهم ما ركبوا
المعاصي وآثروها على الطاعات الا لاعتقادهم ان فيها خيرا ونفعا فقيل اذلك خير على
ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا وقد قال قوم في قوله اذلك خير ام جنة الخلد انما حسن ذلك
لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومثل هذا قد يتأتى في قوله تعالى رب السجن احب الي
لان الامرين يعني المعصية ودخول السجن يشتركان في ان لكل منهما داعيا وعليه باعثا
وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها واجرى
اللفظ على ذلك ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل ايضا ما ذكرناه لان السجن المصدر
فيحتمل ان يريد ان سجني نفسي وصبري على حبسهم احب الي من مواقعة المعصية ولا يرجع
بالسجن الى ظلمهم بل الى فعله والوجه الثاني ان يكون معنى احب الي اي اهون عندي واسهل
علي وهذا كما يقال لاحدنا في الامرين يكرههما معا ان فعلت كذا والا فعلت بك كذا فيقول
بل كذا احب الي اي اهون عندي يعني اسهل واخف وان كان لا يريد واحدا منهما وعلى هذا
الجواب لا يمتنع ان يكون انما عنى ظلمهم بدون فعله لانه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي
هي الارادة وانما وضع احب موضع اخف والمعصية قد تكون اخف واهون من اخرى
فاما قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن فليس المعنى فيه على ما ظنه السائل بل المراد
متى لم تلطف لي بما يدعوني الى مجانبة المعصية ويثنيني الى تركها ومفارقتها اصبوت وهذا
منه عليه السلام على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتسليم لامره وانه لولا معونته ولطفه لما نجا من كيدهن
ولا شبهة في ان النبي ع انما يكون معصوما من القبائح بعصمة الله تعالى له وبلطفه وتوفيقه

فان قيل

فان قيل الظاهر خلاف ذلك لانه قال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن فيجب ان يكون المراد
ما يمنعهن من الكيد ويرفعه والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد
عنه قلنا معنى الكلام والا تصرف عني ضرر كيدهن والغرض به لانهن انما اجرين بكيدهن الى ما دعونه
له من المعصية فاذا عصمه منها ولطف له في الانصراف عنها فكان الكيد قد انصرف عنه ولم
يقع به من حيث لم يقع ضرره وما اجري به اليه ولهذا يقال لمن اجرى بكلامه الى غرض لم يقع قلت
شيئا ولمن فعل ما لا تأثير له ما فعلت شيئا وهذا بين بحمد الله. تأويل خبر ان سأل سائل
عن تأويل خبر قوله في الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر ان رسول الله ص قال في خطبة طويلة خطبها
من يتبع المشمعة يشمع الله به الجواب ان المشمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع
الرجل يشمع شموعا وامرأة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك وقال ابو ذؤيب يصف الحمير
بقرار قيعان سقاها وابل واه فاثجم برهة لا يقلع فلبثن حينا يعتلجن بروضة فيجد حينا
في العلاج ويشمع اراد ان هذا الحمار الذي وصفه لزمع الاتن وانه معهن في بعض القيعان
يعارك هذه الاتن ومعنى يعتلجن يعارك بعضها بعضا ويتمرغن من النشاط فيجد الفحل
مرة ويلعب معهن في اللعب فيشمع وفي يجد لغتان يجد ويجد والمفتوح اوله لغة
هذيل ويقال فلان جاد مجد على اللغتين معا وقيل ان معنى يشمع في الحمار انه يشتم ثم
يرفع رأسه فيكشر عن اسنانه فجعل له ذلك بمنزلة الضحك وقال الشماخ ولو اني اشاء
كنت نفسي الى لبات هيكلة شموع وقال المتنخل الهذلي ولا والله نادى الحي ضيفي هدوا
بالمساءة والعلاط سابدأهم بمشمعة واثني بجهدي من طعام او بساط اراد بقوله نادى الحي
ضيفي اي لا ينادونه من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بما لا يؤثر والعلاط من علطه و
اعتلطه به اذا خاصمه وشاغبه واسمعه بالشر واصله من علاط البعير وهو وسم في عنقه وقيل
ان معنى نادى الحي من النادي اي لا يجالسونه بالمكروه والسوء ومعنى سابدأهم بمشمعة اي بلعب
وضحك لان ذلك من علامات الكريم والسرور بالضيف القصد الى ايناسه وبسطه ومنه
قول الآخر ورب ضيف طرق الحي سرى صادف زادا وحديثا ما اشتهى ان الحديث

جانب من القرى وروى الاصمعي عن خلف الاحمر قال سنة الاعراب انهم اذا حدثوا الرجل القرى
وهشوا اليه ومازحوه ايقن بالقرى واذا اعرضوا عنه عرف الحرمان ومعنى اثني بجهدي
من طعام او بساط اي اتبع ذلك بهما ومعنى الخبر على هذا ان من كان شانه العبث بالناس
والاستهزاء بهم والضحك منهم اصاره الله تعالى الى حالة يعبث به فيها ويستهزأ منه ويقارب هذا
الحديث من وجه حديث آخر وهو ما روي عنه ع من يتبع الناس بعمله يتبع الله به والمعنى من راءى
باعماله ويظهرها تقربا الى الناس واتخاذا للمنازل عندهم يشهره الله تعالى بالرياء ويفضحه
ويهتكه ويمكن ايضا في الخبر الاول وجه آخر لم يذكر فيه وهو ان من عادة العرب ان يسموا الجزاء
على الشيء باسمه ولذلك نظائر في القرآن واشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر ان يكون
المعنى من تتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه فسمى الجزاء
على الفعل باسمه وهذا الوجه ايضا ممكن في الخبر الثاني اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا
ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن عمه قال اني لفي سوق ضرية وقد نزلت
على رجل من بني كلاب كان متزوجا بالبصرة وكان له ابن بضرية اذ اقبلت عجوز على
ناقة لها حسنة البزة فيها باقي جمال فاناخت وعقلت ناقتها واقبلت تتوكأ على محجن لها فجلست
قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي احضرك شيء قال لا قال فانشدتها شعرا
لبشر بن عبد الرحمن الانصاري وقصيرة الايام ودّ جليسها لو دام مجلسها بفقد حميم
من محذيات اخي الهوى غصص الجوى بدلال غانية ومقلة ريم صفراء من بقر الجواء كانما خفر
الحياء بها رداع سقيم قال فجثت على ركبتيها واقبلت تخرش الارض بمحجنها وانشأت تقول
فهي يا اميمة القلب نقرة بجحة ونشكو الهوى ثم افعلي ما بدا لك فلو قلت طأ في النار اعلم انه
هدى منك لي او ضلة من ضلالك سلي البانة الغناء بالاجرع الذي به البان هل حييت
اطلال دارك وهل قمت في اطلالهن عشية مقام سقيم القلب فخرت ذلك ليهنك
امساكي بكفي على الحشا ورقراق دمعي رهبة من زيالك لئن ساءني ان نلتني بمساءة
لقد سرني اني خطرت ببالك قال الاصمعي فاظلمت والله علي الدنيا لحلاوة منطقها

وفصاحة

وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت فديتك لله انت زدتني من هذا فرايت الضحك في
عينيها وانشدت ومستخفيات ليس يخفين زرنا يجرين اذيال الصبابة والشكل
جمعن الهوى حتى اذا ما ملكنه نزعن وقد اكثرن فينا من القتل مريضات رجع القول خرس
عن الخنا تألف اهواء القلوب بلا بذل موارق من خل المحب عواطف بختل ذوي الالباب
بالجد والهزل بعفيفي العمال فيهن والهوى يحذرني من ان اطيع ذوي العذل اما قول
الانصاري وقصيرة الايام فاراد بذلك ان السرور بها كامل بحضورها لحسنها وطيب
حديثها فقصرت ايام جليسها لان ايام السرور موصوفة بالقصر ويمكن ان يريد بقصيرة الايام
انها حديثة سنها وقرب عهد مولدها وان كان الاول اشبه بما في آخر البيت فمعنى لو تابع
مجلسها بفقد حميم اي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لانه يستعمل في البائع والمشتري معا قال
الفراء سمعت اعرابيا يقول بع لي تمرا بدرهم اي اشتر لي تمرا بدرهم وقال الاقيشر فيا عز ليت
اذا ما اتينا وبينك بلغ الوقى امنك تاجر اي ابتاع وقوله من محذيات اخي الهوى اي من معطيات
يقال احذيت الرجل من العطية والغنيمة احذيه احذاء اذا اعطيته والاسم الحذية والحذيا
والحذي بالكسر ذلك العطية وقوله كانما خفر الحياء بها رداع سقيم فالرداع هو الوجع في الجسد واراد
انها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم او يريد تغير لونها وصفرتها من الحياء كما يتغير لون
السقيم ويجري في التجري قول ليلى الاخيلية ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما
اخبرنا المرزباني قال حدثنا ابو عبد الله الحكيمي قال حدثنا ميمون بن هرون الكاتب قال حدثني
ابن اخي الاصمعي عن عمه قال لقيت اعرابيا بالبادية فاسترشدته الى مكان فارشدني وانشدني
بئس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل ثم رجعت الى البصرة فمكثت
بها حينا ثم قدمت البادية فاذا انا بالاعرابي جالسا بين ظهراني قوم وهو يقضي بينهم فما
رايت قضية اخطات الصالحين من قضيته فجلست اليه فقلت يرحمك الله اما من شيء
اما من هدية اما من صلة فقال الا اذا جاءت هيفا ذهب التوفيق فتكون اليه ما الفى من عقل
حله لي اياي فطالب اللعبة فقال لست فيها باوحد ولي لشريكا ولقد قلت في ذلك شعرا

فقلت انشدنيه فانشدني بانت تعيرني الاقتار والعدما لما رات لاخيها المال والخدما عنف
ابيك ما الارزاق من جلد ولا من العجز بل مقسومة قسما يا ابنة الشواتي لم ادع طلبا للرزق قد طلبوا
الشرق والشاما وكل ذلك بالاجمال في طلب لم ارد عرضا ولم اسفك له الدما لو كان من جلد
ذا المال والادب لكنت اكثر من علا الفرى نعما ارضى من العيش ما لم يحوجني معه ان تحتني سوال الاغنيا
ما واستشعري الصبر على الله خالقنا يوما سيكشف عنا الفقر والعدما لا تحوجيني الى من لو
بذلت له نفسي لاعقبك التهمام والندما بالله ستريني ان الله خولني ما كان خوله الاعراب والعجما
ما سرني انني خولت ذاك ولا ان لا اقول لباغي حاجتي نعما واني لم احز عقلا ولا ادبا ولو
اريت واليدي مجدا ولا كرما نصرة المرء في معاشه من امر يجر عليك الظلم والالما قال
ما انشدنيها حتى حلفت ان لا تعذلني ابدا حدثنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا
عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن عمه قال رايت بقباء شابا من بني عامر ما رايت بدويا افصح منه ولا
اظرف فوالله لكانه شواظ يتلظى فاستنشدته فانشدني الم انكم يوم اللوى اذ تعرضت لنا ام
طفل خاذلا فما تخلت وقالت سانسيك العشية ما مضى واصرف منك النفس عما اجنت
فما ضللت لا والذي انا عبده على ما بدا لي من حبها اذا ذلت ابت ساجات الحب الا اقرها اليك
وما تغنى اذا ما استعربت هوان الذي في النفس امسى دخيلها عليه انطوت احشاؤها واستمرت
وانشدنا ايضا ديار للتي طرقتك وهنا برياد وضة ودكا ورند فما بلغت واصحابي هجود وتثني عطفها
من غير صد فلما ان شكوت الحب قالت فاني فوق وجدك كان وجدي ولكن حال دون
ذوي شنان اشر بفقده ويهيم فقدي وبهذا الاسناد عن الاصمعي قال قصدت الى اعرابي يقال له اسمعيل
بن عمار واذا هو قد اصابته مصيبة وتلهف فقلت له علام تلهف فانشد يقول عيناي مشؤمتان ويحهما
والقلب حيران مبتلى بهما عرفناه الهوى بظلمهما يا ليتني قبلها عدمتهما هما الى الحين قادتاه وهما
دلاه ما اجن دمعهما سا عذر القلب في هواه فما سبب هذا البلاء غيرهما وبهذا الاسناد
عن الاصمعي قال نزلت ذات ليلة في وادي بني العنبر وهو اذ ذاك معان باهله اعاول ولد فيه
يريدون البصرة فاحببت صحبتهم فاقمت ليلتي تلك عليهم ولي الحبيب محمود خاف ان

على راحلتي فلما قاموا ليرحلوا ايقظوني فلما راوا حالي رحلوني وحملوني وركب احدهم ورائي على
فلما امعن السير تنادوا الا فتى يحدو بنا وينشدنا فاذا منشد في سواد الليل بصوت ندي جرين يقول
لعمرك اني يوم بانوا فلم امت خفاتا على اثارهم لصبور غداة المنقى اذ رميت بنظرة ونحن على متن
الطريق تسير فقلت لقلبي حين خف به الهوى وكاد من الوجد المبرح يطير فهذا ولما تمض للبين
ليلة فكيف اذا مرت عليه شهور واصبح اعلام الاحبة دونها من الارض غول نازح ومسير
واصبحت نجدي الهوى متهم النوى ازيد اشتياقا ان يحن بعير عسى الله بعد النا
ان يسعف النوى ويجمع شمل بعدها وسرور قال فكنت والله الحوى عشقه حتى ما احس
بها فقلت له ردني ازل رحمك الله الى راحلتك فاني متماسك فجزاك الله عن حسن الصحبة
خيرا اخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثني
بعض اصحابنا عن الاصمعي قال كان بالبصرة اعرابي من بني تميم يتطفل على الناس فعاتبته
على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل الا لتدخل ولا وضع الطعام الا ليوكل وما قدمت
هدية فاتوقع رسولا وما اكره ان اكون ثقيلا ثقيلا على من اراه شحيحا بخيلا اقتحم عليه
مستانسا واضحك ان رايته عابسا فاكل برغمه وادعه بغمه وما اخترق اللهوات طعام
اطيب من طعام لا ينفق فيه درهم ولا يعنى اليه خادم ثم انشد كل يوم ادور في عرصة الحي
اشم القتار شم الذباب فاذا ما رايت اثار عرس او ختان او مجمع الاصحاب لم ارع
دون التقحم لا ارهب دفعا ولكزة البواب مستهينا بما هجمت عليه غير مستاذن
ولا هياب فتراني الفق لرغم منهم كل ما قدموه لف العقاب ذاك ادنى من التكلف والغرم
وغيظ البقال والقصاب مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ونادى
نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فقال ظاهر
قوله تعالى انه ليس من اهلك يقتضي تكذيب قوله ان ابني من اهلي والنبي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه
في ذلك وكيف يصح ان يخبر عن ابنه بانه عمل غير صالح وما المراد بذلك الجواب قلنا في هذه الاية

وجوه اولها ان يكون نفيه لان يكون من اهله لم يتناول نفي النسب وانما نفى ان يكون من اهله الذين
وعده الله بنجاتهم لانه عز وجل كان وعد نوحا بان ينجي اهله الا ترى الى قوله قلنا احمل فيها من كل
زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول فاستثنى من اهله من اراد اهلاكه بالغرق ويدل عليه
قول نوح ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وعلى هذا الوجه يتطابق الامران ولا يتنافيان وقد روي
هذا التاويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين والجواب الثاني ان يكون المراد بقوله ليس من
اهلك اي انه ليس على دينك واراد انه كان كافرا مخالفا لابيه فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام
اهله ويشهد لهذا التاويل قوله على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين انه انما خرج عن احكام اهله لكفره
وسوء عمله وقد روي هذا الوجه ايضا عن جماعة من المفسرين وحكي عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح
فسبح طويلا ثم قال لا اله الا الله يقول الله نادى نوح ابنه ويقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه
من لم يؤمن وروي عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكن كان مخالفا له في النية والعمل فمن ثم قيل له انه ليس من اهلك
والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال انه ابني على الظاهر فاعلمه الله
ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امراته وليس في ذلك تكذيب خبره لانه انما اخبر عن ظنه وعما
يقتضيه الحكم الشرعي واخبره الله بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه عن الحسن وغيره
وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه قال قلت
يا ابا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال افرايت قوله ليس من اهلك قال قلت معناه
ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ولا يختلف اهل الكتاب انه ابنه فقال ان اهل الكتاب
يكذبون وروي عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك وهذا الوجه بعيد اذ فيه منافاة للقران لانه تعالى
قال ونادى نوح ابنه فاطلق عليه اسم البنوة ولانه ايضا استثناه من جملة اهله بقوله واهلك الا من
سبق عليه القول منهم ولان الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض
من القدر وقد جنب الله تعالى انبياءه ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول عنهم
وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تاول قوله تعالى في امراة نوح وامراة لوط فخانتاهما
على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت تخبر احداهما الناس بانه مجنون والاخرى تدل على الاضياف

والمعتمد في تاويل هذه الاية هو الوجهان المتقدمان فاما قوله تعالى انه عمل غير صالح فالقراءة المشهورة
بالرفع وقد روي عن جماعة من المتقدمين انهم قرؤوا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير
ولكل وجه فاما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان
اظار ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار اراد فانما هي ذات اقبال وادبار وقال
قوم ان المعنى ان اصل ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة عمل غير صالح يعني الخيانة
من امراته وهذا جواب من ذهب الى انه لم يكن ابنه على الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك وقال
الاخرون بان الهاء في قوله انه عمل غير صالح راجعة الى السوال والمعنى ان سوالك اياي ما ليس لك
به علم عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح ذلك السوال والرغبة في قوله رب ان ابني من اهلي وان
وعدك الحق ومعنى ذلك نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة منه
لان الصغائر تجوز عليهم ومن يمنع ان يقع من الانبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب
ولا يجعل الهاء راجعة الى السوال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم فاذا قيل له فلم
قال فلا تسالن ما ليس لك به علم وكيف قال نوح من بعد رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي
به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قال لا يمتنع ان يكون نهي عن سوال ما ليس له به علم
وان لم يقع منه وان يكون تعوذ من ذلك وان لم يواقعه الا ترى ان الله قد نهى نبيه عن الشرك
والكفر وان لم يكن ذلك قد وقع منه فقال لئن اشركت ليحبطن عملك كذلك لا يمتنع ان يكون نهيه
في هذا الموضع عما لم يقع ويكون انما ساله نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع
وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء فاما القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا كان
يجب ان يقال انه عمل عملا غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا
غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لان من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة
مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت
حسنا وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي ايها القائل غير الصواب اخر النصح واقلل عتابي

وقال ابقر وكم من قتيل ما يباء به دم ومن غلق رهن اذا ضمه منى ومن مالئ عينيه من شئ غيره
اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى اراد وكم انسان قتيل وانشد ابو عبيدة لرجل من بجيلة كم
من ضعيف العقل منتكث القوى ما ان له نقض ولا ابرام مالت له الدنيا عليه بامرها
فعلته من رزق الاله ركام ومشيع جلد امين حازم مرس له فيما يروم مرام اعمى عليه سبيله
فكانه فيما يحاول له عليه حرام اراد كم من انسان ضعيف القوى قال الشريف المرتضى اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال اخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن هرون قال حدثنا اسحق بن
ابرهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل الى الاصمعي ويفضله ويقوم
بامره قال فجئته يوما بعد موت محمد وعنده عبد كان لمحمد اسود وقد ترك الناس واقبل عليه وسائله
ويحفى به ويحادثه فلما خرج لمته على ذلك وقلت من هذا حتى افنيت عمر يومك به فقال هذا غلام
ابن منصور ثم انشدني وقالوا يا جميل اتى اخوها فقلت اتى الحبيب اخو الحبيب احبك ان قربت
بنا بعيد لئن ناسبت بثنة من قريب فقلت له وقد كنت فعل هذا كثيرا به لا استجر كلامه وعليه
يا ابا سعيد ذاك اخوها وهذا غلامه فضحك وقال انشدنا ابو عمرو وقال غيره اذنى كل دار او
وان خلت لها حج تندى بيسك تربها حلفت بانى لو ادنى تبعالها ذئاب الغضا جلت على
ذلتها قال فجعلت اعجب من قرب لسانه من قلبه واجابته حفظه له متى اراده وبهذا الاسناد عن
اسحق الموصلي قال قرات على الاصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت امن اجل اعرابية
حل اهلها بروض الشرى عيناك تبتدران فقال لى اتعرف في هذا البيت خباء باطنا غير ظاهر
قلت لا فكشف عنى فقلت له ان كان فيه شئ فافدنيه فقال نعم اما يدلك البيت على انه لفظ من الى
متهين ذو قدرة على ما يريد قال اسحق وما رايت احدا قط مثل الاصمعي في العلم بالشعر
وروى عن اسحق ايضا انه قال قال الاصمعي ما يعني امرؤ القيس بقوله فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فالهيتها عن ذى تمائم محول فقلت تخبرني فقال كان مفرکا فيقول الهيت هؤلاء على كراهتهن
للرجال فكيف اللاتى عند الحبيبات لهم وروى ان السبب الذي هاج التشاجر بين الاصمعي وابن الاعرابي
ان الاصمعي دخل ذات يوم على سعيد بن سلم وابن الاعرابي يؤدب ولده فقال لبعضهم انشد

ابا سعيد فانشد الغلام ابياتا لرجل من بني كلاب رواها ابن الاعرابي رحمه الله بات يصنو اسفار
امية قاعدا على يضو اسفار فجن جنونها فقالت من اى الناس انت ومن تكن فانك
راعى صرمة لا تزينها فقلت لها ليس الشحوب على الفتى بعار ولا خير الرجال سمينها عليك
براعى ثلة مسلحبة يروح عليها محضها وحقينها سمين الضواحى لم تؤرقه ليلة وانعم
ابكار الهموم وعونها ورفع ليلة فقال له الاصمعي من رواك هذا فقال مؤدبي فاحضره فاستنشده
البيت فرفع ليلة فاخذ ذلك عليه وفسر البيت وقال انما اراد لم تؤرقه ليلة ابكار الهموم
وعونها وانعم اى زاد على هذه الصفة وقوله سمين الضواحى اى ما ظهر منه وبدا سمين ثم
قال الاصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعا لتاديب ولد الملوك واخبرنا
المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكى قال حدثنا ابو العينا قال حدثنا الاصمعي قال ولد
بشار بن برد اكمه لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقلت له يوما انى لك
هذا الذكاء قال من قدم العمى وعدم المناظر يمنع من كثير من الخواطر المذهلة فيكتسب فراغ
الذهن وحصة الذكاء وانشد لنفسه يفخر بالعماء عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت
عجيب الظن للعلم موئلا وغاض ضياء العين للعقل رافدا بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا واخبرنا المرزباني قال
اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ابو العينا قال حدثنا الاصمعي قال انشد رجل وانا
حاضر بشارا قول الشاعر وقد جعل الاعداء ينتقصونها وتطمع فيها الانس وعيون
الا انما ليلى عصا خيزرانة اذا غمزوها بالاكف تلين فقال بشار والله لو جعلها عصا
مخ او زبد لما كان الا مخطئا مع ذكر العصا الا قال كما قلت وحوراء المدامع من معد
كان حديثها ثمر الجنان اذا قامت لسبحتها تثنت كان عظامها من خيزران بنيك المنى
نظر اليها وبصرف وجهها وجه الزمان واخبرنا المرزباني قال حدثنا على بن ابي عبد الله
الفارسي قال حدثني ابي عن عمر بن شبه قال قال لى ابو عبيدة رحل بشار الى الشام فمدح سليمان
بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران فقال فيه قصيدة طويلة اولها نات على طول

التزاور زينب وما علمت ان النوى سوف تعقب وكان سليمان بخيلا فاعطاه خمسة
الاف درهم لم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال ان امسى منقبض اليدين عن الندى
وعن العدو ومخبس الشيطان فلقد اروح على اللئام مسلطا ثلج المقيل منعم الندمان
في ظل عيش عشيرة محمودة تندى يدى ويخاف فرط لسانى ازمان شرب الشباب مكيل
واذ الامير على من حيرانى ديم بالحوية العراق اذا بدا برقت عليه اكلة المرجان فالحل بعيده
مقليات من القذى وبوشك رقيهما من الهملان فلقريب من تهوى وانت متيم اشفى
لدائك من بني مروان فلما رجع الى العراق بره ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه
ويوثر لمدحه فيه وافتخاره بها فلما جاءت دولة اهل خراسان عظم شانه واخبرني المرزباني
قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن يحيى النحوى قال قال الاصمعي ما وصف
احد الثغر الا احتاج الى قول بشر بن ابي خازم يفلجن الشفاه عن اقحوان جلاه غب سارية
قطار ولا وصف احد اللون باحسن من قول ابي حية النميرى وهى مكنونة تحيرمنها
في اديم الخدين ماء الشباب شف عنها المحقق جنبى فهى كالشمس من خلال السحاب
ولا وصف احد عيني امراة الا احتاج الى قول عدى بن الرقاع لولا الحياء وان راسي قد
بدا فيه المشيب لزرت ام القاسم وكانها وسط النهار اعارها عينيه احور من جآذر
جاسم وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم ولا وصف احد نجيبا
الا احتاج الى قول حميد بن ثور محلا باطواق عتاق يبينها على الضر راعي الضان لو يتقوف
ولا وصف احد ظليما الا احتاج الى قول علقمة بن عبدة هيق كان جناحيه وجؤجؤه
بيت اطافت به خرقاء مهجوم ولا اعتذر احد الا احتاج الى قول النابغة فانك كالليل الذى
هو مدركى وان خلت ان المنتاى عنك واسع قال المرتضى رحمه الله اما قول حميد بن ثور محلا
باطواق عتاق فانه يريد ان عليه نجارا الكرم والعتق فصارت دلالتهما وسماتهما حلية له
من حيث كان موسوما بهما ومعنى يبينها على الضر اى يبينها ويعرفها هذا الراعى فيعلم انه كريم
والتقوف من القيافة فاما قول علقمة هيق فالهيق ذكر النعام ومعنى اطافت به خرقاء اى عملته

وابنته وقيل ان خرقاء ههنا هى الحاذقة وان هذه اللفظة تستعمل على طريق الاضداد
في الحاذقة وغير الحاذقة ومعنى مهجوم اى مهدوم وقال الاصمعي معنى اطافت به اى عملته
خرقت في عمله يقول قد ارسل جناحيه كانه خباء امراة خرقاء كلما رفعت ناحية استرخت
ناحية اخرى والوجه الثانى اشبه واملح فاما قول بشر في وصف الثغر فاحسن منه واكشف واشد
استيفاء للمعنى قول النابغة كالاقحوان غداة غب سمائه جفت اعاليه واسفله ندى وانما
وصف اعاليه بالجفوف ليكون متفرقا متنضدا غير متلبد ولا مجتمع فيشبه الثغور ثم قال
واسفله ندى حتى لا يكون محلا يابسا بل تكون فيه الغضاضة والصقالة فيشبه غروب الاسنان
التى تلمع وتبرق وروى الرياشى قال سمعت الاصمعي يقول احسن ما قيل في وصف الثغر قول ذى الرمة
وتجلو بفرع من اراك كانه من العنبر الهندى والمسك يصبح ذرى اقحوان واجه الليل وارتقى
اليه الندى من رامة المترقى هجان الثنايا مغربا لو تبسمت لاخرس عنه كاد بالقول يفصح
مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون فقال كيف يعذبهم
بالاموال والاولاد ومعلوم ان لهم فيهما سرورا ولذة وما تاويل قوله تعالى وهم كافرون
وظاهره يقتضى انه اراد كفرهم من حيث اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم لان القائل اذا
قال اريد ان يلقانى فلان وهو لابس اى على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة
الجواب قلنا اما التعذيب بالاولاد والاموال ففيه وجوه اولها ما روى عن ابن عباس
وقتادة وهو ان يكون في الكلام تقديم وتاخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب المؤمنين
معك اموال هؤلاء الكفار المنافقين ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في
الاخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم
تول عنهم فانظر ماذا يرجعون والمعنى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وانشد في ذلك
قول الشاعر طيبة ابدت جيدا ادما ء مغزلة وطرفا يريك الاثمد الجون احورا يريدون طرفا
احور يريك الاثمد الجون وقد اعتمد هذا الوجه ايضا ابو على قطرب وذكره ابو القسم البلخى والزجاج

وثانيها ان يكون معنى التعذيب بالاموال والاولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنم
اموالهم وسبي اولادهم واسترقاقهم وفي ذلك لا محالة ايلام لهم واستخفاف بهم وانما اراد تعالى بذلك
اعلام نبيه والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الاولاد والاموال ولم يبقها في ايديهم كرامة لهم ورضى عنهم
بل للمصلحة الداعية الى ذلك وانهم مع هذه الحال معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب
ان يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذا كانت هذه عاجلتهم والعقاب الاليم في النار آجلتهم وهذا
جواب ابي علي الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تامل له فقال كيف يصح هذا التاويل مع انا قد نجد
كثيرا من الكفار لا تنالهم ايدي المسلمين ولا يقدرون على غنيمة اموالهم ونجد ايضا اهل الكتاب
خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشيء لانه لا يمتنع ان تختص
بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن قد اوجب الله تعالى محاربته فاما الذين بحيث لا تنالهم الايدي
او من القوة على حد لا يتهيأ معه غنيمة اموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لانهم ممن اراد الله
ان يسبى ويغنم ويجاهد ويغلب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد
وثالثها ان يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلما يدخله الله تعالى في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب
باموالهم واولادهم التي هي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة
للعوض والنفع ويجوز ايضا ان يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف
عنه مع انه حي من العذاب الدائم الذي قد اعد له واعلامه انه صائر اليه ومنتقل الى قراره وهذا
الجواب قد روي معناه عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره ابو علي الجبائي ايضا ورابعها
جواب يحكى عن الحسن البصري واختاره ابو جعفر محمد بن جرير الطبري وقدمه على غيره وهو ان يكون
المراد بذلك ما الزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في اموالهم لان ذلك يؤخذ منهم على كره
وهم اذا انفقوا فيه انفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غراما وعذابا من حيث لا يستحقون عليها
اجرا وهذا وجه غير صحيح لان الوجه في تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن
ذلك ومحال ان يكون انما كلف اخراج هذه الحقوق على سبيل العقاب والجزاء لان ذلك لا
يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الامور هو المصلحة واللطف في التكليف ولا يجري

ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من ان المصائب والغموم قد تكون للمؤمنين محنة
وللكفار عقوبة لان تلك الامور مما يجوز ان تكون وجوهها العقوبة والمحنة جميعا ولا يجوز
في هذه الفرائض ان يكون لوجوبها على المكلف الا وجه واحد وهو المصلحة في الدين فافترق
الامران وليس لهم ان يقولوا ليس التعذيب في ايجاب الفرائض عليهم وانما هو في اخراجهم لاموالهم
على وجه التكره والاستثقال وذلك انه اذا كان الامر على ما ذكروه خرج الامر من ان يكون
مرادا لله تعالى لانه عز وجل ما اراد منهم اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة
وقربة فاذا اخرجوها مكرهين مستثقلين لم يرد ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها
ويجب ان يكون ما يعذبون به شيئا يصح ان يريده الله تعالى قال المرتضى رضي الله عنه وجميع هذه الوجوه
التي حكيناه في الاية الا جواب التقديم والتاخير مبنية على ان الحيوة الدنيا ظرف للعذاب فحمل
كل منا قال من القوم ضربا من التاويل يطابق ذلك وما يحتاج عندنا في الجميع ما تكلفوه
ولا الى التقديم والتاخير اذا لم يجعل الحيوة ظرفا للعقاب بل جعلناها ظرفا للفعل الواقع
بالاموال والاولاد والمتعلق بهما لانا قد علمنا اولا ان قوله ليعذبهم بها لا بد فيه من اضمار
عن ظاهره لان الاموال والاولاد انفسها لا تكون عذابا والمراد على سائر وجوه التاويل
الفعل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها او المصيبة بها او الغم عليها او
اباحة غنيمتها واخراجها عن ايدي مالكيها فكان تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بكذا
وكذا مما يتعلق باموالهم واولادهم ويتصل بها واذا صح هذا جاز ان يكون الحيوة ظرفا لافعالهم
القبيحة في اموالهم واولادهم التي تغضب الله تعالى وتسخطه كانفاقهم الاموال في وجوه المعاصي وحملهم
الاولاد على الكفر والزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم
بفعلهم في اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحيوة الدنيا وهذا وجه ظاهر يغني عن التقديم
والتاخير وسائر ما ذكروه من الوجوه فاما قوله تعالى وتزهق انفسهم فمعناه تبطل وتخرج اي انهم يموتون
على الكفر وليس يجب اذا كان مريدا لان تزهق انفسهم وهم على هذه الحال ان يكون مريدا للحال
نفسها على ما ظنوه لان الواحد منا يامر غيره ويريد منه بان يقاتل اهل البغي وهم محاربون

ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريدا لحرب اهل البغي للمؤمنين وان اراد قتالهم على
هذه الحالة وكذلك قد يقول لغلامه اريد ان تواظب على المصير الي في الحبس وانا محبوس والطبيب
صر الي ولازمني وانا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وان كان قد اراد ما هو متعلق بهاتين
الحالتين وقد ذكر في ذلك وجه اخر على ان لا يكون قوله تعالى وهم كافرون حالا
لزهوق انفسهم بل يكون كانه كلام مستانف والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما
يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم مع ذلك كلهم كافرون صائرون الى
النار وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الاخرة ويكون معنى زهوق انفسهم
على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال
ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه وخرجت روحه وما اشبه ذلك قال المرتضى رضي الله عنه وذاكرني قوم
من اهل الادب باشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى مروان بن يحيى بن ابي حفصة فافرط بعضهم في وصفه
وتقريظه وتفضيله وآخرون في ذمه وتهجينه والازراء على شعره وطريقته واستخبروا عما اعتقده
فيه فقلت لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الالفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها
ولا مدقق لها فلذلك قلت النظائر في شعره ومدايحه مكررة الالفاظ والمعاني وهو [illegible] الشعر قليل العيون
الا انه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق وهو اشعر من كثير من اهل زمانه وطبقته واشعر شعراء اهله
ويجب ان يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الالفاظ وتدقيق المعاني ووقوع التشبيهات ودون
بشار بن برد في الابيات النادرة السايرة فكانه طبقة بينهما وليس بمقصر دونهما شديدا ولا منحط
منهما بعيدا وكان اسحق بن ابرهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك ابو عمرو الشيباني وكان
يقول مروان مولد وليس له علم باللغة واختلاف الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبه على
معانيه وبحسب ما يشترطونه من مذاهبه وطرائقه فسألت عند ذلك ان اذكر مختارا وما وقع الي
من شعره وانبه على سرقاته ونظائر شعره وان املي ذلك في خلال المجالس واثنائها فمما يختار من شعره
قصيدة يمدح بها المهدي اولها
اعادك من ذكر الاحبة عائد ... اجل واستخفتك الرسوم البوائد
يقول فيها
تذكرت من تهوى فابكاك ذكره ... فلا الذكر منسي ولا الدمع جامد
بحي

ان يباعدك الهوى ... وللموت خير من هوى لا يساعد
الا طالما اهدت دمعك طائعا ... وجارت عليك الآنسات النواهد
تذكرنا ابصارها مقل المها ... واعناقها ادم الظباء العواقد
تساقط منهن الاحاديث غضة ... تساقط در اسلمته المعاقد
اليك امير المؤمنين تجاذبت ... بنا البيد خوص كالقسي شوارد
يمانية سيارة الغريب محلة ... بهن وقد نوال الباسط المتباعد
طوى السرى عنها وللعيس اعين ... سوام واعناق اليك قواصد
الى ملك تندى اذا يبس الثرى ... بنانا له كفيه الا كف الجوائد
له فوق مجد الناس مجدان منهما ... طريف وتالد
واحواض عز حومة الموت دونها ... واحواض عرف ليس عنهن ذائد
ايادي بني العباس بيض سوابغ ... على كل قوم باديات عوائد
هم يعدلون السمك من قبة الهدى ... كما تعدل البيت الحرام القواعد
سواعد عز المسلمين وانما ... تنوء بصولات الاكف السواعد
يكون غرار نومه من حذاره ... على فترة الاسلام والخلق رقد
كان امير المؤمنين محمدا ... لرافته بالناس للناس والد
قال المرتضى رضي الله عنه اما قوله تساقط منهن الاحاديث غضة تساقط در اسلمته المعاقد فكثير في الشعر
واظن ان الاصل فيه ابو حية النميري في قوله
اذا هن ساقطن الاحاديث للفتى ... سقوط حصى المرجان من كف ناظم
وانما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا يتاول قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
ومثله قول الاخر
هي الدر منثورا اذا ما تكلمت ... وكالدر مجموعا اذا لم تكلم
ومثله
من ثغرها الدر النظيم ولفظها الدر النثير
ونظيرها قول البحتري واحسن غاية الاحسان
ولما التقينا والنقا موعد لنا ... تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ... ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
ومثله قول الاخطل
خلوت بها وسجف الليل ملقى ... وقد اصغت الى الغرب النجوم
كان كلامها در نثير ... ورونق ثغرها در نظيم
ولغيره
تبسمت فرايت الدر منتظما ... وحدثت فرايت الدر منتثرا
ولاخر
وتحفظا من نسيم يحذرونها ... ولكنها مراعين الناس تحفظ
وتلفظ درا في الحديث اذا جرى ... ولم ار درا قبل ذلك يلفظ
ولبعض من تاخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا
[illegible] وصلا اذ رحمن متيما ... واريتها الادخش مراقبا
فنظمن من در للمباسم جامدا ... ونثرن

من دُرر المدامع ذائبا • وليس في قول ابي دهبل في وصف الحديث كتساقط الرطب الجني من
الافنان لا نزرا ولا نترا من هذا الباب شي لان جميع ما تقدم انما هو في وصف الثغر وهذا في
حسن الحديث وابو دهبل انما وصف فيه الحديث وانه متوسط في القلة والكثرة لازم
للقصد كما يتناثر الرطب من الافنان ويشبه ان يكون اراد ايضا مع ذلك وصفه بالحلاوة و
الغضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم انه غض طري غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجني
فيجتمع له اغراض لوصفه بالاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم بالفصاحة
ونظير قول ابي دهبل قول ذي الرمة لها بشر مثل الحرير ومنطق • رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر •
فاما قول مروان • الى الملك تندى فاذا يبس الثرى • بنائل كفيه الاكف الجوامد • فمثل قول ابي حنش
النميري في يحيى بن خالد البرمكي • لا ترى في مصلى كف يحيى • انني ان فعلت اتلفت مالي
لو يمس البخيل راحة يحيى • لسخت نفسه ببذل النوال • ومثله قول ابن الخياط المدني في المهدي
لمست بكفي كفه ابتغي الغنى • ولم ادر ان الجود من كفه يعدي • فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى
افدت واعداني فاتلفت ما عندي • وقد قيل هذا الشعر كانه مصرح بالهجا لانه زعم ان
الذي لمس كفه لم يفده شيئا بل اعداه جوده فاتلف ماله ولم يرد الشاعر الا المدح وللقول وجه
اخر وهو ان ذوي الغنى هم الذين تستقر الاموال في ايديهم وتلبث تحت ايمانهم ومن لا يخرج ما
يملكه حالا فحالا لا يوصف بانه ذو غنى فاراد الشاعر انني لم افد منه ما يبقى في يدي ويستقر تحت
ملكي فلهذا قال لم افد ما افاد ذوو الغنى ومن هذا قول مسلم بن الوليد • الى ملك لو صالح الناس
كلهم • لما كان حي في البرية يبخل • ومثله قول ابي العكوك • لو لمس الناس راحته • ما بخل الناس
بالعطاء • واحسن من هذا كله واشبه بالمدح وادخل في طريقته قول البحتري • من شاكر
عني الخليفة بالذي • اولاه من طول ومن احسان • ملأت يداه يدي وشرّد جوده • بخلي
فافقرني كما اغناني • حتى لقد افضلت من افضاله • ورأيت نهج الجود حيث راني • ووثقت
بالخلف الجميل معجلا منه فاعطيت الذي اعطاني • لم تكر عن قاصي البرية عينه • فتنام عن
وتر القريب الداني • ومن هذا المعنى قول الآخر • رأيت الندى في آل عوف خليقة • اذا كان في

قوم سواهم تخلقا • ولو جرت في ابياتهم لتعلمت • بذاك الندى منهم فاصبحت مملقا •
ولابن الرومي • يجود البخيل اذا ما رآك • ويسطو الجبان اذا عاينك • فاما قوله • ولخواض
غمرة الموت دوننا • ولخواض غمرة ليس عنهن دائما • فيشبه ان يكون ابراهيم بن العباس
الصولي اخذه في قوله • لنا ابل كوم يضيق بها الفضا • وتفتر عنها ارضها وسماؤها • فمن دونها
ان تستباح دماؤنا • ومن دوننا ان تستذم دماؤها • حمى وقرى فالموت دون مرامها
وايسر خطب عند حق فناؤها • وقد احسن ابراهيم في ابياته كل الاحسان فاما قوله • يكون
غرارا نومه من حذاره • على قبة الاسلام والخلق راقد • فكثير متداول ومن حسنه قول محمد بن
عبد الملك الزيات • نعم الخليفة للرعية من اذا • رقدت وطاب له الكرى لم يرقد • ومثله
ويظل يحفظنا ونحن بغفلة • ويبيت يكلؤنا ونحن نيام • ومثله للبحتري • اربيعة الفرس
اشكري يد منعم • وهب الاساءة للمسي الجاني • رقعتم جاراته فعشتم • منه حمية انف غير ان
لم تكر عن قاصي الرعية عينه • فتنام عن وتر القريب الداني • واما قوله • كان امير المؤمنين محمد
لرأفته بالناس للناس والد • فنظير قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد البرمكي • احيى لنا يحيى بن
خالد • فاصبح اليوم كثير الحامد • يحنو بكل طارف وتالد • على بعيد غائب وشاهد • الناس في
احسانه كواحد • وهو لهم اجمعهم كالوالد • ومن جيد قول مروان من قصيدة في المهدي اولها
خلت بعدنا من اليلى المصانع • وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع • يقول فيها • وما لي
الى المهدي لو كنت مذنبا • سوى حلمه الضافي على الناس شافع • ولا هو عند السخط منه ولا
الرضا • بغير الذي يرضى به الله قانع • تغض له الطرف العيون وطرفه • على عزة من خشية الله
خاشع • اما قوله ولا هو عند السخط منه ولا الرضا البيت فمثل قول اشجع • ولست بخائف
لابي علي • ومن خاف الاله فلن يخافا • ومثله • امنتني منه ومن خوفه • خيفته من خشية البارئ
ولابي نواس • قد كنت خفتك ثم امنني • من ان اخافك خوفك الله • ويشبه هذا المعنى
ما روي عن امير المؤمنين ع انه دعا غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على باب البيت فقال له
ما حملك على ترك اجابتي قال كسلت عن اجابتك وامنت عقوبتك فقال ع الحمد لله الذي

جعلني ممن يامنه خلقه فاما قوله تغض له الطرف العيون فيشبه ان يكون ماخوذا من قول
الفرزدق في علي بن الحسين او ممن ينسب اليه هذه الابيات • يغضي حياء ويغضى من مهابته فما
يكلم الا حين يبتسم •

مجلس آخر تأويل آية



ان سال سائل عن قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
فقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تاوله قوم من انه يحول بين الكافر وبين الايمان
وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة في اجابته الجواب قلنا اما قوله يحول بين المرء
وقلبه ففيه وجوه اولها ان يريد بذلك انه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا
حث منه عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما
يتوقف به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكانه تعالى قال بادروا الى الاستجابة لله وللرسول
من قبل ان ياتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم
ما تسوفون فيه نفوسكم من التوبة بقلوبكم ويقوي ذلك قوله تعالى واليه تحشرون وثانيها انه يحول
بين المرء وقلبه بازالة عقله وابطال تمييزه وان كان حيا وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه
انه بغير قلب قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب • وقال الشاعر • ولي الف باب قد
عرفت طريقه • ولكن بلا قلب الى اين اذهب • وهذا الجواب يقرب من الوجه الاول لان الاول خرج
هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث لهم على الطاعات قبل فوتها لانه لا فرق بين تعذر
التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بازالة العقل وثالثها ان يكون المعنى المبالغة
في الاخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وان الضمائر المكنونة له ظاهرة
والخفايا المستورة لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
ونحن نعلم انه لم يرد تعالى بذلك قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه واذا كان جل وعز هو عالم بما
في قلوبنا منا وكان ما نعلمه ايضا يجوز ان ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه وكل ذلك
لا يجوز عليه جاز ان يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه معلوم في الشاهد ان كل شيء
يحول بين شيئين فهو اقرب اليهما ولما اراد عز وجل المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف

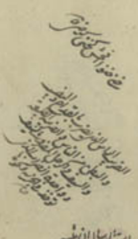
ونألف ان كان القرب الذي عناه جلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيرا لفظة القرب
على غير معنى المسافة فيقولون فلان اقرب الى قلبي من فلان وزيد مني قريب وعمرو مني بعيد
ولا يريدون قرب المسافة ورابعها ما اجاب به بعضهم من ان المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة
عدوهم وقلة عددهم فيدخل في قلوبهم الخوف فاعلمهم الله تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بان يبدل
بالخوف الامن ويبدل عدوهم بظنهم انهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور
ويمكن في الآية وجه خامس وهو ان يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه اليه قلبه
من القبائح بالامر والنهي والوعد والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من
الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ولا عن مواقعته رادع وكان التكليف حائلا بينه وبينه
من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقعته وليس يجب في الحائل ان يكون في كل موضع مما يمنع معه الفعل
لانا نعلم ان المشير منا على غيره في امر كان قد هم به وعزم على فعله ان يجتنبه والمنبه له على ان الحظ في
الانصراف عنه يصح ان يقال انه منعه منه وحال بينه وبين فعله قال عبد الله بن قيس الرقيات •
حال دون الهوى ودون الكبل مصعب • وسياط على اكف رجال تقلب • ونحن نعلم انه لم يحل
الا بالتخويف والترهيب دون غيرهما فان قيل كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية قلنا وجه المطابقة
ظاهر لانه تعالى امرهم بالاستجابة لله ولرسوله فيما يدعوان اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقبحات
واعلمهم انه بهذا الدعاء والانذار وما يجري مجراهما يحول بين المرء وبين ما تدعوه اليه نفسه من
المعاصي ثم ان المآب بعد هذا كله اليه والمنقلب الى ما عنده فيجازي كلا باستحقاقه فاما
قوله تعالى اذا دعاكم لما يحييكم ففيه وجوه اولها ان يريد بذلك الحيوة في النعيم والثواب لان ذلك
هي الحيوة الطيبة الدائمة التي يؤمن تغيرها ولا يخاف انتقالها فكانه تعالى حث على اجابة النبي ص في
هذه الحال وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو فكانه تعالى امرهم بالاستجابة
للرسول ص فيما يامرهم به من قتال عدوهم ودفعهم عن حوزة الاسلام واعلمهم ان ذلك يحييهم
من حيث كان فيه قهر للمشركين وتقليل لعدوهم وفل لحدهم وحسم لاطماعهم لانهم متى كثروا
وقووا استطالوا على جانب المؤمنين واقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فمن ههنا كانت

للاستجابة له الى القتال يقتضي الحيوة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وثالثها ما قاله قوم من ان كل طاعة حيوة ويوصف فاعلها بالحي كما ان المعاصي يوصف فاعلها بانه ميت والوجه في ذلك ان الطائع لما كان منتفعا بحيوته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حيوة ولما كان الكافر العاصي لا ينتفع بحيوته من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منكد الحيوة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حيوة وما يجري مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحيوته ويمكن في الاية وجه اخر وهو ان يكون المراد بالكلام الحيوة في الحكم لا في الفعل لانا قد علمنا انه تعالى كان مكلفا مأمور بجهاد جميع المشركين المخالفين لملته وقتلهم وان كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا اهل الذمة على شرطها فكانه تعالى قال استجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير احياء من حيث تعبدنا بقتالكم وقتلكم واذا اطعتم كنتم في الحكم احياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله كان امنا وانما اراد تعالى انه يجب ان يكون امنا وهذا حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع فاما الحيرة فلا شبهة لهم في الاية ولا يتعلق بها لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان ولا ظاهر الاية يقتضي انه يحول بينه وبين افعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان ولا للكفر ذكر ولو كان للاية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لانصرفنا عنه بادلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وقلبه وبين ما امر به واراده منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منفية اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني احمد بن محمد الجوهري قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا احمد بن عمر بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني محمد بن عمر بن عبد الله بن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحصين بن حذيفة بن بدر وجعه من طعنة كرز بن عامر اياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال ان الموت اهون علي مما اجد فايكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ باكبرهم فقال قم فخذ سيفي واطعن به حيث امرك ولا تعجل فقال يا ابتاه ايقتل المرء اباه فاتى على القوم كلهم فاجابوه بجواب الاول حتى انتهى الى عيينة فقال يا ابتاه اليس لك فيما تأمرني به راحة ولي لك الطاعة وهو هواك قال بلى قال فمرني كيف اصنع قال قم فخذ سيفي فضعه حيث امرك ولا تعجل

فقام فاخذ السيف ووضعه على قلبه ثم قال يا ابتاه مرني كيف اصنع قال الق السيف انما اردت ان اعلم ايكم امضى لما امره به فانت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال القوم انه سيفوق الملك سنينا فاحضروه فلما امسى قال ولوا عيينة من بعدي اموركم واستيقنوا انه بعدك لكم خلف اما هلكت فاني قد بنيت لكم عز الحيوة بما قدمت قدامي واستوسقوا اللتي فيها مرتكم لود الجياد وضرب القوم في الهام والقرب من قومكم والقرب ينفعكم والبعد ان باعد والرمي للرامي ولي حذيفة اذ ولى وخلفني يوم الهباءة بيتما وسط ايتام لا ارفع الطرف ذلا عند مهلكه الى العدو بوجه خده دامي حتى اعتقدت لواقومي فقمت به ثم انتحلت الى المجد بالشام لما قضى ما قضى من حق زائره عجت المطي الى النعمان من عامي اسمو لما كانت الاباء تطلبه عند الملوك فطرفي عندهم سامي والدهر اخره شبه لاوله قوم كقوم وايام كايام فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم من بين بان الى العليا وهدام قال ثم اصبح دعا بني بدر فقال لو اتى ورياسي لعيينة واسمعوا مني ما اوصيكم به لا يتكل اخركم على اولكم فانما يدرك الاخر ما يدرك الاول وانكحوا الكفي الغريب فانه عز حادث فاذا حضركم امران فخذوا بخيرهما صدرا فان كل مورد معروف واصحبوا قومكم باجمل الخلاق ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يزري بالرئيس المطاع واذا حاربتم عدوكم فادفعوا انتم ولو اصدقا فانه لا خير في الكذب وصونوا الخيول فانها حصون الرجال واطيلوا الرماح فانها قرون الخيل واعزوا الكبير بالكبير فلقي بذلك نكث غلب الناس ولا تعزوا الا بالعيون ولا تسرحوا حتى تامنوا الصباح واعطوا على حسب المال واعجلوا الضيف بالقرى فان خيره اعجله واتقوا فضحات البغي وفلتات المزاح ولا تجيروا على الملوك فان ايديهم اطول من ايديكم وقلوا كرز بن عامر ومات حصين فاخذ عيينة الرياسة وقال احب ابا عيينة في هواه فلم تخلج صريمتي الظنون وقد عرض الرئيس على بنيه فقال القوم هذا لا يكون سيحيي او يموت فطاولوه وقتل المرء والده جنون فلم اقتل بحمد الله حصنا وكل فتى سيدركه المنون ولم انكل عليه وكل امر اذا هونته يوما يهون فان يك بدء هذا الامر غثا فاخره بنويه سمين

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ ان اسم عيينة بن حصن حذيفة وانما اصابته اللقوة فجحظت عينه وزال فكه فسمي لذلك عيينة واذا عظمت عين الانسان لقبوه اما عيينة واما عينا وروي قيس بن ابي حازم ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا احمق مطاع وروي ايضا انه كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليه السلام وهو صبي فيرى لسانه فيهش له فقال له عيينة الا ارى تصنع هذا بهذا فوالله انه ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من لا يرحم لا يرحم

ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فمما يختار من شعره قوله من قصيدة اولها صحا بعد جهل فاستراحت عواذله واقصر عنه حين اقصر باطله ومن مدتني ايامه فاخرجت ميته فالشيب لا شك شامله يقول في المديح منها هو المرء اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله امر واحلى ما بلي الناس طعمه عقاب امير المؤمنين ونائله لي لما يأبى ذوو الكرم والتقى صؤول اذا ما جد بالامر فاعله تروك الهوى لا السخط منه ولا الرضى لدى موطن الا على الحق حامله يرى ان مر الحق احلى مغبة وانجى وان كانت ذعافا مناهله فان طليق الله من هو مطلق وان قتيل الله من هو قاتله وانك بعد الله للحكم الذي يصاب به من كل حق مفاصله فاما قوله ومن مدت في ايامه فاخرت ميتة فالشيب لا شك شامله فماخوذ من قول طريح بن اسمعيل الثقفي والشيب غاية من تأخر حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع والاصل في هذا قول امية بن ابي الصلت من لم يمت عبطة يمت هرما الموت كاس والمرء ذائقها ويشبه ذلك قول الاخر قال العريضي ليس شيء يعجب من يعش يلق ما تريبه ومثله قول ابي العتاهية من يعش يكبر ومن يكبر يمت والمنايا لا تبالي من اتت ويشبهه قول البحتري ولا بد من ترك احدى اثنتين اما الشباب واما العمر ويقاربه قوله ايضا والشيب مهرب من جارى منيته ولا نجاة لمن ذلك الهرب وقريب منه قول ابن المعتز قالت كبرت واشتهيت من الصبى فقلت لها ما عشت الا لاكبرا ولبعضهم ولا بد من موت فاما شبيبة واما مشيب والشبيبة اصلح معطلة والشبيبة اصلح لان الانسان اذا مات شابا كان اكثر الحزن عليه والاسف على مفارقته



واذا اسن وهرم وبرم به اهله وهان عليهم فقده فاما قوله هو المرء اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله فمعناه متكرر في الشعر كثير جدا واحسن شعر جمع بين وصف الممدوح بمنع ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد يذكر بيك الجود والبخل والنهى وقول الخنا والحلم والعقل والجهل فالقاك عن مذمومها متنزها والقاك في محمودها ولك الفضل واحمد من اخلاقك البخل انه بعرضك لا بالمال حاشا لك البخل وقد احسن البحتري في قوله بلونا ضرائب من قد نرى فما ان وجدنا لفتح ضريبا تنقل في خلقي سودد سماحا مرجى وباسا مهيبا فكالسيف ان جئته صارخا وكالبحر ان جئته مستثيبا فاما قوله تروك الهوى لا السخط منه ولا الرضا لدى موطن الا على الحق حامله فمعنى مبتذل مطروق في الشعر وقد كرره هو في قوله اذا امن القيني الرجال بنابه حططن بها ثقلا وادركن مغنما الى طاهر الاخلاق ما نال في رضى ولا غضب الا حراما ولا دما واحسن من هذا قول ابي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات ثبت الخطاب اذا اصطكت بمظلمة في رحله السن الاقوام والركب لا المنطق اللغو يزكو في مقاومه يوما ولا حجة الملهوف تستلب كانما هو في نادي قبيلته لا القلب يهفو ولا الاحشاء تضطرب وتحت ذاك قضاء حز شفرته كما يعض بظهر الغارب القتب لا سورة تتقى منه ولا بله ولا يحاف رضى منه ولا غضب ومثله قول البحتري في ابن الزيات ايضا وجمع الحق بين الخذ واعطاء وقصد في الجمع والتبديد واستوى الناس فالقريب قريب عنده والبعيد غير بعيد لا يميل الهوى به حيث يمضي الامر بين المقلي والمودود وسواء لديه ابناء ابرهيم في حكمه وابناء هود مستريح الاحشاء من كل ضغن بارد الصدر من غليل الحقود واما قوله وان قتيل الله من هو قاتله فيشبه ان يكون ماخوذا من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله ابن زياد لعنهما الله لعنا وبيلا ان الذي عاش ختارا بذمته ومات عبدا قتيل الله بالزاب واما قوله وانك بعد الله للحكم الذي يصاب به من كل حق مفاصله فيشبه قول ابي تمام يصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات واجمع العلماء ان هذه الابيات

احسن وافخم من جميع ما قيل في القلم • لك القلم الاعلى الذي بشباته • يصاب من الامر الكلى
والمفاصل • له الخلوات اللاء لولا نجيها • لما احتفلت للملك تلك المحافل • لعاب الافاعي
القاتلات لعابه • وارى الجنى اشتارته ايد عواسل • له ريقة طل ولكن وقعها • باثاره في الشرق
والغرب وابل • فصيح اذا استنطقته وهو راكب • واعجم ان خاطبته وهو راجل • اذا ما امتطى
الخمس اللطاف وافرغت • عليه شعاب الفكر وهي حوافل • اطاعته اطراف القنا وتقوضت
لنجواه تقويض الخيام الجحافل • اذا استغزر الذهن الذكى واقبلت • اعاليه في القرطاس وهي
اسافل • وقد رفدته الخنصران وشددت • ثلاث نواحيه الثلاث الانامل • رايت جليلا
شانه وهو مرهف • ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل **مجلس آخر تاويل آية** ان سال سائل
عن قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فاين تذهبون ان هو الا ذكر
للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم فقال وما تاويل هذه الاية اوليس ظاهرها يقتضى انا
لا نشاء شيئا الا والله شاء له ولم يخص ايمانا من كفر ولا طاعة من معصية **الجواب**
قلنا الوجه المذكور في هذه الاية ان الكلام يتعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لانه
قال لمن شاء منكم ان يستقيم ثم قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله اي ما تشاؤن الاستقامة
الا والله مريد لها ونحن لا ننكر ان يريد الله تعالى الطاعات وانما انكرنا ارادته المعاصي وليس
لهم ان يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما ان السبب
لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان الذي ذكروه انما يجب
فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل وقوله تعالى ما تشاؤن الا ان يشاء الله
لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على
انه لو كان للاية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالادلة الثابتة
على ان الله تعالى لا يريد المعاصي ولا القبائح على ان مخالفينا في هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الاية
على العموم لان العباد قد يشاؤن عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريدوا الشيء ويعزموا عليه
فلا يقع لمنع او غيره وكذلك فقد يريد النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار الايمان وتعبدنا بان نريد من القديم

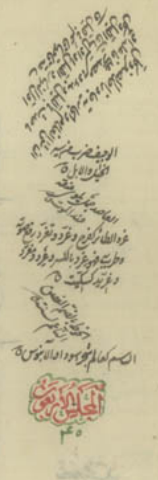
على القبيح تركه وان كان الله تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من
تخصيص الاية فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة وتجرى هذه الاية مجرى قوله
ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقوله تعالى وما يذكرون
الا ان يشاء الله في تعلق الكلام بما قبله فان قالوا فالاية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم
من وجه آخر وهو انه جل وعز قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله وذلك يقتضي انه شاء الاستقامة
في حال مشيتنا لها لان ان الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهذا
يوجب انه يشاء افعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون اليه من انه يريد الطاعات في حال الامر
قلنا ليس في ظاهر الاية انا لا نشاء الا ما شاءه تعالى في حال مشيتنا كما ظننتم وانما يقتضي حصول
مشيته لما نشاؤه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تاخر ويجري ذلك مجرى قول القائل
ما يدخل زيد لهذه الدار الا ان يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام ان يكون
دخولهما في حال واحدة بل لا يمتنع ان يتقدم دخول عمرو ويتلوه دخول زيد وان الخفيفة وان كانت
للاستقبال على ما ذكروه فلم يبطل على تاويلنا معنى الاستقبال فيها لان تقدير الكلام وما تشاؤن
الطاعات الا بعد ان يشاءها الله ومشيته لها قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب
ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي الى انه لا يمتنع ان يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال
وان كان قد ارادها في حال الامر كما يصح ان يامرنا بها امرا بعد امر لانه قد يصح ان تتعلق بارادته
ذلك منا بعد الامر وفي حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى انا نكون متى علمنا ذلك كنا الى فعل الطاعة
اقرب وعلى هذا المذهب لا معترض بما ذكروه والجواب الاول اوضح اذا لم تذهب الى مذهب
ابي علي في هذا الباب على ان اقتضاء الاية للاستقبال من اوضح دليل على فساد قولهم لان
الكلام اذا اقتضى حدوث المشية واستقبالها بطل قول من قال منهم انه مريد لنفسه او مريد
بارادة قديمة وصح ما نقول من ان ارادته متجددة محدثة ويمكن في تاويل الاية وجه آخر
مع حملنا اياها على العموم ومن غير ان نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة وهو ان يكون معنى ما
تشاؤن شيئا من افعالكم الا ان يشاء الله تمكينكم من مشيته واقداركم عليها والتخلية بينكم

وبينها وتكون الفائدة في ذلك الاخبار عن الافتقار الى الله وانه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره
الله عليه وليس يجب ان يستبعد هذا الوجه لان ما تعلق به المشية في الاية محذوف غير مذكور
وليس لهم ان يعلقوا قوله تعالى الا ان يشاء الله بالافعال دون ان نعلقه بالقدرة لان كل واحد من
الامرين غير مذكور وكل هذا واضح بين بحمد الله **وتعود الى ما كنا وعدنا به** من الكلام على
مرجان فمما يختار له قوله من قصيدة يمدح بها المهدي اوشك ان اولها طرقتك زائرة فحي خيالها • بيضاء
تخلط بالحياء دلالها • قادت فؤادك فاستقاد ومثلها • قاد القلوب الى الصبي فامالها
وكانما طرقت بنفحة روضة • سحت بها ديم الربيع ظلالها • باتت تسائل في المنام معرسا
بالبيد اشعث لا يمل سؤالها • في فتية هجعوا غرارا بعدما • سئموا مراعسة السرى وقتالها
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه المراعسة هو تحريك الراس في النعاس من النوم فكان حشو ثيابهم هندية
نحلت واغفلت القيون صقالها • واما ما ذكره في اول القصيدة من طروق الطيف فانه
لم يات فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب وقد قال الناس في الطيف والخيال فاكثروا
وقد سبق قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله انى سربت
وكنت غير سروب • وتقرب الاحلام غير قريب • ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه • في النوم غير مصرد
محسوب • كان المنى بلقائها فلقيتها • فلهوت من لهو امرى مكذوب • وقد احسن جرير في
قوله اتنسى اذ تودعنا سليمى • بفرع بشامة سقي البشام • بنفسي من تجنبه عزيز • على ومن زيارته
لمام • ومن امسى واصبح لا اراه • ويطرقني اذا هجع النيام • وهذه الابيات وان خلت
من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب مقبول ولابي عبادة البحتري
في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتاخر فانه تغلغل في اوصافه واهتدى من معانيه
الى ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفا بتكرار القول فيه لهجا بابدائه واعادته وان كان لابي تمام
في ذلك مواضع لا يجهل فضلها او محاسن لا يبلغ شاوها فمما لابي تمام قوله زار الخيال
لها لا بل ازاركه • فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم • ظبي تقنصته لما نصبت له • من اخر الليل
اشراكا من الحلم • ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم • باق وان كان مشغولا عن السقم • ومنه

عاد له الزور ليلة الرمل من • رملة بين الحمى وبين المطالي • ثم ما زارك الخيال ولكنك بالفكر
زرت طيف الخيال • وقوله ان الليالي للانام مناهل • تطوى وتنشر دونها الاعمار • فقصارهن مع الهموم طويلة • وطوالهن مع السرور قصار
الا وملح فيها سرا من الاجام • مجلس لم يكن لنا فيه عيب • غير انا في دعوة الاحلام • فاما
البحتري فقوله في هذا المعنى اكثر من ان يذكر جميعه ههنا غير انا نشير منها الى النادرة فمن ذلك
قوله فلا وصل الا ان يطيف خيالها • بنا تحت جوشوش من الليل اسفع • المنى بابعد
الهدو فامحت • بوصل متى تطلبه في الجد تمنع • وما برحت حتى مضى الليل فانقضى • واعجلها
داعي الصباح الملمع • فولت كان البين يخلج شخصها • اوان تولت من حشاى واضلعي
ورب لقاء لم يؤمل وفرقة • لاسماء لم تحذر ولم تتوقع • ارانى لا انفك في كل ليلة • تعاود
فيها المالكية مضجعي • اسر بقرب من مليم مسلم • واشجى ببين من حبيب مودع • فكائن لنا
بعد النوى من تفرق • تجيء احلام الكرى وتجمع • وقوله واني وان ضنت على بودها
لارتاح منها للخيال المورق • يعز على الواشين لو يعلمونها • ليال لنا نزدار فيها ونلتقي
فكم غلة للشوق اطفات حرها • بطيف متى يطرق دجى الليل يطرق • اضم عليه جفن عيني
تعلقا • به عند اجلاء النعاس المرنق • وقوله ايضا بلى وخيال من اثيلة كلما • تاوهت من
وجد تعرض يطمع • اذا زورة منه تقضت مع الكرى • تنبهت من وجد له متفزع
ترى مقلتي ما لا ترى في لقائه • وتسمع اذني رجع ما ليس تسمع • ويكفيك من حق تخيل
باطل • ترد به نفس اللهيف فترجع • وقوله ايضا اذا ما الكرى اهدى الى خياله • شفى
قربه التبريح او نقع الصدى • اذا انتزعته من يدي انتباهة • عددت حبيبا راح مني او غدا
ولم ار مثلينا ولا مثل شاننا • نعذب ايقاظا وننعم هجدا • وقوله ايضا
فما نلتقي الا على حلم هاجد • يحل لنا ما جد واك وهي حرام • اذا ما تبادلنا النقاب تحلسنا
من الجد ايقاظا ونحن نيام • وقوله وليلة هومنا على العيس ارسلت • بطيف خيال
يشبه الحق باطله • فلولا بياض الصبح طال تشبثي • بعطفي غزال بت وهنا اغازله
وقوله امنك تاوب الطيف الطروب • حبيب جاء يهدي من حبيب تخطى رقبة

الواشين كرما وبعد مسافة الخرق المجوب بكاذبني وأصدقه ودادا ومن كلف مضنى الكذوب وقوله شما تقضى لبانة عند لبنى والمعنى بالغانيات معنى هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها في الصد ودهجر وسنى بعد لأي وقد تعرض منها طائف عرجت على الركب وفنا

قال السيد المرتضى وجدت أبا القسم الحسن بن بشر الآمدي مع ميله إلى البحتري وانحطاطه في شعبه واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم أن البحتري أخطأ في قوله هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها في الصدود تهجر وسنى قال لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها يقظى كانت أو وسنى قال لكن الجيد في هذا المعنى قوله أرد دونك يقظانا ويأذن لي عليك سكر الكرى إن جئت وسنانا قال والذي أوقع البحتري في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصرد محسوب وكان الأجود أن يقول ما تمنعي في اليقظة فقد تؤتينه في النوم أي ما تمنعينه في يقظتي فقد تؤتينه في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة منسوبين إليه لأن خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعا قال أنه يتسع من التأويل في هذا القيس لا يتسع للبحتري لأن قيسا قال فقد تؤتينه في النوم ولم يقل تؤتينه نائمة وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنعي يقظى وأنا يقظان فقد تؤتينه في النوم أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لأنه قال وسنى ولم يقل في الوسن قال المرتضى وقد يمكن من التأويل للبحتري ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي ذهب عن ذلك لأن البحتري لما قال وسنى دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما أن الحال المعهودة لليقظة حال يشتركان فيها بالعادة فقوله وسنى يغني عن كونه هو أيضا نائما وإنما أراد المقابلة في هذه الألفاظ بين يقظى ووسنى وقوله يقظى متى لم يحمل على هذا المعنى لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا في أحوال اليقظة ويكون معنى يقظى يعدى إليه ألا ترى أن الآمدي حمل قول قيس يقظى على معنى وأنا يقظان وإن لم يبين الوجه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري وقوله وسنى ويقظى مثل قول قيس يقظى ولو مكن قيسا وزن الشعر من أن يقول وسنى في مقابلة يقظى لعله ما عدل عنه إلى النوم لأنه لم يكن عليه في وسنى إلا ما عليه في يقظى وما يتناول له في أحد الأمرين يتناول له في الآخر قال المرتضى وإلى الخيال وطروقه معنى ما علمت أنه سبق إليه وهو قولي من جملة قصيدة ونزور يخطي جنوب الملا فنادت أهلا بنا الدار أتاني هدوا وعين الرقيب مطروفة بالكرى الغامر فأعجب به يعف الماجعين ومحرمه مقلة الساهر وهتك بتفويه عين المحب ينم على قلبه الطائر فلما التقينا برغم الرقاد موه قلبي على ناظري ومعنى البيت الأخير أن الأحلام إنما هي اعتقادات تحصل في القلب لا حقيقة لأكثرها لأن الإنسان يعتقد أنه رأى لما لا يراه على الحقيقة ومدرك ما لم يدركه على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم للعين ما لا حقيقة له كما أن العين تخيل في كثير من الأحوال للقلب ما لا حقيقة له فأما قول مروان فكأنما طرقت بنفحة روضة البيت فيشبه أن يكون مأخوذا من قول نهشل بن حري طرقت أسماء الرحال ودونها نقيان من رمل القنام الأسود وفلاة مفاوز وصل الفلاة جنوبها بجنوب أخرى غيرأن لم تعقد نقل إذا أيدي الركاب قطعنه قرعت مناسمها بقف قردد وكأن ريح لطيمة هندية وذكي جادي بصبغ مجسد وندا خزامى الجوجو سويقة طرق الخيال به بعيد المرقد أو من قول الآخر طرقتك زينب والمزار بعيد غب ونحن معرسون هجود وكأنما طرقت بريا روضة أنف يخص مزنها ويجود وهذا المعنى كثير في الشعر للمتقدم والمتأخر جدا فأما قوله باتت قابلة في المنام معرسا البيت والبيتان اللذان بعدهما فقد قال الناس في وصف قلة النوم ومواصلة السرى والإدلاج وشعث السائرين فأكثروا فمن أحسن ما قيل في ذلك قول لبيد ومجود من صبابات الكرى عاطف النمرق صدق المبتذل قال مجد نا قد طال السرى وقدرنا إن خنا الدهر غفل قلما عرس حتى هجته بالتباشير من الصبح الأول يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل يتقاني في الذي قلت له ولقد يسمع قولي حي هل ومن ذلك قول ذي الرمة وليل كأثناء الرويزي جبته بأربعة والشخص في العين واحد والرويزي هو الطيلسان وقد قيل أبهم كجلباب العروس ادرعته وكل ذلك وصف له بالسواد لأن الطيلسان أسود وجلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد أحم علافي وأبيض صارم وأعيس مهري



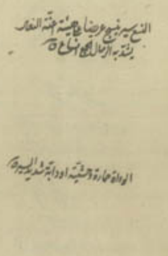
وأشعث ماجد أخو شقة جاب الفلاة بنفسه على الهول حتى لوحته المطارد وأشعث مثل السيف قد لاح جسمه وجيف المهارى والهموم الأباعد سقاه الكرى كأس النعاس فرأسه لدين الكرى من آخر الليل ساجد أقمت له صدر المطي فما درى أجائرة أعناقها أم قواصد ترى الناشئ الغريد يضحي كأنه على الرحل مما منه السير عاصد ومن ذلك قول أبي حية النميري وأغيد من طول السرى برحت به أفانين تماضي على الأين مرجم سريت به حتى إذا ما تمزقت تواليالدجى عن واضح اللون معلم أنخنا فقلنا إن جرت في دماغه وعينيه كأس النوم قلت له قم فما قام الأبين آبي تقيمه كما عطفت ريح الصبا خوط ساسم خطى الكرى مغلوبا كأن لسانه لما دمت رجع لسان المبارسم ووسد بوسطى الخمس منه لواتنا رحلنا وقلنا في المناخ له نم

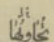
مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فقال أي معنى لاختصاص الأرض بالذكر وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه الجواب قلنا أما الوجه في اختصاص الذكر بالأرض فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وأن الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما أنها تحجز عن كثير من أفعال البشر ولأن معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر من المكاره ويلجؤون إلى الاعتصام بها عند المخاوف فإذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه فأما قوله تعالى وما كان لهم من دون الله من أولياء فمعناه أنه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا مانع من إيقاعه بهم في الدنيا وإن كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء منهم

وقد يجوز أن يكون ذلك أيضا بمعنى الأمر وإن كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير ليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا إليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره فأما قوله عز وجل ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ففيه وجوه أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عنادا للحق وذهابا عن سبيله فأسقطت الباء من الكلام وهذا جائز كما جاز في قولهم لأجزينك بما عملت ولأجزينك ما عملت ولأحدثنك بما عملت ولأحدثنك ما عملت وكما قال الشاعر نغالي اللحم للأضياف نيئا ونبذله إذا نضج القدور فأراد تعالى باللحم والوجه الثاني أنهم لاستثقالهم استماع آيات الله وكراهيتهم تذكرها وتدبرها وتفهمها أجروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر إلى فلان من شدة عداوته وما يقدر على أن يكلمه وكما تقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات ما تستطيع أن تسمع الحق وما تطيق أن يذكر لك وكما قال الأعشى ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل ونحن نعلم أنه قادر على الوداع وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة والاستثقال ومعنى وما كانوا يبصرون أي أن أبصارهم لم تكن نافعة لهم ولا مجدية عليهم مع الإعراض عن تأمل آيات الله وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفى عنهم الإبصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله ما لك لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل وما أشبه ذلك والوجه الثالث أن يكون نفي السمع والبصر راجعا إلى آلهتهم لا إليهم وتقدير الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرا عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه يروى عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه أدنى بعد ويمكن في الآية وجه رابع وهو أن يكون ما في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك ما لاح نجم ولأقيمن على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أي أنهم معذبون ما كانوا أحياء فإن قيل

كيف يعبر عن كونهم احياء باستطاعة السمع والابصار وقد يكون حيا من لا يكون كذلك قلنا
للعرب في مثل هذا عادة معروفة لانهم يقولون والله لا كلمت فلانا ما نظرت عيني ومشت قدمي
وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الاغلب من احوال الحي ان تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا
الاغلب كالواجب فمن ذلك قول الشاعر وما انس من شيء تقادم عهده فلست بناس ما هدت
قدمي نعلي عشية قالت والدموع بعينها هبلت القلب عنك لم ترثه مثلي وانما اراد لا
انسى ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع ان يعلق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين
للسمع والابصار ويعود المعنى الى تعلقه ببقائهم وكونهم احياء والمرجع في ذلك الى التابيد لانه
اذا علق العذاب ببقائهم واحيائهم وعلمنا ان الاخرة لا موت فيها ولا خروج عن الحيوة علمنا
تابيد العذاب ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فمما نختاره له قوله من
القصيدة التي مضى اولها وتكلمنا عليها وضعوا الخدود لدى سواهم جنح تشكو كلوم
صفاحها وكلالها طلبت امير المؤمنين فواصلت بعد السرى بغدوها اصالها
نعت اليك صوادي فتقاذفت تطوى الفلاة حزونها ورمالها فهو جاء تدرع الرياح و
تشقها شق الشموس اذا تراع جلالها يتبعن ناجية يهز مراحها بعد النحول تليلها و
قذالها تنجو اذا رفع القطيع كما نجت خرجاء بادرت الظلام رئالها كالقوس ساهمة
اتتك وقد ترى كالبرج تم ادرحلها وحيالها هذه الابيات في وصف الرواحل
بالسرعة والنحول جيدة الالفاظ مطردة النسج وقد سبق الناس في هذا المعنى الى ضروب من
الاحسان فمن ذلك قول الاخطل نخوص كاعطال القسي تقلقلت اجنتها من شقة ودؤوب
اذا معجل غادرنه عند منزل اتيح لجواب الفلاة كسوب للمعجل الملقى والاجنة لغير تمام
وجواب الفلاة الذئب ومن بناء عوج كان عيونها ثنايا قلات فلست لمنصوب
مناسيف نطويها مع القيظ والسرى ثكالى بقطلاع النجاد ركوب قديم ترى الاشلاء
فيه كانها رجال قيام عصبوا بسبوب بعمرينا عوم السفين اذا انجلت سحابة وضلاح
السراب عصوب وقال مسلم بن الوليد الانصاري الى الامام تهادانا بارحلنا خلق من الريح







في اشباح ظلمان كان ازمتها والنجم يلحقها افلات صادرة عن قوس حسبان وقال بشار
واذا المطي سجن في اعطافه فات المطي بكاهل وتليل وكانه والناعجات يردنه قدح تطلع
من قداح مجيل ولبعض الحارثيين نهس الهواجر والظهائر لحمها حتى تحذ لحمها
المطائر حرف تناهبها النجاء فلا ترى مما تحل شدقم او دلغم صبر اذا عطفت سوالفها
البرى سمعت لهن كتاكش وجراجر وتحل من عز النفوس وجدها جنا وهن ذا الخبر
اباعر اما اذا ما اقبلت فكانها ذعر تهادتها الفلاة نوافر اما اذا ما اعرضت فكانها
كدر يوردن النطاف صوادر اما اذا ما ادبرت فكانها صخر مسندة وهن صوامر
قال الشريف المرتضى واني لاستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة
كان يديها اذا ارقلت وقد جرن ثم اهتدينا السبيلا يدا سابح خر في غمرة تنذرع
وقد شارف الموت الا قليلا اذا اقبلت قلت مشحونة اطاعت لها الريح قلعا
جفولا وان ادبرت قلت مذعورة من الربد تتبع هيقا ذمولا ومعنى قوله وقد جرن ثم
اهتدين السبيلا يعني المطايا يقول لكن نشيطات بمرحهن فلا يلزمن لقم الطريق بل ياخذن
يمينا وشمالا فلما عضهن الكلال استقمن على المحجة فكانه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال
المطي وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة مليحة
ومثله قول الاخر كان يديها حين جد نجاؤها يدا سابح في غمرة يتذرع وثما تشاكل
هذا المعنى او يقاربه قول الشماخ كان ذراعيها ذراعا مدلة بعيد السباب حاولت ان
تعذرا مجدة الاعراق قال ابن ضرة عليها كلاما جار فيه واهجرا فشبه ذراعيها وهي
تتذرع في سيرها بذراعي امراة مدلة على اهلها ببراءة ساحتها وقد حكي عنها ابن ضرتها
كلاما اهجر فيه اي افحش فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذر وتحلف وتنضح عن نفسها وقد
قيل ان معنى قوله مدلة انها تدل بحسن ذراعيها فهي تديم اظهارهما ليرى حسنهما وقوله
بعيد السباب اي في عقيب المسابة قامت تعتذر الى الناس فقوم يروونه بعيد الشباب
ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي اقوم بحجتها من الحدثة الغرة وتشهد

لهذه الرواية الاخيرة قول الاخر كان يديها حين يقلق ضفرها يدا نصف غيرى تعذر من جرم
وقوله حين يقلق ضفرها يدا نصف فيه سر وفائدة لان الضفر هو الانساع وانما تقلق اذا
جهدها السير وضمرت فكانه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ومثله كان
ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت ضرائر عن عفر سمعن لها واستعجلت في كلامها
فلا شيء يفري باليدين كما تفري ويقاربه قول الاخر الا هل تبلغنيهم على الناي والقطن
واة لحصى المعزاء في اخفافها رنة اذا ما عصفت قلت حماة فاصحت كنة وممن شبه
سرعة ايدي الابل بايدي النواح كعب بن زهير قال كان اوب ذراعيها اذا عرقت وقد
تلفع بالقور العساقيل وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب يركضن
الحصى قيلوا شد النهار ذراعا عيطل نصف قامت فجاوبها نكد مثاكيل نواحة
رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول العساقيل اوائل السراب
ولا واحد لها من لفظها واخبر ان ناقته من شدة الحر واتقاد الظهيرة تمرح في سيرها
وتتذرع بيديها فشبه ذراعيها بذراعي امراة نصف تنوح على ابنها وقد نعي اليها
فهي تشير بيديها وتوالي بحركتها والعيطل الطويلة العنق وجعلها نصفا لانها قد
كادت تياس من الولد فهو اشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه والقور جمع قارة وهي ما
ارتفع واستدار من الرمل واراد ان يقول كما تلفعت القور بالعساقيل فلم يمكنه فقلب
ومثله وكانما رفعت يدي نواحة شمطاء قامت غير ذات حمام وانما خص الشمطاء
لما ذكرناه من الياس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة
الا جنينا وقد قيل في بيت عمرو بل شبه الناقة بشمطاء لما على راسها من اللغام ومثل ما
تقدم من المعاني قول الشاعر يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل اغدون يوما وامري مجمع
وتحت رحلي زفيان ميلع كانها نائحة تفجع تبكي لميت وسواها الموجع الزفيان
الناقة الخفيفة والميلع السريعة وشبه رجع يديها في السير بنائحة تبكي ناحية تنوح لقوم على
ميتهم بالاجر فهي تزيد بالاشارة بيديها ليرى مكانها ومثل بعينه قول ذي الرمة كانما يقق

تنحي وهي عوج كانها بجوب الفلا مستاجرات نوائح الحانيق اللواتي ضمرن بعد سمن وخص
المستاجرات من النوائح للمعنى الذي ذكرناه وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى ووصف السرعة
كان اوب يديها حين يجهدها اوب المراح وقد نادوا بترحال مقط الكرين على مكنوسة
زلج في ظهر حنانة البيدين مغوال معنى اوب يديها اي رجعها واوب المراح اي اذا الا
القوم عازب اموالهم ليرحلوا وقد روي اوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح والنشاط
والمقط اللعب بالكرة والكرين جمع كرة والمكنوسة الارض البراح التي لا شيء فيها والزلج
المستوية من الارض والحنانة الريح والبيدان جانبا هذه الارض ومعنى قيل انه من صفات
الريح وقيل من صفات الارض فان كان للريح فمعناه ان الريح تغول الارض باسرها
اي تملاها واذا كان للارض فالمعنى انها تغول من سلكها اي تهلكه وتلخيص معنى البيت
انه شبه يدي ناقته بيدي ضارب بكرة في الارض الواسعة في يوم عاصف وهذا من
دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة ومثل بيتي الشماخ قول المسيب بن علس مرحت
يداها للنجاء كانها تكرو بكفي ماقط في قاع فعل السريعة بادرت جدادها قبل المساء
تهم بالاسراع معنى تكرو اي كانها لاعب بكرة والسريعة يعني ناسجة والجداد الغزل الضعيف
فاراد انها تسرع الضرب بالخف والنسج قبل المساء ما دامت تبصر فشبه يدي ناقته في ذرعها
بيدي هذه الناسجة وقال الاصمعي الجداد هدب الثوب فيعني ان هذه الناسجة قد قاربت
الفراغ من الثوب وبلغت الى الهدب فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء وقريب منه قول الاخر
كان ايديهن بالقاع القرق ايدي جوار يتعاطين الورق فالقرق الحش الذي فيه الحصى
وشبه حذف مناسمهن للحصى بحذف جوار يلعبن بدراهم وخص الجواري لانهن اخف
يدا من النساء وقال اخرون القرق ههنا المستوي من الارض الواسع وانما خص بالوصف
لان ايدي الابل اذا اسرعت في المستوي فهو احمد لها واذا ابطات في غيره فهو احمد لها ومن احسن
ما قيل في الاسراع قول المرار بن سعيد فلو شعب الرحال فقلصت سود البطون كفضل
المنتقش ذكر قوما سفرا هبوا من رقدتهم الى رحالهم ليسيروا ويعني بسود البطون الابل

والمنتمل الصابه الذي قد اتخذ ناموسا وهو ما يستتر به المحتمل الصيد فشبه المطايا في ضمرها
بقطا قد صاد الصائد بعضها وافلت بعضها فهي تطير طيرا شديدا ومثل هذا وان
كان في صفة الخيل قول النابغة كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد فاما قول مروان يتبعن
ناجية يمر مراحها بعد النحول تليلها وقذالها فقد مضى في وصف المطايا بالنشاط بعد السأم
والجهد ما مضى واحسن من قول مروان واشد افصاحا بالمعنى واعرابا عنه قول الهذلي ومن
سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال وانما كان هذا احسن لانه صرح بنشاطها
بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجري هذا المجرى لان النحول قد يكون عن جهد السفر
والتعب وقد يكون عن غيره فاما قوله كالقوس ساهمة اتتك ليبت فقد بالغت العرب في
وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي وغيرها وقد احسن كثير في قوله نفى السير عنها كل داء
اقامة فهن رذايا بالطريق تركنك وحملت الحاجات خوصا كانها وقد ضمرت صفر القسي
العواطف وقال مسلم بن عمرو الخاسر وكانهن من الكلال اهلة او مثلهن عطايف الاقواس
فوذطواها ما طوت من قحمة نائي الصوى مناهج ادراس وقال ابو تمام يصف ناقته
ابنا الفادسية وهي ترنو الى بعين شيطان رجيم فما بلغت بنا عسفان حتى رنت
بلحاظ لقمان الحكيم وبدلها السرى بالجهل حلما وقد ادت بها قدم الاديم آذاب سنامها
قطع الفيافي ومزق جلدها نضح العصيم بدت كالبدر وافى ليل سعد وابت مثل
عرجون قديم وقال البحتري وخدان القلاص حولا اذا قابلن حولا من انجم الاسحار يترقرقن
كالسراب وقد خضن غمارا من السراب الجاري كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل
الاوتار وله ايضا وهي العيس دهرها في رحال من حلول او فرقة بجميع رب عمرت قربت تجاذب
قطرتيه سرا بالمنهل المشروع وسرى ينحيه بالوخد حتى يصدع الليل عن بياض الصديع
كالبري في البرى يحسبن احيانا فنوعا مجدولة في نسوع **مجلس آخر تأويل آية**
ان سال سائل عن قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي الآية فقال كيف اضاف
الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون

قوله

قوله لما خلقت بيدي جاريا مجرى قوله لما خلقت انا وذلك مشهور في لغة العرب يقول احدهم
هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك واذا ارادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا
الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الاثبات
ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل وثانيها ان يكون
معنى اليد هاهنا النعمة ولا اشكال في ان احد محتملات لفظ اليد النعمة واما الوجه في تثنيتها
فقد قيل فيه ان المراد به نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت
لنعمتي واراد بالباء اللام وثالثها ان يكون معنى اليد هاهنا القدرة وذلك ايضا
معروف ومن محتملات اللفظ يقول القائل ما لي بهذا الامر يد ولا يدان وما يجري مجرى
ذلك المعنى اي انني لا اقدر عليه ولا اطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة
بل اثبات كون القادر قادرا ونفي كونه قادرا فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت
وانا قادر على خلقه فعبر عن كونه قادرا بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة وكل ذلك
واضح في تاويل الآية **ونعود الى ما كنا ابتدانا به** من الكلام على شعر مروان فمن قصيدته
التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليها قوله احيا امير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها
وحلالها ملك تفرع نبعة من هاشم مد الاله على الانام ظلالها جبل لامته تلوذ
بركنه رادي جبال عدوها فازالها لم تغشها مما تخاف عظيمة الا اجال لها الامور
مجالها حتى يفرجها اغر مبارك الفى اباه مفرجا امثالها ثبتت على نكل الحوادث
ناكب من صرصرين لكل ظلالها كلتا يديك جعلت فضل نوالها في المسلمين وفي
العدو وبالها وعمت مواقعها بعفوك انفس اذهبت بعد مخافة اوجالها
امنت غير معاقب طرادها وفككت عن اسرائها اغلالها ونصبت نفسك
خير نفس دونها وجعلت مالك واقيا اموالها اما قوله احيا امير المؤمنين محمد
سنن النبي حرامها وحلالها فقد عابه بعض من لا معرفة له بنقد الشعر فقال كيف يكون
في سنن النبي حرام وما ذلك بعيب لانه اراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل

من سنته تحريم الحرام وتحليل الحلال وانما العيب من هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي
ولقد اراد الله اذ ولاكها من امة اصلاحها وفسادها ومثل قول مروان قول سلم الخاسر
ولما وليت ذكرت النبي بتحليله وبتحريمه فاما قوله حتى يفرجها اغر مبارك البيت
فكثير جدا للمتقدمين والمحدثين والاصل فيه قول زهير وما كان من خير اتوه فانما توارثه
آباء آبائهم قبل وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل ومثله لآخر
وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل وماء العود من حيث يعصر ومثله للربيع بن ابي الحقيق
اليهودي اذا مات منا سيد قام بعده لخلف يكفي السيادة بارع من ابنائه والعرق ينمي
فرعه على اصله والعرق للعرق نازع ومثله لمن يرجو الغلام وقد اعياك والده ومخلوقه
ما ينبت العود ولاخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال يجري صاغرهم مجرى كابرهم
وفي اروميته ما ينبت الشجر ومن هذا المعنى قول عبد الله بن قيس الرقيات تخلفك
البيض من بنيك كما يخلف عود النضار في شعبه ومنه قول نهشل بن حري
ارى كل عود نابتا في ارومة ابى نبت العيدان ان يتغيرا بنو الصالحين الصالحون
ومن يكن لآباء سوء يلقهم حيث سيرا ومثله لمسلم بن الوليد الانصاري لح
على الايام يقري خطوبها على منهج الفى اباه به قبل ولبشار على اعراقها تجري
الجياد ومثله وما في من خير وشر فانها بجبة آبائي وفضل جدودي هم القوم فرعي
منهم متفرع وعودهم عند الحوادث عودي وللبحتري واذا ابو الفضل استعار
سجية للمكرمات فمن ابي يعقوب شرف تتابع كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب
وارى النجابة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب وله ايضا ما سعوا ليخلفوا
غير آبائهم كل سابع منا يريد نصابه وله ايضا وما تابع في المجد نهج عدوه كمتبع في
المجد نهج ابيه وفي هذه القصيدة يقول مروان هل تعلمون خليفة من قبله اجرى
لغايته التي اجرى لها طلع الدروب مشمرا عن ساقه بالخيل منصلتا يجر
نعالها قودا تريع الى اغر لوجهه نور يضيء امامها وخلالها قصرت حمائله عليه

قلصت

قلصت ولقد تحفظ قينها فاطالها حتى اذا وردت اوائل خيله جيحان بث على
العدو رعالها احمى بلاد المسلمين عليهم واباح سهل بلادهم وجبالها ادمت
دوابر خيله وسنابكها غاراتهن والحقت اطفالها لم تنو بعد مقادها وطرادها
الا انجازها والا ابطالها رفع الخليفة ناظري وراشني بيد مباركة شكرت نوالها
وحدت حتى قيل اصبح باغيا في المشي مترفة بمهرة مختالها ولقد حذوت لمن
اطاع ومن عصى نعلا ورثت عن النبي مثالها اما قوله قصرت حمائله فالاصل
فيه قول عنترة بطل كان ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوام او قول
الاعشى الى ماجد كهلال السماء ازكى وفاء ومجدا وخيرا طويل النجاد رفيع
العماد يحمي المضاف ويغني الفقيرا ومثله طويل نجاد السيف عاري جبينه كنصل اليماني
اخلصته صياقله اذا هم بالمعروف لم يخز طيره نحوسا ولم تسبق نداه عواذله
ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي واشعث طلاع الثنايا مبارك يقول نجاد السيف
وهو طويل ولابي الجويرية العبدي يمد نجاد السيف حتى كانه باعلى سنامي فالج يتطوح
اذا اهتز في البرد اليماني خلته هلالا بدا في جانب الافق يلمح ولابي عطاء السندي
وانهم من بني عمرو بن عمرو حمائله وان طالت قصار ولبعضهم في آل المهلب
رايتكم اعز الناس جارا وامنعهم اذا عدوا ذمارا حمائلكم وان كانت طوالا نرها
عن شماتلكم قصارا ولبعض بني العنبر في معنى الطول فجاءت به عبل العظام كانما
عمامته بين الرجال لواء ولآخر اشم طويل الساعدين كانما تناط الى جذع طويل حمائله
ولابن هرمة تناط حمائل الهندي منه بعاتق لا الف ولا ضئيل ولكن تستقل به قواه
على ماض بقائمه نبيل ولسلم الخاسر يقوم مع الرمح الرديني قائما ويقصر عنه طول
كل نجاد وللخثعمي يوازي الرديني في طوله ويقصر عنه نجاد الحسام وللوالبي
طول وطول قرى كفه تنهل بالطول انهلال الغمام وطوله يغتال يوم الوغى وغيره
نصل نجاد الحسام فاما قوله ولقد حذوت لمن اطاع ومن عصى نعلا ورثت عن

السيف مثالها ❊ فقد ردد مروان معنا في مواضع من شعره فقال ❊ شبيه ابيه منظرا وخليقة
كما حذيت يوما على اختها النعل ❊ وقال في موضع اخر ❊ احيى لنا سنن النبي سميه ❊ قد الشراك
بشراك قريب شراكا ❊ وقال ايضا ❊ صحيح الضمير سريح مثل جهره ❊ قياس الشراك بالشراك تقابله
وقال ايضا ❊ تشابهتما حلما وعدلا ونائلا ❊ وحزما اذا امر اقام واقعدا ❊ تنازعتما نفسين
هذي كهذه ❊ على اصل عرق كان اكرم مسلدا ❊ كما قاس نعل حضرمي قدها ❊ على اختها لم
يال ان يجودا ❊ واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال ❊ تنازع الاحمدان الشبه فاتفقا ❊ خلقا
وخلقا كما قد الشراكان ❊ والاصل في هذا المعنى قول ابن ابي ربيعة ❊ فلما توافقنا عرفت الذي
بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل ❊ ومثله للسيد بن محمد الحميري ❊ تتلون
اخلاق النبي وفعله ❊ كالنعل تشبه في المثال طراقها ❊ وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن المكسر
بن ثعلبة بن سيار العجلي بقوله في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال ❊ من فر منكم فر عن حريمه
وجاره وفر عن نديمه ❊ انا ابن سيار على شكيمه ❊ مثل الشراك قد عن اديمه ❊ وكلهم يجري
على قديمه ❊ فاما قوله ❊ وحيث تحتوى قيل اصبح باغيا ❊ البيت فمعناه قول البحتري ❊
النسل الى الايام من بعد قسوة ❊ وعاتبت لي دهري المسيء فاعتبا ❊ والبيت التعمي التي
عبرت اخي ❊ على فامسى نازح الود اجنبا ❊ ومما يختار لمروان قوله ❊ موفق لسبيل الرشد
متبع ❊ يزينه كل ما يأتي ويجتنب ❊ تسمو العيون اليه كلما انفرجت ❊ للناس عن وجهه
الابواب والحجب ❊ له خلائق بيض لا يغيرها ❊ صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب ❊
ووجدت بعض من نقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت الاخير
من الثلاثة وكان ابن مناذر اياه اراد بقوله وقد سال عنه وهو مجاور بمكة عمن ببغداد
من الشعراء فقيل له العباس بن الاحنف فقال انشدوني له فانشدوه ❊ لو كنت عاتبة لسكن
عبرتي ❊ املي رضاك وزرت غير مراقب ❊ لكن مللت فلم تكن لي حيلة ❊ صد الملول
خلاف صد العاتب ❊ فقال ابن مناذر اخلق بمن ادام يحثه الترابي ان يصيب خزنة
فقال المرتضى ولا شك في قلة الامثال في شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى

الذي تقتضيه

الذي تقتضيه البيت قد سبق اليه ابن هرمة وقال طريح بن اسمعيل ❊ جواد اذا جئته راجيا
كفاك السؤال وان عدت عادا ❊ خلائق كسبيك النضار لا يعمل الدهر فيه فسادا
ومثله للخريمي ❊ رايتك يا زيد زين الندى ❊ وزين الفخار وزين الكرم ❊ تزيد على نائبات
الخطوب ❊ نيلا وفي سابغات النعم ❊ كذا الخمر والذهب المعدني ❊ يجود هذا وذاك القدم ❊
وفي قوله الذهب المعدني فائدة حسنة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا
امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه ❊ ومثله للاموي ❊ ياوي الى خلق لم يصده طبع كان
جوهره من جوهر الذهب ❊ ولبعضهم ❊ ملك له خلق خليق بالعلى ❊ كسبيكة الذهب
التي لا يكلف ❊ وقد اخذ الخبزارزي هذا المعنى في قوله ❊ فلا تغن بتحذيف تكلفه الصوغ
حسنها الاصلي يكفيها ❊ ان الدنانير لا تجلى وان عتقت ❊ ولا يزاد على النقش الذي فيها ❊
ويحفظ مثله ❊ صديق لي له ادب ❊ صداقة مثله حسب ❊ رعى لي فوق ما يرعى واوجب
فوق ما يجب ❊ ولو نقدت خلائقه ❊ لبهرج عندها الذهب مجلس اخر تاويل اية



ان سال سائل عن قوله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ❊ فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جميع وما معنى
مسحور وما جرت عادة مشركي العرب بوصفه رسول الله صلعم بذلك بل عادتهم جارية
بقرفهم بانه ساحر الجواب قلنا اما قوله تعالى واذ هم نجوى فان نجوى مصدر يوصف به الواحد
والاثنان والجمع والمؤنث والمذكر وهو مقر على لفظه ويجري في ذلك مجرى قولهم رجال
صوم والمناهل جد يعني يصوم صائمين ومجد مجودة وقد قال قوم ان معناه واذ هم اصحاب
نجوى فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجي والنجية فمن وحد
بنى على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقا برغيف وارغفة وما
اشبه ذلك وقد قال الشاعر في التوحيد ❊ اتاني نجي بعد هدء ورقدة ❊ ولم يك فيما قد بلوت
بكاذب ❊ وانشد الفراء في الجمع ❊ ظلت انحاؤهم والقوم انجية ❊ يعدى عليها كما يعدى على الغنم
واما قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا ففيه وجوه اولها ان يكون المراد ان تتبعون الا رجلا

متغير العقل لان المشركين كان من مذهبهم عيب النبي وتضعيف امره وتوهين رايه
فكانوا في وقت ينسبونه الى انه ساحر وفي اخرى يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما
قذفوه بانه شاعر وشيء من ذلك وقد جرت عادة الناس بان يصفوا من يصيبونه الى البله
والغفلة وقلة التحصيل بانه مسحور وثانيها ان يريدوا بالمسحور المخدوع المعلل لان ذلك
احد ما يستعمل فيه هذه اللفظة قال امرؤ القيس ❊ ارانا موضعين لحتم غيب ❊ ونسحر بالطعام
وبالشراب ❊ وقال امية بن ابي الصلت ❊ فان تسالينا فيم نحن فاننا ❊ عصافير من هذا
الانام المسحر ❊ وثالثها ان السحر في لغة العرب الرية وما تعلق بها وفيه ثلاث لغات سحر وسحر
وسحر وقيل ان السحر ما لصق بالحلقوم والمريء من اعلى الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على
هذا ان تتبعون الا رجلا ذا سحر خلقه الله بشرا كخلقكم ورابعها ان يكون مسحورا اي
ساحرا وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا اي ساترا والعرب تقول للمعسر ملفج ومعناه ملفج لان
ماضيه الفج فجاؤوا بلفظ المفعول وهو الفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤوم على فلان
وميمون على فلان وهم يريدون شائم له ويامن لانه من شامهم ويمنهم ورايت بعض العلماء
يطعن على هذا الاستشهاد الاخير فيقول العرب لا تعرف فلان مشؤوم على فلان وانما
هذا من كلام اهل الامصار وانما تقول العرب من لحقه الشؤم مشؤوما قال علقمة بن عبدة
ومن تعرض للغربان يزجرها ❊ على سلامته لا بد مشؤوم ❊ والوجوه الثلاثة الاول اشبه واوضح
ومما يختار لمروان بن ابي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني اوطاه
اربى القلب امسى بالاوانس مولعا ❊ وان كان من عهد الصبا قد تمتعا ❊ يقول فيها ❊ ولما تشكى
الهم القريب قريبه ❊ قرى همه ازال الشك عنه وازمعا ❊ عزمت فعجلت الرحيل ولم اكن كذي
لوثة لا يطلع الهم مطلعا ❊ فامت ركابي ارض معن ولم تزل ❊ الى ارض معن حيث ما كان نزعا
عجائب لولا انها سخرت لنا ❊ ابت عزة من جهلها ان تورعا ❊ كسونا رحال الميس منها غواربا
تدارك فيها التي صيفا ومربعا ❊ فما بلغت صنعا حتى تواضعت ❊ ذراها وزال الجهل

منها

منها وافلعا ❊ يقول فيها ❊ وما الغيث اذ عم البلاد بصوبه ❊ على الناس من معروف معن باوسعا
تدارك معن قبة الدين بعد ما ❊ خشينا على اوتادها ان تنزعا ❊ اقام على الثغر المخوف وهاشم
❊ تساقي سماما بالاسنة منقعا ❊ مقام امرئ يابى سوى الخطة التي ❊ تكون لدى
غب الاحاديث انفعا ❊ وما احجم الاعداء عنك بقية ❊ عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
راوا مخدرا قد جربوه وعاينوا ❊ لدى غيله منهم مجرا ومصرعا ❊ وليس بثانيه اذا اشتد ان
يرى ❊ لدى يخرم زرق الاسنة شرعا ❊ له راحتان الحتف والغيث فيهما ❊ ابى الله الا
ان تضر وتنفعا ❊ لقد دوخ الاعداء معن فاصبحوا ❊ وامنعهم لا يدفع الذل مدفعا ❊
نجيب مناجيب وسيد سادة ❊ ذرى المجد من فرعي نزار تفرعا ❊ اقامت خصال
الخير فيه واكملت ❊ وما كملت خمسا سنوه واربعا ❊ لقد اصبحت في كل شرق ومغرب
بسيفك اعناق المريبين خضعا ❊ وطئت خدود الحضرميين وطاة ❊ لها هدة كنا
عزهم فتضعضعا ❊ فاقعوا على الاذناب اقعاء معشر ❊ يرون لزوم السلم ابقى واورعا
فلو مدت الايدي الى الحرب كلها ❊ لكفوا وما مدوا الى الحرب اصبعا ❊ واما قوله
فما بلغت صنعاء حتى تواضعت ❊ ذراها فزال الجهل عنها فاقلعا ❊ فقد ردده في موضع
اخر فقال ❊ فما بلغت حتى حماها كلالها ❊ اذا عريت اصلابها ان تقيدا ❊ وهذا المعنى كثير
في الشعر القديم والمحدث فمنه قول جرير ❊ اذا بلغوا المنازل لم تقيد ❊ وفي طول الكلام
لها قيود ❊ ويروى انه قيل للنصيب لك بيت قد نازعك فيه جرير ايكما فيه اشعر فقال
ما هو فقيل قولك ❊ اضر بها التهجير حتى كانها ❊ بقايا سلال العريد عنها سلالها ❊ وانشد
بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفي فقيل له قد فضله عليك فقال هو ذاك
واخذ هذا المعنى بعينه المؤمل بن اميل المحاربي فقال ❊ كانت تقيد حين تنزل مرة
فاليوم صار لها الكلال قيودا ❊ ولابي نخيلة ❊ قيدها الجهل ولم تقيد ❊ فهي سواء كالقنى
المسند ❊ وما لها معلل من مزود ❊ منها ولا من شاحط مستبعد ❊ ومعنى قوله سواء اي فعمه
روسها وشبهها بالقنى لان القنى اذا ركزها قليلا مع الريح فيقول في اعناقها ميل من الضعف

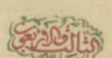
كما قال الشماخ * فاضحت تغالي بالستار كأنها * رماح نحاها وجهة الريح راكز * وكما قال حميد بن ثور الهلالي * بمثوى حرام والمطي كأنه * قنا مسند هبت لهن حريق * فالحريق ريح شديدة تخترق من كل جهة ومعنى قوله لن تخيله من مزود اي من ثميلة تجترها من الاجترار وان انه لا شيء في اجوافها فتعلل به والمستبعد ما بعد من المرعى وانشد ابو العباس ثعلب * اذا بلغوا المنازل لم تقيد * ركائبهم ولم تشدد بعقل * فمن مقيدات مطلقات * تقضم ما تقدم في المحل * والاصل في هذا قول امرئ القيس * مطوت بهم حتى تكل مطيهم * وحتى الجياد ما يقدن بارسان * ولعباد بن انف الكلب الصيداوي * فقضى لا اقيدها بحبل * بها طول الضراوة والكلال * ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل * بدانا بها من سيف رمل كهيلة * وفيها نشاط من مراح وعجرف * فما بلغت حتى تقارب خطوها * وبادت ذراها والمناسم رعف * وحتى قبلنا الجهل عنها وغودرت * اذا ما انيخت والمدامع ذرف * وحتى مشى الحادي البطيء يسوقها * لها بخص دام وداي مجلف * البخص لحم الخف الذي نطا عليه والداي فقار الظهر والمجلف المقشور * وحتى تغشاها وما في يديها * اذا حل عنها رمة وهي رسف * الرمة الحبل واراد انها ترسف كما يرسف المقيد وان لم يكن قيد هاهنا * اذا ما نزلنا قالت عن ظهورها * حراجيج امثال الاهلة شسف * الحراجيج الطوال من الابل والشسف اليابسة من الجهد والكلال ومعنى قالت لها للغربان لانها اذا عريت ظهورها تقع الغربان عليها لتاكل دبرها فالابل تدفع الغربان بافواهها عن ظهورها وذلك قالها * اذا ما اريناها الازمة اقبلت * الينا بحرات الخدود تصدف * فافنى مراح الداعرية خوضها * بنا الليل اذ نام الدثور الملفف * ومن احسن ما قيل في وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر * وذات مابين قد غيضت جمتها * بحيث تنتهك الارواح بالجزر * ردت عواري غيطان الفلا وتحت * بمثل ايبال الحزم من حايل العشر * قوله ذات مابين يعني سمينا على سمن وقيل بل انها رعت كلا عامين وقوله قد غيضت جمتها يعني انه





اتعبها بالسير حتى ردها هزلى بعد سمن فكانه غيض بذلك ماءها ومعنى بحيث تنتهك الارواح بالجزر يعني الفلاة حيث لا يكون فيها الماء فيقتسم الركب للماء الذي معهم بالجزر الذي يقال له المقلة فيمسك ارماقهم وقوله ردت عواري غيطان الفلا اي ما رعت من كلا هذه الاماكن وسمنت عنه كان كعارية عندها فردته حيث جهدها السير واهزلها والايبال الحزمة من الحطب اليابس واخذ هذا المعنى بعينه ابو تمام فقال * رعته الفيافي بعد ما كان حقبة * رعاها وماء المزن ينهل ساكبه * فكم جزع واد جب ذروة غارب * ومن قبل كانت اتمكته مذانبه * فاما قوله * فما احجم الاعداء عنك بقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا * فماخوذ من قول الاول * فما بقيا علي تركتماني * ولكن خفتما صرد النبال * وقريب منه قول الاخر * لعمرك ما الناس اثنوا عليك * ولا قرضوك ولا عظموا * ولو انهم وجدوا مطعنا * الى ان يعيبوك لما احجموا * وانت بفضلك الجاتهم * الى ان يجلوا وان يعظموا * ومثله * اما لو راى فيك العدو نقيصة * لخب بنصر يقفو العيوب واوضعا * ولكنه لما راك مبرءا * من العيب غطى راسه وتقنعا * ومثله * قد طلب العاذل عيبا فما * اصاب عيبا فانثنى عاذرا * وللبحتري في معنى قول مروان فما احجم الاعداء عنك بقية من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الاسد * غداة لقيت الليث والليث خادر * يحدد نابا للقاء ومخلبا * شهدت لقد انصفته يوم تنبري * له مصلتا عضبا من البيض مقضبا * فلم ار ضرغامين اصدق منكما * عراكا اذا الهيابة النكس كذبا * هزبر مشى يبغي هزبرا واغلب * من القوم يغشى باسل الوجه اغلبا * ادل بشغب ثم هالته صولة * راك لها امضى جنانا واشغبا * فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا * واقدم لما لم يجد عنك مهربا * فلم يغنه ان كر نحوك مقبلا * ولم ينجه ان حاد عنك منكبا * حملت عليه السيف لا عزمك انثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا * وكنت متى تجمع يمينك تهتك * الضريبة او لا تبق للسيف مضربا * ومما في كلام مروان وزاد عليه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج قوله * بنو مطر يوم اللقاء كانهم * اسود لها في غيل خفان اشبل * هم يمنعون الجار حتى كانما * لجارهم بين السماكين منزل * لهاميم في الاسلام سادوا





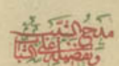
ولم يكن * كاوليهم في الجاهلية اول * هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا * اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا * وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان احسنوا في النائبات واجملوا * ثلاث بامثال الجبال حباهم * واحلامهم منها لدى الوزن اثقل * ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنا * ما من عدو يرى معنا وقلته * الا يظن المنايا تسبق القدرا * يلقى اذا الخيل لم تقدم فوارسها * كالليث يزداد اقداما اذا زجرا * اغر يحتب يوم الروع ذا لبد * وردا ويحتب فوق المنبر القمرا * وله من قصيدة يصف يوما حارا * ويوم عبوس للآل حام كانما * لظى شمسه مشبوب نار تلهب * نصبنا له منا الوجوه وكنها * عصائب تستظل بها تتعصب * ويشبه ان يكون اخذ ذلك من قول الشنفرى * ويوم من الشعرى يذوب لعابه * افاعيه في رمضائه تتململ * نصبت له وجهي ولا كن دونه * ولا ستر الا الاتحمي المرعبل * ولمروان من ابيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر نخلها وشجرها اجاد فيها * نواضر غلبا قد تدانت كانها * من النبت حتى ما يطير غرابها * ترى الباسقات العم فيها كانما * ظعائن مضر وبت عليها قبابها * ترى بابها سهلا لكل مدفع * اذا انبعث نخل فاغلق بابها * يكون لنا ما نجتني من ثمارها * ربيعا اذا الآفاق قل سحابها * حظائر لم يخلط باثمانها الربا * ولم يك من اخذ الديات اكتسابها * ولكن عطاء الله من كل مرحم * جزيل من المستخلفين ثوابها * ركضنا بالخيل في كل غارة * حلالا بارض المشركين نهابها * حوت غنمها اباؤنا وجدودنا * بعصم العوالي والدماء خضابها * اما قوله حظائر لم يخلط باثمانها الربا * ولم يك من اخذ الديات اكتسابها * فكان ابن المعتز نظر اليه في قوله * لنا ابل ما وفرتها دماؤنا * ولا ذعرتها في الصباح الصوائح * وفي ضد هذا قول ابي تمام * كثرت فيهم المواشي الا * انها من مناكح وديات * ومثل الاول قول حسان يهجو قوما من قريش * وما لكم من طارد وفوارس * ولكن من التزويج يا آل مالك * مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله تعالى ويبقى وجه ربك

ذو الجلال والاكرام وما شابه ذلك من الآي المتضمنة لذكر الوجه الجواب قلنا الوجه في اللغة العربية ينقسم الى اقسام فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان والوجه اول الشيء وصدره ومن ذلك قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره اي اول النهار ومنه قول الربيع بن زياد * من كان مسرورا بمقتل مالك * فليات نسوتنا بوجه نهار * اي غداة كل يوم وقد قال قوم وجه نهار اسم موضع والوجه القصد بالفعل ومن ذلك قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن معناه من قصد بامره وفعله الى الله سبحانه واراده بهما وكذلك قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه الى الله وقال الفرزدق * واسلمت وجهي حين شدت ركائبي * الى آل مروان بناة المكارم * اي جعلت قصدي وارادتي لهم وانشد الفراء * استغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل * اي القصد ومنه قولهم في الصلوة وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي قصدت قصدي بصلوتي وعملي وكذلك قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله والوجه الاحتيال للامر من قولهم كيف الوجه لهذا الامر وما الوجه فيه اي ما الحيلة والوجه المذهب والجهة والناحية قال حمزة بن بيض الحنفي * اي الوجوه انتجعت قلت لهم * لاي وجه الا الى الحكم * متى يقل حاجبا سرادقه * هذا ابن بيض بالباب يبتسم * والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان اوجه من فلان اي اعظم قدرا وجاها ويقال اوجهه السلطان اذا جعل له جاها قال امرؤ القيس * ونادمت قيصر في ملكه * فاوجهني وركبت البريدا * والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشيء نفسه وذاته قال الحمر بن جندل السعدي * ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * فافلت منها وجهه عتد نهد * اراد افلته ونجاه ومنه قولهم انما افعل ذلك لوجهك ويدل ايضا على ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية لان جميع ما اضيف الى الوجوه في ظاهر الآي من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما يضاف الى الجملة فمعنى قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه

اى كل شئ هالك الا اياه وكذلك قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام ومما يدل على ان المراد بوجهه نفسه قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
لما كان المراد بالوجه نفسه ولم يقل ذى الجلال كما قال تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام
لما كان اسمه غيره ويكون في قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وجه اخر قد روى عن بعض المتقدمين
وهو ان يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله ويوجه به نحو القربة اليه جلت عظمته فيقول
لا تشرك بالله ولا تدع الها غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه فهو هالك باطل
وكيف يجوز للمشبهه ان تحمل هذه الاية والتى قبلها على الظاهر اوليس ذلك يوجب انه تعالى يفنى
ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله فاما قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله تعالى الا ابتغاء
وجه ربك الاعلى وقوله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فمحمول ان هذه الافعال مفعولة
له ومقصود بها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فاما قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله فيحتمل
ان يراد به فثم الله لا على معنى الحلول لكن على معنى التدبير والعلم ويحتمل ايضا ان يراد به فثم رضى
الله تعالى وثوابه والقربة اليه ويحتمل ان يراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق
والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله اى ان الجهات
كلها لله تعالى وتحت ملكه وكل هذا واضح بين بحمد الله ومنه اخبرنى ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال حدثنى
محمد بن يحيى الصولى قال انحدرنا مع المكتفى بالله فى اخر سفرة سافرها للصيد من الموضع المعروف
بحبه الى تكريت فى حراقة فكانت تجنح كثيرا فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت
اشدهم فزعا وكان فى الحراقة سواى من الجلساء يحيى بن على بن المنجم ومنوح بن محمود بن مروان
والقسم المعروف بابن حابه فكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظا من الشجاعة
جزيلا فقلت له ان البحترى يقول شعرا يصف فيه مثل حالنا ويمدح احمد بن دينار بن عبد الله
وقد غزا الروم فى مراكب اوله الم تر تغليس الربيع المبكر وما حاك من وشى الرياض المنشر
فقال انشدنى الموضع الذى ذكر هذا فيه منها وكان جيد العلم بالاشعار حافظا للاخبار
فانشدته غدوت على الميمون صبحا وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر اذا زمجر النوتى

فوق علاته رايت خطيبا فى ذوابة منبر يغضون دون الاشتيام عيونهم وقوف السماط
للعظيم المؤمر اذا ما علت فيه الجنوب اعتلا له جناحا عقاب فى السماء مهجر اذا ما انكفى
فى هبوة الماء خلته تلفع فى اثناء برد محبر وحولك ركابون للهول عاقروا كؤوس الردى من
دارعين وحسر تميل المنايا حيث مالت اكفهم اذا اصلتوا حد الحديد المذكر اذا رشقوا
بالنار لم يك رشقهم ليقلع الا عن شواء مقتر صدمت بهم صهب العثانين دونهم
ضراب كايقاد اللظى المتسعر يسوقون اسطولا كان سفينه سحائب صيف من جهام وممطر
كان ضجيج البحر بين رماحهم اذا اختلفت ترجيع عود مجرجر تقارب من زحفيهم فكانما
تؤلف من اعناق وحش منفر فما رمت حتى اجلت الحرب عن طلى مقصصة فيهم وهام مطير
على الحين لا تقع تطوحه الصبا ولا ارض تلفى للصريع المقطر وكنت ابن كسرى تمل آل الروم بعده
مليا بان توهى صفاة ابن قيصر جدعت له الموت الذعاف فعافه وطار على الواح شطب
مسمر مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها عليه ومن يولى الصنيعة يشكر قال فاستجاد
المكتفى قوله على حين لا تقع تطوحه الصبا فقال له يحيى بن على بن يحيى انشدنى ابن الرومى
شعرا اخذ هذا المعنى منه ولم ار تعلم قط من ذى سماحة سوى الغوص والمصعوق غير مغالب
ولم ار اولو ابغيث فيها وصخرة لوافيت منها القعر اول راسب واير اشفاقى من الماء انى
امر به فى الكوز مر المجانب واخشى الردى منه على كل شارب فكيف بامنيه على نفس راكب
فقلت له انما اخذ ابن الرومى بيته الثالث من قول ابى نواس فقال المكتفى وما قال فقلت حدثنى
على بن سراج المصرى قال حدثنى ابو وائل اللحمى قال حدثنى ابرهيم بن الخصيب قال وقف ابو نواس بمصر
على النيل فراى رجلا قد اخذه التمساح فقال اضمرت للنيل هجرانا ومقلية مذ قيل لى انما
التمساح فى النيل فمن راى النيل راى العين من كثب فما ارى النيل الا فى البواقيل قال
الصولى والبواقيل سفن صغار ثم اجرى المكتفى بعد ذلك ذكر الشيب فقال العرب تقول اظلم من شيب
وقد شبت وظلمنى المشيب وشبت يا صولى فقلت جواب عبدك فى هذا جواب معن بن
زائدة للسبب الحجد للمنصور وقد قال له كبرت يا معن فقال فى طاعتك يا امير المؤمنين قال

وانك لتتجلد قال على اعدائك قال وفيك بحمد الله بقية قال لك يا مولاى فنزع المكتفى عمامته
فاذا شيبات فى مقدم راسه فقال قد غمنى طلوع هاتين الشيبتين فقلت له انما يعيش الناس
فى الشيب فاما السواد فلا يصحب الناس خالصا اكثر من اربعين سنة الى الخمسين وقد
يعاش الناس فى البياض الذى لا سواد فيه ثمانون سنة فانشده يحيى بن على بن يحيى فى معنى طول
العمر مع المشيب قول امرئ القيس الا ان بعد العدم للمرء قنوة وبعد المشيب طول عمر
وملبسا وانشدته انا ايضا ابياتا انشد اسحق بن ابرهيم الموصلى لبعض القيسيين لم ينتقص
منى المشيب قلامة الان حين بدا الب واكيس والشيب ان يظهر فان وراءه عمرا يكون
خلاله متنفس قال المرتضى اما قول البحترى فمضى وهو مولى الريح فقد كرر معناه
فى قوله من قصيدة يمدح بها ابا سعد الثغرى اشكل على منويل اطراف القنا فنجا عتيق
عتيقة جرداء فلو انه ابطا لهن هنيهة لصدهن عنه وهن غير ظماء فليشكرن تنقاء القضاء
لوقته فلقد عممت جنوده بفناء واظنه اخذ هذا المعنى من ابى تمام من قوله فى قصيدة
يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الخرمية لولا الظلام وقلة علقوا بها باتت رقابهم بغير
قلال فليشكروا جنح الظلام ودر ودا فهم لغيرهم ودد والظلام موالى ولقد اخطا
الصولى فى تفسير بيت ابى نواس بان البواقيل سفن صغار لان البواقيل جمع بوقول هو
الذى على هيئة الكوز يعمل من الزجاج وغيره وهذا مثل قول ابن الرومى امر به فى الكوز
مر المجانب وانما اراد انى لا امر بماء النيل الا اذا اوردت شربة فى كوز او بوقال وظن
الصولى اسم على الوهم من جهة قوله فما ارى النيل وصرف ذلك الى انه اراد النيل
الحقيقة وانما اراد ماء النيل وما علمنا ان السفن الصغار تسمى بواقيل الا من قول الصولى
هذا ولو كان ما ذكره صحيحا من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت ابى نواس بما
ذكرناه اشبه واليق وادخل فى معنى الشعر وكيف تدخل الشبهة فى ذلك مع قوله فمن راى
النيل راى العين من كثب ومن راى النيل فى السفن الصغار فقد راه من كثب ومن راى
ماءه فى الانية على بعد لا يكون راءيا له من كثب فاما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد



قال فيه الناس فاكثروا فمما تقدم من ذلك قول رؤبة ابن العجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من
القصيدة الا هذين البيتين ايها الشامت المعير بالشيب اقلن بالشباب افتخارا قد
لبست الشباب غضا جديدا فوجدت الشباب ثوبا معارا ولعلى بن جبلة فما طرب
القيان وفى حارب واعقبه قرب الشباب مشيب تجافت عيون البيض عنه ورعه
مددن اليه الوصل وهو حبيب لعمرى لنعم الصاحب الشيب واعظا وان كان عند
للعيون نكوب خليط نهى منتاب حلم وانه على ذاك مكروه الخلاط مريب ولاخر
تنكرت شيبى فقلت لها ليس المشيب بناقص عمرى شبان شيبى والشباب اذا ما كنت
من عمرى على قدر ولاخر ان اكن قد زبت اسود كالفحم واعقبت مثل لون الثغام
فلقد اسعف الكريم واحبى اهله بالندى وابى الظلامه غير ان الشباب كان رداء خانما
فيه كفى غمامه ولاخر ان المشيب رداء الحلم والادب كما الشباب رداء اللهو واللعب
تعجبت ان رات شيبى فقلت لها لا تعجبى من يطل عمر به يشب ولابن الجهم حسرت عنى
القناع ظلوم وتولت ودمعها مسجوم انكرت ما رات براسى فقالت امشيب
ام لؤلؤ منظوم قلت شيب وليس عيبا فانت انه نشيرها المهموم شد ما
انكرت تصرم عهدى لم يدم لى اى حال يدوم ولابى بنان تعجبت دعد من شيبى
فقلت لها لا تعجبى طلوع الشمس فى السدف وزادها عجبا لما رات سملى وما
درت در ان الدر فى الصدف وقد احسن ابو تمام غاية الاحسان فى قوله ابدت
اسى ان راتنى مخلس القصب وال ما كان من عجب الى عجب ست وعشرون تدعونى
فاتبعها الى المشيب ولم تظلم ولم تجب فلا يؤرقك ايماض القتير به فان ذاك ابتسام
الراى والادب وللبحترى عيرتنى بالشيب وهى بدته فى عذارى بالصد والاجتناب
لا تريه عارا فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب وبياض البازى اصدق حسنا ان تأملت
من سواد الغراب وله هاهو الشيب لائما فافيقى واتركيه ان كان غير مفيق فلقد كف من عنا
المعنى وتلافى من اشتياق المشوق عذلتنا فى عشقها ام عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق

وترى لمة الدهر جاء الشيب فريعت من ظلمة في شروق ولعمري لولا الاقاحي لابصرت انيق الرياض
غير انيق وسواد العيون لو لم يكمل ببياض ما كان بالموموق ومزاج الصهباء بالماء املى بصبوح
مستحسن وغبوق اي ليل يبهى بغير نجوم وسماء تندى بغير بروق وشبيه ان يكون
اخذ قوله اي ليل يبهى بغير نجوم من قول الشاعر اشيب ولم اقض الشباب حقوقه ولم يمض من
عهد الشباب قديم رات وضحا في مفرق الراس وشان مبيض به وبهيم تقارب نوع شيبهم
في الشباب لوامع وما حسن ليل ليس فيه نجوم ولمحمود الوراق ما اللذة منظوما باحسن
من شيب مجلل هامة الكهل وكانه فيها النجوم اذا جد المسير بها على مهل لا تبكين
على الشباب ذا بكى الجهول عليه بالجهل واشكر لشيبك حسن صحبته فلقد كساك
جلالة الفضل ولآخر في مدح الشيب لا يرعك المشيب يا بنت عبد الله فالشيب
حلية ووقار انما تحسن الرياض اذا ما ضحكت في خلالها الانوار قال المرتضى
ولي في هذا المعنى من قصيدة جزعت لوخطات المشيب وانما بلغ الشباب مدى الكمال
فنورا والشيب ان فكرت فيه مورد لا بد ان يورده الفتى ان عمرا يبيض بعد سواده
الشعر الذي ان لم يزره الشيب طاراه الثرى وهو عدل بين الشيب والشباب ومدح كل واحد
منهما طريح بن اسمعيل الثقفي فقال والشيب الحكماء من سفه الصبا بدل يكون لذي
الفضيلة مقنع والشيب غاية من تأخر حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع ان الشباب
له لذاذة جدة والشيب منه الى المغيبة انفع لا يبعد الله الشباب ومرحبا بالشيب حين
ادى له المرجع ومثله لآخر وكان الشباب الغض لي فيه لذة فوفرني عنه المشيب وقارا
فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى واهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا مجلس آخر

الرابع والعشرون

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها
وقد نرى من يدعو ولا يجاب الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون المراد بقوله تعالى اجيب
دعوة الداع اذا دعان اي اسمع دعوته ولهذا يقال دعوت من لا يجيب اي دعوت من لا يسمع وقد يكون

يسمع

ايضا يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به اجاب الله من حمده وانشد
الاعرابي دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع ما اقول اراد يجيب ما اقول وثانيها انه
لم يرد بقوله قريب من قرب المسافة بل اراد انني قريب باجابتي ومعونتي ونعمتي او بعلمي بما ياتي
العبد ويذره وما يسر ويجهر تشبيها بقرب المسافة لان من قرب من غيره عرف احواله ولم تخف
عليه ويكون قوله اجيب على هذا تاكيدا للقرب فكانه اراد انني قريب قربا شديدا وانني
بحيث لا تخفى علي احوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله
انا بحيث اسمع كلامك واجيب نداءك وما يجري هذا المجرى وقد روي ان قوما سالوا
الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا له اربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الاية وثالثها
ان يكون معنى هذه الاية انني اجيب دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي
يجب ان يقارن الدعاء وهو ان يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على
كل حال فمن دعا بهذا الشرط فهو مجاب الى دعائه على كل حال لانه قد كان صلاحا فعل ما دعا
به وان لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو ايضا مجاب الى دعائه ورابعها ان يكون
معنى دعاني اي عبدني وتكون الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكانه قال انني اثيب العباد
على دعائهم لي وهذا مما لا اختصاص به وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الاية ان العبد
اذا سال الله تعالى شيئا في اعطائه صلاح فعله به واجابه اليه وان لم يكن في اعطائه اياه في الدنيا
صلاح وخير لم يعطه ذلك في الدنيا واعطاه اياه في الاخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال وسادسها
انه اذا دعاه العبد لم يخل من احد امرين اما ان يجاب دعاؤه واما ان [illegible] لم يعطه ما سال ودعا
نحو اخبار الله تعالى له يقوم مقام الاجابة فكانه مجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لان العبد ربما
سال ربه ما فيه صلاح ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لا الى عوض
لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجابا مع المنع الذي لا يرجع اليه من شيء من الصلاح اللهم الا
ان يقال انه دعاء مشروط بان يكون صلاحا ولا يكون فسادا وهذا مما قد تقدم ومعنى فليستجيبوا لي
اي فليجيبوني وليصدقوا رسلي قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب

مجيب اي لم يجبه قال المرتضى واذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفا من الشعر في تفضيل
الشيب وتقديمه والتعزي عنه والتسلي عن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمه والتالم به
والجزع منه فمن ذلك قول ابي حية النميري تحمل ما الشباب الذي عناء فليت الشيب كان بدار حيل
وقد كان الشباب لنا خليلا فقد قضى مآربه الخليل لعمر ابي الشباب لقد تولى حميدا ما يراد به
بديل اذا الايام مقبلة علينا وظل اراكة الدنيا ظليل وقال الفرزدق ارى الدهر ايام
المشيب امرة علينا وايام الشباب طائبة وفي الشيب لذات وقرة اعين ومن قبله عيش
تعلل جادمه اذا نازل الشيب الشباب فاصلتا بسيفيهما فالشيب لا بد غالبه فيا خير
مهزوم ويا شر هازم اذا الشيب وافى للشباب كتائبه وليس شباب بعد شيب براجع
مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه وما المرء منفوعا بتجريب اعظ اذا لم تعظه نفسه و
تجاربه وانشد ابو الحسن الصولي لعمري لئن حلئت عن منهل الصبا لقد كنت وراد المشارب
العذب ليالي امشي بين بردي لاهيا اميس كغصن البانة الناعم الرطب سلام على عصر
القلائص مع الركب ووصل الغواني والمدامة والشرب سلام امرئ لم تبق منه بقية
سوى نظر العينين او شهوة القلب وللمنصور النمري ما تنقضي حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شبابا
ليس يرتجع بان الشباب وفاتتني بشرته صروف دهر وايام لها خدع ما كنت اوفي شبابي كنه
عزته حتى مضى فاذا الدنيا له تبع ولمحمد بن حازم عهد الشباب لقد ابقيت لي حزنا ما جد
ذكرك الا جدد لي ثكل سقيا ورعيا لايام الشباب وان لم يبق منك له رسم ولا طلل جر الزمان
ذيولا في مفارقه وللزمان على احسانه علل ورب [illegible] مرحلة وبين برديه غصن
ناعم خضل لا تكذبن فما الدنيا باجمعها من الشباب بيوم واحد بدل كفاك بالشيب ذنبا
عند غانية وبالشباب شفيعا ايها الرجل ولابي نواس كان الشباب مطية الجهل و
محسن الضحكات والهزل كان الجميل اذا ارتديت به ومشيت اخطو صيت النعل
البليغ اذا نطقت به واصاخت الاذان للمملي كان المشفع في مآربه والامر حتى اذا
عزمت نفسي عاف ان يدني بالفعل عند الحسان ومدرك النيل والباعثي والناس قد زهدوا

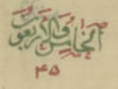
حتى ابيت خليفة البعل فالآن صرت الى مقاربة وحططت عن ظهر الصبي رحلي قال السيد
وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من اعرابية لبشار بن برد الشيب كره وكره ان
يفارقني اعجب بشيء على البغضاء مودود يمضي الشباب ويأتي بعده خلف والشيب يذهب
مفقودا بمفقود وهذا البيت الاخير يروى لمسلم بن الوليد الانصاري ومما احسن فيه مسلم
قوله في هذا المعنى طرفت عيون الغانيات وربما املن الى الطرف كل مميل وما الشيب الا شعر
غير انه قليل قذاء العين غير قليل وله اهلا بوافدة للشيب واحدة وان تراءت بتنغيص غير
مودود لا اجمع الحلم والصهباء قد سكنت نفسي الى الماء عن ماء العناقيد لم ينهني كبر عنها
ولا اهدة لكن صحوت وغصني غير مخضود افادني الحلم وافتاد الهوى طلقا شأوي وعفت الصبا
من غير تفنيد ولقد احسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب كان كحل المآقي ما اطن
صار بالشيب لعينيه قذى ولعينيه رات طالعا للشيب اغفلت مرح ولم تعهد
اكف الخواضب قالت اشيب ما ارى قلت شامة فقالت لقد شانتك بين الحبائب
ولمحمود الوراق ويروى لمحمد بن ابي حازم اليس عجيبا بان الفتى يصاب ببعض الذي في يديه
فمن بين باك له موجع وبين معز مغذ اليه ويسلبه الشيب شرخ الشباب فليس يعزيه خلق
عليه ولابي دلف العجلي في كل يوم ارى بيضاء طالعة كانما طلعت في سود البصر لئن قصصتك
بالمقراض عن بصري لما قصصتك عن همي وعن فكري وليحيى بن خالد البرمكي
ويروى لغيره الليل يشيب والنهار كلاهما راسي بكثرة ما تدور رحاهما ينتاهبان بنونا
ودماءنا ولحومنا عمدا ونحن نراهما الشيب احدى الميتتين تقدمت اولاهما وتاخرت
اخراهما وقد اتى الفحلان المبرزان ابو تمام وابو عبادة في هذا المعنى بكل غريب عجيب فمن
ذلك قول ابي تمام غدا الهم مختطا بفودي خطة طريق الردى منها الى الموت مهيع هو
الزور يجفى والمعاشر يجتوى وذو الالف يقلى والجديد يرقع له منظر في العين ابيض
ناصع ولكنه في القلب اسود اسفع ونحن نرجيه على الكره والرضا وانف الفتى من وجهه
وهو اجدع وله شعلة في المفارق استودعتني في صميم الفؤاد ثكلا صميما تستثير الهموم

ما اكثر منها صعدا وهي تستثير الهموما * غرة مرة الا انما كنت ايام كنت بهما فرقة
في الحبوة تدعى جلالا * مثل ما سمي اللديغ سليما * حلمتني زعمتم واراني * قبل هذا التحليم
كنت حليما * ولكم لعب الشيب بالمفارق بل جد فابكى تماضر ولعوبا * خضبت خدها
الى لؤلؤ العقد دما ان رات شواتي خضيبا * كل داء يرجى الدواء له الا القطيعين فتية
ومشيبا * يا نسيب الثغام ذنبك ابقى حسناتي عند الحسان ذنوبا * ولئن عبن ما راين لقد
انكرن مستنكرا وعبن معيبا * او تصدعن عن قلى لكفى بالشيب بيني وبينهن حسيبا * لو راى الله
ان في الشيب فضلا * جاورته الابرار في الخلد شيبا * قال المرتضى رضي الله عنه وجدت الآمدي يذكر ان
قوما ادعوا المناقضة على ابي تمام في هذه الابيات بقوله فابكى تماضر ولعوبا وقوله خضبت
خدها الى لؤلؤ العقد البيت وقوله يا نسيب الثغام ذنبك ابقى حسناتي عند الحسان
ذنوبا وقوله ولئن عبن ما راين لقد انكرن مستنكرا فقال كيف يبكين دما على مشيبه
ثم يعبنه قال الآمدي وليس هذا بتناقض لان الشيب انما ابكى تماضر ولعوبا اسفا على
شبابه والحسان اللواتي عبنه غيرهما من المرائين فيكون من شفق عليه من الشيب منهن
واسف على شبابه بكى كما قال الاخطل * لما رات بدل الشباب بكت له * والشيب ارذل هذه
الابدال * ولم تكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح قال المرتضى رضي الله عنه وليس يحتاج
في الاعتذار لابي تمام الى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على كل حال وان كان من
قد بكى شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتي تكون شيبه وعبنه به وما المنكر من ذلك
وكيف يتناقض ان يبكين على شبابه وزوال شبيبته منهن من راين الشيب ذنبا وعيبا منكرا
وفي هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب الا من راه
منكرا معيبا وقال ابو تمام * رلحت غواني الحي عنك غوانيا * يلبسن نايا تارة وصدودا *
من كل سابغة الجمال اذا بدت * تركت عميد القريتين عميدا * اربين بالمرد الغطارف
بدنا * غيدا الفتهم لدانا غيدا * احلى الرجال من النساء مواقعا * من كان اشبههم بهن
خدودا * قوله اربين بالمرد من ارب بالمكان اذا لزمه واقام عليه يقال ارب والب بالمكان

اذا قام به

اذا قام به ولزمه يريد انهن لزمن هوى المرد واقمن عليه وحكى قوم اربين بالمرد من الربا الذي
معناه الزيادة يقال قد اربى الرجل فا اربى اذا ازداد فيقول اربين بالمرد من الربا اي ازددن علينا بهم
وجعلن المرد زيادة اخذنها علينا ويقال انه اخذه من قول الراعي * احلى الرجال من النساء مواقعا البيت
من الاعشى * وارى الغواني لا يواصلن امرا * فقد الشباب وقد يصلن الامردا * وللمنصور النمري
مثله * كرهن من الشيب الذي لو رأينه * بهن رايت الطرف عنهن ازورا * ونحو قول الدهر
اتى شيب الرجال من الغواني * كموقع شيبهن من الرجال * وقال ابو تمام * شابت اسى وما
رايت مشيب الراس الا من فضل شيب الفؤاد * وكذاك القلوب في كل بؤس ونعيم طلايع
الاجساد * طال انكاري البياض وان عمرت شيئا انكرت لون السواد * زارني شخصه بطلعة
ضيم * عمرت مجلسي من العواد * نال راسي من ثغرة الهم ما لم ينله من ثغرة الميلاد * قال معنى
هذا البيت الاخير ان الثغرة هي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي كل بلد يجاور العدو
ثغرا كان معناه انه مكشوف للعدو ويجوز ان يكون اصله من ثغر الانسان لانه اول ما
يقابلك من اسنانه واول ما يظهر عند الكلام واول ما يسقط فيرى مثلوما فقيل الثغر الذي
هو البلد به ويقال اثغر الصبي واثغر ويسمى تلك الفرجة في موضع السن ثغرة وفي كل موضع
منفرج ومنه ثغرة النحر واراد بقوله نال راسي من ثغرة الهم اي وجد الشيب للهم فرجة دخل
على راسي منها لان الهم يشيب لا محالة وقوله لما لم ينله من ثغرة الميلاد واراد بثغرة الميلاد
الوقت الذي يهجم عليه فيه المشيب من عمره لانه يجد السبيل في ذلك الوقت الى الحلول
براسه فجعله ثغرة من هذا الوجه فاراد ان الشيب حل براسه من جهة همومه واحزانه
لما لم يبلغ السن التي توجب حلوله براسه من حيث كبره قال الشريف المرتضى رضي الله عنه رايت
الآمدي يطعن على قوله عمرت مجلسي من العواد ويقول لا حقيقة لذلك ولا معنى
لانا ما راينا ولا سمعنا احدا جاءه عواد يعودونه من المشيب ولا ان احدا عزى
بالشيب ولا عزاه المعزون عن الشباب وهذا من الآمدي قلة نقد الشعر وضعف
بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ولم يرد ابو تمام بقوله عمرت

مجلسي من العواد العيادة الحقيقية التي تعتمدها العواد مجالس المرضى وذوي الاوجاع
وانما هذا استعارة وتشبيه واشارة الى الغرض خفية فكانه اراد ان تحضر الشيب لمنزلي
كثر المتوجعون لي والمتاسفون على شبابي والمتوحشون من مفارقته فكانهم في مجلسي عواد
لي لان من شان العايد للمريض ان يتوجع ويتفجع وكنى بقوله عمرت مجلسي من العواد من كثرة
من تفجع له وتوجع من مشيبه وهذا من ابي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب الا
من عابه وطعن عليه ونحن نذكر في المجلس الاتي ان شاء الله تعالى ما للبحتري في هذا المعنى ان شاء الله تعالى



مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى هو الذي انزل لكم من السماء ماء
لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون فقال اذا كان الشجر ليس بعض الماء كما كان الشراب
بعضه فكيف جاز ان يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معنى تسيمون وهل الفائدة
في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله والخيل المسومة والانعام وقوله وامطرنا عليها حجارة
من سجيل منضود مسومة عند ربك **الجواب** قلنا في قوله تعالى ومنه شجر وجهان احدهما ان
يكون المراد منه سقي شجر وشرب شجر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وذلك كثير
في لغة العرب ومثله قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والوجه الاخر ان يكون
المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وانباته شجر فحذف الاول وخلفه الثاني كما قال
عوف بن الخرع * امن آل ليلى عرفت الديارا * بجنب الشقيق خلاء قفارا * اراد من ناحية
آل ليلى وقال زهير * امن ام اوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم * اراد من ناحية
ام اوفى وقال ابو ذويب * امنك برق ارقبه فهاجا * فبت اخاله دهما خلاجا * وقال ايضا
امنك برق ابيت الليل ارقبه * كانه في عراض الشام مصباح * وقال الجعدي * لمن الديار عفون
بالنطاف تقفن على حجج خلون طوال * اراد تقفن على حجج وتكرار حجج فاما قوله تعالى فيه
تسيمون فمعناه ترعون وترسلون انعامكم يقال اسام الابل يسيمها اسامة اذا رعاها وخلاها
ترعى متصرفة حيث شاءت وسومها ايضا يسومها من ذلك وسامت هي اذا رعت فهي سايمة
وهي ابل سائمة ويقال سمتها اذا اقصرتها على مرعى بعينها وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى

ومنه قيل

ومنه قيل لمن اذل واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم قال الكميت بن زيد
في الاسامة التي هي الاطلاق في الرعي * راعيا كان مسجحا ففقدناه * وفقد المسيم هلك السوام *
وقال الخزر * واسكن ما سكنت ببطن واد * واظعن ما ظعنت فلا اسيم * وذهب قوم
الى ان السوم في البيع من هذا لان كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة
ثمن او نقصانه الى ما يهواه كما تذهب سوائم الابل والمواشي حيث شاءت وقد جاء في
الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع
الشمس فحمله قوم لئلا تنتشر وتفوت الراعي وتخفى عليه مقاصدها وحمله اخرون على ان
السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لان السلعة المبيعة تشترى بعيوبها او بعضها فقد
(خل) ذلك في بيوع الغرر المنهي عنها فاما الخيل المسومة فقد قيل انها المعلمة بعلامات ماخوذ
من السيما مقصورا وهي العلامة وروي عن الحسن البصري في قوله تعالى والخيل المسومة قال سوم
نواصيها واذنابها بالصوف وقيل ايضا ان المسومة هي الحسان وروي عن مجاهد في قوله تعالى
والخيل المسومة قال سوم نواصيها واذنابها بالصوف وعن عكرمة هي المطهمة الحسان وقال اخرون
بل هي الراعية روي ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى اصل واحد وهو معنى العلامة
لان تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتتميز مكانها وقد قيل ان السوم
من الرعي يرجع الى هذا المعنى ايضا لان الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات او كالعلامات
بما يزيله من نباتها ويمحوه من اثارها وكان الاصل في الكل متفق غير مختلف وقال
لبيد في التسويم الذي هو التعليم * وغداة قاع القريتين اتينهم * رهوا تلوح خلالها
التسويم * اراد التعليم فاما قوله تعالى في الملائكة مسومين فالمراد به معلمين وكذلك قوله تعالى
من سجيل منضود مسومة اي معلمة وقيل انه كان عليها كامثال الخواتيم قال المرتضى رضي الله عنه
ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكر ما للبحتري في ذم الشيب والتالم من ظعن الشباب فمن ذلك
قوله * وكنت ارجي في الشباب شفاعة * فكيف لباغي حاجة بشفيعه * مشيب كبث السر عي بحمله
محدثه او ضاق صدر مذيعه * تلاحق حتى كاد ياتي بطيئه * لحث الليالي قبل اتي سريعه *

وما احسن هذا من كلام وابلغه واطبعه وقال ايضا ردي على القضبان كنت فاطلة ان الصبا
ليس من شاني ولا اربي جاورت حد الشباب المنضر ملتفتا الى بنات الصبي ركضن في طلبي
والشيب مهرب من جاري منيته ولا نجاة له من ذلك الهرب والمرء لو كانت الشعرى له وطنا
صبت عليه صروف الدهر من كثب وقال البحتري ايضا لا الشيب من شيبه ام ناهض ومليح من
شيبه لم يرض واذا ما امتعضت من ولع الشيب براسي لم يزدني ذاك امتعاضي ليس
يرضى عن الزمان مرق فيه الا عن غفلة او تغاض والبواقي من الليالي وان خا لفن شيئا
مشبهات للمواضي ناكرت لمتي وناكرت منها سوء هذا الابدال والاعراض شعرات
اقصهن ويرجعن رجوع السهام في الاغراض وابت تركي الغديات والاصال حتى خضبت
بالمقراض غير نفع الا التعلل من شخص عدو لم يعده ابعاضي ورواء المشيب كالبحص في
عيني فقل فيه في العيون المراض طيب نفسا عن الشباب وما سود من صبغ برده
الفضفاض فهل الحادثات يا ابن عوينف تاركاتي ولبس هذا البياض وقال ايضا
تعيب الغانيات علي شيبي ومن لي ان امتع بالمعيب ووجدي بالشباب وان
تولى حميدا دون وجدي بالمشيب وقال ايضا ارابته من بعد جثل فاحم جون القذال
بالنهار خضيبا فعجبت من حالين خالف منهما صرف الزمان وما رايت عجيبا
ان الزمان اذا تتابع خطوه سبق الطلوب وادرك المطلوبا وقال ايضا رات
فلتات الشيب فابتسمت لها وقالت نجوم لو طلعن باسعد اعائك ما كان الشباب
مقربي اليك فالحى الشيب لو كان مبعدي وقال ايضا عنت كبدي قسوة منك ما
ان تزال تجدد فيها ندوبا وحملت عندك ذنب المشيب حتى كاني ابتدعت
المشيبا ومن يطلع شرف الاربعين يحيي من الشيب شخصا غريبا وقال ايضا
خليليه وجدة اللهو ما دام رداء الشباب غضا جديدا ان ايامه من البيض بيض
ما راين المفارق السود سودا وقال ايضا ترك السواد للابسيه وبيضا ونضا من
الستين عنه ما نضا وشاه اغيد في تصرف لحظه مرض اعل به القلوب وامرضا

فكانه وجد الصبي وجديده دبناد في مبقاته ان يقتضي اسيان اثرى من جوى
وصبابة واساف من وصل الحسان وانقضا وقال ايضا هل انت صارف شيبة ان
غلست في الوقت او عجلت عن الميعاد جاءت مقدمة امام طوالع هن نزر او حتى وملك
تعادي ولحو الغبينة تاجر في لمة بشرى جديد بياضها بسواد لا تكذبن فما الصبي بمخلف
لهوا ولا زمن الصبي بمعاد وارى الشباب على غضارة حسنه وجماله عددا من الاعداد
وقال ايضا ابكي الشباب ام ما تولى منه في الدهر دولة ما تعود لا ارى العيش والمفارق
بيض اسوة العيش والمفارق سود واعد الشفي جدا ولو اعطي غنما حتى يقال سعيد
من عدته العيون وانصرفت عنه التفاتا الى سواه الخدود وقال ايضا فذلك مني فما جوى
السقم الا في ضلوعي على جوى الحب تحنا لورات حادث الخضاب لانت وارتث
من احمرار البرتا كالف البيض المعهرقة احين يكلفن والمصغر سنا يتشاغفن بالغرير
المستحي من نضاب دون الحليل الكثي وقال ايضا اخي ان الصبا استمر به سير
الليالي فالهجت بردة تصد عني الحسان مبعدة اذا انا لا اقربه ولا اصدده شيب على
المفرقين بارضه يكثرني ان ابيه عدده نطلب مني الشباب ظالمة بعيد حسين حين
لا نجده لا عجب ان ملالب خلتنا فاقتدا الوصل منك مفتقده من يتطاول على مطاول
العيش تقعقع من ملة عمده قال المرتضى رض ورايت الامدي قد اخطا في معنى هذا البيت
الاخير لانه قال المعنى تقعقع من ملة عمده اي عظامه يجي لها صوت اذا قام وقعد من كبره وضعفه
قال وقوله من ملة عمده اي من تملى العيش يريد طوله ودوامه ومنه تمليت حبيبك والا
بخلاف ما توهمه ومعنى تقعقع من ملة عمده يريدون ان التجمع داعي التفرق وان الا
يعقب ويورث ما يدعو الى الانتقال الذي يتقعقع منه العمد قال الشريف المرتضى والامدي
على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب ان كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف
وان كان قد سمعه وجهل ان معنى بيت البحتري يطابقه فهو اطرف وانا تاول لم من ملة فانما اراد
به ملل وملة فعلة من الملل وكيف يكون من تملي العيش ولم يسمع في تمليت ملة وهذا خطاء

على خطا وقال البحتري ما كان شوقي ببدع يوم ذاك ولا دمعي بأول دمع في الهوى سفحا ولمة
كنت مشغوفا بجدتها فما عفا الشيب عنها ولا صفحا وقال ايضا وما اترك الانس عند الشباب
وعلوه اذ عيرتني الكبر كواكب شيب علقن الصبي فقللن من حسنه ما كثر ولقد وجدت
فلا تكذبن سواد الهوى في بياض الشعر ولا بد من ترك احدى اثنتين اما الشباب واما العمر
قال الامدي وعليه في قوله ولا بد من ترك احدى اثنتين معارضة وهو ان يقال ان من مات
شابا فقد فارق الشباب وفارق العمر ايضا فهو تارك لهما معا ومن شاب فقد فارق الشباب وهو
مفارق للعمر لا محالة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله اما لا يوجب الا احدهما قال والعذر للبحتري
ان يقال ان من مات شابا فقد فارق الشباب وحده لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا تراهم
يقولون عمر فلان اذا اسن وفلان لم يعمر اذا مات شابا ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقا
للشباب في حال موته لانه قد قطع ايام الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكون في حال موته
مفارقا للعمر وحده قال وهذا ذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها
الانسان وانما اراد بالعمر ههنا الكبر كما قال زهير رايت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطي يعمر فيهرم قال المرتضى رض وما رايت اشد تهافتا في الخطا منه فيما يفسره
ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو اظهر من ان يخفى حتى
يحتاج فيه الى هذا التغلغل والتعسف وانما اراد البحتري ان الانسان بين حالين اما
ان يفارق الشباب بالشيب او يفارق العمر بالموت فمن مات شابا وان كان قد خرج عن العمر
وخرج بخروجه عن ساير احوال الحيوة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب
وانما فارق العمر الذي فارق بفراقه الشباب وغيره وقسمة الرجل تناول لتاحد الامرين
اما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولا يكون ذلك الا بالشيب او مفارقة العمر بالموت
وتلخيص كلامه انه لا بد للحي من شيب او موت فكان الشيب والموت متعاقبان والبحتري
انما جعل قوله العمر مقام قوله الحيوة او البقاء وانما قال العمر لاجل القافية مع انه منبي عن مراده
ولو قال ولا بد من ترك الشباب وترك الحيوة لقام مقام قوله العمر اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني

قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي تفرد بها
قوله بانه من جعل مصيبته غيره مثله مصيبته وعاب من تعلل بالتاسي بما نال غيره وهو يبكي
شبابه ولحسن باشبابي وابن مني شبابي اذ تنني ايامه بانقضاب لهف نفسي على نعيمي
ولهوي تحت افنانه اللدان الرطاب ومعزمن الشباب موس بمشيب اللدات والاصحاب
قلت لما انحى يعدد اساه من مصاب شبابه كمصابي ليس تاسو كلوم غيري كلومي
ما به ما به وما بي ما بي وقال ابن الرومي يلهفي على الدنيا وهل لهفة تشفي منها ان تلهفتها
فيا لها قبحا على انها اقبح شي حين كشفتها وقد يعز بني شباب مضى ومدة للعيش استلفتها
فكرت في خمسين عاما مضت كانت امامي ثم خلفتها لجهلتها اذ هي موفورة
ثم مضت عني فعرفتها فرحة الموهوب اعدمتها وترحة المسلوب اتحفتها لو ان عمري
مائة هدني تذكري اني تنصفتها وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الابيات
في الامالي السالفة وقد احسن في معناها كل الاحسان كفى بسراج الشيب في الراس هاديا
الى من اضلته المنايا لياليا امن بعد ابداء المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني
ناجيا غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي اخلق ان يصبن سواديا وكان
كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا مجلس اخر تاويل اية



ان سال سائل عن قوله تعالى ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
فقال كيف جاءت او بعدها لا يجوز ان يعطف عليه وما الناصب لقوله تعالى او يتوب عليهم
وليس في ظاهر الكلام ما يقتضي نصبه الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه اولها ان يكون
قوله او يتوب معطوفا على قوله تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا والمعنى انه تعالى عجل لكم هذا النصر
ومكنكم به ليقطع طرفا من الذين كفروا اي قطعة منهم وطائفة من جميعهم او يكبتهم اي يغلبهم
ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم ويكذب فيكم ظنونهم او يعظكم بغلبهم ما يرون من تظاهر ايات الله التي
لنصر نبيه فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله ذلك منهم ويتوب عليهم او يكفروا بعد قيام
الحجج وتاكد البينات والدلائل فيموتوا او يقتلوا كافرين فيعذبهم الله باستحقاقهم النار

ويكون على هذا الجواب قوله ليس لك من الامر شيء معطوفا على قوله ثم وما النصر الا من
عند الله العزيز الحكيم اي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء وانما هو من عند الله تعالى
والجواب الثاني ان يكون او بمعنى حتى والا ان والتقدير ليس لك من الامر شيء حتى يتوب عليهم
والا ان يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس بكى صاحبي لما راى الدرب دونه وايقن انا لاحقان
بقيصرا فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا اراد الا ان نموت
فنعذرا وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لان لقائل ان يقول ان امر الخلق ليس
الى احد سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح ان يقول ليس لك من
الامر شيء الا ان يتوب عليهم او يعذبهم حتى كانه اذا كان احد الامرين كان اليه من الامر شيء
ويمكن ان ينصر ذلك بان يقال قد يصح الكلام اذا حمل على المعنى وذلك ان قوله ليس لك من
الامر شيء معناه ليس يقع ما تريده وتوثره من ايمانهم وتوبتهم او ما تريده من استيصالهم و
عذابهم على اختلاف الرواية بمعنى الاية وسبب نزولها الا بان يلطف الله تعالى في التوبة فيتوب
عليهم او يعذبهم وتقدير الكلام ليس يكون ما تريده من توبتهم او عذابهم بك وانما يكون ذلك
بالله والجواب الثالث ان يكون المعنى ليس لك من الامر شيء او من ان يتوب عليهم فاضمر من اكتفا
بالاولى واضمر ان بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها وهي مع الفعل الذي بعدها
بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الامر شيء ومن توبتهم وعذابهم قال الشريف المرتضى رضي الله عنه
ووجدت ابا بكر محمد بن القسم الانباري يطعن على هذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل
لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له على اضمار ان مع الفعل لانه ليس من
كلام العرب عجبت من اخيك ويقوم على معنى عجبت من اخيك ومن ان يقوم لان اخاك
اسم جامد محض لا يعطف عليه الا ما شاكله قال وهذا انما يستقيم ويصلح في رد الفعل
على المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك على معنى كرهت غضبك وان يغضب
ابوك فيطرد هذا في المصادر لانها تتاول بان فيقول القائل يعجبني قيامك وتاويله يعجبني
ان تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن هذا فيه وليس الذي ذكره ابن الانباري مستبعدا وان لم

يضعف هذا الجواب الا من حيث ذكر وليس بضعيف وذلك ان فيما امتنع منه مثل الذي اجاز
لانه قد اجاز ذلك في المصادر وان لم يجزه في غيرها وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء مصدر لا الفعل
لان الامر مصدر امرت امرا فكانه تعالى قال ليس لك من ان تامرهم او تامرهم شيء ولا من ان يتوب
وجرى ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك في رد الفعل على المصدر والوجه الاول
اقوى الوجوه والله اعلم بمراده تاويل خبر ان سال سائل عن معنى الحديث الذي يرويه ابو
هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه الجواب
قيل له اما النجش فهو المدح والاطراء قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر وترخي بال من يشربها
ويفدى كريمها عند النجش اي عند مدحها ومنه النجش في البيع وهو مدح السلعة و
الزيادة في ثمنها من غير ارادة لشرائها بل ليقتدي بالزايد في الزيادة غيره واصل النجش
استخراج الشي والتنقير عنه قال بعض الفقعسيين اجرش لها يا ابن ابي كباش فما لها
الليلة من انفاش غير السرى وسائق نجاش اسمر مثل الحية الخشخاش فالنجاش
هو المستثير لسيرها المستخرج لما عندها ومعنى اجرش لها اي احد لها ليسمع الحدا
فتسير وهو ماخوذ من الجرس وهو الصوت ومعنى الانفاش انها لا تترك ترعى ليلا
والنفش ان ترعى الابل ليلا وقد انفشها اذا ارسلها بالليل ترعى والخشخاش الخفيف
الحركة السريع التقلب والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا ايضا لان الناجش يستثير
بزيادته في الثمن ومدحه للسلعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا
اي لا يمدح احدكم السلعة فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيد وقد
يجوز ايضا ان يريد بذلك لا يمدح احدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته
ويستثير فايدته وهذا المعنى اشبه بان يكون مراده لان قوله ولا تدابروا اشد ملايمة
له ومعنى لا تدابروا اي لا تهاجروا ويولي كل واحد منكم صاحبه دبره ووجهه قال الشاعر
واوصى ابو قيس بان تتواصلوا واوصى ابوكم ويحكم ان تدابروا فكانه قال لا تتمادحوا
وتتواصلوا بالمدح الذي ليس بمستحق ولا تهاجروا وتتقاطعوا فاما قوله كل المسلم على



المسلم حرام دمه وعرضه فقد ذهب قوم الى ان عرض الرجل انما هو سلفه من آبائه وامهاته
ومن جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى ان عرض الرجل نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه حين
ذكر اهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق يجري من اعراضهم مثل
المسك اي من ابدانهم قال ومنه قول ابي الدرداء اقرض من عرضك ليوم فقرك اراد
من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ودع ذلك قرضا لك عليه ليوم
الجزاء والقصاص واحتج ايضا بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ايعجز احدكم ان يكون
كابي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك
قال فمعناه قد تصدقت بنفسي وحللت من يغتابني فلو كان العرض الاسلاف لما جاز
ان يحلل من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه قال ويدل على ذلك ايضا حديث سفين بن
عيينة لو ان رجلا اصاب من عرض رجل شيئا ثم تورع بعد ذلك فجاء الى ورثته بعد
موته فاحلوه لم يكن ذلك كفارة له ولو اصاب من ماله شيئا ثم دفعه الى ورثته لكان يرى
ان ذلك كفارة له قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان هجوت محمدا فاجبت
عنه وعند الله في ذاك الجزاء فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء اراد
ان ابي وجدي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال آخرون وهو الصحيح
العرض موضع المدح او الذم من الانسان فاذا قيل ذكر عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع به
او ما يسقط بذكره ويمدح او يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه و
اسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا ان اهل اللغة لا يفرقون
في قولهم شتم فلان عرض فلان بين ان يكون ذكره في نفسه بقبيح الافعال او شتم سلفه
وآباءه ويدل عليه قول مسكين الدارمي رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم
مهزول الحسب فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضا لان السمن والهزال
يرجعان الى شيء واحد وانما اراد رب مهزول كريمة افعاله او كريم آباؤه واسلافه وقال
ابن عبدل واني لاستغني فما ابطر الغنى وابذل ميسوري لمن يبتغي قرضي واعسر

احيانا فتشتد عسرتي وادرك ميسور الغنى ومعي عرضي ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا بكر الانباري قد رد على ابن قتيبة قوله هذا وطعن
على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه ع في وصف اهل الجنة ان المراد بالاعراض مغابن
الجسد وحكي عن الاموي انه قال الاعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الابطين وما جرى مجراهما
وقال في حديث ابي الدرداء معناه من عابك وذكر اسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى
هو المثيب لك وقال في قول ابي ضمضم معناه انه احل من اوصل اليه اذى بذكره وذكر آبائه
فلم يحل الا من امره اليه وقال في قول حسان المراد بعرضه ايضا اسلافه فكانه قال وان ابي ووالده
وجميع اسلافي الذين امدح واذم من جهتهم وقاء لكم فاتى بالعموم بعد الخصوص كما قال تعالى
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم فاتى بالعموم بعد الخصوص ولم اجده ذكر
في خبر سفيان بن عيينة شيئا وتاويله يقرب من تاويل خبر ابي ضمضم لان من اذى رجلا
بسبه في نفسه او سب سلفه وادخل عليه بذلك وضعا ونقصا لم يكن الى ورثته بعد موته
الاحلال من ذلك لان الاذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلا عليهم ايضا مع دخوله على
المسبوب لكان احلالهم مما يرجع الى غيرهم لا يصح على ان في الاحلال من القذف وسقوط
العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه ام لا كلاما ليس هذا موضعه وقد ذكرناه
في مواضع وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرها النفس
دون السلف او سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه اقرب الى ان يكون المراد به ما
ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه
موضع الذم والمدح من الانسان ولا فرق فيه بين نفسه وسلفه فكيف يكون الاحتجاج
بما المراد بالعرض فيه النفس طعنا علينا وانما ينفع ابن قتيبة ان ياتي بما يدل على ان العرض
مما لا يستعمل الا في النفس دون السلف وكل شيء ورد مما المراد بالعرض فيه النفس او المراد
السلف فهو تاكيد لقولنا في ان هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم او المدح من الانسان
وانما يكون مما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة

علي بن قتيبة لانه قصر معناها على النفس والذات دون التلف وهذا واضح بين بحمد الله
اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسين بن دريد قال اخبرنا
ابو حاتم قال كان ابو عبيدة معمر بن المثنى صفريا وكان يكتم ذلك فانشدني لعمران بن حطان
انكرت بعدك من قد كنت اعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس اما تكن ذقت كاسا
دارا اولها على القرون فذاقوا نهلة الكاس قد كنت ابكيك حينا ثم قد يئست نفسي فما
ترقا عني عبرتي باسي واخبرنا ابو عبيد الله قال اخبرنا ابن دريد قال حدثنا الاشنانداني
قال قال التوزي كنت اذا اردت ان انشط ابا عبيدة سالته عن اخبار الخوارج فيتبجح
منه ببحر تجيشه يوما وهو مطرق ينكت الارض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس
فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فتمثلت وما للمرء خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع
والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر الي وقال ويحك الذي من يقوله قلت قطري فقال
اسكت فض الله فاك الا قلت امير المؤمنين ابو نعامة ثم انتبه فقال اكتبها علي يا توزي
فقلت هي ابيات الارض فانشدني اقول لها وقد جاشت حياء من الابطال ويحك لا تراعي
فانك لو طلبت حياة يوم على الاجل الذي لك لم تطاعي فصبرا في مجال الموت صبرا
فما نيل الخلود بمستطاع وما طول الحياة بثوب مجد فيطوى عن اخي الخنع اليراع
سبيل الموت منهج كل حي وداعيه لاهل الارض داعي ومن لا يعتبط يسام ويهرم و
تفض به المنون الى انقطاع وما للمرء خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع فكتبتها ثم
انصرفت فقال اقعد ثم انشدني الى كم تغار بني السيوف ولا ارى بقاء على حال لمالكين باقيا
ولو قرب الموت القراع لقد ارى لموتي ان يدنو لطول قراعيا اغادي جلاد المعلمين كانني على
العسل الماذي اصبح غاديا وادعو الكماة للنزال اذا القنا تحطم فيما بيننا من طعانيا
ارى نفسا تموت وان دنت من الموت حتى يبعث الله داعيا قال ابن دريد وهذا الشعر
لقطري بن الفجاءة اخبرني ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا
ابو حاتم قال جئت ابا عبيدة يوما ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حمل شعر فقير ليقراه على

فقير

فقير فقلت له ما معي غيره فانشدني انت ما شئت فانشدني يا رب ظل عقاب قد وقيت بها
مهري من الشمس والابطال تجتلد ورب يوم حمى ارعيت عقوته خيلي اقتسارا واطراف
القنا قصد ويوم لهو لاهل الخفض ظل به لهوي اصطلاء الوغى اذ ناره تقد مستمرا فيه
والحرب كاشفة عنها القناع وبحر الموت يطرد ورب هاجرة تغلي مراجلها مخرتها بمطايا
غارة تخد تجتاب اودية الافراع امنة كانها اسد تقتادها اسد فان امت حتف
انفي لا امت كمدا على الطعان وقصر العاجز الكمد ولم اقل لم اساق الفتل شاربة في
كاسه والمنايا شرع ورد ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به انفسكم من اشعار المخانيث
والشعر لقطري بن الفجاءة واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا
ابو حاتم قال كان ابو عبيدة يانس الي في اول ما اختلفت اليه ويسالني عن خوارج سجستان
لانه كان يظنني على رايهم وكنت اوهمه انني منهم على رايهم فالتمس منه لذلك عناية خاصة
وكان كثيرا ما ينشدني اشعارهم ثم يقول اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنى وان عاهدوا
اوفوا وان عقدوا شدوا قال وانشدني يوما لرجل من طي من الخوارج الا كابن ملجان
من شار اخي ثقة وكابن علقمة المستشهد الشاري من صادق كنت اصفيه مخالصتي
فباع داري باعلى صفقة الداري اخوان صدق ارجيهم واحذرهم اشكو الى الله اخلاني
واحذاري فصرت صاحب دنيا لست املكها وصار صاحب جنات وانهار

مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فقال اما اليد
التي اضافها اليهود الى الله وادعوا انها مغلولة وما نرى عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان
لربه يدا مغلولة واليهود تتبرا من ان يكون فيها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم
بغل ايديهم وهو ممن لا يصح ان يدعو على غيره لانه قادر على ان يفعل ما يشاء وانما
يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طالبا له الجواب قلنا يحتمل ان يكون قوم من اليهود وصفوا
الله بما يقتضي تناهي مقدوره فجرى في التجري ان يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس

جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة عن كذا ويده لا تنبسط
الى كذا اذا ارادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد لذلك قوله تعالى في موضع اخر لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ثم قال تعالى مكذبا لهم بل يداه مبسوطتان اي انه
ممن لا يعجزه شيء وثنى اليدين تاكيدا للامر وتفخيما له ولانه ابلغ في المعنى المقصود من ان
يقول بل يده مبسوطة وقد قيل ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطئوا فضله ورزقه
وقيل انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان اله محمد الذي ارسله يداه الى عنقه اذ ليس يوسع
عليه ولا على اصحابه فرد الله تعالى قولهم واكذبهم بقوله بل يداه مبسوطتان واليد ههنا
النعمة والفضل وذلك معروف في اللغة متظاهر في كلام العرب واشعارهم ويشهد له
من الكتاب قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا معنى لذلك
الا الامر بترك امساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الاسراف الى القصد والتوسط
ويمكن ان يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث اريد بها نعم الدنيا ونعم الاخرة لان الكل
وان كانت نعما لله فمن حيث اختص كل واحد من الامرين بصفة تخالف صفة الاخر صار
كانهما جنسان او قبيلان ويمكن ايضا ان يكون تثنية النعمة لانه اريد بها النعم الظاهرة
والباطنة فاما قوله تعالى غلت ايديهم ففيه وجوه احدها ان يكون ذلك على غير سبيل الدعاء بل على جهة
الاخبار منه جل وعز عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير قد قبل قوله غلت وموضع غلت نصب
على الحال كانه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله ايديهم ولعنهم وحكم بذلك فيهم
ويسوغ اضمار قد ههنا كما ساغ في قوله عز وجل ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وان كان
قميصه قد من دبر فكذبت والمعنى فقد صدقت وقد كذبت وثانيها ان يكون معنى الكلام وقالت
اليهود يد الله مغلولة فغلت ايديهم او وغلت ايديهم واضمر الفاء او الواو لان كلامهم تم واستؤنف
بعده كلام اخر ومن عادة العرب ان تحذف فيما جرى مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى واذ قال
موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اراد فقالوا اتتخذنا هزوا
فاضمر الفاء لتمام كلام موسى عم ومنه قول الشاعر لما رايت نبطا انصارا شمرت عن

ركبتي

ركبتي الازارا كنت لها من النصارى جارا اراد وكنت فاضمر الواو وثالثها ان يكون
القول خرج مخرج الدعاء الا ان معناه التعليم من الله تعالى لنا والتاديب فكانه جلت عظمته
وقفنا على الدعاء عليهم وعلمنا ما ينبغي ان نقوله فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع
بقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وكل ذلك جلي واضح بحمد الله تعالى **تاويل خبر**
ان سال سائل عن الخبر الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع
يده ويسرق الحبل فتقطع يده الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس
فالخوارج تتعلق به وتدعي ان القطع يجب في الكثير والقليل وتستشهد على ذلك بظاهر
قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ويتعلق بهذا الخبر ايضا الملحدون والشكاك
ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة انه لا قطع الا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه
فاول ما نقوله ان الخبر مطعون على سنده عند اصحاب الحديث وقد حكى ابن قتيبة
في تاويله وجها عن يحيى بن اكثم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجها اخر ونحن نذكرهما
وما فيهما ونتبعهما بما نختاره قال ابن قتيبة كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن اكثم بمكة
فرايته يذهب الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الراس في الحرب
وان الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال فرايته يعجب بهذا
التاويل ويبدي فيه ويعيد ويرى انه قطع به حجة الخصم قال ابن قتيبة وهذا انما يجوز
على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما ياخذه السارق فيصرفه
الى بيضة تساوي دنانير وحبل لا يقدر على حمله السارق ولا من عادة العرب والعجم ان يقولوا
قبح الله فلانا عرض نفسه للضرب في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك
وانما العادة في مثل هذا جارية بان يقال لعنه الله تعرض في حبل رث او اداوة خلق او كبة
شعر وكلما كان من ذلك احقر كان ابلغ قال والوجه في الحديث ان الله عز وجل لما انزل على
رسوله صلى الله عليه وسلم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا قال رسول الله صلعم
لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما نزل عليه في ذلك الوقت ثم اعلمه الله

بعد ذلك ان القطع لا يكون الا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم من حكم الله تعالى الا ما
علمه الله ولا كان صلى الله عليه وآله يعرف ذلك جملة بل بين ذلك شيئا بعد شيء قال المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا بكر
الانباري يقول ليس الذي طعن فيه ابن قتيبة على تاويل الخبر بشيء قال لان البيضة من السلاح
ليست علما في كثرة الثمن ونهاية في علو القيمة فتجري مجرى العقد من الجوهر والجراب من المسك
اللذين ربما ساويا الالوف من الدنانير والبيضة من الحديد ربما اشتريت باقل مما يجب فيه
القطع وانما اراد انه يكتسب قطع يده بما لا غناء له به لان البيضة من السلاح لا يستغني عنها احد
والجوهر والمسك في الخبر منهما غنى قال المرتضى رضي الله عنه والذي نقوله ان ما طعن به ابن الانباري
على كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن فيشبه العقد والجراب
من المسك غير انه يبقى في ذلك ان يقال له اي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليسا
هما النهاية في القليل وان كان لما ذكره ابن الانباري من ان المعنى انه يسرق ما لا يستغني به
فليس فكرهم ذلك باولى من ذكر غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك على ما تاويل ابن قتيبة فباطل
لان النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز ان يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى والسارق والسارقة لان الاية
مجملة مفتقرة الى بيان ولا يجوز ان يحملها ويصرفها الى بعض محتملاتها دون بعض بلا
دلالة له على ان اكثر من قال ان الاية غير محتملة وان ظاهر القول يقتضي العموم يذهب الى
ان ما اقتضى تخصيصها بسارق دون سارق لم يتاخر عن حال الخطاب بها فكيف
يصح ما قال ابن الانباري من ان الاية تقدمت ثم تاخر تخصيص السراق ولو كان
ذلك كما ظن لكان المتاخر ناسخا للاية وعلى تاويله هذا يقتضي ان يكون كل الخبر منسوخا
واذا امكن تاول الخبر على ما لا يقتضي رفع احكامها ونسخها كان اولى فالاشبه ان
يكون المراد بهذا الخبر ان السارق يسرق الكثير الجليل فيقطع يده ويسرق الحقير القليل
فيقطع يده فكانه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره وقد
حكى اهل اللغة ان بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته و
بيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذي لا نظير له وان كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم

تفسير بيضه

على سبيل

على سبيل الاضداد واذا استعمل في الذم فمعناه ان الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التي
تفسدها النعامة فتتركها ملقاة لا تلتفت اليها فمما جاء من ذلك في المدح قول اخت عمرو بن عبد
ود ترثيه وتذكر قتل امير المؤمنين عليه السلام له وقيل ان الابيات لامراة من العرب غيرها * لو كان قاتل عمرو غير قاتله
لكنت ابكي عليه اخر الابد * لكن قاتله من لا يعاب به * من كان يدعى قديما بيضة البلد * وقال الاخر في المدح
كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف * وقال الاخر في الذم * تابى قضاعة ان تعرف لكم
نسبا * وابنا نزار فانتم بيضة البلد * اراد ان تعرف فاسكن وقال الاخر في ذلك * لكنه حوض من اودى
باخوته * ريب الزمان فامسى بيضة البلد * فقد صار معنى البيضة كانه يعود الى التفخيم والتعظيم
واما الحبل فذكر على سبيل المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني
فلان عقالا وما ذهب من فلان عقال ولا اباوي كلا نقيرا كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة
في التحقير والتقليل وليس الغرض بذكر الحبل الواحد من الحبال على الحقيقة واذا كان هذا الذي ذكرناه مراد
الخبر زالت عنه المناقضة التي ظنت وبطلت شبهة الخوارج في ان القطع يجب في القليل والكثير
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني عون بن المزرع قال حدثني
ابو وهب علي بن ثابت قال قال الاصمعي تصرفت بي الاسباب على باب الرشيد مؤملا للظفر به والوصول
اليه حتى لقد صرت لبعض حرسه خدينا فاني في ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الارق بين
اجفان الرشيد اذ خرج خادم فقال ما بالحضرة احد يحسن الشعر فقلت الله اكبر رب قيد مضيقه
قد حله التيسير فقال لي الخادم ادخل فلعلها ان تكون ليلة تعرس في صباحها الغنى ان فزت بالحظوة
عند امير المؤمنين فدخلت فواجهت الرشيد في بهوه والفضل بن يحيى الى جانبه فوقف الخادم
بي بحيث يسمع التسليم فسلمت فرد علي السلام ثم قال يا غلام ارحه قليلا يفرخ روعه ان كان
قد وجد للروعة حسا فدنوت قليلا ثم قلت يا امير المؤمنين اضاءة مجدك وبهاء كرمك
مجيران لمن نظر اليك من اعتراض اذية فقال ادن فدنوت فقال اشاعر ام راوية فقلت راوية
لكل ذي جد وهزل بعد ان يكون محسنا قال تالله ما رايت ادعاء اعم من هذا فقلت انا على الميدان
فاطلق من عناني يا امير المؤمنين فقال قد انصف القارة من راماها ثم قال ما المعنى في هذه الكلمة بديا



قال قلت فيها قولان القارة هي الحرة من الارض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك
اذ ذاك ابو حسان فواقف عسكره عسكر السغد فخرج فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه
وقال اين رماة العرب فقالت العرب قد انصف القارة من راماها فقال لي الرشيد اصبت
ثم قال اتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئا فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وان غيبا
عن بصرك بالاشخاص فاخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال انشدني * ارقني طارق هم ارقا * فمضيت
فيها مضي الجواد في سنن ميدانه تهدر بها اشداقي فلما صرت الى مديحه لبني امية ثنيت لساني
الى امتداحه المنصور في قوله * قلت لزير لم تصله مريمه * فلما رآني قد عدلت من ارجوزة الى
غيرها قال لي اعن حيرة ام عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه وعدلت الى صدقه فيما وصف به المنصور
من مجده فقال الفضل احسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس فلما اتيت على اخرها
قال لي الرشيد اتروي كلمة عدي بن الرقاع * عرف الديار توهما فاعتادها * قلت نعم قال هات
فمضيت فيها حتى اذا صرت الى وصفه الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله ان تقطع علينا ما امتعنا
به السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل اجرب فقال الرشيد اسكت فالابل هي التي اخرجتك من دارك
واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربت بها انت وقومك فقال
الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله فقال الرشيد اخطات الحمد لله على النعم ولو قلت
واستغفر الله لكنت مصيبا ثم قال لي امض في امرك فانشدته حتى اذا بلغت الى قوله * تزجي اغن
كان ابرة روقه * قلم اصاب من الدواة مدادها * استوى جالسا وقال اتحفظ في هذا ذكرا
قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت في المجلس وجرير الى جانبي فلما ابتدا عدي في
قصيدته قلت لجرير مسرا اليه هلم نسخر من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما
قال تزجي اغن كان ابرة روقه وعدي كالمستريح قال جرير اما تراه يستلب بها مثلا فقال
الفرزدق يا لكع انه يقول قلم اصاب من الدواة مدادها فقال عدي قلم اصاب من الدواة
مدادها فقلت لجرير اكان سمعك مخبوءا في صدره فقال لي اسكت شغلني سبك عن جيد
الكلام فلما بلغ الى قوله * ولقد اراد الله اذ ولاكها * من امة اصلاحها ورشادها * قال الاصمعي

فقال

فقال لي الرشيد ما تراه قال حين انشده الشاعر هذا البيت فقلت قال كذلك اراد الله فقال
الرشيد ما كان في جلالته ليقول هذا احسبه قال ما شاء الله قال وكذا جاءت
الرواية فلما اتيت الى اخرها قال لي تروي لذي الرمة شيئا قلت الاكثر قال فماذا
اراد بقوله * ممر امرت متنه اسدية * ذراعية حلالة بالمصانع * قلت وصف
حمار وحش اسمنه بقل روضة تواشجت اصوله وتشابكت فروعه
من مطر سحابة كانت في نوء الاسد ثم الذراع من ذلك فقال
الرشيد ارح فقد وجدناك ممتعا وعرفناك محسنا ثم قال اجد
ملالة ونهض فاخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله وكانت
عربية فقال الرشيد عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله
الاعاجم اما انها لو كانت سندية لما احتجت الى هذه الكلفة
فقال الرشيد هذه نعلي ونعل ابائي كم تعارض فلا
تترك من جواب ممض ثم قال يا غلام يؤمر صالح الخادم
بتعجيل ثلثين الف درهم على هذا الرجل في ليلته هذه
ولا يحجب في المستانف فقال الفضل لولا انه مجلس امير المؤمنين
ولا يامر فيه غيره لامرت بمثل ما امرك به
وقد امرت لك بما الا الف درهم فتلق
الخادم صباحا قال الاصمعي فما
صليت من غد الا وفي منزلي
تسعة وخمسون الف درهم
الحمد لله رب العالمين
قد تم المجلد الثاني
ومجموعه الدرر الغرر واخره شعر الصقر المظفر ويتلوه المجلد الثالث بعون الله الملك الاكبر

بسم الله الرحمن الرحيم
المجلد الثاني

المجلس الثامن والاربعون ٤٨

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فقال ليس ظاهر هذه الآية يقتضي انه تعالى هو الفاعل للايمان فيهم لان النور ههنا كناية عن الايمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه واذا كان يضيف الاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم الجواب قلنا اما النور والظلمة المذكوران في الآية فجائز ان يكون المراد بهما الايمان والكفر وجائز ايضا ان يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد يصح الكناية عن الثواب والنعيم في الجنة بانه نور وعن العقاب في النار بانه ظلمة واذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغت اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة في انه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة والعادل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه اشبه لان مقتضى ان المؤمن الذي قد ثبت كونه مؤمنا يخرج من الظلمة الى النور فلو حمل على الايمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج المؤمن الذي قد تقدم كونه مؤمنا من الكفر الى الايمان وذلك لا يصح واذا كان الكلام يقتضي الاستقبال في الاخراج من قد ثبت كونه مؤمنا كان حمله على دخول الجنة والعدول بهم عن طريق النار اشبه بالظاهر على انا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضيا لما توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه تعالى وان لم يكن الايمان من فعله من حيث دل وبين فارشد ولطف وسهل وقد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فيصح اضافة الاخراج اليه تعالى لكون ما عددناه من جهته وعلى هذا يصح من احدنا اذا اشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح او بمجانبة ضلال من الضلال ان يقول انا ادخلت فلانا البلد الفلاني وانا اخرجته من كذا وكذا وانقذته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الداعي الا ترى انه تعالى قد اضاف اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطواغيت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان الشياطين يغوون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله فتصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله صد عن طاعته واغرى بمعصيته يصح اجراء التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الاولى ان الايمان من فعل الله في المؤمن ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين

في الكفار

في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم وبعد فلو كان الامر على ما ظنوه لما صار الله تعالى وليا للمؤمنين وناصرا لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله تعالى لا من فعلهم ولم كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله فيهم ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الامرين فيهما ومثل هذا لا يذهب على احد ولا يعرض عنه الا معاند مغالط لنفسه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال قال ابو بكر محمد بن القسم الانباري حدثنا احمد بن حيان قال حدثنا ابو عبد الله بن النطاح قال اخبرنا ابو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك ابن مروان الى الحجاج انه ليس شيء من لذة الدنيا الا وقد اصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا الا مناقلة الاخوان الاحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به الي يحدثني فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به اليه وقرظه واطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال ومن انت قال عامر الشعبي قال حياك الله ثم نهض فاجلسني على كرسيه فلم يلبث ان خرج اليه الحاجب فقال ادخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل ابيض الرأس واللحية جالس على كرسي فسلمت فرد السلام ثم اومأ الي بقضيبه فقعدت عن يساره ثم اقبل على الذي بين يديه فقال ويحك من اشعر الناس قال انا يا امير المؤمنين قال الشعبي فاظلم علي ما بيني وبين عبد الملك ولم اصبر ان قلت ومن هذا يا امير المؤمنين الذي يزعم انه اشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل ان يسألني عن حالي ثم قال هذا الاخطل فقلت يا اخطل اشعر منك الذي يقول هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام للحارث الاكبر والحارث الاصغر والحارث خير الانام ثم لهند ولهند وقد اسرع في الخيرات منه امام خمسة آباؤهم ما هم هم خير من يشرب صوب الغمام فقال عبد الملك ردها علي فرددتها حتى حفظها فقال الاخطل من هذا يا امير المؤمنين فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة اشعر مني قال الشعبي ثم اقبل علي عبد الملك فقال كيف انت يا شعبي فقلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لاضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال اتئد فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم اقبل علي فقال ما تقول في النابغة قلت يا امير المؤمنين

قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوما وببابه وفد غطفان فقال يا معشر غطفان اي شعرائكم الذي يقول حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي اغش واكذب ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها ايد اليك نوازع قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول الى ابن محرق اعملت نفسي وراحلتي وقد هدت العيون اتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنون فالفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون قالوا النابغة قال هذا اشعر شعرائكم ثم اقبل عبد الملك على الاخطل فقال اتحب ان لك قياضا بشعرك شعر احد من العرب ام تحب انك قلته فقال لا والله الا اني وددت اني كنت قلت ابياتا قالها رجل منا كان والله مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فانشده انا محيوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك الطيل ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ولا ذو خلة يصل والعيش لا عيش الا ما تقر به عين ولا حال الا سوف تنتقل ان ترجعي من ابي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجح العمل والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطئ الهبل قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل قال الشعبي فقلت قد قال القطامي افضل من هذا قال وما قال قلت قال طرقت جنوب رحالنا من مطرق ما كنت احسبه قريب المعنق حتى اتيت على آخر القصيدة فقال عبد الملك ثكلت القطامي امه هذا والله الشعر قال فالتفت الى الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنونا في الاحاديث وانما لنا فن واحد فان رأيت الا تحملني على اكتاف قومك فادعهم حرضا فقلت لا اعرض لك في شيء من الشعر ابدا فاقلني هذه المرة فقال من يكفل بك قلت امير المؤمنين فقال عبد الملك هو علي ان لا يعرض لك ابدا ثم قال يا شعبي اي نساء الجاهلية كان اشعر قلت الخنساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه

يا لهف نفسي على صخر الا ثكلت امّ الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر فقال عبد الملك اشعر منها والله ليلى الاخيلية حيث تقول مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر لا يأمن الناس ممساه ومصبحه في كل فج وان لم يغز ينتظر ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته قلت اي والله يا امير المؤمنين اشد المشقة اني لمحدثك منذ شهرين لم افدك الا ابيات النابغة في الغلام ثم قال يا شعبي انما اعلمناك هذا لانه بلغني ان اهل العراق يتطاولون على اهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة فلن يغلبونا على العلم والرواية واهل الشام اعلم بعلم اهل العراق من اهل العراق ثم ردد علي ابيات ليلى حتى حفظتها واذن لي فانصرفت فكنت اول داخل وآخر خارج قال الشريف المرتضى رضي الله عنه الصحيح في رواية البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما الى ليلى الاخيلية لاعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة وهي اني اتتني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر فظلت مكتئبا حران اندبه وكنت احذره لو ينفع الحذر فجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر يأتي على الناس لا يلوي على احد حتى التقينا وكانت دوننا مضر ان الذي جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النهي والغير تنعى امرأ لا تغب الحي جفنته اذا الكواكب اخطأ نوءها المطر وراحت الشول مغبرا مناكبها شعثا تغير منها النيّ والوبر والجأ الكلب موقوع الصقيع به والجأ الحي من تنفاحها الحجر عليه اول زاد القوم قد علموا ثم المطي اذا ما ارملوا جزروا قد تكظم البزل منه حين تبصره حتى تقطع في اعناقها الجرر اخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر لم تر ارضا ولم تسمع بساكنها الا بها من نوادي وقعه اثر وليس فيه اذا استنظرته عجل وليس فيه اذا ياسرته العسر فان يصبك عدو في مناوأة يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر من ليس في خيره من يكدره على الصديق ولا في صفوه كدر اخو شروب ومكساب اذا عدموا وفي المخافة منه الجد والحذر مردي حروب ونور يستضاء به كما اضاء سواد الظلمة القمر مهفهف اهضم الكشحين منخرق عنه

سهابه

الغميص لبئر الليل مختفر • طاوي المصير على الغرّاء منجرد • بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر • لا
يصعب الامر الا ريث يركبه • وكل امر سوى الفحشاء يأتمر • معنى لا يصعب الامر اي لا يجد
صعباً الا ريثما يركبه • لا يتأرّى لما في القدر يرقبه • ولا يعض على شرسوفه الصفر • لا يغمز الساق من اين
ولا وصب • ولا يزال امام القوم يقتفر • لا يأمن الناس ممساه ومصبحه • في كل فج وان لم
يغز ينتظر • بكفه حرة فلذ ان الم بها • من الشواء ويروي شربه الغمر • لا يأمن البازل
الكوماء عدوته • ولا الامون اذا ما اخروّط السفر • كأنه بعد صدق القوم انفسهم
بالبأس تلمع من قدامه البشر • قال المبرد لا نعلم بيتاً في صفة النحيف ولا ابرع
من هذا البيت • لا يعجل القوم ان تغلي مراجلهم • ويدلج الليل حتى يفسح البصر • عشنا
به حقبة حياً ففارقنا • كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر • اصبت في حرم منا اخا ثقة
هند ابن اسماء لا يهني لك الظفر • لو لم تخنه نفيل وهي خائنة • لصبح القوم ورداً
ما له صدر • واقبل الخيل من تثليث مصغية • وضم اعينها رغوان او حضر • اما
سلكت سبيلاً كنت سالكها • فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر • وان جزعنا فقد
هدّت مصيبتنا • وان صبرنا فانا معشر صبر • وقد رويت هذه القصيدة لليلى
اخت المنتشر وقيل لليلى اخته ولعل الشبهة الواقعة في نسبها الى ليلى الاخيلية من ههنا
والصحيح ما ذكرناه • اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي
عبيدة قال وفد الاخطل على معوية فقال اني قد امتدحتك بابيات فاسمعها فقال ان كنت
شبهتني بالحية او الاسد او الصقر فلا حاجة لي فيها وان كنت قلت كما قالت الخنساء
وما بلغت كف امرئ متناول • بها المجد الا حيث ما نلت اطول • وما بلغ المهدون في القول
مدحة • وان صدقوا الا الذي فيك افضل • فهات فقال الاخطل والله لقد احسنت وقلت
بيتين ما هما بدون ما سمعته وانشد • اذا مت مات العز وانقطع الغنى • فلم يبق الا من قليل مصرد
وردّت اكفّ الراغبين وامسكوا • من الدين والدنيا بخلف مجدد • فاخبرنا ... المرزباني قال اخبرنا ابرهيم بن محمد النحوي قال اخبرنا احمد بن يحيى ان ابن الاعرابي انشدهم



مرّ بنا عليه وهو يكلم كلبه • دع الكلب ينبح انما هو نابح • قوله يكلم كلبه اي يبذو فاحوفا ان ينبح
فيدل عليه وقال الحر • ونكلم كلب الحي من خشية القرى • ونارك كالعذراء من دونها ستر
قال وقد قال الاخطل • قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم • قالوا لامهم بولي على النار • قال
ابو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الازدي يقول هذا من اهجى ما هجي به جرير لانه جعل نارهم تطفئها
البولة وجعلهم يامرون امهم بالبول استخفافاً بها

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل
سائل عن قوله تعم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة
انك انت الوهاب اوليس ظاهر هذه الآية يقتضي انه تعم يجوز ان يزيغ القلوب عن الايمان
حتى تصح مسألته ان لا يزيغها ويكون هذا الدعاء مفيداً قلنا في هذه الآية وجوه اولها
ان يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضي بنا
ذلك الى زيغ قلوبنا بعد الهداية وليس يمتنع ان يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده
المحنة عليهم اليه كما قال تعم في السورة انها زادتهم رجساً الى رجسهم وكما قال تعم مخبراً عن
نوح • فلم يزدهم دعائي الا فراراً فان قيل كيف يشدد عليهم المحنة قلنا بان يقوي شهواتهم
لما قبح في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً وثواب
المستحق عليه عظيماً متضاعفاً وانما يحسن ان يجعل شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة وثانيها
ان يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم على الهداية وامدادهم بالالطاف التي معها يستمرون
على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغاً لقلوبهم بان لا يفعل اللطف قلنا من حيث كان من
المعلوم انه متى قطع امدادهم بالطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجري هذا
مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا
فيتسلط علينا ومثله قول الشاعر • اتاني ورحلي بالمدينة وقعة • لآل تميم اقعدت كل
قائم • اراد قعد لها كل قائم • فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا الطافك
فنزيغ ونضل وثالثها ما اجاب به ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي لانه قال المراد
بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال انهم سألوا الله تعم

بان يلطف لهم في فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا
بترك الايمان ان تزيغ قلوبهم عن الثواب وان يفعل تعم بهم بدلاً منه العقاب قال فان
قال قائل فما هذا الثواب الذي في قلوب المؤمنين حتى زعمتم انهم سألوا الله تعم ان
لا يزيغ قلوبهم عنه واجاب بان من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعم من الشرح
والسعة بقوله تعم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقوله لرسوله الم نشرح
لك صدرك وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار
عقوبة قال ومن ذلك ايضاً التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين
فقال تعم اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ومن ذلك ايضاً كتابته الايمان
في قلوب المؤمنين كما قال تعم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه و
ضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكانهم سألوا الله تعم ان
لا يزيغ القلوب عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعم سأل ما كان لا يجب ان
يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لانه غير ممتنع ان يدعوه على سبيل الانقطاع
اليه والافتقار اليه ما عنده بان يفعل ما يعلم انه لا بد من ان يفعله وبان لا يفعل
ما يعلم انه واجب ان لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال الله تعم حاكياً
عن ابرهيم ولا تخزني يوم يبعثون وكما قال تعم في تعليمنا ما ندعوه به قل رب احكم بالحق
وربنا الرحمن وكقوله تعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به على احد الاجوبة وكل ما
ذكرناه واضح بين بحمد الله قال المرتضى رض واني لاستحسن قول الراعي في وصف
الاثافي والرماد فلقد طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده
وانورق منذ عهد ابن عفان حوله • حواضن الاف على غير مشرب • ورادا الاعالي
اقبلت بنحورها • على راشح ذي شامة متقوب • كان بقايا لونه في متونها • بقايا
هناء في قلاص مجرب • الاورق الرماد وجعل الاثافي له كالحواضن لاحتضانها
له واستدارتها حوله واراد بوراد الاعالي ان الوانها تضرب الى الحمرة وخص الاعالي

لانها مواضع قدره فلا تكاد تسود والراشح هو الراضع وانما شبه الرماد بينهن بفصيل
بين اظآر والمتقوب الذي قد انحسر اعلاه • وشبه ما سودت النار منهن بآثار الهناء
على قلاص جرب والمجرب الذي قد جربت ابله ونظير هذا المعنى بعينه اعني تشبيه تسويد
النار بالهناء قول ذي الرمة • عفا الزرق من اطلال ميّة فالدحل • فاجماد حوضى حيث زاحمها
الحبل • سوى ان ترى سوداء من غير خلقة • تخاطأها وارتث جاراتها النقل من الرضما
البيض غير لونها • بنات فراض المرخ واليابس الجزل • كجرباء دست بالهناء فاقصيت
بارض خلاء ان تقاربها الابل • كجرباء دست بالهناء فاقصيت • قوله سوداء من
غير خلقة يعني اثفية لان السواد ليس بخلقة لها وانما سودتها النار وقوله تخاطأها
النقل اي تجاوزها فلم تحمل من مكان الى مكان بل بقيت منفردة وارتث جاراتها يعني
بجاراتها الاثافي اللواتي كن معها والمرتث هو المنقول من مكان الى مكان واصل
ذلك في الجريح والعليل يقال ارتث الرجل ارتثاثاً اذا حمل من المعركة وبه رمق قال النضر بن
شميل معنى ارتث صرع وقال ابو زيد هو ماخوذ من قولهم ارتثثنا رثة القوم
اذا جمعوا ردي متاعهم بعد ان يحملوا من موضعهم وكلا المعنيين يليق ببيت ذي
الرمة لانه قد يجوز ان يريد بقوله وارتث جاراتها اي نقلن منها ويجوز ان يريد
صرعن وبقيت ثابتة قائمة والرضمات حجارة بيض بعضها على بعض والفراض جمع فرض
وهو الحز الذي يكون في الزند وعنى ببنات فراض المرخ شرار النار الخارجة من ذلك
الفراض والمرخ شجر يتخذ منه الزند ومن امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
وهذا المثل يضرب للرجل الكريم يفضل القوم ويزيد عليهم فكان المعنى كل القوم كرام
واكرمهم فلان ومعنى قوله كجرباء دست بالهناء انه شبه الاثفية المنفردة بناقة جرباء
قد افردت وابعدت من الابل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهناء طليت به
وقول الراعي مثل قول الشماخ بن ضرار • اقامت على ربعيهما جارتا صفا • كميتا الاعالي
جونتا مصطلاهما • قبله • امن دمنتين عرس الركب فيهما • بحقل الرخامى قد عفا

طلاهما * يعني ربعيهما منزلي الامرأتين اللتين ذكرهما ويعني بجارتي صفا الاثفيتين
لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر ويمكن في قوله جارتا صفا وجه آخر هو
احسن من هذا وهو ان الاثفيتين توضعان قريبا من الجبل لتكون جارة الجبل ثالثة
لهما وممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الاثافي اي بالصخرة او الجبل
وشبه اعلاهما بلون الكميت وهو لون الحمرة لان النار لم تصل اليه فتسوده ومصطلاهما
جون اي سود لان النار قد سفعته وسودته وقال الراعي في وصف الاثافي * ابقي اذاع
باعلاه وابقى شريده * ذرا محجات بينهن فروج * كان بجذع الدار لما تحملوا * سلائب ورق
بينهن خديج * اذاع باعلاه يعني الرماد لان السافي يطير ظاهره وما علا منه وابقى شريده
اي بقي ما شرد على السافي فلم يطر وذرا محجات يعني الاثافي وذرا كل شيء جانبه وما
استذريت به منه والمحجات المبلات والسلائب جمع السلوب وهي الناقة التي قد
سلبت ولدها بموت او نحر فقد عطفت على حوار آخر والخديج الذي قد سقط لغير تمام
والورق للواتي الوانهن كلون الرماد وفي معنى قول الراعي وابقى شريده ذرا محجات يعني الاثافي
وذرا كل شيء جانبه قول المخبل السعدي * وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها
رسم * الا رمادا هامدا دفعت * عنه الرياح خوالد سحم * الا ههنا بمعنى الواو وكانه قال
وارى رمادا هامدا ولولا ان الا ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره اوله
لانه قال في آخر البيت ان الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فلم يدرس اذن من جملة
ما لم يدرس بل هو داخل في جملته وللراعي ايضا في الاثافي * انخن وهن اغفال عليها
فقد ترك الصدا انهن نار * شبه الاثافي بنوق انخن اغفالا لا يسمت عليهن سمة
ثم اخبر ان الوقود قد اثر فيهن اثرا كالسمة والنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك اي ما
سمته وفي امثالهم نجارها نارها اي سمتها تدل على كرمها يضرب ذلك للرجل
ترى لظاهره حسنا يدل على باطن خير وقال عدي بن الرقاع العاملي * الا رواكد بينهن
قد اصطلى * حمراء اشعل اهلها ايقادها * كانت رواحل للقدور فعريت * منهن واستلب

الزمان رمادها * وقال الاسعر الجعفي * الا رواكد بينهن خصاصة * سفع المناكب كلهن
قد اصطلى * وقال حميد بن ثور * فتغيرت الا دعائمها * ومعرسا من جونة ظهر * عرش الثقاب
لها بعار مقامة * للحي بين نظائر وتر * الجونة القدر ويقال قدر ظهر وقدور ظهور اذا
كانت قديمة وعرش اي جعل مثل العريش يعني الوقود والثقاب ما اثقبت من الوقود
والنظائر هي الاثافي والوتر الفرد واراد انها ثلث وقال الكميت بن زيد * ولن يجيب
اظار معطفة بالقاع لا تمك فيها ولا امل لبيت بعود ولم تعطف على ربع * ولا يهيب
بها ذو النية الابل * يعني الاثافي وشبه تعطفها على الرماد بنوق اظار قد عطفن
على فصيل والتموك اشتصاب السنام والمبل ايضا من صفة السنام والعائذ من النوق
التي يتبعها ولدها والربع الذي نتج في اول الربيع والاهابة الدعاء اهاب بها اذا
دعاها وذو النية الذي قد نوى الرحيل والابل صاحب الابل وقال ذو الرمة
فلم يبق الا ان ترى في محلة * رمادا نحت عنه السيول جنادله * كان الحمام الورق في
الدار وقعت * على حرق بين الظئور جوازله * شبه الاثافي بالحمام الورق وجعلها
ظئورا لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ حرق قد سقط ريشه والجوازل الفراخ
واحدها جوزل وقال البعيث * الا حييا الربع القواء وسلما * ورسما كجثمان
الحمامة ادهما * قيل ان الحمامة ههنا القطاة وانه شبه الوان الرسوم من الرماد
وموقد نار ودمنة ومجر طنب وما اشبه هذه الاشياء بالوان ريش قطاة ومثله
لجرير * كان رسوم الدار ريش حمامة * محاها البلى واستعجمت ان تكلما * ولقد احسن
كل الاحسان كثير في قوله * امن ال قيلة بالدخول رسوم * وبحومل طلل يلوح
قديم * لعب الرياح برسمه فاجده * جون عواكف في الرماد جثوم * سفع الخدود
كانهن وقد مضت * حجج عوائد بينهن سقيم * قيل في قوله فاجده جون عواكف يعني
الاثافي لان الريح لما كشفت عنها وظهرت صارت هي كانها احدث الرسم ويحتمل
وجها آخر وهو ان يكون معنى اجدت انها حمت الرماد التي احاطت به عن لعب

الرياح فبقي بحاله يستدل به المترسم فكان الرياح درست الربع ومحت الاثار الا ما جددته
هذه الاثافي من الرماد ومنعت الريح عنه ويجري ذلك مجرى قول المخبل الا رمادا
هامدا البيت وقال المرار الفقعسي في الاثافي * اثر الوقود على جوانبها * بخدود وهن
كانه لطم * ويقال ان ابا تمام الطائي اخذ ذلك في قوله * نهوا نعظ المنازل من عيون *
لها في الشوق احسناء غزار * عفت آثارهن واي ربع * يكون له على الزمن الخيار *
اثافي كالخدود لطمن حزنا * ونؤي مثل ما انفصم السوار * وقد عاب عليه قوله لطمن حزنا
بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزنا ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن يكون
اوجع واغلب فتاثيره ابين واظهر وقد يكون اللطم لغير الحزن فاما قوله ونؤي مثل
ما انفصم السوار فماخوذ من قول الشاعر * نؤي كما نقض الهلال محافه * او مثل ما فصم السوار المعصم
وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيرا وبغير ذلك قال كثير * عرفت لسعدى
بعد عشرين حجة * لها دارسا نؤيا في المحلة منحني * قديما كوقف العاج ثبت حوله * مغارز
اوتاد برضم موضن * الوقف السوار من الذبل ومن العاج والرضم صخور عظام والموضن
الذي بعضه فوق بعض وقال بشار * ونؤي كخلخال الفتاة وصائم * اشج على ريب
الزمان ركوب * الصائم الاشج يعني الوتد وانما وصفه بانه صائم لقيامه وثباته وجعله
ركوبا لانفراده والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد ومن مستحسن ما وصف به
النؤي قول ابي تمام * والنؤي اهمد شطره فكانه * تحت الحوادث حاجب مقرون * وقال
المتنبي في ذلك * نقف على الدمنتين بالدو من * ريا كخال في وجنة جنب خال * بطلول كانهن
نجوم * في عراص كانهن ليالي * ونؤي كانهن عليهن * خدام خرس بسوق خدال * الخدام
جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرسا لانها غير قلقة وشبه ما احدق به النؤي من
الارض وامتلائها بامتلاء الخلخال من الساق المحدق به وهي الممتلئة

مجلس آخر

تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا
هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال



انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي قال انه يقول انها بقرة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه
يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن
جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون فقال ما تاويل هذه الآيات وهل البقرة
التي نعتت بجميع النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الاول والتكليف واحد والمراد
واحد او المراد مختلف والتكليف متغاير **الجواب** قلنا اهل العلم في تاويل
الآية مختلفون بحسب اختلاف اصولهم فمن جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب
يذهب الى ان التكليف واحد وان الاوصاف المتاخرة هي للبقرة المتقدمة وانما
تاخر البيان ولما سال القوم عن الصفات ورد البيان شيئا بعد شيء ومن لم يجوز
تاخير البيان يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم
الا ذبح اي بقرة شاؤوا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا
قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر فلو ذبحوا ما اختص
بهذه الصفة من اي لون كان لاجزا عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما
لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الاخيرة ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر
فمنهم من قال في التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى
تكون البقرة مع انها غير ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء
فاقعا لونها ولا فارضا ولا بكرا ومنهم من قال انما يجب ان يكون بالصفة الاخيرة
فقط دون ما تقدم وظاهر الكتاب بالقول الاول اشبه وهو المبني على جواز تاخير
البيان وذلك انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول ادع لنا ربك يبين لنا ما
هي فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن غيرها التي امروا
بها فابوا على قول من يدعي ذلك وليس يجوز ان يكونوا سالوا عن صفة غير التي تقدم
ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي ان يكون السؤال

عن صفة البقرة المامور بذبحها ولانه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى حتى يستفهموا عنها
واذا صح ان السؤال انما كان عن صفة البقرة المنكرة التى امر ولى الابتداء بذبحها فليس
يخلو قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر من ان يكون كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها
وليس يجوز ان يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى انها بقرة من صفتها
كذا بعد قولهم ماهى يقتضى ان تكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم ولان الامر لو
لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جوابا لهم بل كان يجب ان يكون سالوه عن شئ فاجابهم
عن غيره وهذا لا يليق النبى عليه السلام لما اراد ان يكلفهم تكليفا ثانيا عند تفريطهم فيما
امروا به مما الحاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول فى جواب قولهم ماهى انما كلفتم اى بقرة
شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم فى ترك الامتثال واخطاتم فى الاستفهام مع وضوح
الكلام الا انكم قد كلفتم ثانيا كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الابهام واللبس فلما
لم يفعل ذلك واجاب بالجواب الذى ظاهره يقتضى التعليق بالسؤال علم ان الامر على ما ذكرناه وهب
انه لو فعل ذلك فى اول سؤال كيف لم يفعله مع تكرر الاسولة والاستفهامات التى لم تقع على
هذا المذهب موقعها او مع تكرر المعصية والتفريط كيف يحسن ان يكون جميع اجوبته غير
متعلقة باسولتهم لانهم يسالونه عن صفة شئ فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على اقوى
الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل فى جواب من ساله ما كذا وكذا
انه بالصفة الفلانية صريح فى ان الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه
علينا لانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل لهم اى شئ
عليكم وانما امرتم فى الابتداء باى بقرة كانت وفى الثانى بما اختص باللون المخصوص من اى
البقر كان فان قيل كيف يجوز ان يامرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة
الى اخر الكلام ولا يبين لهم ذلك وهل هذا الا تكليف ما لا يطاق قلنا لم يرد منهم
ان يذبحوا البقرة فى الثانى من حال الخطاب ولو كانت حال الحاجة الى الفعل حاضرة
لما جاز ان يتاخر البيان لان تاخره عن وقت الحاجة هو القبيح الذى لا شبهة فى قبحه وانما

ارادان

اراد ان يذبحوها فى المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم
عند الحاجة اليه فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما امروا بذبحه فوجوده
كعدمه وهذا يخرجه من باب الفائدة ويوجب كونه عبثا قلنا ليس يجب ما
ظننتم لان القول وان كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد افاد تكليف ذبح بقرة
على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوما قبل هذا الخطاب فصار مفيدا من حيث
ذكرنا وخرج من ان يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب ان يدخلها الاقتراح
وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زائد
عليها فان قيل ظاهر قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون يدل على استبطائهم
وذمهم على التقصير فى امتثال الامر قلنا ليس ذلك صريح ذم لانه كادوا المقاربة
وقد يجوز ان يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التى تكامل لها تلك
الصفات فقد روى انهم ابتاعوها بملء جلدها ذهبا على ان الذم يقتضى ظاهره
ان ينصرف الى تقصيرهم او تاخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام لان قوله تعالى وما
كادوا يفعلون انما ورد بعد تقدم البيان التام المتكرر ولا يقتضى ذمهم على
ترك المبادرة فى الاول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على ما يخالف ما ذكرناه فان قيل لو
ثبت تقديرا ان التكليف فى البقرة متغاير اى القولين اللذين حكيتموهما عن اهل هذا
المذهب اصح واشبه قلنا قول من ذهب الى ان البقرة انما يجب ان يكون بالصفة
الاخيرة فقط لان الظاهر به اشبه من حيث انه اذا ثبت تغاير التكليف وليس فى
قوله انها بقرة لا ذلول تثير الارض الى اخر الاوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وهذا
التكليف غير الاول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه فاما الفارض فهى
المسنة وقيل هى العظيمة الضخمة يقال غرب فارض اى ضخم والغرب الدلو ويقال ايضا
لحية فارضة اذا كانت عظيمة والاشبه بالكلام ان يكون المراد المسنة فاما البكر فهى
الصغيرة التى لم تلد فكانه تعالى قال لا تكون غير مسنة ولا صغيرة والعوان دون المسنة وفوق

الصغيرة وهى النصف التى ولدت بطنا او بطنين ويقال حرب عوان اذا لم تكن اول حرب
وكانت ثانية وانما جاز ان يقول بين ذلك وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان لفظه
ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيدا قائما ويقول القائل قد ظننت ذلك ومعنى فاقع
لونها اى خالص الصفرة وقيل ان كل ناصع اللون بياضا كان او غيره فهو فاقع وقيل
انه اراد بصفراء ههنا سوداء ومعنى قوله لا ذلول تثير الارض اى تكون صعبة لم
يذللها العمل فى اثارة الارض وسقى الزرع ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة من العيوب
وقال قوم مسلمة من الشية اى لا شية فيها لون يخالف لونها وقيل لا شية فيها اى لا عيب
فيها وقيل لا وضح فيها وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله اعلم بما ارادوا وبه نستعين وله
حسن التوفيق قال الشريف المرتضى رضى الله عنه كنت اظن ان المتنبى قد سبق الى معنى قوله فى
مرثيته لاخت سيف الدولة طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه املا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى حتى رايت هذا المعنى
لمسلم بن الوليد الانصارى وللبحترى اما الذى لمسلم فقوله من قصيدة يرثى بها سهل
بن صباح وقفت العفاة عليك من متحير وله الرجاء ذى غنى يسترجع ومخادع النعى
النعى دونه خطب الم بصادق لا يخدع وقال البحترى يرثى وصيفا التركى
اقلقت ناعيه توهمت انه يكرر من اخباره قول مازح وكنت اظن ان المتنبى سبق
الى قوله يحل القنا يوم الطعان بعقوتى فاحرمه عرضى واطعمه جلدى حتى رايت
هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن شبل الكلابى من اهل اليمامة فى قوله تناومه
عن جذرجان وقد حنا الى الموت دامى الصفحتين كليم اخو الحرب ما جلده
فمجرح كليم واما عرضه فسليم وكنت اظن ان البحترى قد سبق الى قوله فى الفتح بن
خاقان حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا حتى
وجدت لشاعر متقدم طعنت ابن دهمان بنجران طعنة شققت بها عنه مضاعفة
السرد فلا الكف اوهت لى ولا الرمح خانني ولا الادهم المنعوت حاد عن القصد

قال

قال محمد بن يحيى الصولى وصف الناس صفرة اللون فى العلل فكل حكى ذلك وقال بلا
فضيلة الا البحترى قال اعرابى من ابيات جعلت وما عاينت عطرا كانما جرى
بين جلدى والعظام خلوق وقال ابو تمام لم تشن وجهه المليح ولكن جعلت
ورد وجنتيه بهارا وقال غيره ولم تشن شيئا ولكنها بدلت التفاح بالياسمين
وقال بكر بن عيسى الدلفى علة زعفرت مورد خده كادمى رقة وريعت بفيض ولا
بن يزيد المهلبى وقالوا اعرت غراء حتى شديدة فوجنتها منها شديد صفارها
فقلت لهم هيهات هاتيك روضة مضى وردها عنها وجاء بهارها ولابى
العتاهية وكانت ما تطاول بى منك السقام طليت بالورس وقال ابن المعتز و
صفرت علته وجهه فصار كالدينار من حق وقال البحترى بدت صفرة فى لونه
ان حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه فى العقد وحرت على الايدى محسن كفه
كذلك مزج البحر ملتهب الوقد وما الكلب محموما وان طال عمره الا انما الحمى على
الاسد الورد قال السيد المرتضى رضى الله عنه اما تشبيهه صفرة اللون بصفرة الدر فهو
تشبيه مليح موافق لغرضه الا انه اخطا فى قوله ان حمدهم من الدرة ما اصفرت نواحيه فى
العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبهه وترك التعليل لكان اجود وروى ابو
العباس احمد بن فارس النيجى قال حدثنى ابو احمد عبيد الله بن يحيى البحترى قال حدثنى ابى
قال حدثنى جدى البحترى قال كنت عند ابى العباس المبرد يوما فتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل
فقال لى لقد احسن عمارة بن عقيل فى قوله لخالد بن يزيد لما وجه اليه بهذين البيتين
لم استطع سير المدحة خالد فجعلت مدحته اليه رسولا فلئن حللن الى نائل خالد
ولتكفين رواحل الترحيلا قال البحترى فقلت لمروان بن ابى حفصة فى عبد الله
بن طاهر وقد وفد اليه نابلة من الجزيرة ما هو احسن من هذا وانشدته لعمرى لنعم الغيث
غيث اصابنا ببغداد من ارض الجزيرة وابله وكنا لكى صبح الغيث اهله ولم ترتحل
اظعانه ورواحله فقال نعم هذا احسن فقلت ان لى فيه النمط وقد اتانى برهم

من حصص ما لا يتضع عند من الجميع وانشدته جزى الله خيرا والجزاء بكفه بني السمط
اخدان السماحة والمجد هم وصلوا بي والمهامه بيننا كما ارفض غيث من تهامة في
نجد فقال هذا والله ارق مما قالا واحسن وروى احمد بن فارس المنبجي عن عبيد الله
بن يحيى البحتري قال حدثني ابي عن جماعة من اهل العلم والادب منهم يموت بن المزرع
قال قلت لابي عثمن الجاحظ من اشعر العرب قال الذي يقول عجلت الى فضل الخمار
فاثرت عذابته بمواضع التقبيل وهذا للبحتري في القصيدة التي اولها صب
يخاطب مهجات طلول قال المرتضى رض وفي هذه القصيدة بيت اخر ليس
يقصر في ملاحة الكلام ورشاقته واخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله
الجاحظ وهو اجيب عندك والصبى لي شافع وارد دونك والشباب رسولي
وفي مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو لا تطلبن له الشبيه فانه
لم اتامل من نظر التامل وبهذا الاسناد عن يحيى بن البحتري قال انصرفت يوما من
مجلس ابي العباس محمد بن يزيد المبرد فقال ابي البحتري ما الذي فدت يومك هذا من
العباس فقلت ملح اخبار حسنة وانشدني ابياتا للحسين بن الضحاك فقال ابي
انشدني الابيات فانشدته كاني اذا فارقت شخصك ساعة لفقدك بين العالمين غريب
وقد رمت اسباب السلو فخانني ضمير عليه من هواك رقيب اغرك صفحي عن ذنوب كثيرة
وغضي على اشياء منك تريب كان لم يكن في الناس قبلي متيم ولم يك في الدنيا سواك
حبيب الى الله اشكو ان شكوت فلم يكن لشكواي من عطف الحبيب نصيب
فقال ما احسن هذا الكلام ثم انشدني لنفسه حبيبي حبيب يكتم الناس انه لنا حين
تلقانا العيون حبيب يباعدني في الملتقى وفؤاده وان هو ابدى لي البعاد قريب
ويعرض عني والهوى منه مقبل اذا خاف عينا او اشار رقيب فتنطق منا اعين
حين نلتقي وتخرس منا السن وقلوب ثم قال اروي ابني هذين فانهما من احسن
الشعر وظريفه وروى احمد بن فارس المنبجي عن ابي نصر محمد بن اسحق النحوي قال سمعت



بعض اهل الادب يقول للزجاج قد كنت تعرف ابا العباس المبرد وكبره وانه لم يكن يقوم
لاحد ولا يتطاول له وينشد اذا اشرف عليه الرجل تهلان ذو الهضبات لا يتحلحل وقد
رايته يوما وقد دخل عليه رجل متدرع فقام اليه ابو العباس فاعتنقه ونحى عن موضعه واجلسه
فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك فلما اكثر عليه انشد ابو العباس انكر ان اقوم وقد
بدا لي لاكرمه واعظمه هشام فلا تنكر مبادرتي اليه فان لمثله خلق القيام فلما انصرف
الرجل سالناه عنه فقيل هذا البحتري مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى
في قصة قابيل وهابيل حاكيا عن هابيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين قال كيف يجوز ان يخبر عن هابيل وقد وصفه بالتقوى
والطاعة بانه يريد ان يبوء اخوه بالاثم وذلك ارادة القبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على
كل حال ووجه قبحها كونها ارادة القبيح وليس قبحها انما يتغير وكيف يصح ان يبوء القاتل باثمه
واثم غيره وهل هذا الا ما تابونه من اخذ البريء بجرم السقيم الجواب قلنا جواب اهل
الحق عن هذه الاية معروف وهو ان هابيل لم يرد من اخيه قبيحا ولا اراد ان يقتله وانما
اراد ما اخبر الله تعالى عنه من قوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي ريد ان تبوء باثمي
واثمك اي اريد ان تبوء بجزاء ما اقدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح ان يريد نزول
العقاب المستحق بمستحقه ونظير قوله اثمي مع ان المراد به عقوبة اثمي الذي هو قتلي قول
القائل لمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت
يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لقاك الله عملك وستلقى عملك يوم القيمة
معناه ما ذكرناه فان قيل كيف يجوز ان يحسن ارادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه
لان القتل على هذا القول لم يكن واقعا قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الامر الذي يستحق
به العقاب فهابيل لما راى من اخيه التصميم على قتله والعزم على امضاء القبيح فيه وغلب
على ظنه وقوع ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما هم به وعزم عليه فاما قوله

باثمي واثمك فالمعنى فيه واضح لانه اراد باثمي عقاب قتلك لي واثمك اي عقاب المعصية
التي اقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك بسببها لان الله تع اخبر عنهما انهما قربا قربانا
فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر وان العلة في ان قربان احدهما لم يتقبل انه غير متق
وليس يمتنع ان يريد باثمي ما ذكرناه لان الاثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل و
المفعول جميعا وذلك مستعمل مطرد في القران والشعر والكلام فمثال ما اضيف الى الفاعل
قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ومن اضافته الى المفعول قوله تع لا يسام الانسان
من دعاء الخير ولقد ظلمك بسؤال نعجتك ومما جاء في الشعر من اضافته الى المفعول قول
وعمه الفاعل قول الشاعر امن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشؤون
وكيف وفي الكلام بقول القائل اعجبني ضرب عمرو خالدا اذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو
خالد اذا كان عمرو مفعولا وقد ذكر قوم في الاية وجها اخر وهو ان يكون المراد اني اريد
زوال ان تبوء باثمي واثمك لانه لم يرد له الا الرشد والخير فحذف الزوال واقام ان تبوء
المتصل به مقامه كما قال تع واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اراد حب العجل فحذف الحب واقام
العجل مقامه وكما قال الله واسال القرية وهذا قول بعيد لانه لا دلالة في الكلام على محذوف
وانما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام للمحذوف ودلالته عليه وذكر
ايضا وجها اخر وهو ان يكون المعنى لئن اريد ان لا تبوء باثمي واثمك اي اريد ان لا تقتلني
ولا اقتلك فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال الله تع يبين الله لكم ان تضلوا معناه لان لا
تضلوا وكقوله تع والقى في الارض رواسي ان تميد بكم معناه لان لا تميد بكم وكقول الخنساء
فاقسمت اسى على هالك واسال نائحة ما لها اراد لا اسى وقال امرؤ القيس فقلت
يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي اراد لا ابرح وقال عمرو بن كلثوم
نزلتم منزل الاضياف منا فعجلنا القرى ان تشتمونا اراد ان لا تشتمونا والشواهد في
هذا كثيرة جدا وهذا الجواب يضعفه كثير من اهل العربية لانهم لا يستحسنون اضمار لا
في مثل هذا الموضع فاما قوله تع حاكيا عنه لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي

اليك لاقتلك فقال قوم من المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا
في ذلك الوقت وان الله تع امره بالصبر عليه وامتحنه بذلك ليكون هو المتولي للانتصار
وقال اخرون بل المعنى ان كان بسطت الي يدك مبتدئا ظالما لتقتلني ما انا بباسط يدي
اليك على وجه الظلم والابتداء فكانه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل
الظلم والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين اشبه لانه تع خبر عنه انه وان
بسط اليه اخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله اي وهو مريد لقتله ومجري اليه لان هذا
اللام بمعنى كي وهي منبئة عن الارادة والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه لان
المدافع انما يحسن منه المدافعة للظالم وطلب التخلص من غير ان يقصد الى قتله او الضرر
به ومتى قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل لانه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجوب
التخلص من المضرة باي وجه امكن بعد ان يكون غير قبيح فان قيل فكانكم تمنعون من
حسن امتحان الله تع بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة وتوجبونهما على كل حال
قلنا لا نمنع من ذلك وانما بينا ان الاية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصار على
ما ذهب اليه قوم لان قوله لاقتلك يقتضي ان يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة
لا تقتضي ذلك ولا يحسن من المدافع ان يجري بها الى الضرر فلا دلالة في الاية على تحريم
المدافعة ووجب ان يكون ما ذكرناه اولى تاويل خبر ان سال سائل عن معنى الخبر
الذي يرويه ابو هريرة عن النبي ص انه قال لا يموت لمؤمن ثلثة من الاولاد فتمسه النار
الا تحلة القسم الجواب قيل له اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه قال يعني بتحلة القسم
قوله تع وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فكانه قال ع لا يرد النار الا
بقدر ما يبر الله قسمه واما ابن قتيبة فانه قال في تاويل ابي عبيد هذا مذهب حسن
من الاستخراج ان كان هذا قصد قال وفيه مذهب اخر اشبه بكلام العرب ومعانيهم
وهو ان العرب اذا ارادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدته شبهوه بتحليل القسم وذلك ان
يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا الا تحلة القسم وماينا

العليل الا كتحليل الالية وهو كثير مشهور وقال مزاحم بن احمر وذكر الريح • اذا عصفت رسما
فليس بدائم به وتد الا تحلة مقسم • يقول لا تثبت الوتد الا قليلا كتحلة القسم لان هبوب
الريح يقلعه وقال الاخر يذكر ثورا • يخفي التراب باظلاف ثمانية • في اربع مسهن الارض تحليل
يقول هو خفيف سريع فقوائمه لا تثبت في الارض الا كتحليل اليمين قال ذو الرمة • طوى طية فوق
الكرى جفن عينه • على زهبات من جنان المحاذر • قليلا كتحليل الالى ثم قلصت • به شيمة
روعاء تقليص طائر • الالى جمع الالوة وهو اليمين وقال معنى الحديث على هذا التاويل ان
النار لا تمسه الا قليلا كتحليل اليمين ثم ينجيه الله منها وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري
الصواب قول ابي عبيد لحجج ثلث منها ان جماعة من كبار اهل العلم فسروه على تفسير ابي عبيد
ومنها انه ادعى ان النار تمس الذي وقعت منزلته جليلة عند الله عز لكن مسا قليلا والقليل من
النار لا يقع به الالم العظيم وليس صفة الابرار في الاخرة صفة من تمسه النار الا قليلا ولا كثيرا
ومنها ان ابا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس النار وانما حكم عليه بالورود والورود
لا يوجب ان لا يكون من الابرار لان الا معناه الاستثناء المنقطع كانه قال فتمسه النار لكن
تحلة اليمين اى لكن ورود النار لا بد منه تجري مجرى قول العرب سار الناس الا الاثقال
وارتحل العسكر الا اهل الخيام وانشد الفراء • وسبخة المشي مهلال قطعت بها • ارضا يحار
بها الهادون ديموما • مهما مهما وحزونا لا انيس بها • الا الضوابح والاصداء والبوما • وانشد
الفراء ايضا • ليس عليك عطش ولا جوع • الا الرقاد والرقاد ممنوع • فمعنى الحديث لا يموت
للمسلم ثلثة من الولد فتمسه النار البتة لكن تحلة اليمين لا بد منها وتحلة اليمين الورود
والورود لا يقع فيه مس قال ابو بكر وقد يتخرج فيه قول اخر وهو ان تكون الا زائدة دخلت على
التوكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة
القسم والا زائدة قال الفرزدق شاهدا لهذا • هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم • وضحوا بلحم
من محل ومحرم • معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم والا مؤكدة وقال الاخطل • يقطعن الا
من فروع برودها • بمدحة محمود ثناه ونائله • معناه يقطعن الابل من فروع برودها والفروع

الواسعة من الارض قال المرتضى رضي الله عنه والوجوه المذكورة في تاويل الخبر كالمتقاربة الا ان الوجه
الذى اختص به ابن الانباري فيه ادنى تعسف وبعد من حيث جعل الا زائدة وذلك
كالمستضعف عند جماعة من اهل العربية وقد يبقى في الخبر مسئلة التشاغل بالجواب عنها اولى مما
تكلفه القوم وهي متوجهة على كل الوجوه التي ذكروها في تاويله وهو ان يقال كيف يجوز ان
يخبر عم بان من مات له ثلثة من الولد لا تمسه النار اما جملة او مقدار تحلة القسم وهو النهاية
في القلة وليس في ذلك ما يوجب ان يكون اغراء بالذنوب من هذه حاله واذا كان من يموت له
هذا العدد من الاولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح ان يؤمن من العقاب والجواب
عن ذلك انا قد علمنا ان لا خروج هذا الخبر مخرج المدحة لمن كانت هذه صفته والتخصيص له
والتمييز ولا مدحة في مجرد موت الاولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله فلا بد من ان يكون
تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذي يموت له ثلثة اولاد اذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه
ورضاه بما يجري به القضاء عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا كان اضمار الصبر
والاحتساب لا بد منه لم يكن في القول اغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذي اذا وقع
عليه تفضل الله سبحانه بغفران ما لعله ان يستحقه من العقاب في المستقبل اذا لم يكن
معلوما متميزا فلا وجه للاغراء واكثر ما في هذا ان يكون القول ترغيبا في حسن الصبر
وحاثا عليه رغبة في الثواب ورجاء الغفران ما لعله ان يستحق في المستقبل من العقاب
وهذا واضح لمن تامله **مجلس اخر تاويل اية** ان سال سائل عن قوله تعالى ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة فقال ما معنى او هيهنا وظاهرها يفيد
الشك الذي لا يجوز عليه تعالى **الجواب** قلنا في ذلك وجوه من التاويل اولها ان يكون
او هيهنا للاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين والق الفقهاء او المحدثين ولم يريدوا
الشك بل كانهم قالوا هذان الرجلان اهل للمجالسة وهذان القبيلان اهل للقاء
فان جالست الحسن فانت مصيب وان جالست ابن سيرين فانت مصيب وان
جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الاية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية

عن الخير والرشد فان شبهتم قسوتها بالحجارة اصبتم وان شبهتموها بما هو اشد اصبتم
وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا يتاول قوله تعالى او كصيب من السماء لان او
لم يرد بها الشك بل على النحو الذي ذكرناه من انكم ان شبهتموهم بالذي استوقد نارا فجائز وان
شبهتموهم باصحاب الصيب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك وثانيها ان يكون او
دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الاية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة في
القسوة ومنها ما هو اشد قسوة منها ويجري ذلك مجرى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا معناه وقال بعضهم كونوا هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى
فدخلت او للتفصيل وكذلك قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون
معناه فجاء بعض اهلها باسنا بياتا وجاء بعض اهلها باسنا في وقت القيلولة وقد يحمل
قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه ايضا ويكون المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوقد
نارا وبعضهم يشبه اصحاب الصيب وثالثها ان يكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع
الى المخاطب وان كان الله تعالى عالما بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في اخبارهم عن ذلك
الى التفصيل بل علم ان خطابهم بالاجمال ابلغ في مصلحتهم فاخبر ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم
كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها كاحد هذين لا تخرج عنهما ويجري ذلك مجرى قولهم ما اطعمتك
الا حلوا او حامضا فيبهمون على المخاطب ما يعلمون انه لا فائدة في تفصيله والمعنى ما اطعمتك الا
احد هذين الضربين وكذلك يقول احدهم اكلت بسرة او تمرة وهو قد علم ما اكل على التفصيل
الا انه ابهم على المخاطب قال لبيد • تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما • وهل انا الا من ربيعة او مضر
اراد هل انا الا من احد هذين الحيين فسبيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لانه قصد الذي
اجرى اليه وغرضه الذي نحاه وهو ان يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجمال ما اجمل من
كلامه فاضرب عن التفصيل لانه لا فائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة او مضر فموته واجب
وكذلك الاية لان الغرض فيها ان يخبر عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا تنثني لوعظ ولا تصغي
الى حق فسواء كانت في القسوة كالحجارة او اشد منها فقد تم ما اجرى اليه من الغرض في وصفها وذمها

وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة او بما هو اشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة او مضر
في انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام ورابعها ان تكون او بمعنى بل كما قال تعالى
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون معناه بل يزيدون وروي عن ابن عباس في قوله تعالى وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون قال كانوا مائة الف وبضعا واربعين الفا وانشد الفراء • بدت
مثل قرن الشمس في رونق الضحى • وصورتها او انت في العين املح • وقد تكون ام في
الاستفهام ايضا بمعنى بل كقول القائل اضربت عبد الله ام انت رجل متعنت معناه
بل انت وقال الشاعر • فوالله ما ادري اسلمى تغولت • ام النوم ام كل الي حبيب • معناه
بل كل وقد طعن بعضهم على هذا الجواب وقال كيف يجوز ان يخاطبنا تعالى بلفظة بل
وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك بشيء لانها لا
فان اريد بها الاستفادة او التذكر لما لم يكن معلوما فليس بصحيح لان احدنا قد يقول
اعطيته الفا بل الفين وقصدته دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء كلامه بما اخبر به
في الثاني ولم يتجدد له به علم وان اريد بها الاخذ في كلام غير الماضي واستيناف زيادة عليه
فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى فاما النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع تستعمل فيه
لفظة بل لان القائل اذا قال اعطيته الفا بل الفين لم ينقض الاول وكيف ينقضه و
الاول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضا للماضي اذا قال لقيت رجلا بل حمارا
واعطيته درهما بل ثوبا لان الاول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير
ناقض للاول لانها لا تزيد في القسوة على الحجارة الا بعد ان تساويها وانما تزيد عليها
بعد المساواة وخامسها ان يكون او بمعنى الواو كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت
اباءكم معناه وبيوت اباءكم قال جرير • نال الخلافة او كانت له قدرا • كما اتى ربه موسى على
قدر • وقال جرير ايضا • اثعلبة الفوارس او رياحا • عدلت بهم طهية والخشابا • اراد
ورياحا وقال توبة بن الحمير • وقد زعمت ليلى باني فاجر • لنفسي تقاها او عليها فجورها
وقال الاخر • فلو كان البكاء يرد شيئا • بكيت على بجير او عفاق • عفاق اسم رجل اكلته باهله

مروى بجرلى واحراقى علي المرءين اذ هلكا جميعا لشانهما بشجو واشتياق اراد على تحير و
عفاف وقد حكى المفضل بن سلمه هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه بان قال ليس يخلو
بعلم اشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه به عليها وانما يصح ذلك في قولك اطعمتك
تمرا او احلى منه لان احلى منه معلوم واختار المفضل الوجه الذي يتضمن ان او بمعنى بل وهذا
الذي طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا ولم يعرفوا ما هو اشد قسوة من الحجارة
فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح ان يتصوروا ما هو اشد قسوة منها وما الزيادة عليها
لان قدرا اما اذا عرف صح ان يعرف ما هو ازيد منه او انقص لان الزيادة والنقصان انما يضافان
الى معلوم معروف على ان الاية خرجت مخرج المثل واراد بوصف قلوبهم بالزيادة في القسوة على
الحجارة انها قد انتهت الى حد لا يلين معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت الحجارة ربما لانت
وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كانها اشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها فقول المفضل ليس يعرفون
بما هو اقسى من الحجارة لا معنى له اذا كان القول على طريق المثل وبعد فان الذي طعن به على هذا
الجواب يعترض على الوجه الذي اختاره لانه اذا اختار ان او في الاية بمعنى بل فكيف جاز ان يخبرهم
بان قلوبهم اشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو اقسى من الحجارة واذا جاز ان يقول بل قلوبهم
اقسى مما يعرفون من الحجارة جاز ان يخبر مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي تعرفون في القسوة
وهي مع ذلك تزيد عليها فان قيل كيف تكون او في الاية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز
ان تكون قلوبهم كالحجارة واشد من الحجارة في حال واحدة لان الشيء اذا كان على صفة
لم يجز ان يكون على خلافها قلنا قد اجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع
ان تكون قلوبهم كالحجارة في حال واشد من الحجارة في حال اخرى فيصح المعنى ولا يتناقض وهذا
قريب ويكون فائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الاحوال مع القسوة والعدول
عن قبول الحق والفكر فيه ربما لانت بعض اللين وهمت بالانعطاف وكادت تصغي الى
الحق فتكون في هذه الحالة كالحجارة التي ربما لانت وفي حال اخرى تكون في نهاية البعد عن
الخير والنفور عنه وتكون في هذه الحالة اشد قسوة من الحجارة على انه يمكن في هذا الجواب

عن هذا الاعتراض وجه اخر قد تقدم معناه في بعض كلامنا وهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة
الا بعد ان يكون فيها قسوة الحجارة لان القائل اذا قال فلان اعلم من فلان فقد اخبر بانه زائد عليه
في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ما ظن المعترض لا اثبات
لصفة ونفيها وكل هذا واضح بحمد الله قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واني لاستحسن من الشعر قول الاحوص
بن محمد الانصاري ومولى سخيف الراي رخو تزيده اناتي وعفوي جهله عندي نقا دملته
غمر لاصبته بشنعاء باق عارها تنشر العظا طوى حسدا ضغنا علي كانما اداوي به
في كل مجمعة كلما ويجهل احيانا فلا يستخفني ولا اجهل العتبى اذا راجع الحلما
يصد ويناى في الرخاء بوده ويدنو ويدعوني اذا خشي الهضما فيفرج عنه ازمة
الخصيم مشهدي وادفع عنه عثرة الظلما الازمة الدهماء والازمة العقدة وكلا المعنيين
يحتمل لفظ البيت وكنت امرءا عود الفعال تهزني مآثر مجد تالد لم يكن زعما عود الفعال
اي جليلة ولست بلاق سيدا سادة مالكا فتنسبه الا ابا لي وعما وكنت وشفني
في روضة مالك تبكي له كالكلب اذ ينبح النجما ستعلم ان عاديتني فقع قرقر اما لا
اقدت لا ابا لك او غرما لقد ابقت الايام مني وحرسها لاعدائنا نكلا وحادثنا
رغما في البيت عطف على عاملين مختلفين وكانت عروق السوء ازرت به
قصرت به ان ينال الحمد فالتمس الذما ومن مختار قوله اني اذا خفي اللئام رايتني
كالشمس لا تخفى بكل مكان ما من مصيبة نكبة امنى بها الا تشرفني وتعظم شاني
وتزول حين تزول عن متخمط تخشى بوادره لدى الاقران ومن جيد قوله
خليلان باحا بالهوى فتناجيا اقاربها في وصلها واقاربه الا ان اهوى
الناس قربا وربما ورب اذا ما الليل غارت كواكبه ضجيع دنا مني جذلت
بقربه فبات يمنيني وبت اعاتبه والخير في الستر بيني وبينه بان ليس شيء
عند نفسي يقاربه وقد فسر في وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس بقوله
تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت مكحولا من العين اتلعا وجدك لو شيء

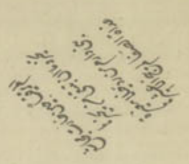
انا نار سوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا فبتنا تذود الوحش عنا كاننا قتيلان
لم يعلم لنا الناس مصرعا اذا اخذتها هزة الروع امسكت بمنكب مقدام على الهول
اروعا وقال علي بن الجهم في شدة الالتزام سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة وادنى
فؤادا من فؤاد معذب فبتنا جميعا لو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تسرب
ولعبد الصمد بن المعذل في هذا المعنى كانني عانقت ريحانة تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسد واحد ولبشار بن برد انني اشتهي لقاك
والله فماذا عليك لو تلقاني قد تلف الرياح غصنا من البان الى مثله فيلتقيان
ومثل هذا للبحتري ولم انس ليلتنا في العناق لف الصبا بقضيب قضيبا كما اهتزت
الريح في مرها فطورا خفوتا وطورا هبوبا ولاخر مثل هذا المعنى بعينه ولسنا ندري
هل سبق البحتري او تاخر عنه وضم لا ينهنه واعتناق كما التف القضيب على القضيب
ولعلي بن الجهم وبتنا على رغم الحسود كاننا خليطان من ماء الغمامة والخمر وهذا
وان جعله في العناق فهو ماخوذ من قول بشار واذ نلتقي خلف الغيوب كاننا سلاف
عقار بالنقاخ مشوب والاصل في هذا المعنى قول الاخطل والناس من بعده على اثره
من الجاريات الحور مطلب سرها كبيض الانوق المستكنة في الوكر واني واياها اذا ما
لقيتها لكالماء من صوب الغمامة والخمر وقد اخذه ابو ابن عيينة فقال ذاك اذ روحها
وروحي مزاجان كما صفي خمرها عذب ماء واخذه العباس بن الاحنف فقال ما انس لا
انس يمناها معطفة على فؤادي ويسراها على راسي وقولها ليت ثوب ملاحة كان لي
سربالا للعباس او ليته كان لي خمرا او كنت له من ماء مزن فكنا الدهر في كاس ومثل هذا
للبحتري وجدت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح ولقد احسن بشار
في قوله حين قال لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما بين ريح المسك والعنبر الورد خبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثني العتبي عن ابيه
قال سير الوليد بن عبد الملك الاحوص الى دهلك وكتب الاحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وكيف ترى للنوم طعما ولذة وخالك امسى موثقا في الحبائل فمن يك امسى سائلا عن شماتة
ليشمت بي او شامتا غير سائل فقد عجمت مني الحوادث ماجدا صبورا على عماء تلك
البلابل اذا سر لم يفرح وليس لنكبة الممت به بالخاشع المتضائل فبعث عمر بن عبد العزيز
الى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه وقال ما ترى في هذا البائس فقال عراك مكانه
خير له فتركه في موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك سرح الاحوص وسيره الى الشام قال الشريف المرتضى
وانما كان الاحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة ان ام عمر هي ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب
وامها انصارية فاما قوله اذا سر لم يفرح البيت فماخوذ من قول لقيط بن زرارة لامرءا
ان رخاء العيش ساعده وليس ان عض مكروه به خشعا وللاحوص وبطن مكة لا ابوح
فربة غلبت على قلبي ولو انها ادم موكبها يوم الكديد لطاعني صحبي قلنا لها حييت من
ولركبها حييت من ركبي والشوق قتله بروقيتها مثل الظما بالبارد العذب والناس ان
حلوا لجمعهم شعبا سلام وانت في شعب لحللت شعبك دون شعبهم ولكان قربك
منهم حسبي قوله والشوق اقتله بروقيتها نظير لقول جرير فلما التقى الحيان القيت العصا
ومات الهوى لما اصيبت مقاتله مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى وعلم
ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في
كيف امرهم بان يخبروا بما لا يعلمون اوليس ذلك باقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تابونه
فالذي جوز ان يكلف مع ارتفاع القدرة لا يجوزه الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية
وجهان احدهما ان ظاهر الاية وان كان امرا يقتضي التعلق بشرط وهو كونهم صادقين
عالمين بانهم اذا خبروا عن ذلك صدقوا فكانه قال لهم خبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا
الى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة ان يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان
كنت تعلمه او ان كنت تعلم انك صادق فيما تخبر به فان قيل ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى
ان كنتم صادقين ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعلة التي من اجلها جعلت خليفة في الارض
او ان كنتم صادقين في معتقدكم انكم تقومون بما انصب الخليفة له وتضطلعون به وتصطلحون

قلنا قد قيل كل ذلك وقيل ايضا ما ذكرناه واذا كان القول محتملا للامرين جاز ان يبنى الكلام
على كل واحد منهما وهذا الجواب لا يتم الا لمن يذهب الى ان الله تعالى يصح ان يامر العبد بشرط
قد علم انه لا يحصل ولا يحسن ان يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز
ذلك صح ان يعتمد على هذا الجواب فان قيل فاى فائدة فى ان يامرهم بان يخبروا عن ذلك
بشرط ان يكونوا صادقين وهو عالم بانهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به قلنا اما من
ذهب الى الاصل الذى ذكرناه ان يقول لا يمتنع ان يكون الغرض فى ذلك هو ان ينكشف
باقرارهم وامتناعهم من الاخبار بالاسماء ما اراد تعالى بيانه من استيثاره بعلم الغيب وانفراده
بالاطلاع على وجوه المصالح فى الدين فان قيل هذا يرجع الى الجواب الذى تذكرونه من بعد
قلنا هو وان رجع الى هذا المعنى فبينهما فرق من حيث كان هذا الجواب على تسليم ان الاية
تضمنت الامر والتكليف الحقيقيين والجواب الثانى لا نسلم فيه ان القول امر على الحقيقة فهو منا
افترقا والجواب الثانى ان يكون القول وان كان ظاهره ظاهر امر فغير امر على الحقيقة بل المراد
به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الامر ما ليس بامر والقران والشعر
مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله تعالى لما قال للملائكة انى جاعل فى الارض
خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك فقال لهم انى اعلم ما لا تعلمون اى انى مطلع من مصالح الحكم وما هو
انفع لكم فى دينكم على ما لا تطلعون عليه ثم اراد التنبيه على انه لا يمتنع ان يكون غير الملائكة
مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصى اولى بالاستخلاف فى الارض وان كان
فى ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم ادم اسماء جميع الاجناس واكثرها ثم قال
للملائكة انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين مقررا لهم ومنبها على ما ذكرنا
ودالا على اختصاص ادم بما لم يختصوا به فلما اجابوه بالاعتراف والتسليم الى علم
الغيب الذى لا يعلمونه قال تعالى لهم الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون منبها على انه تعالى المتفرد بعلم المصالح فى الدين وان

الواجب على كل مكلف ان يسلم لامره ويعلم انه لا يختار لعباده الا ما هو الاصلح لهم
فى دينهم علموا وجه ذلك ام جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى ان كنتم صادقين
محمولا على كونهم صادقين فى العلم بوجه المصلحة فى نصب الخليفة او فى ظنهم انهم يقومون
بما يقوم به هذا الخليفة ويكملون له فلولا ان الامر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضى
التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون معنى لان التكليف الاول لا يتغير حاله بان يخبرهم
ادم بالاسماء ولا يكون قوله انى اعلم غيب السموات والارض الى اخر الاية الا مطابقا
لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكانه قال تعالى اذا كنتم لا تعلمون هذه الاسماء
فانتم عن علم الغيب اعجز وبان يسلموا الامر لمن يعلمه ويدبر امركم بحسبه اولى فان قيل فكيف
علمت الملائكة ان فى ذرية ادم من يفسد فى الارض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك
وان كانت غير عالمة فكيف يحسن ان يخبر عنهم بغير علم قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استفهمت
فكانها قالت متعرفة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل ان الله تعالى اخبرها بانه سيكون من ذريته
هذا المستخلف من يعصى ويفسد فى الارض فقالت على وجه التعرف لما فى هذا التدبير من المصلحة
والاستفادة لوجه الحكمة فيه اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الاخير يقتضى ان يكون
فى اول الكلام حذف ويكون التقدير واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وانى عالم بانه
سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفى عن ايراد هذا المحذوف بقوله تعالى اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لان فى ذلك دلالة على الاول وانما حذفه اختصارا وفى حمله
جميع الكلام اختصار شديد لانه تعالى المحكى عنهم قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كان فى ضمن هذا الكلام فنحن على ما نظنه ونظهره لنا من الامر
اولى بذلك لانا نطيع وغيرنا يعصى وقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون يتضمن ايضا انى اعلم من مصالح
المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الامور وفى القران من الحذوف
العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد فى شىء من الكلام فمن ذلك قوله تعالى فى قصة يوسف

والناجى من صاحبيه فى السجن عنده ويا اللائك البقر السمان والعجاف انا انبئكم بتاويله فارسلون
يوسف ايها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فاورد محذوفه لقال انا انبئكم بتاويله فارسلون
ففعلوا فاتى يوسف فقال له يوسف ايها الصديق ومثله قوله فى الانعام قل انى امرت ان اكون
اول من اسلم ولا تكونن من المشركين اى وقيل لى ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله تعالى فى قصة سليمن
ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن
ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب الى قوله اعملوا
ال داود شكرا وقليل من عبادى الشكور اى وقيل لهم اعملوا ال داود شكرا وقال جرير
وردتم على قيس بخور مجاشع فبؤتم على ساق بطىء جبورها اراد فبؤتم على ساق مكسورة
بطىء جبورها لكنه لما كان فى قوله بطىء جبورها دليل على الكسر اقتصر عليه وقال عنترة
وهل تبلغنى دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم يعنى ناقته ومعنى لعنت دعا
عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك فحذف هذا كله والناقة اذا كانت
لا تنتج كانت اقوى لها على السير وقال تابط شرا ويروى للشنفرى فلا تدفنونى ان دفنى محرم
عليكم ولكن خامرى ام عامر اراد فلا تدفنونى بل دعونى تاكلنى التى يقال لها خامرى
ام عامر وهى الضبع وقال اوس بن حجر حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا
طلبا اراد لم ار كاليوم فحذف وقال ابى دواد الايادى ان من شيمتى لبذل تلادى
دون عرضى فان رضيت فكونى اراد فكونى معى على ما انت عليه وان سخطت فبينى
فحذف هذا كله وقال الحر اذا قيل سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى مايل القرن اعضب
اراد لعلها قريب وهذا باب متسع واكثر من ان يحيط به قول والحذف غير الاختصار
وقوم يظنون انهما واحد وليسا كذلك لان الحذف يتعلق بالالفاظ وهو ان تاتى بلفظ يقتضى
غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون فى الموجود دلالة على المحذوف فتقتصر عليه طلبا
للاختصار والاختصار يرجع الى المعانى وهو ان تاتى بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره
لاحتيج الى اكثر من ذلك اللفظ فلا حذف الا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفا فمثال الحذف



قوله ولكن خامرى ام عامر ونظاير مما انشدناه لان القول غير مستغن بنفسه بل يقتضى كلاما
اخر غيره الا انه لما كان فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله ومثال الاختصار الذى ليس بحذف
قول الشاعر اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل اراد انهم عزاز
مقيمون بدار مملكتهم لا ينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المبسوط فى قوله حول قبر ابيهم
ومثله قول عدى بن زيد عالم بالذى يريد نقى الصدر عف على جناه نحور وفى
معنى الاختصار قول اوس بن حجر وفينا صدق لا تخم لحامهم اذا شبه النجم
الصوار النوافرا فقوله لا تخم لحامهم لفظ مختصر ولو بسطه لقال انهم لا يدخرون اللحم
ولا يستبقونه فيخم بل يطعمونه الاضياف والطراق ومعنى قوله اذا شبه النجم الصوار
النوافرا يعنى فى شدة البرد وكلب الشتاء لان الثريا تطلع فى هذا الزمان عشاء
كانها صوار متفرق وهذا ايضا اكثر من ان يحصى وانما فضل الكلام الفصيح بعضه
على بعض لقوة حظه من افادة المعانى الكثيرة بالالفاظ المختصرة فاما قوله تعالى ثم
عرضهم على الملائكة بعد ذكر الاسماء التى لا تليق بها هذه الكناية فالمراد بها انه عرض
المسميات لان الكناية لا يليق بالاسماء ولا بد من ان تكون تلك المسميات او فيها
ما يجوز ان يكنى عنه بهذه الكناية لانها لا تستعمل الا فى العقلاء ومن جرى مجراهم وقيل
ان فى قراءة ابى ثم عرضها وفى قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين
يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء وقد بقى فى هذه الاية سؤال لم نجد احدا ممن تكلم
فى تفسير القران ولا فى متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسال عنه وذلك ان
يقال من اين علمت الملائكة لما خبرها ادم بتلك الاسماء صحة قوله ومطابقة الاسماء للمسميات
وهى لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت الملائكة عالمة لاخبرت بالاسماء ولم تعترف
بفقد العلم والكلام يقتضى انهم لما انباهم ادم بالاسماء علموا صحتها ومطابقتها للمسميات
ولولا ذلك لم يكن لقوله الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض معنى ولا كانوا مستفيدين
بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره فى الجواب

الله غير ممتنع ان يكون الملائكة في الاول غير عارفين بتلك الاسماء فلما انبأهم ادم عليه السلام بها فعل الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تميزه واختصاصه وليس لاحد ان يقول ان ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوته اضطرارا وفي هذا منافاة لطريقة التكليف وذلك انه ليس في علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة ما يقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى ان يخبر احدنا نبي بما فعل على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة وهو وان كان عالما بصدق خبره ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب فيه ووجه اخر وهو انه لا يمتنع ان يكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف اسماء الاجناس في لغته دون لغة غيره الا ان تكون احاطة عالم واحد بالاسماء الاجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة ادم علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما خبر به من الاسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع الى غيره وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا الناس بشيء يجري هذا المجرى علم بخبرهم فاذا اخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته وهذا الجواب يقتضي ان يكون قوله انبئوني باسماء هؤلاء اي ليخبرني كل قبيل منكم بجميع هذه الاسماء وهذان الجوابان جميعا مبنيان على ان ادم لم يتقدم لهم العلم بنبوته وان اخباره بالاسماء كان افتتاح معجزاته لانه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا تقدم ظهور معجزات على يده لم يحتج الى هذين الجوابين معا لانهم يعلمون اذا كانت الحال هذه مطابقة الاسماء للمسميات بعد ان لم يعلموا ذلك بقوله الذي قد امنوا فيه غير الصدق وهذا بين لمن تامله قال الشريف المرتضى رضي الله عنه رايت قوما ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون في بيت حسان بن ثابت

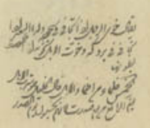
لم تفتها شمس النهار بشيء ❊ غير ان الشباب ليس يدوم

ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكانه قال لم تفتها شمس النهار بشيء غير انها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في ذلك ان الشباب ليس يدوم لامثالها وهذا الذي ذكروه ليس بشيء والاشبه والاولى ان يكون مراد حسان ان

شمس النهار لم تفتها بشيء غير ان شبابها مما لا يدوم ولا بد من ان يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يرد انها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله ❊ يا لقوم هل يقتل المرء مثلي ❊ واهن البطش والعظام سؤوم ❊ شانها العطر والفراش ويعلوها الجين ولؤلؤ منظوم ❊ لو يدب الحولي من ولد الذر عليها لاندبتها الكلوم ❊ وهذه الاوصاف لا تليق بمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها الا الصبيان والاحداث ومن العجائب ان هذا الاستخراج على ركاكته مسند الى الاصمعي وما اولى من تكون نتيجة تغلغله وثمرة توصله مثل هذه الثمرة بالاضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها ومما فسره اصحاب المعاني على وجه وهو بغيره اشبه واقل الاحوال ان يكون محتملا للامرين فلا يقصر عن احدهما قول الخنساء ❊ يا صخر وراد ماء قد تناذره ❊ اهل الموارد ما في ورده عار ❊ لانهم يقولون مرادها بالبيت ما في تركه ورده عار ويظنون انه متى لم يحمل على ذلك لم يكن فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش ❊ ليس على طول الحيوة ندم ❊ ومن وراء المرء ما لم يعلم ❊ وليس الامر كما ظنوه لانه يحتمل ان يريد انها لا عار في وروده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لان البيت وان تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الامور الصعاب التي مرحلتها ايراد الماء غلبة وقهرا فكانها قالت انك تورد ماء قد تناذره الناس وتركب امرا صعبا قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ في الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لانه ربما فعل الانسان فعلا يحوز به اكثر الحظ من الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحم او نكث عهد او ما جرى هذا المجرى فكانه نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري ذلك مجرى قول المرقش ليس على طول الحيوة ندم لان البيت متى لم يحمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحيوة ندم لم يفد شيئا وقد بينا فائدة قول الخنساء اذا كان المراد ما ذكرناه **مجلس اخر تاويل اية** ان سال سائل عن قوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجوه اولها ان يكون المعنى واسال اتباع من ارسلنا من قبلك من رسلنا ويجري هذا مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير وهم يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير فاقاموا حاتما مقام السخاء المضاف اليه ومثله قوله تعالى ولكن البر من امن بالله



عن دينهم وجعلت ما احللت لهم حراما وقال ابو عبيد يريد بذلك البحائر والسوائب وغير ذلك مما احله الله تعالى فجعلوه حراما واما ابن قتيبة فقال وقد حكى ما ذكرناه عن ابي عبيد لست ارى ما حكاه ابو عبيد الله عن عبد الله بن المبارك ومحمد بن الحسن مقنعا لمن اراد ان يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على ان ردا على ما قال به اهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث عنده منسوخ والنسخ لا يكون في الاخبار وانما يكون في الامر والنهي قال ولا يجوز ان يراد به على تاويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لان مخرجه مخرج العموم قال ولا ارى معنى الحديث الا ما ذهب اليه حماد بن سلمة فانه قال فيه هذا عندنا حيث اخذ العهد عليهم في اصلاب ابائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر ادم فاخرج منه ذريته الى يوم القيمة امثال الذر واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فاراد عم ان كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار الاول وهو الفطرة قال المرتضى رض وهذا كله تخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تاويله ان قوله يولد على الفطرة يحتمل امرين احدهما ان تكون الفطرة ههنا الدين ويكون على بمعنى اللام فكانه قال كل مولود يولد للدين ومن اجل الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين الا ليعبده فينتفع بعبادته ويشهد بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والدليل على ان على يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن ابي زيد عن العرب انهم يقولون صف علي كذا وكذا حتى اعرفه بمعنى صفه لي ويقولون ما اغيظك علي يريدون ما اغيظك لي والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه وقال الطرماح ❊ كان مخواها على ثفناتها ❊ معرس خمس وقعت للجناجن ❊ اراد على الجناجن وقال عنترة ❊ شربت بماء الدحرضين فاصبحت ❊ زوراء تنفر عن حياض الديلم ❊ معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين وهما ماءان يقال لاحدهما وسيع وللاخر دحرض فغلب الاشهر وهو الدحرض وانما ساغ ان يريد بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجري على الشيء اسم ما له به هذا الضرب من التعلق والاختصاص وعلى هذا يتاول



قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها اراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله المراد به ان ما خلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوما للطاعة واخرين للمعصية ويجوز ان يريد بذلك الامر وان كان ظاهره ظاهر الخبر فكانه تعالى قال لا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بان تعصوا وتخالفوا والوجه الاخر في تاويل الفطرة ان يكون المراد به الخلقة ويكون لفظة على على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والايمان به لانه عز وجل قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والايمان به وان لم ينظروا ويعرفوا فكانه تعالى قال كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقه وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار يهوديا او نصرانيا وهذا الوجه ايضا يحتمله قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها واذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين احدهما ان من كان يهوديا او نصرانيا ممن خلقته لعبادتي وديني فانما جعله ابواه كذلك او من جرى مجراهما ممن اوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين وانما خص الابوين لان الاولاد في الاكثر ينشاون على مذاهب ابائهم ويالفون اديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيهه تعالى عن ضلال العباد وكفرهم وانه انما خلقهم للايمان فصدهم عنه اباؤهم او من جرى مجراهم والوجه الاخر ان يكون معنى يهودانه وينصرانه اي يلحقانه باحكامهما لان اطفال اهل الذمة قد الحق الشرع احكامهم باحكامهم فكانه تعالى قال لا تتوهموا من حيث لحقت احكام اليهود والنصارى اطفالهم انهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا الا للايمان والدين الصحيح لكن اباؤهم هم الذين ادخلوهم في احكامهم وعبر عن ادخالهم في احكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح فاما الجواب الذي حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا تمكنا من حمل الخبر على وجه يسلم معه من النسخ لم نحتج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم ابائهم وذلك غير ممتنع واما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد لان الله تعالى لا يجوز ان يخلق احدا للكفر وكيف يخلقه للكفر وهو يامره بالايمان ويريده منه ويعاقبه ويذمه على خلافه فلما



ومثله قول الشاعر: لهم مجلس صهب السبال اذلة * سواسية احرارها وعبيدها، والمامور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي ص وهو في المعنى لامته لانه ص لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب بخطاب امته كما قال تع المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به فافرده بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب امته فقال تع اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وفي موضع اخر يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين فخاطبه ص والمعنى لامته لانه بين ذلك بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا وقال تع يا ايها النبي اتقوا الله اذا طلقتم النساء فوحد وجمع في موضع واحد للمعنى الذي ذكرناه وقال الكميت الى السراج المنير احمد لا * تعدلني رغبة ولا رهب * عنه الى غيره ولو رفع الناس الى العيون وارتقبوا * وقيل افرطت بل قصدت ولو * عنفني القائلون او ثلبوا لج بتفضيلك اللسان ولو * اكثر فيك الضجاج واللجب * انت المصفى المحض المهذب في النسبة ان نص قومك النسب * فظاهر الخطاب للنبي ص والمقصود به اهل بيته ع لان احدا من المسلمين لا يمتنع من تفضيله ص والاطناب في وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف في ذلك احد وانما اراد الكميت وان اكثر في مدح اهل بيته وذوي الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف فوجه القول اليه والمراد غيره ولذلك وجه صحيح وهو ان المراد بمولاتهم والانحياز اليهم والانقطاع الى جهتهم لما كان رسول الله هو المقصود بذلك اجمع جاز ان يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع وقيل ان المراد بتباع الانبياء الذين ارسلناهم هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظرائه وليس يمتنع ان يكون هو ص المامور بالمسئلة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا في ذلك ولا مرتابا به ويكون الوجه فيه تقرير اهل الكتاب بذلك واقامة الحجة عليهم باعترافهم اولان بعض مشركي العرب انكر ان تكون كتب الله المتقدمة وانبياؤه الاولون بما دعت الى التوحيد فامر ص بتقرير اهل الكتب بذلك لتزول الشبهة عن المعترضة والجواب الثاني ان يكون السؤال متوجها اليه ص خاصة دون امته والمعنى انا لقيت النبيين في السماء فسلم عليهم فاسالهم عن ذلك لان الرواية قد وردت بانه ص لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وامهم ولا يكون امره بالسؤال لانه كان شاكا لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح الراجعة الى الدين اما الشيء يخصه ص او يتعلق ببعض الملئكة الذين يتعجبون

بجري

ما يجري بينه وبين النبيين من سؤال وجواب والجواب الثالث ما اجاب به ابن قتيبة وهو ان يكون المعنى واسأل من ارسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا يعني اهل الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق في المعنى الجواب الاول ففيهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تاويله فلهذا صارا مفترقين ولقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه اخطأ في الاعراب لان لفظة اليه لا يصح اضمارها في مثل هذا الموضع لانهم لا يجيزون الذي جلست وعبد الله على معنى الذي جلست اليه عبد الله لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذي اكرمت اباه عبد الله لم يجز ان يضمر اباه لانفصاله عن الفعل كانت لفظة اليه بمنزلته وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه محمد لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتصلة بالفعل كقولك الذي اكلت طعامك والذي لقيت صديقك معناهما اكلته ولقيته وقال الفراء انما حذفت الهاء لدلالة الذي عليها وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا البين مما تقدم في شيء صح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد عليه ما تقدم تاويل خبر ان سال سائل عن معنى ما رواه ابو هريرة عن النبي ص من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه الجواب قلنا اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه قال في تاويل هذا الخبر سالت محمد بن الحسن الشيباني عالم اصحاب الراي عن تفسيره فقال كان هذا في اول الاسلام قبل ان تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد وقال ابو عبيد كانه يذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل ان ينصره ابواه او يهوداه ما ورثاه وكذلك لو ماتا قبله ما ورثهما لانه مسلم وهما كافران وما كان ايضا يجوز ان يسبى فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على دين ابويه قال ابو عبيد واما عبد الله بن المبارك فانه قال هو بمنزلة الحديث الاخر الذي يتضمن انه ص سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين به يذهب الى انهم يولدون على ما يصيرون اليه من اسلام او كفر فمن كان في علمه تع انه يصير مسلما فانه يولد على الفطرة ومن كان في علمه انه يموت كافرا ولد على ذلك قال ابو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الاخر انه قال يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي جميعا حنفاء فاجتالتهم الشياطين

ما روي عنه ص وقد سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فانه يحتمل ان يكون انما سئل عمن يبلغ من اطفال المشركين كيف تكون صورته والى اي شيء تنتهي عاقبته فقال الله اعلم بما كانوا عاملين واراد ان ذلك مستور عنه ص ولو كانت المسئلة عمن اخترم طفلا لم يجز ان يكون الجواب ذلك واما ابن قتيبة فانه رد على ابي عبيد من غير وجه يقتضي الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وترك ان يفسده من الوجه الذي يفسد به وهو الذي ذكرنا وكيف ينبه على فساده من هذه الجهة وقد اختار في تاويل الخبر ما يجري في الفساد والاختلال مجرى تاويل ابن المبارك فاما النسخ في الاخبار فجائز اذا تضمنت معنى الامر والنهي ويكون دالا على جواز النسخ في الاوامر والاخبار على جواز ذلك فيها وهذا مثل ان يقول ع الصلوة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست واجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم الاول كما لو قال صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهي الثاني ناسخا للاول واما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم من الامالي عند تاويلنا قوله تع واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم وافسدنا قول من عتقد انه مسح ظهر ادم واستخرج منه الذرية واشهدها على نفوسها واخذ اقرارها بمعرفته بوجوه من الكلام فلا طائل في اعادة ذلك



مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تع فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فقال ما معنى الاستثناء ههنا والمراد التابيد والدوام ثم ما معنى التقييد بمدة السموات والارض التي تفنى وتنقطع الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجوه اولها ان تكون الا وان كان ظاهرها الاستثناء فالمراد بها الزيادة فكانه تع قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك الف دينار الا الالفين اللذين اقرضتكهما وقت كذا وكذا فالالفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين والوجه الثاني ان يكون المعنى الا ما شاء ربك من كونهم قبل دخول الجنة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو ما بين الحيوة والموت وفي حال

المحاسبة

المحاسبة والعرض وغير ذلك لانه تع لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون في النار او الجنة من لدن نزول الاية او من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة والوجه الثالث ان تكون الا بمعنى الواو والتاويل خالدين فيها ابدا ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون في الجنة او النار من لدن نزول الاية او من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه ما دامت السموات والارض وما شاء ربك من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر: وكل اخ مفارقه اخوه * لعمر ابيك الا الفرقدان * معناه والفرقدان وبقول الاخر: وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم * الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم * والمراد بالا ههنا الواو والا كان الكلام متناقضا والوجه الرابع ان يكون الاستثناء الاول متصلا بقوله تع لهم فيها زفير وشهيق وتقدير الكلام لهم في النار زفير وشهيق الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود فان قيل هبوا ان هذا امكن في الاستثناء الاول كيف يمكن في الثاني قلنا يحمل الثاني على الاستثناء المكث في المحاسبة والموقف وغير ذلك مما تقدم ذكره والوجه الخامس ان يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود وانما الغرض فيه انه لو شاء ان يخرجهم وان لا يخلدهم لفعل وان التخليد انما يكون بمشيته وارادته كما يقول القائل لغيره والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وهو لا ينوي الا ضربه ومعنى الاستثناء ههنا اني لو شئت ان لا اضربك لفعلت وتمكنت غير اني اجمع على ضربك والوجه السادس ان يكون التعليق لذلك بالمشية على سبيل التاكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تع لا يشاء الا تخليدهم على الحكم بوعده عليه ويجري ذلك مجرى قول العرب والله لا اهجرنك الا ان يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك اني اهجرك ابدا من حيث علق بشرط معلوم انه لا يحصل وكذلك معنى الايتين والمراد بهما انهم خالدون ابدا لان الله تع لا يشاء ان يقطع خلودهم والوجه السابع ان يكون المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعاتهم المعاصي فقال تع انهم معاقبون في النار الا ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم

البه ويجوز ايضاً ان يريد باهل الشقاء ههنا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء
ربك من اخراج بعضهم وهم اهل الثواب واما الذين سعدوا فانما استثنى من خلودهم ايضاً لما
ذكرناه لان من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها لا بد في الاخبار عنه بتأبيد خلوده من استثناء ما
تقدم فكأنه تعالى قال انهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الوقت
الذي دخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى الجنة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا
وانما اجرى عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم فهم اذا ادخلوا النار وعوقبوا فيها من اهل الشقاء
واذا نقلوا الى الجنة من اهل الجنة والسعادة وقد ذهب الى هذا الوجه جماعة من المفسرين
كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن ابي روق عن الضحاك عن ابن
عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من اهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل
الله عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال وسعداء في حال اخرى واما تعليق
الخلود بدوام السموات والارض فقد قيل فيه ان ذلك لم يجعل شرطاً في الدوام وانما علق به على
طريق التبعيد وتأكيد الدوام لان للعرب في مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالى عليها لانهم يقولون
لا افعل كذا ما لاح كوكب وما اضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما تغنت
حمامة ونحو ذلك ومرادهم التأبيد والدوام ويجري كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا افعل كذا ابداً لانهم
يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم انما يجرونها بحسب اعتقادهم لا بحسب ما
يجري عليه الشيء في نفسه الا ترى ان بعضهم لما اعتقد في الاصنام ان العبادة تحق لها سماها
الهة بحسب اعتقاده وان لم تكن في الحقيقة كذلك ومما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول [illegible]
العبدي: ذهب الجود والجنيد جميعاً ... فعلى الجود والجنيد السلام ... اصبحا ثاويين في قعر رمس
ما تغنى على الغصون الحمام. وقال الاعشى: الست منتهياً عن نحت اثلتنا ... ولست
ضائرها ما اطت الابل. وقال الاخر: لا افتأ الدهر ابكيهم باربعة ... ما اجترت النيب او حنت الى
البلد. وقال زهير مبيناً عن اعتقادهم في دوام الجبال وانها لا تفنى ولا تتغير: الا لا ارى
على الحوادث باقياً ... ولا خالداً الا الجبال الرواسيا. فهذا وجه وقيل ايضاً في ذلك ان اراد

الشرط

الشرط وعنى بالابد دوام السموات والارض المبدلتين لانه قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
فاعلمنا انهما تبدلان وقد يجوز ان يديمهما بعد التغير ابداً بلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام
السموات والارض قبل التبديل والفناء ويمكن ان يكون المراد انهم خالدون بمقدار مدة السموات
والارض التي يعلم الله انقطاعهما ثم يزيدهم الله على ذلك ويخلدهم ويؤبدهم مقامهم وهذا الوجه يليق
بالاجوبة التي تتضمن ان الاستثناء اريد به الزيادة على المقدار المتقدم لا النقصان قال المرتضى رضي
وجدت ابا القاسم الآمدي قد ظلم البحتري في تفسير بيت له مضافاً الى ظلمه له في اشياء كثيرة وتأولها
على خلاف البحتري حكى قوله: كالبدر الا انها لا تجتلى ... والشمس الا انها لا تغرب. ثم قال وهذا
[illegible] قال كالبدر الا انها لا تجتلى فالمعنى ان عيون الناس كلهم ترى البدر ويجتلونه وهي
لا تراها العيون ولا تجتلى ثم قال والشمس الا انها لا تغرب وانما قال لا تجتلى لانها محجوبة واذا كانت
في حجاب فهي في غروب لان الشمس اذا غربت فانما تدخل تحت الحجاب وظاهر المعنى كالبدر الا ان
العيون لا تراها والشمس الا ان العيون لا تفقدها قال وهذا القول متناقض كما تراه واظنه اراد
انها وان كانت في حجاب فانها لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت
واغتربت وغربت اذا توجهت نحو المغرب وقد يقال للرجل اغرب عنا اي ابعد ولو استعار لها اسم
الغروب عن الارض التي تكون فيها اذا ظعنت عنها الى ارض اخرى كان ذلك حسناً جداً لا سيما
وقد جعلها شمساً كما قال ابرهيم بن العباس الصولي: وزالت زوال الشمس عن مستقرها ... فمن مخبري
في اي ارض غروبها. قال وقد يجوز ان يقول قائل انه اراد لا تغرب تحت الارض كما تغرب الشمس وهذه
معاذير ضعيفة لابي عبادة فان لم يكن اخطأ فقد قصد اشياء قال المرتضى رضي وما المخطئ الا الآمدي
ومراد البحتري بقوله اوضح من ان يذهب على مثله لانه اراد بقوله والشمس الا انها لا تغرب
انها لا تصير بحيث يتعذر رؤيتها وتمتنع كما تتعذر رؤية الشمس على من غربت عن افق بلده وان المرأة
وان احتجبت باختيارها فان ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لانها اذا شاءت ظهرت وبرزت
للعيون والشمس اذا غربت فرؤيتها غير ممكنة بزوال ذلك المانع فكذلك القول في احتجاب المرأة
فلا تناقض في بيت البحتري على ما ظنه الآمدي ولبعضهم في هذا المعنى: قد قلت للبدر واستعبرت

حين بدا: ما فيك يا بدر لي من وجهها خلف ... تبدي لنا كلما شئنا محاسنها ... وانت تنقص
احياناً وتنكسف. فمعنى قوله وانت تنقص وتنكسف جار مجرى غروب الشمس لانه فضلها على البدر
من حيث كان بروزها للمبصر موقوفاً على اختيارها والبدر ينقص وينكسف ويغيب على وجه
لا يمكن رؤيته كما فضلها البحتري بانها لا تغرب حتى تصير رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك وقد
ظلم الآمدي وهذا عندي من هجاء ما مدح به خليفة واقبح ومن ذا يعنف الخليفة على الكرم
او يصده ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح قال السيد رضي وللبحتري في هذا مذهب من وجهين احدهما
ان يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكأنه قال لو عنف في عذل الماصده ذلك عن الكرم وان كان
من حق العذل والتعنيف ان يصدا ويحجزا عن الشيء وهذا له نظائر في القرآن وفي كلام
العرب كثيرة مشهورة وقد مضى فيما امليناه شيء من ذلك والوجه الآخر ان العذل
والتعنيف وان لم يتوجها اليه في نفسه فهما موجودان في الجملة على الاسراف في البذل والجود
بنفائس الاموال ولم يقل البحتري ان عذله يردعه او تعنيفه يصده وانما قال لا العذل
يردعه ولا التعنيف يصده فكأنه اخبر بان ما يسمعه من عذل العذال على الكرم وتعنيفهم
على الجود وان كان متوجهاً الى غيره فهو غير صاد له لقوة عزيمته وشدة بصيرته ومما
خطأ الآمدي فيه البحتري وان كان له فيه مذهب صحيح لم يهتد اليه قوله: ذنب كما سحب الرداء
يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل. قال الآمدي وهذا خطأ من الوصف لان
ذنب الفرس اذا مس الارض كان عيباً فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من
الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس: بضاف فويق الارض ليس باعزل. وقد عيب امرؤ القيس
بقوله: لها ذنب مثل ذيل العروس ... تسد به فرجها من دبر. وما ارى العيب يلحق امرأ القيس
لان العروس وان كانت تسحب اذيالها وكان ذنب الفرس اذا مس الارض عيباً فليس
بمنكر ان يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى ان يمس الارض لان الشيء انما يشبه بالشيء اذا قاربه
او دنا من معناه فاذا اشبهه في اكثر احواله فقد صح التشبيه ولاق به وامرؤ القيس لم
يقصد ان يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ والكثرة والكثافة

الا ترى

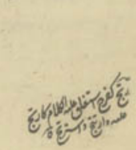
الا ترى انه قال تسد به فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا اشبه الذنب
الذيل من هذه الجهة كان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب
وانما العيب في قول البحتري: ذنب كما سحب الرداء افصح بان الفرس يسحب ذنبه ومثل قول
امرئ القيس قول خداش بن زهير: لها ذنب مثل ذيل الهدي ... الى جؤجؤ ايد الزافر. والهدي
العروس التي تهدى الى زوجها والايد الشديد والزافر الصدر لانها تزفر منه قال فشبه
الذنب الطويل السابغ بذيل الهدي وان لم يبلغ في الطول الى ان يمس الارض قال المرتضى رضي
وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس في قوله مثل ذيل العروس غير ان
الآمدي لم يفطن له واول ما نقوله ان الشاعر لا يجب ان يؤخذ عليه في كلامه بالتحقيق والتحديد
فان ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه وكلام القوم مبني على التوسع والتجوز والاشارة الخفية
والايماء الى المعاني تارة من بعد واخرى من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة واصحاب
المنطق وانما خاطبوا من يعرف اوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما اراد البحتري بقوله ذنب كما
سحب الرداء المبالغة في وصفه بالطول والسبوغ وانه قد قارب ان يسحب ويكاد يمس الارض
ومن شأن العرب ان لا تجري على الشيء الوصف الذي قد كاد يستحقه وقرب منه القرب الشديد
فيقولون قد قتل فلاناً هوى فلانة وذله عقله واذا اغتبره ولخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما
ارادوا المبالغة وافادة المقاربة والمشارفة ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى ومن شأنهم ايضاً
اذا ارادوا المبالغة التامة ان يستعملوا امثال هذا فيشبهون الكفل بالكثيب وبالدعص وبالتل
ويشبهون الخصر بوسط الزنبور وبمقدار حلقة الخاتم ويعدون هذا غاية المدح والحسن في الوصف
ونحن نعلم انا لو رأينا من خصره بمقدار وسط الزنبور وكفله كالكثيب العظيم لاستبعدناه واستهجنا
صورته لتفاوتها وقبحها وانما اتوا بالفاظ المبالغة صنعة وتأنقاً لا لتحمل على ظواهرها ونجد بها
وتحقيقاً بل ليفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة ويترك ما وراء ذلك فكأنا نفهم من قولهم
ان خصرها كخصر الزنبور انه في نهاية الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم كفلها كالكثيب انه في نهاية
الدثارة المطلوبة المحمودة لا انه كالتل على الحقيقة فهكذا لا ينكر ان يريد البحتري بقوله كما سحب الرداء

انه في غاية الطول الممدوح لا انه يجر على الارض في الحقيقة وكلنا في تلخيص معناه وتفصيله الى العاقل
الجارية لنظر انه من الشعر امره في استعمال مثل هذا اللفظ الذي استعمله وقد قال بعضهم في ثقل العجيزة
تمشي فتثقلها روادفها فكانها تمشي الى خلف وقال المؤمل من راى مثل حبتي تشبه البدر اذ بدا
تدخل اليوم ثم تدخل روادفها غدا وقال ذو الرمة ورمل كاوراك العذارى قطعته وقد
جللته المظلمات الحنادس وهذا كلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف في نهاية القبح
لان من يمشي الى خلف ومن يدخل كفله بعده لا يكون مستحسنا وقال بكر بن النطاح فرعاء
تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثل اسحم فكانها فيه نهار مشرق وكانه ليل عليها
مظلم فوصف شعرها بانه يسحب مع قيامها ونحن نعلم ان طول الشعر وان كان مستحسنا فليس الى
هذا الحد وانما اراد بقوله تسحب شعرها ما اراده البحتري بقوله كما سحب الرداء من المبالغة في
الوصف بالطول المحمود دون المذموم **مجلس آخر تأويل آية** ان سال سائل عن قوله تعالى
اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فقال ما تاويل هذه الاية وان
كان المراد بها التعجب من قوة اسماعهم ونفاذ ابصارهم فكيف يطابق ما اخبر به عنهم في مواضع كثيرة
من الكتاب بانهم لا يبصرون ولا يسمعون وان على ابصارهم واسماعهم غشاوة وما معنى قوله لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين واي يوم هو اليوم المشار اليه وما المراد بالضلال المذكور
الجواب قلنا اما قوله تعالى اسمع بهم وابصر فهو على مذهب العرب في التعجب يجري مجرى قولهم في التعجب
ما اسمعه وما ابصره والمراد بذلك الاخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وانهم عارفون به
على وجه لا اعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على ان اهل الاخرة عارفون بالله تعالى ضرورة ولا تنافي
بين هذه الاية وبين الايات التي اخبر عنهم فيها بانهم لا يسمعون ولا يبصرون وبان كان على الابصار
غشاوة لان تلك الايات تناولت احوال التكليف وهي الاحوال التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين
جاهلين بالله تعالى وصفاته وهذه الاية تناولت يوم القيمة وهو المعنى بقوله تعالى يوم ياتوننا واحوال القيمة
لا بد فيها من المعرفة الضرورية وتجري هذه الاية مجرى قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد واما قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فيحتمل



ان يريد بقوله اليوم الدنيا واحوال التكليف ويكون الضلال المذكور انما هو الذهاب عن الدين
والعدول عن الحق واراد تعالى انهم في الدنيا جاهلون وفي الاخرة عارفون بحيث لا تنفعهم
المعرفة ويحتمل ان يريد باليوم يوم القيمة ويعني بالضلال العدول عن طريق الجنة ودار الثواب الى
دار العقاب فكانه قال اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا غير انهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون
في هذا اليوم الى العقاب ويعدل بهم عن طريق الثواب وقد روي معنى هذا التاويل عن جماعة من
المفسرين فروي عن الحسن في قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا قال يقول هم يوم القيمة سمعاء بصراء
لكن الظالمون اليوم في الدنيا ليسوا اسمعاء ولا ابصراء ولكنهم في ضلال عن الدين مبين وقال
قتادة وابن زيد ذلك والله يوم القيمة سمعوا حين لم ينفعهم السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر
وقال ابو مسلم بن بحر في تاويل هذه الاية كلاما جيدا قال معنى اسمع بهم وابصر ما اسمعهم وما
ابصرهم وهذا على طريق المبالغة في الوصف يقول فهم يوم ياتوننا اي يوم القيمة بصراء سمعاء
اي عالمون وهم اليوم في الدار الدنيا في ضلال مبين اي جهل واضح قال وهذه الاية تدل
على ان قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه الافة في الاذن والعين والجوارح بل هو انهم
لا يسمعون عن فكرة ولا يتدبرون ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون
فقد نرى انه جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين مقابلا لقوله اسمع بهم وابصر يوم
ياتوننا اي ما اسمعهم وابصرهم فاقام السمع والبصر مقام العلم اذ جعله بازاء الضلال المبين
فاما ابو علي محمد بن عبد الوهاب فانه اختار في تاويل هذه الاية غير هذا الوجه ونحن نحكي كلامه
على وجهه قال وعنى بقوله تعالى اسمع بهم وابصر اي اسمعهم وبصرهم وبين لهم انهم اذا اتوا مع
الناس الى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن الجنة وعن الثواب الذي يناله المؤمنون
والظالمون الذين ذكرهم الله تعالى هم هؤلاء الذين يوعدهم الله تعالى بالعذاب في ذلك اليوم ويجوز ايضا
ان يكون عنى بقوله اسمع بهم وابصر اي اسمع الناس بهؤلاء الانبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم
ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم ويقتدوا باعمالهم واراد بقوله لكن الظالمون لكن من كفر بهم من الظالمين
اليوم وهو يعني يوم القيمة في ضلال عن الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع محل التي الموضع

استدركت على ابي علي ونسب فيها الى الزلل لان الكلام وان كان محتملا لما ذكره بعض الاحتمال
من بعد فان الاولى والاظهر في معناه ما تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله تعالى لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين بعد ما تقدم لا يليق الا بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما اذا حمل اليوم على ان المراد به
الى يوم القيمة على ان ابا علي جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة قوله اسمعهم
وابصرهم وتاوله على ان المعنى به اعلمهم وبصرهم بان يوم القيمة في ضلال مبين عن الجنة والكلام
يشهد بان ذلك لا يكون من صلة الاول وان قوله لكن استيناف لكلام ثان وما يحتاج ابو علي
الى هذا بل لو قال على ما اختاره من التاويل انه اراد اسمعهم وابصرهم يوم ياتوننا اي ذكرهم
باحواله واعلمهم بما فيه ثم قال مستانفا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتج الى ما ذكره
وكان هذا اشبه بالصواب فاما الوجه الثاني الذي ذكره فباطل لان قوله اسمع بهم وابصر اذا تعلق
بالانبياء الذين ذكرهم بقي قوله يوم ياتوننا بلا عامل ومحال ان يكون ظرف لا عامل له فالاقرب ان
يكون على الوجه الاول مفعولا ووجدت بعض من اعترض على ابي علي بقوله رادا عليه لو كان
الامر على ما ذهب اليه ابو علي لوجب ان يقول اسمعهم وابصرهم بغير باء وهذا الرد غير صحيح لان الباء في
مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها وذلك موجود كثير في القران والشعر قال الله تعالى اقرا باسم ربك
الذي خلق وعينا يشرب بها عباد الله وهزي اليك بجذع النخلة وتلقون اليهم بالمودة
وقال الاعشى ضمنت برزق عيالنا ارماحنا وقال امرؤ القيس هصرت بغصن
ذي شماريخ ميال واظن ان ابا علي انما اشتبه بهذا الجواب انه وجد تاليا للاية لفظ امر وهو
قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة فحمل الاول على الثاني والكلام لا تشتبه معانيه من حيث الجار
بل الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه قال المرتضى رضي الله عنه وجدت جماعة من
اهل الادب يستبعدون ان يرتج على انسان في خطبة او كلام قصد له فينبعث منه في
تلك الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون ان العي ان
لا يكون الا عن حيرة وضلال فكيف تجتمع معها البراعة الثاقبة والبلاغة الماثورة مع حاجتها
الى اجتماع الفكر وحضور الذكر وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستعذب مستغرب



عمن حصر في خطبة او منطق الى انه موضوع مصنوع وليس الذي استبعدوه ببعيد ولا
منكر لان العي ان قد يختص شيئا دون شيء ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعالم
متعارف فلا ينكر ان ينسى الانسان شيئا قصده وعزم على الكلام فيه ويكون مع ذلك
ذاكرا لغيره متكلما فيه بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن المقصد
يهيجان القريحة ويوقدان الفكرة فينبعثان على احسن الكلام وابرعه ليكون ذلك جبرا لما
من العي واشفاء من اللكنة ومن احسن ما روي وابدع من الكلام في حال الحصر والانقطاع
عن المقصود من الكلام ما اخبرنا به ابو عبد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا
ابو حاتم قال المرزباني واخبرنا ابن دريد مرة اخرى قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد
عن ابن الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله القسري يوما المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال ايها الناس
ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول يجيء احيانا ويذهب احيانا فيتسبب عند مجيئه سببه
ويعز عند عزوبه طلبه وربما كوبر فابى وعولج فابطا وقال ابن الكلبي ربما طلب فابى وعولج
قسا فالتاني لمجيئه اصوب من التعاطي لابيه ثم نزل فما روي حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم
والترك لابيه افضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعززه اولى من طلبه عند تنزحه وقد
يختلج من الجريء جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل واخبرنا بهذا الخبر عبيد الله على وجه اخر
قال اخبرنا ابرهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد الله القسري حين ولاه
هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتبالغ فقدم واسطا فصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج
عليه فقال ايها الناس ان هذا الكلام يجيء احيانا ويعزب احيانا فيعز عند عزوبه طلبه وينيب
عند مجيئه سببه وربما كوبر فابى وعوسر فقسا والتاني لمجيئه اسهل من التعاطي لابيه وتركه
عند تعذره احمد من طلبه عند تذكره فقد يرتج على البليغ لسانه فلا ينظره القول اذا اتسع
ولا يتيسر اذا امتنع ومن لم تكن له الخطوة تخليق ان تعن له النبوة واخبرنا المرزباني قال اخبرنا
ابو عبد الله ابرهيم محمد بن عرفة قال حدثنا ابو العباس المنصوري قال صعد ابو العباس السفاح
المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس انما اللسان بضعة من الانسان يكل اذا كل وينفسح بانفساح

اذا افتتح نحن امراء الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذرا
ولا نسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر لكان
من اخطب الناس وهذا الكلام يروى لداود بن علي وبهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن
قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيه قال اراد ابو العباس السفاح يوما ان يتكلم في امر من الامور بعد ما
افضت الخلافة اليه وكان فيه حياء مفرط فارتج عليه فقال داود بن علي بعد ان حمد الله واثنى عليه
ايها الناس ان امير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عند ما تعهدون من بيانه
ولكل مرتقى بهر حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ورغد معيشتكم واخبرنا
ابو عبيد الله قال اخبرنا ابرهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا عبد الله بن اسحق بن سلام قال صعد
عثمان بن عفان المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي نطقا
وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وروى محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن
يزيد بن ابي سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال اهن
مخرجاتي من الشام استحسانا للكلام وروى محمد بن يزيد النحوي قال بلغني ان رجلا صعد المنبر ايام
يزيد وكان واليا على قوم فقال لهم ايها الناس اني الا اكن فارسا طبا بهذا القرآن فان معي من
اشعار العرب ما ارجو ان يكون خلفا منه وما اساء اخو البراجم حيث يقول وما عاجلات
الطير يدنين للفتى رشادا ولا من ريثهن يخيب ورب امور لا تضيرك ضيرة وللقلب من
مخشاتهن وجيب ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب وفي الشك
تفريط وفي الحزم قوة ويخطي الفتى في حدسه ويصيب فقال له رجل من كلب ان هذا المنبر
لم ينصب للشعر بل لحمد الله عليه والصلاة على نبيه وللقرآن فقال اما لو انشدتكم شعر رجل من كلب
لسركم فكتب الى يزيد بذلك فعزله وقال كنت ارى انك جاهل ولم احسب ان الحمق يبلغ
بك هذا المبلغ فقال له احمق مني من ولاني وكان يزيد بن المهلب ولى ثابت بن قطنة بعض
قرى خراسان فصعد المنبر فحصر فنزل وهو يقول فان لا اكن فيكم خطيبا فانني بسيفي اذا
جد الوغى لخطيب فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت اخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل

قال

فقال ابا العلاء لقد لقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق اما القرآن فما يهدى
لمحكمه ولم تسدد من الدنيا بتوفيق لما رمتك عيون الناس هبتهم وكدت تشرق لما قمت
بالريق تلوي اللسان اذا رمت الكلام به كما هوى زلق من جانبي نيق وروي ان بعض
خلفاء بني العباس واظنه الرشيد صعد المنبر فسقطت ذبابة على وجهه فطردها فعادت
فحصر فارتج عليه فقال اعوذ بالله السميع العليم يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية
ثم نزل فاستحسن منه ذلك ومما يشاكل هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان لنا
بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا صمتا ولا زكيا ولا وقورا
اضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك كان يصلي الغداة في منزله وهو
قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكي ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو ولا
يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحرك رجلا عن رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كانه بناء مبني
او صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى
يقوم الى العصر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه
بل كثيرا ما يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يصلي العشاء وينصرف
ولم يقم في طول تلك الولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب
وكذلك كان شانه في طوال الايام وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها فكان مع ذلك لا يحرك
يدا ولا يشير براسه وليس الا ان يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فبينا هو كذلك
ذات يوم واصحابه حواليه والسماط بين يديه اذ سقط على انفه ذباب فاطال السقوط والمكث ثم
تحول الى موق عينه فرام الصبر على سقوطه على الموق وعلى عضه ونفاذ خرطومه كما رام الصبر
على سقوطه على انفه من غير ان يحرك ارنبته او يغضن وجهه او يذب باصبعه فلما طال ذلك
من الذباب واوجعه واحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل عنه اطبق جفنه الاعلى على
جفنه الاسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى ان والى بين الاطباق والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه
ثم عاد الى موقه ثانية اشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان قد كان اوهاه قبل ذلك فكان

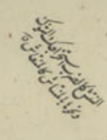
احتماله له اضعف وعجزه عن الصبر في الثانية اقوى فحرك اجفانه وزاد في شدة الحركة وفي
تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ
صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بدا من ان يذب عن عينه بيده ففعل وعيون القوم اليه ترمقونه
كانهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه فالجأه الى ان ذب عن وجهه
بطرف كمه ثم الجأه الى ان تابع بين ذلك وعلم ان فعله كله بعين من حضر من امنائه وجلسائه
فلما نظروا اليه قال اشهد ان الذباب الح من الخنفساء وازهى من الغراب واستغفر الله
فما اكثر من اعجبته نفسه فاراد الله تعالى ان يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا وقد علمت اني كنت عند
الناس من ازهد خلق الله وقد غلبني وفضحني اضعف خلق الله ثم تلا قوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب

مجلس آخر تأويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون الى قوله عظيم فقال كيف
تنكرون ان يكون في هذه الآية دلالة على اضافة الافعال التي تظهر من العباد اليه تعالى من وجهين احدهما
انه قال بعد ذكر ما تقدم من افعالهم ومعاصيهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه
والثاني انه اضاف نجاتهم من آل فرعون اليه تعالى واذ نجيناكم ومعلوم انهم هم الذين ساروا حتى
نجوا فيجب ان يكون ذلك السير فعله على الحقيقة حتى تصح الاضافة الجواب قلنا اما قوله تعالى وفي
ذلكم بلاء من ربكم عظيم فهو اشارة الى ما تقدم ذكره من انجائه لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم
انه معطوف على ما تقدم من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
والبلاء ههنا الاحسان والنعمة ولا شك في ان تخليصه لهم من ضروب المكروه التي عددها
نعمة عليهم واحسان اليهم والبلاء عند العرب قد يكون حسنا وقد يكون سيئا قال الله تعالى وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا ويقول الناس في الرجل اذا احسن القتال والثبات في الحرب قد ابلى فلان فلان
بلاء والبلوى ايضا قد تستعمل في الخير والشر الا ان اكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل
والخير والبلوى المقصور في السوء والشر وقال قوم اصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان
ثم يستعمل في الخير والشر لان الامتحان والاختبار يكون في الخير والشر جميعا كما قال تعالى وبلوناهم
بالحسنات والسيئات يعني اختبرناهم وكما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالخير يسمى بلاء والشر

ايضا

ايضا يسمى بلاء غير ان الاكثر في الشر ان يقال بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابليه ابلاء وقال زهير
في البلاء الذي هو الخير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم فابلاهما خير البلاء الذي يبلو
فجمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها عباده وكيف يجوز ان
يضيف ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الى نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف
يكون ذلك من فعله وهو قد عد تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون انما
نجاهم من فعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله ذلكم الى ما حكاه عن
آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى ان في تخليته بين هؤلاء وبينكم وتركه منعهم عن
ايقاع هذه الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم اي محنة واختبار لكم والوجه الاول اقوى واولى وعليه
جماعة من المفسرين وروى ابو بكر الهذلي عن الحسن في قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال اي نعمة
عظيمة اذ انجاكم من ذلك وقد روي مثل ذلك عن ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم فاما



اضافة النجاة اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلو دل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان الرسول
انقذنا من الشرك واخرجنا من الضلال الى الهدى ونجانا من الكفران يكون فاعلا لافعالنا وقد
قد يقول احدنا لغيره انا نجيتك من كذا وكذا وانتشلتك وخلصتك ولا يريد انه فعل فعله والمعنى
في ذلك ظاهر لان ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته والطافه قد تصح اضافته
اليه فعلى هذا صحت اضافة النجاة اليه تعالى ويمكن ايضا ان يكون مضيفا لها اليه تعالى من حيث ثبط عنهم
الاعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا يرجع الى المعونة فتارة تكون بامر يرجع اليهم وتارة بامر يرجع
الى اعدائهم فان قيل كيف يصح ان يقول واذ انجيناكم يخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا
من شره قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله نظائر كثيرة لان العربي قد يقول مفتخرا على غيره
قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد ان قومي فعلوا ذلك بقومك قال الاخطل يهجو جرير بن عطية



ولقد سما لكم الهذيل فنالكم باراب حيث يقسم الانفالا في فيلق يدعو الاراقم لم تكن
فرسانه عزلا ولا اكفالا ولم يلحق جرير الهذيل ولا ادرك اليوم الذي ذكره غير انه لما كان يوما
من ايام قوم الاخطل على قوم جرير اضاف الخطاب اليه والى قومه وكذلك خطاب الله تعالى بالآية

انما توجه الى ابنائه من بقى من ال فرعون واخلافهم والمعنى اذ نجينا اباءكم واسلافكم والنعمة على
السلف نعمة على الخلف قال المرتضى رضي الله عنه ومن احسن الشعر فى نعوت الضيافة والانس بها والاستبشار
عليها قول حاتم بن عبد الله الطائى اذا ما بخيل الناس هرت كلابه وشق على الضيف الغريب
عقورها فانى جبان الكلب بيتى موطأ جواد اذا ما النفس شح ضميرها وان كلابى قد
اقرت وعودت قليل على من يعتريها هريرها اراد بقوله قليل على من يعتريها هريرها
انها لا تهر جملة ولذلك نظائر كثيرة ومثله قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ومثله قوله فانى جبان الكلب
لفظا ومعنى قول الشاعر وما يك فى من عيب فانى جبان الكلب مهزول الفصيل وانما
اراد انى اوثر الضيف بالالبان فيصالى مهازيل ومثل اللفظ والمعنى ايضا قول ابى وجزة
قال الزبير بنو احوة مروا بالسيوف الصدور الجبان فانى يموتون والقتل من دابهم ويغشون
يوم السيوف ليانا فانا واجبن من صافر كلبهم وان قذفته حصاة اضافا يقول ادركوا
بسيوفهم ثارانهم فكانهم شفوا وغر قلوبهم فازالوا ما كان فيها من الاحقاد ومعنى مروا
اى استخرجوا كما تمرى الناقة اذا اردت ان تحلبها الشدة تعالجا نقص المائل ثم قال وان مات
بعضهم على فراشه فان اكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم فلذلك قال والقتل من دابهم
وجعل كلبهم جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم من النزال والاضياف فقد الفتهم كلابهم
وانست بهم فهى لا تنبحهم وقيل ايضا انها لا تهر عليهم لانها تصيب مما ينحر لهم ونثار كلمهم
ومعنى وان قذفته حصاة اضافا اى اشفق وهذا تاكيد لجبنه يقال اضاف الرجل من الامر
اذا اشفق منه ومعنى اجبن من صافر قد تقدم ذكره فى الامالى ومثله فى المعنى لحسان بن ثابت
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسالون عن السواد المقبل وقال المرار بن المنقذ العدوى
اعرف الحق ولا انكره وكلابى انس غير عقر لا ترى كلبى الا انسا ان اتى خابط ليل لم يهر
كثر الناس فما ينكرهم من اسيف يبتغى الخير وحر الا سيف العبد هاهنا وقال الاخر الى
ماجد لا ينبح الكلب ضيفه ولا يتادى احتمال المغارم معنى يتاداه يثقله واراد ان يقول
يتاوده فقلب قال ابن هرمة واذا انا طارق مسنور ينبحك فدلته على كلابى وفرحن

اذا ابصرنه فلقينه يضربنه بشر ايسر الاذناب وانما تفرح به لانها قد تعودت اذا نزلت الضيوف
ان ينحر لهم فتصيب من قرامهم ومثله له ومستنبح تستكيط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو
بالثوب معتصم عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب او ليفزع نوم فجاوبه مستنبح
الصوت للقرى له عند اتيان المهبين مطعم يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه
من حبه وهو اعجم اراد بقوله فجاوبه مستمع الصوت انه جاوبه كلب والمهبون الموطون
له ولاهله وهم الاضياف وانما كان له معهم مطعم لانه ينحر لهم ما يصيب منه واراد بقوله
يكلمه من حبه وهو اعجم بصبصته وتحريكه ذنبه فاما قوله ليفزع نوم فانما اراد ليغيث قوم
يقال فزعت لفلان اذا اغثته ومعنى عوى فى سواد الليل ان العرب تزعم ان سارى الليل اذا
اظلم عليه واذلهم فلم يستبن محجة ولم يهتد الى الحلة وضع وجهه مع الارض وعوى عواء
الكلب ليستمع ذلك الصوت الكلاب ان كان الحى قريبا منه فتجيبه فيقصد الابيات وهذا معنى
قوله ابقى مستنبح اى ينبح نباح الكلب وقال الفرزدق فى مثله وداع بلحن الكلب يدعو
ودونه من الليل سجفا ظلمة وغيومها دعا وهو يرجو ان ينبه اذ دعى فتى كابن ليلى حين
غارت نجومها بعثت له دهماء ليست بلقحة تدر اذا ما هب نحسا عقيمها معنى بعثت
اى رفعتها على اثافيها ويعنى بالدهماء قدرا واللقحة الناقة واراد ان قدره تدر اذا هبت
الريح عقيما لا مطر فيها كما ان الحال الغرفى حجرها عذارى بدت لما اصيب حميمها اراد ان
قطع اللحم لا تستر منها شى كما لا تستر العذارى اللواتى اصيب حميمهن فظهرن حواسر غضبا
كجزوم النعام احمشت بالجوانحتب زال عنها هيمها الاجواز الاوساط واوساط الحطب
اصلب وابقى نارا محضرة لا يجعل الستر دونها اذا المرضع العوجاء جال بريمها البريم الحقاب
وانما يجول من الهزال والجهد والطوى والعوجاء التى قد اعوجت من الطوى وقال الاخطل فى
الضيف دعانى بصوت واحد فاجابه مناد بلا صوت واخر صيت ذكر ضيفا عوى كما يعوى
والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوت واحد وقوله فاجابه مناد بلا صوت يعنى نارا
رفعها له فراها فقصدها والاخر الصيت الكلب لانه اجاب عواه ومثله وسارى ظلام

مقفعل وهبوة دعوت بضوء ساطع فاهتدى ليا يعنى نارا رفعها ليقصده طارق الليل
والمقفعل المنقبض من شدة البرد وانشد محمد بن يزيد ومستنبح تهوى مساقط راسه الى
كل صوت فهو للصوت اصور حبيب الى الكلاب الكرام مناخه بغيض الى الكوماء والكلب ابصر
دعته بغير اسم هلم الى القرى فاسرى يبوع الارض شقراء تزهر معنى اصور اى مائل اراد
انه يميل راسه الى كل شخص يتخيل له يظنه انسانا ومعنى حبيب الى الكلب المعنى الذى تقدم
ومعنى بغيض الى الكوماء اى الى الناقة لانها تنحر له وقوله دعته شقراء بغير اسم يعنى نارا
راى ضوءها فقصدها فكانها دعته وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف فقلت لقينتى اوقدا
وحرقا لعل سنا نارى باخر هيف وفى معنى قوله بغيض الى الكوماء قول بعض الشعراء يمدح
رسول الله وابيك خيرا ان ابل محمد عزل تناوح ان تهب شمال واذا رأين لدى الفناء
غريبة ذرفت لهن من الدموع سجال وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخما وما تحيا
لهن فصال اراد وابيك الخير فلما طرح الالف واللام نصب والعزل التى لا سلاح معها
وسلاح الابل سمنها واولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها اذا
راى سمنها وحسن اجسامها وراى اولادها تتبعها انفس بها على الاضياف فامتنع من نحرها
فلما كان ذلك صادا عن الذبح ومانعا منه جرى مجرى السلاح لها فكانه يقول هذه الابل وان
كانت ذوات سلاح من حيث كانت سمينة فهى كالعزل اذ كان سلاحها لا يغنى
عنها شيئا ولا يمنع من عقرها ومعنى تناوح يقابل بعضها بعضا اى هن مدفات باسمنتها
واوبارها ولا تبالى هبوب الريح ولا يدخل بعضها فى بعض من البرد وقوله واذا رأين لدى الفناء
غريبة اى اذا نزل ضيف فعقل ناقته التى جاء عليها وهى الغريبة علمن انه سينحر بعضهن لا محالة
فلذلك تذرف دموعهن وقوله وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخما فقد قيل اراد انه
يهب فصالهن فتبقى البانها على الارض كهيئة الرخم وحكى عن ابى العباس ثعلب انه قال الرخم
قطع العلق من الدم وعندى ان المعنى غير هذين جميعا وانه انما اراد انها تنحر وتعقر فتسقط
الرخم على موضع عقرها وبقايا دمها واسلائها فهذا معنى قوله لا ما تقدم وقال الاخر فى معنى

سلاح الابل يمدح بنى عوذ بن غالب من عبس جزى الله عنا غالبا خير ما جزى اذا حدثان الدهر
نابت نوائبه اذا اخذت بزل المخاض سلاحها تجرد فيهم متلف المال كاسبه اراد ان شحمها
وحسنها وتمامها لا يمنعنى من عقرها للاضياف ومثله اذا البقل فى اصلاب شول ابن مسهر
نمى لم يرده البقل الا تكرما اذا اخذت شول البخيل رماحها دحا برماحى الشول حتى تحطما
وقوله اخذت رماحها من المعنى المتقدم وقال المسكين الدارمى فنعمت ولم تاخذ الى
رماحها عشارى ولم ارجب عراقيبها عقرا لم ارجب لم اكبر ذلك ولم يعظم على ومنه رجب
رجبا من ذلك لانه شهر يعظم وقالت ليلى الاخيلية ولا تاخذ الكوم الجلاد سلاحها
لتوبة فى قر الشتاء الصنابر ومثله لا اخون الصديق ما حفظ العهد ولا تاخذ السلاح
لقاحى وقال النمر بن تولب ازمان لم تاخذ الى سلاحها ابلى بجلتها ولا ابكارها ابنزبها
البانها ولحومها فاهين ذلك لضيفها ولجارها وقال مضرس بن ربعى الاسدى وما
تلعن الاضياف ان نزلوا بنا ولا يمنع الكوماء منا نصيرها ومعنى لا تلعنهم اى لا
تبعد واللعين البعيد ونصيرها هاهنا ما يمنع من عقرها من حسن وتمام وولد وما يجرى
مجرى ذلك والنصير والسلاح فى المعنى واحد مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله
ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فقال ما تنكرون ان يكون ظاهر
هذه الاية يقتضى ان يكون جميع ما نفعله بمشيئته وارادته لانه لم يخص شيئا من شىء و
هذا بخلاف مذهبكم وليس لكم ان تقولوا انه خطاب للرسول خاصة وهو لا يفعل الا
ما يشاءه الله لانه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغاير عند اكثركم فلا بد من ان
يكون فى افعاله ما لا يشاؤه عندكم ولانه ايضا تاديب لنا كما انه تعليم له ولذلك يحسن منا
ان نقول ذلك فيما نفعله الجواب قلنا تاويل هذه الاية مبنى على وجهين احدهما ان نجعل حرف
الشرط الذى هو ان متعلقا بما يليه وبما هو متعلق به فى الظاهر من غير تقدير محذوف
ويكون التقدير ولا تقولن انك تفعل الا ما يريد الله وهذا الجواب لا شبهة فى الاية ولا
سؤال للقوم علينا وفى هذا الوجه ترجيح ليس لغيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر

محذوفاً فكل جواب طابق الظاهر ولم يبن على محذوف كان اولى والجواب الآخر ان يجعل
ان متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان تقول ان
شاء الله لان من عادتهم اضمار القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام اذا طال وكان
في الموجود منه دلالة على المفقود وعلى هذا الوجه يحتاج الى الجواب عما سألنا عنه فنقول
هذا من تأديب الله تعالى لعباده وتعليمه لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج من
حد القطع ولا شبهة في ان ذلك مختص بالطاعات وان الافعال القبيحة خارجة منه لان
احدا من المسلمين لا يستجيز ان يقول اني ازني غدا ان شاء الله تعالى وكلهم يمنع من ذلك
اشد المنع فعلم سقوط شبهة من ظن ان الآية عامة في جميع الافعال واما ابو علي محمد بن عبد الوهاب
فانه ذكر في تأويل هذه الآية ما نحن ذاكروه بعينه قال انما عنى بذلك ان من كان لا يعلم انه يبقى الى
غد حيا فلا يجوز ان يقول اني سأفعل غدا كذا وكذا فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدري لعله يموت
فلا يفعل ما اخبر به لان هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على ما اخبر به المخبر فهو كذب واذا كان المخبر
لا يأمن ان لا يوجد مخبره لحدوث امر من فعل الله تعالى نحو الموت والعجز او بعض الامراض او لا يحدث من
ذلك بان يبدو له هو في ذلك فلا يأمن من ان يكون خبره كذبا في معلوم الله عز وجل فاذا لم يأمن
ذلك لم يجز ان يخبر به ولا يسلم خبره هذا من الكذب الا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فاذا قال
اني صائر غدا الى المسجد ان شاء الله فاستثنى في مصيره مشيئة الله تعالى امن من ان يكون خبره كذبا
في هذا لان الله تعالى ان شاء ان يلجئه الى المصير الى المسجد غدا الجأه الى ذلك وكان المصير منه لا محالة
فاذا كان ذلك على ما وصفناه لم يكن خبره هذا كذبا وان لم يوجد منه المصير الى المسجد لانه لم يوجد
ما استثناه في ذلك من مشيئة الله وقال وينبغي ان لا يستثني مشيئة دون مشيئة لانه ان استثنى
في ذلك مشيئة الله لمصيره الى المسجد على وجه التعبد فهو ايضا لا يأمن ان يكون خبره كذبا
لان الانسان قد يترك كثيرا مما شاء الله منه ويتعبده به ولو كان استثنى مشيئة الله لان يبقيه
ولا يقتطعه ويرفع عنه الموانع كان ايضا لا يأمن ان يكون خبره كذبا لانه قد يجوز ان لا يصير
الى المسجد مع ان يبقيه الله تعالى قادرا مخلى فلا يأمن الكذب في هذا الخبر دون ان يستثني المشيئة العامة

التي ذكرناها فاذا دخلت هذه المشيئة في الاستثناء فقد امن ان يكون خبره كذبا لانه ان كانت
هذه المشيئة متى حدثت وجب ان يدخل المسجد لا محالة وقال ومثل هذا الاستثناء يدخل في كلام
من حلف فقال والله لاصيرن غدا الى المسجد ان شاء الله لانه اذا استثنى على سبيل ما بينا
لم يجز ان يحنث في يمينه ولو خص استثناءه بمشيئة الله تعالى بعينها ثم كانت ولم يدخل
معها الى المسجد لحنث في يمينه وقال غير ابي علي ان المشيئة المستثناة ههنا هي مشيئة المنع
والحيلولة فكانه قال ان شاء الله تخليتي ولم يمنعني وفي الناس من قال المقصد بذلك ان يوقف
الكلام عن جهة القطع وان لا يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء ولا ينوي في ذلك الالجاء
ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصري واعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة
فقد يدخل في الايمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار
فاذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن مضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به وازالته عن
الوجه الذي وضع له ولذلك يصير ما تكلم به كانه لا حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه ان يستثني
في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء من ان يكون كلامه خبرا
قاطعا او يلزم به حكم وانما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لان فيه اظهارا
للانقطاع الى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه اجود ما يحمل عليه تأويل الآية
وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص الطاعات
ولهذا يجري قول القائل لاقضين غدا ما علي من الدين ولاصلين غدا ان شاء الله مجرى
ان يقول اني افعل ذلك ان لطف الله تعالى فيه وسهله فعلم ان المقصد واحد ومتى قصد الحالف
فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثا او كاذبا لانه اذا لم يقع علمنا انه
لم يلطف له لانه لا لطف له وليس لاحد ان يعترض هذا بان يقول الطاعات لا بد فيها من لطف
وذلك لان فيه من لطف وذلك لان فيها ما لا لطف فيه جملة فارتفاع ما هذه سبيله قد يكشف
عن انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح ان يقال في الآية لانه يختص الطاعات والآية تتناول
كل ما لم يكن قبيحا بدلالة اجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنته في فعل كل ما لم يكن قبيحا

وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الاحوال
وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية الا انه يعترضه ما ذكره ابو علي الجبائي
فيما حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشيئة ايضا في الكلام وان لم يرد به شيء مما تقدم بل يكون الغرض
به اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير ان يقصد به الى شيء من الوجوه المتقدمة ويكون هذا الاستثناء غير
معتد به في كونه كاذبا او صادقا لانه في الحكم كانه قال لافعلن كذا ان وصلت الى مرادي مع انقطاعي
الى الله عز وجل واظهاري لحاجتي اليه وهذا الوجه ايضا مما يمكن في تأويل الآية ومتى تأمل جملة ما ذكرناه
من الكلام عرف منه الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها المخالفون من قولهم لو كان الله تعالى انما
يريد العبادات من الافعال دون المعاصي لوجب اذا قال من لغريم عليه دين طالبه به والله لاعطينك
حقك غدا ان شاء الله ان يكون كاذبا او حانثا اذا لم يفعل لان الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وان
لم يقع وكان يجب ان تلزمه الكفارة وان لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه عن كونه حانثا كما انه
لو قال والله لاعطينك حقك غدا ان قدم زيد فقدم ولم يعطه يكون حانثا وفي الزام هذا الحنث
خروج عن اجماع المسلمين فصار ما اوردناه جامعا لبيان تأويل الآية والجواب عن هذه المسألة
ونظائرها والحمد لله وحده قال المرتضى رضي الله عنه تأملت ما اشتملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت
اكثر ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد والشيئين بالشيئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلثة بثلثة
واربعة باربعة وهو قليل ولم اجد من تجاوز هذا القدر الا قطعة مرت بي لابن المعتز فانها تضمنت
تشبيه ستة اشياء بستة اشياء فاما تشبيه الواحد بالواحد فمثل قول عنترة في وصف الذباب
هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم * ومثل قول عدي بن الرقاع يزجي
اغن كان ابرة روقه * قلم اصاب من الدواة مدادها * ومثل قول امرئ القيس كان عيون
الوحش حول قبابنا * وارحلنا الجزع الذي لم يثقب * وقوله اذا ما الثريا في السماء تعرضت
تعرض اثناء الوشاح المفصل * وقول ذي الرمة * وردت اعتسافا والثريا كانها على قمة
الراس ابن ماء محلق * وهذا الباب اكثر من ان يحصى واما تشبيه شيئين بشيئين فمثل
قول امرئ القيس * كان قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي *

وقوله

وكشح لطيف كالجديل مخصر * وساق كانبوب السقي المذلل * ولقول بشار * كان مثار النقع
فوق رؤوسهم * واسيافنا ليل تهاوى كواكبه * وقول الآخر * كان سقوط النقع والبيض
حولنا * سماوة ليل اسفرت عن كواكب * وقول ابي نواس * كان صغرى وكبرى من فقاقعها
حصباء در على ارض من الذهب * وللآخر * ان الشمول هي التي جمعت لاهل الود شملا
شبهتها وحبابها * بشقائق يحملن طلا * وللآخر * ابصرته والكاس بين فم منه وبين انامل
خمس فكانها وكان شاربها * قمر يقبل عارض الشمس * وللآخر * حتى اذا جليت في الكاس
جلت بها * عقيقة خلقت في قشر بلور * تغلي اذا مزجت في كاسها حببا * كانه عرق في خد مخمور
وقال البحتري * شقائق يحملن الندى فكانه * دموع التصابي في خدود الخرائد * وقال الآخر * وكان
الربيع يجلو عروسا * وكانا من قطره في نثار * ولابي العباس الناشئ * كان الدموع على خدها
بقية طل على جلنار * وقال ابن الرومي فاحسن * لو كنت يوم الفراق حاضرنا * وهن يطفين
غلة الوجد * لم تر الا الدموع سافحة * تسفح من مقلة على خد * كان تلك الدموع قطر ندى
يقطر من نرجس على ورد * وقال جران العود * ابيت كان الليل افنان سدرة * عليها
سقيط من ندى الطل ينطف * اراقب لمحا من سهيل كانه * اذا ما بدا في آخر الليل يطرف *
ولابن المعتز * سقتني في ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب * فامسيت في ليلين
بالشعر والدجى * وشمسين من خمر ووجه حبيب * وقال المتنبي * نشرت ثلث ذوائب من
شعرها * في ليلة فارت ليالي اربعا * واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتني القمرين
في وقت معا * فاما تشبيه ثلثة بثلثة فمثل قول ماني الموسوس * نشرت غدائر شعرها
لتظلني * خوف العيون من الوشاة الرمق * فكانه وكانها وكانني * صبحان باتا تحت ليل
مطبق * ولبعضهم * روض ورد خلاله نرجس * غض يحفان اقحوانا نضيرا * ذا يباهي
لنا خدودا وذا * يحكي عيونا وذا يضاهي ثغورا * وللآخر في النرجس * مداهن من تبر بين اوراق
فضة * لها عمد مخروطة من زبرجد * وللبحتري يصف ضمر المطايا * ونحولها كالقسي المعطفات
بل * الاسهم مبرية بل الاوتار * ولبعض الطالبيين * وانا ابن معتلج البطاح اذا غدا * غير

وراح على متون ضوامر • يفتر عن كنها وحطيها • كالجفن يفتح عن سواد الناظر •
كحبابها شرف ومثل سهولها خلق • ومثل ظباءهن مجاوري • واما تشبيه اربعة باربعة
فمثل قول امرئ القيس • له ايطلا ظبي وساقا نعامة • وارخاء سرحان وتقريب تتفل • ولآخر
كف تناول راحها بزجاجة • خضراء تقذف بالحباب وتزبد • فالكف عاج والحباب لؤلؤ
والراح تبر والاناء زبرجد • ولبعضهم وقد اهدى اليه نرجس واقحوان وشقائق واس
فكتب الى المهدي • لله ما اظرف اخلاقك يا بدر الكرم • اهديت ما ناسبها حسنا
وظرفا وشيم • وما رأينا مهديا قبلك في كل الامم • اهدى العيون والخدود والثغور واللمم
ولآخر • افدي حبيبا له بدائع اوصاف تعالت عن كل ما اصف • كالبدر يعلو والشمس تشرق و
الغزال يعطو والغصن ينعطف • وللمتنبي • بدت قمرا ومالت خوط بان • وفاحت عنبرا
ورنت غزالا • ولآخر • سفرن بدورا وانتقبن اهلة • ومسن غصونا والتفتن جوازئا واما
تشبيه خمسة بخمسة فقول الوأواء • فاسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت • وردا وعضت على
العناب بالبرد • واما تشبيه ستة بستة فلم اجده الا لابن المعتز في قوله • بدر وليل وغصن
وجه وشعر وقد • خمر ودر وورد • ريق وثغر وخد •

مجلس آخر تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا فقال كيف يجوز ان يامرنا على سبيل
العبادة لنا بالدعاء بذلك وعندكم ان النسيان من فعله تعالى ولا تكليف على الناسي في حال
نسيانه وهذا يقتضي احد امرين اما ان يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من
الناس او يكون متعبدين بمسئلته تعالى ما نعلم انه واقع حاصل لان مؤاخذة الناس مامونة منه تعالى
والقول في الخطا اذا اريد به ما وقع سهوا او عن غير عمد يجري هذا المجرى الجواب قلنا قد قيل
في تاويل هذه الآية ان المراد بنسينا تركنا قال ابو علي قطرب المستنير معنى النسيان ههنا الترك كما
قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي اي ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى نسوا
الله فنسيهم اي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك
اي لا تتركني منها وانشد ابن عرفة • ولم اك عند الجود للجود قاليا • ولا كنت يوم الروع للطعن تاليا

اي تاركا

اي تاركا ومما يمكن ان يكون شاهدا على ذلك قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
اي وتتركون انفسكم ويمكن في الآية وجه آخر على ان يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم ويكون
وجه الدعاء بذلك ما قد بيناه فيما تقدم من الامالي من انه على سبيل الانقطاع الى الله تعالى واظهار
الفقر الى مسئلته والاستعانة به وان كان مامونا منه المؤاخذة بمثله ويجري مجرى قوله تعالى
في تعليمنا وتاديبنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ويجري مجرى قوله رب احكم بالحق وقوله
ولا تخزني يوم يبعثون وقوله تعالى حاكيا عن الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم
عذاب الجحيم وهذا الوجه يمكن ايضا في قوله او اخطانا اذا كان الخطا ما وقع سهوا او عن غير عمد
فاما على ما يطابق الوجه الاول فقد يجوز ان يريد بالخطا ما يفعل من المعاصي بالتاويل السيئ
وعن جهل بانها معاص لان من قصد شيئا على اعتقاد انه بصفة فوقع ما هو بخلاف معتقده
يقال قد اخطا وكانه امرهم بان يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير شبهة ولا تاويل ومما
اقدموا عليه مخطئين متاولين ويمكن ايضا ان يريد باخطانا ههنا اذنبنا وفعلنا
قبيحا وان كانوا متعمدين وبه عالمين لان جميع معاصينا لله قد توصف بانها خطا
من حيث فارقت الصواب وان كان فاعلها متعمدا فكانه امرهم بان يستغفروا مما تركوه
من الواجبات ومما فعلوه من القبيحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب والله اعلم بمراده
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن العباس قال قال رجل يوما لابي العباس محمد
ابن يزيد النحوي ما اعرف قصيدة احسن من قصيدة ابي الشيص قال وكم قصيدة حسنة
لا تعرفها ثم انشده لبشار • غمض الجديد بصاحبيك فغمضا • وبقيت تطلب في الحبائل
منهضا • وكان قلبي عند كل مصيبة • عظم تكرر صدعه فتهيضا • فاخ سلوت له فاذكر اخ
فمضى • وتذكرك الحوادث ما مضى • فاشرب على تلف الاحبة انما • جرع المنية ظاعنين وخفضا •
ولقد جريت مع الصبي طلق الصبي • ثم ارعويت فلم اجد لي مركضا • وعلمت ما علم امرؤ
في دهره • فاطعت عذالي واعطيت الرضا • وصحوت من سكر وكنت موكلا • ارعى
الحمامة والغراب الابيضا • الحمامة المراة والغراب الابيض الشعر الشائب فيقول كنت كثيرا

انعمت نفسي بالنظر في المراة وترطيل الشعر وقوله الغراب الابيض لان الشعر كان غربيبا اسود
من حيث كان شابا ثم ابيض بالشيب ٭ ما كل بارقة تجود بمائها ٭ وكذاك لو صدق الربيع روضا
هكذا انشده المبرد ويحيى بن علي وانشده ابن الاعرابي ٭ من كل بارقة تجود بمائها ٭ ولربما صدق
الربيع فروضا ٭ قد ذقت الفقر وذقت فراقه ٭ فوجدت ذا علا وذا احمر الغضا ٭ يا ليت
شعري فيم كان صدوده ٭ اساشام رعد السحاب او ميضا ٭ وغير من ذكر بارية ام اجم الخلا
فاحمضا ٭ ويلي عليه وويلتي من بينه ٭ كان الذي قد كان حلما فانقضى ٭ سبحان من كتب
الشقاء لذي الهوى ٭ ما كان الا كالخضاب فقد نضى ٭ قال المبرد وهي طويلة وذكر
يوسف بن يحيى بن علي عن ابيه ان ابا نواس اخذ قوله ٭ جريت مع الصبى طلق الجموح
من قول بشار ٭ ولقد جريت مع الصبى طلق الصبا ٭ قال المرتضى رض ولابي تمام والبحتري
على هذا الوزن والقافيه وحركة القافيه قصيدتان ان لم تزيدا على قصيدة بشار التي اثبتناها
لم تقصرا عنها فاول قصيدة ابي تمام ٭ اهلوك اضحوا شاخصا ومقوضا ٭ ومزمما يصف
النوى ومعرضا ٭ ان يبح عيشك انهم اموا اللوى ٭ فيما اضا ام وهم على ذات الاضا نهلك
من برد الثغور وبردها ٭ برقا اذا ظعن الاحبة اومضا ٭ يقول فيها ٭ ما انصف الشرخ الذي
بعث الهوى ٭ فقضى عليك بلوعة ثم انقضى ٭ عندكم الايام ما الواته ٭ اسوبشار برية قد
غمضا ٭ لا تطلبن الرزق بعد شماسه ٭ فترومه سبعا اذا ما غيضا ٭ ما عوض الصبر امرؤ
الا رأى ما فاته دون الذي قد عوضا ٭ يا احمد بن ابي دواد دعوة ٭ ذلت بذكرك لي وكانت ريضا ٭ لما
انتضيتك للخطوب كفيتها ٭ والسيف لا يرضيك حتى ينتضى ٭ يقول فيها ٭ قد كان صوح نبت
كل قرارة ٭ حتى تروح في نداك فروضا ٭ او نهتني العتق الخفيف وقد ارى ٭ ان ترض الثمد الذي
تبرضا ٭ واما قصيدة البحتري فاولها ٭ ترك السواد للابسيه وبيضا ٭ ونضا من الستين عنه
ما انضى ٭ وشناه اغيد في تصرف لحظه ٭ مرض اعل به القلوب وامرضا ٭ وكانه وجد الصبى
وجديده ٭ دينا دنى ميقاته ان يقتضى ٭ اسيان اثرى من جوى وصبابة ٭ ولسا فمن
وصل الحسان واقضى ٭ كلف يكفكف عبرة مهراقة ٭ اسفا على عهد الشباب وما انقضى ٭

عدة كامل

عدة كامل للشباب بحبه ٭ واذا مضى الشيء حان فقد مضى ٭ يقول فيها ٭ فتقعقعت للجلاء
اذ عرجا شيهم ٭ وتذيرة من قاصل ان ينتضى ٭ وكفاك من حنش الصريم تهددا ٭ ان مد
فضل لسانه او نضنضا ٭ وفيها ٭ لا تامنن من جار بيتك ان طوى ٭ اطناب جانب بيته
او قوضا ٭ فالارض واسعة لنقلة راغب ٭ عمن تنقل وده وتنقضا ٭ لا تسئل الفضاء بي ان
كنت قد اغضيت مشتملا على جمر الغضا ٭ لست الذي ان عارضته ملمة ٭ اصغى الى
حكم الزمان وفوضا ٭ لا يستفزني الطفيف ولا ارى ٭ تبعا لبارق خلب ان اومضا ٭ انا
من احب تحريا وكانني ٭ فيما اعاين منك ممن ابغضا ٭ اغببت سيبك كي يجم وانما ٭ غمد
الحسام المشرفي لينتضى ٭ وسكت الا ان اعرض قائلا ٭ نزرا وصرح جهده من عرضا ٭
واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى بن علي عن ابيه قال من مختار شعر
بشار قوله في وصف الزمان ٭ عتبت على الزمان واي حي ٭ من الاحياء اعتبه الزمان ٭
وامتنى من الحدثان تزري ٭ علي وليس من حدث امان ٭ وليس بزائل يرمي ويرمى ٭ معان
مرة او مستعان ٭ متى تلق الكرامة من كريم ٭ فما لك عنده الا الهوان ٭ وقال وله ايضا
يا خليلي اصيبا او ذرا ٭ ليس كل البرق يهدي المطرا ٭ لا تكونا كامرئ صاحبته ٭ يترك
العين ويبغي الاثرا ٭ ذهب المعروف الا ذكره ٭ ربما ابكى الفتى ما ذكرا ٭ وبقينا في زمان
معضل ٭ يشرب الصفو ويبقي الكدرا ٭ قال وله ٭ قد ادركت الحاجة ممنوعة ٭ وتولع
النفس بما لا تنال ٭ والهم ما امسكته في الحشا ٭ داء بعض الداء لا يستقال ٭ فاحتمل الهم
على عاتق ٭ ان لم يا عقت العلندى الجلال ٭ قال يحيى قوله ٭ على عاتق يعني الخمر وهذا مثل
قوله ٭ رحلت عنا من شراب بابل ٭ فبت من عقل على مراحل ٭ قال المرتضى رض هذا الذي
ذكره يحمله البيت على استكراه ويحتمل ايضا ان يريد بالعاتق العضو ويكون المعنى ان
لم تجد من يحمل عنك همومك ويقوم باثقالك ويخفف عنك فتحمل انت ذلك
بنفسك واصبر عليه كانه امر نفسه بالتجلد والتصبر عند الباس وهذا البيت
له نظائر في الشعر كثيرة ٭ واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون قال حدثني ابي قال من

تابع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال علي وما في الدنيا شيء لقديم ولا محدث من
منثور ولا منظوم في صفة الغناء واستحسانه مثل هذه الابيات ورابحة للعين فيها
مخيلة اذا برقت لم تسق بطن صعيد من المستهلات الهموم على الفتى خفا برقها في
عصفر وعقود حسدت عليها كل شيء يمسها وما كنت لولا حبها بحسود واصفر
مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود كان اميرا جاء الساقي ثيابها
تؤمل رؤياه عيون وفود من البيض لم تسرح على اهل ثلة سواما ولم ترفع حدائج قود
تميت به البابنا وقلوبنا مرارا وتحييهن بعد همود اذا نطقت صحنا وصاح لنا
الصدى صياح جنود وجهت لجنود ظللنا بذاك الديدن اليوم كله كانا من
الفردوس تحت خلود ولا باس الا اننا عند اهلها شهود وما البابنا بشهود قال
وانشدني ابو له في وصف مغنية لعمر ابي زوارها الصيد انهم لفي منظر منها وحسن سماع
تصلي لها آذاننا وعيوننا اذا ما التقينا والقلوب دواع وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش
ببؤس ولم تركب مطية راع جرى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها لزوارها من مزهر ويراع
اذا قلدت اطرافها العود زلزلت قلوبا دعاها للوساوس داع كانهم في جنة قد تلاحقت
محاسنها من روضة وبقاع يروعون من تغريدها وحديثها تساوى وما تلهيهم بصواع
لعوب بالباب الرجال وان دنت اطيع التقى والغي غير مطاع قال علي بن هرون الصواب
المكيال يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كيل ولا مقدار من حسن ما يسمعون قال المرتضى
وهذا خطأ منه وانما اراد ان غناها لفرط حسنها وشدة اطرابها يبعثان نشوة الخمر وان لم يكن
هناك شرب بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر ويوم ظللنا عند ام محلم تساوى
ولم تشرب طلاء ولا خمرا وما كان عندي ان احدا يتوهم في معنى هذا البيت ما ظنه هذا
الرجل واما قوله في القطعة الاولى واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب
رود فيحتمل وجوها ثلثة اولها ان يكون اراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها
وتضمخها وان ترائبها تصفر لذلك كما قال الاعشى بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرارة

والعرار

والعرار بهار البر وانما اراد انها تتضمخ بالعشي بالطيب فيصفرها ومثله لذي الرمة
بيضاء في دعج كحلاء في برج كانها فضة قد مسها ذهب وقيل في بيت قيس بن الخطيم تراءت
مثل الشمس عند طلوعها في الحسن او كدنوها لغيوب وجهان احدهما انه اراد انها تطيب
بالعشي فتصفر لان الشمس تغيب صفراء والوجه الآخر انه اراد المبالغة في الحسن لان الشمس
احسن ما تكون في وقتيها هذين ومن ذلك ايضا قول قيس صفراء اعجلها الشباب لداتها
ومثلها للاعشى اذا جردت يوما حسبت خميصة عليها وجريال النضير الدلامصا
الخميصة ثوب ناعم لين شبه به نعمة جسمها والنضير الذهب والجريال كل صبغ احمر وانما
يعني لون الطيب عليها والدلامص البراق فهذا وجه والوجه الثاني ان يكون اراد بوصفها
بالصفرة رقة لونها فعندهم ان المراة اذا كانت صافية اللون رقيقة ضرب لونها بالعشي الى
الصفرة وقال محمد بن علي بن حمدك الاصبهاني قال لي ابو قال لي الجاحظ زعموا ان المراة اذا كانت
صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض وبالعشي الى الصفرة واحتج في ذلك
بقول الراجز قد علمت بيضاء صفراء الاصل وزعم ان بيت ذي الرمة الذي انشدناه
من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي انشدناه والابيات محتملة للامرين فاما الذي
لا يحتمل الا وجها واحدا فهو قول الشاعر وقد خنقتها عبرة فدموعها على خدها حمر وفي
نحرها صفر لانها لا تكون صفرا في نحرها الا لاجل الطيب فاما قوله على خدها حمر فانما
اراد انها تصبغ بلون خدها والوجه الثالث ان تكون المراة كانت صفراء على الحقيقة فان العرب
كثيرا ما تشبب بامراة صفراء كقوله اصفراء لا انسى هواك ولا ودي ولا ما مضى بيني وبينك من عهد
لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما كان بين المسك والعنبر الورد وكقوله اصفراء كان الود
منك مباحا ليالي كان الهجر منك مزاحا وكن جواري الحي اذ كنت فيهم قباحا فلما غبت
صرن ملاحا وقد روي ملاحا فلما غبت صرن قباحا وقوله قباحا فلما غبت صرن ملاحا
يشبه قول السيد بن محمد الحميري واذا حضرن مع الملاح بمجلس ابصرتهن وما قبحن قباحا
فاما قوله من البيض لم تسرح سواما فانه لا يكون مناقضا لقوله صفراء وان اراد بالصفرة

لونها لان البياض ههنا ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من
الادناس فان العرب لا تكاد تستعمل البياض الا في هذا المعنى دون اللون لان البياض عندهم البرص
ويقولون في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر: جاءت به بيضاء تحمله من عبد شمس صلتة
الخد ومثله: بيض الوجوه كريمة احسابهم. واما قول بشار في القطعة الثانية: وصفراء
مثل الخيزرانة فانه يحتمل ما تقدم من الوجوه وان كان باللون الحقيقي اخص لقوله كالخيزرانة
لان الخيزران يضرب الى الصفرة ويحتمل ايضا ان يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله
كالخيزرانة انما مثلها في التثني والتعطف لقد احسن جران العود في قوله في المعنى الذي تقدم
كان سبيكة صفراء صبت عليها ثم ليثت بالازار. برود العارضين كان فاها بعيد النوم
مسك مستثار. **مجلس آخر تأويل آية** ان سال سائل عن قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم



في طغيانهم يعمهون فقال كيف اضاف الاستهزاء اليه وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف خبر انه
يمدهم في الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم الجواب قلنا في قوله تعالى الله يستهزئ بهم وجوه
اولها ان يكون معنى الاستهزاء الذي اضافه الى نفسه تجهيله لهم وتخطئته اياهم في اقامتهم على
الكفر واصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى ذلك استهزاء مجازا واتساعا كما يقول القائل ان فلانا
ليستهزئ به منذ اليوم اذا فعل فعلا عابه الناس به وخطئوه فيه فاقيم عيب الناس على ذلك الفعل
وازراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء به وانما اقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لان الاستهزاء
الحقيقي هو ما يقصد به الى عيب المستهزأ به والازراء عليه واذا تضمنت التخطئة والتجهيل
والتبكيت هذا المعنى جاز ان يجري عليه اسم الاستهزاء ويشهد بذلك قوله تعالى وقد نزل عليكم
في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ونحن نعلم ان الآيات لا يصح عليها
الاستهزاء على الحقيقة ولا السخرية وانما المعنى اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى عليها والعرب
قد تقيم الشيء مقام ما قاربه في معناه ليجري عليه اسمه قال الشاعر: كم اناس في نعيم عمروا في ذرى
ملك تعالى فبسق. سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق. والسكوت والنطق
على الحقيقة لا يجوزان على الدهر وانما شبه تركه الحال على ما هي عليه بالسكوت وشبه تغييرها

بالنطق

بالنطق وانشد الفراء: ان دهرا يلم شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان. ومثل ذلك في الاستعارة
لتقارب المعنى قوله: سألتني عن اناس هلكوا شرب الدهر عليهم واكل. وانما اراد بالاكل والشرب
الافناء لهم والتغيير لاحوالهم ومثله قول الآخر: يقر بعيني ان ارى باب دارها وان كان باب الدار
يحسبني جلدا. والجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه عز وجل ان يستدرجهم ويهلكهم
من حيث لا يعلمون ولا يشعرون وروي عن ابن عباس انه قال في معنى استدراجه اياهم انهم كلما
احدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمي هذا الفعل استهزاء من حيث غيب عنهم من الاستدراج
الى الهلاك غير ما اظهر لهم من النعم كما ان المستهزئ منا المخادع لغيره يظهر امرا ويبطن غيره فان قيل
على هذا الجواب فاي مسألة في نعمة واي وجه لان يستدرجهم بالنعم الى الهلاك قلنا ليس الهلاك ههنا
هو الكفر وما اشبهه من المعاصي التي يستحق بها العقاب انما يستدرجهم الى الضرر والعقاب الذي يستحقونه
بما تقدم من كفرهم ونقضان يعاقب المستحق بما شاء اي وقت شاء فكانه تعالى لما كفروا وابدلوا نعمه وعاندوا
رسله لم يغير نعمه عليهم في الدنيا بل بقاها لتكون متى نزعها عنهم وابدلهم بها نقما الحسرة منهم اعظم
والضرر عليهم اكثر فان قيل فهذا يؤدي الى تجويز ان يكون بعض ما ظاهره ظاهر النعمة على الكفار
مما لا يستحق الله به الشكر عليهم قلنا ليس يمتنع هذا فيمن يستحق العقاب وانما المنكر ان تكون نعم
المبتداة بهذه الصفة على ما نلزمه مخالفينا الا ترى ان الحبوب ومجرى مجراها من حفظ التركيب
والصحة لا تعد على اهل النار نعمة وان كانت على اهل الجنة نعما من حيث كان الغرض فيه ايصال العذاب
اليهم. والجواب الثالث ان يكون معنى استهزائه بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان
ظاهر احكامهم من نصرهم ومناكحتهم وموارثتهم ومدافنتهم وغير ذلك من الاحكام وان كان تعالى معدا لهم
في الآخرة اليم العقاب لما ابطنوه من النفاق واستسروا به من الكفر فكانه تعالى قال ان كنتم ايها المنافقون
لما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بهم
تظنون انكم مستهزئون فالله تعالى هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم احكام المؤمنين ظاهرا حتى ظننتم
ان ما لكم ما لهم ثم ميز بينكم في الآخرة ودار الجزاء من حيث اثاب المخلصين الذين توافق
ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني وان كان بينهما

خلاف من بعض الوجوه والجواب الرابع ان يكون معنى ذلك ان الله هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم
عليكم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القائل ان فلانا اراد
ان يخدعني فخدعته وقصد الى ان يمكر بي فمكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره عاد اليه ولم
يضرني والجواب الخامس ان يكون المعنى انه يجازيهم على استهزائهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب
والعرب تسمي الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال تعالى فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والمبتدأ ليس
بعقوبة وقال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ومن شان العرب ان
تسمي الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه وتعلقه به اذا انكشف المعنى وامن الابهام
وربما غلبوا ايضا اسم احد الشيئين على الاخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهما فمثال
الاول قولهم للبعير الذي يحمل المزادة راوية وللمزادة المحمولة على البعير راوية فسموا البعير باسم ما يحمل
عليه قال الشاعر مشى الروايا بالمزاد الاثقل اراد بالروايا الابل ومن ذلك انهم يقولون صرعته
الكاس واستلبت عقله وقال الشاعر وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول الاول
والكاس هي ظرف الشراب والفعل الذي اضافوه اليها انما هو مضاف في الشراب الذي يحل الكاس
الا ان الفراء يقول الكاس الاناء بما فيه من الشراب وكان الاناء الفارغ لا يسمى كاسا وعلى هذا
القول يكون اضافة اختلاس العقل والتصريع وما جرى مجرى ذلك الى الكاس على وجه الحقيقة
لان الكاس على هذا القول اسم للاناء وما حله من الشراب ومثال الوجه الثاني الذي ذكرناه عنهم
من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر اخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها و
النجوم الطوالع اراد لنا شمسها وقمرها فغلب ومنه قول الاخر فقولا لاهل المكتين تحاشدوا
وسيروا الى آطام يثرب والنخل اراد بالمكتين مكة والمدينة فغلب وقال الاخر فبصرة الازد منا
والعراق لنا والموصلان ومنا مصر والحرم اراد بالموصلين الموصل والجزيرة وقال الاخر
نحن سبينا امكم مقربا يوم صبحنا الحيرتين المنونا اراد الحيرة والكوفة وقال الاخر اذا اجتمع
العمران عمرو بن عامر وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا والقوا مقاليد الامور اليهم جميعا

قماة كارهين وطوعا اراد بالعمرين عمرو وبدر ابني عمرو اللذين فسرهما وقوله جزاني الزهدمان جزاء
سوء وكنت المرء يجزى بالكرامة اراد بالزهدمين رجلين يقال لاحدهما زهدم وللاخر كردم فغلب
وكل الذي ذكرناه يقوي هذا الجواب من جواز التسمية للجزاء على الذنب باسمه او تغليب اللفظتين
والاختصاص التام بين الذنب والجزاء عليه والجواب السادس هو ما روي عن ابن عباس قال
يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم وفتح
لهم باب اخر في موضع اخر فيقبلون اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون
منهم اذا راوا الابواب وقد اغلقت دونهم فلذلك قال عز وجل فاليوم الذين امنوا من الكفار
يضحكون على الارائك ينظرون فان قيل واي فائدة في هذا الفعل وما وجه الحكمة فيه قلنا
وجه الحكمة فيه ظاهر لان ذلك اغلظ على نفوسهم واعظم في مكروههم وهو ضرب من العقاب
الذي يستحقونه بافعالهم القبيحة لان من طمع في النجاة والخلاص من المكروه اشتد حرصه على ذلك
ثم حيل بينه وبين الفرج ورد الى المكروه يكون عذابه اصعب واغلظ من عذاب من لا طريق للطمع
عليه فان قيل فعلى هذا الجواب ما الفعل الذي هو الاستهزاء قلنا ما يرداده لهم من الابواب على
سبيل التعذيب بمعنى الاستهزاء او ما يقتضي قبحه من اللهو والعبث وما جرى مجرى ذلك والجواب
السابع ان يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سماه بذلك ليزدوج اللفظ
ويخف على اللسان وللعرب في ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد عليه مذكورة في مواضع
وهذه الوجوه التي ذكرناها في الاية يمكن ان تذكر في قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
وفي قوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم فليتأمل ذلك فاما قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم
يعمهون فيحتمل وجهين احدهما ان يريد اني املي لهم في العمر وامهلهم ليؤمنوا او يطيعوا وهم مع ذلك
يتمسكون بطغيانهم وعمههم والوجه الاخر ان يريد بيمدهم انه يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها
المؤمنين ثوابا لهم ويمنعها الكافرين عقابا كشرحه صدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله
قال السيد المرتضى واني لاستحسن لبعض الاعراب قوله خليلي هل يشفي من الشوق والجوى بذو
ذرى الاوطان لا بل يشوقها وتزداد في قرب اليها صبابة ويبعد من فرط اشتياق طريقها وما

ينفع الحران ذا اللوح ان يرى حياض القرى مملوءة لا يذوقها ولاخر في تذكر الاوطان والحنين اليها
الا قل لدار بين اكثبة الحمى وذات الغضا جادت عليك الهواضب اجدك لا ابليك الا
تقلبت دموع اضاعت ما حفظت سواكب ديار تناسمت الهوا بجوها وطاوعني فيها
الهوى والحبائب ليالي لا الهجران تحتكم بها على وصل من اهوى ولا الظن كاذب وانشد
ابو نصر صاحب الاصمعي لاعرابي الا ليت شعري هل ابيتن ليلة باكناف نجد وهي خضر متونها
وهل اشربن الدهر من ماء مزنة بحرة ليلى حيث فاض معينها بلاد بها كنا نحل فاصبحت
خلاء ترعاها مع الادم عينها تغنت فيها بالشباب وبالصبى تميل بما نهوى علي
غصونها وانشد الاصمعي لصدقة بن نافع الغنوي الا ليت شعري هل تحنن ناقتي
ببيضاء نجد حيث كان مسيرها فتلك بلاد حبب الله اهلها الي وان لم يعط نصفا
اميرها بلاد بها انضيت راحلة الصبى ولانت لنا ايامها وشهورها فقد نلت بها اللهو
المكدر شربه ودار علينا بالنعيم سرورها وانشدنا ابو محلم لسوار بن المضرب سقى
الله اليمامة من بلاد نوافحها كارواح الغواني وجوز اهم للترجيح فيه تنسم الاقحوان الترب
واني بها سقيت الشباب الى المشيب يفتح عندنا حسن الزمان ولاخر الا يا حبذا جنبات
سلمى وجاد بارضها جون السحاب خلعت بها العذار وبلت فيها مناي بطاعة
او باغتصاب اسوم بباطلي طلبات لهوي ويعذرني به عصر الشباب فكل هؤلاء
على ما ترى قد افصحوا بان سبب حنينهم الى الاوطان ما لبسوه فيها من ثوب الشباب
واستظلوه من ظله واقتنوه من ريقه وان كان بعذرهم ويحسن قبائحهم فعلى اي شيء
يغلو الناس في قول ابن الرومي وحبب اوطان الرجال اليهم مارب قضاها الشباب
هنالكا اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا ويزعمون انه سبق
الى ما لم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم به غفلا وقوله وان كان جيد المعنى
سليم اللفظ فلم يزد فيه على ما تقدم ولا ابدع بل اتبع ولكن الجيد اذا ورد ممن يعهد منه الردي
كثر استحسانه وزاد استطرافه ولقد احسن البحتري في قوله في هذا المعنى فسقى الغضا

والنازليه

والنازليه وان هم شبوه بين جوانح وقلوب وقصار ايام به سرقت لنا حسناتها
من كاشح ورقيب خضر تساقطها الصبى فكانها ورق تساقط اهتزاز قضيب كانت
فنون بطالة فتقطعت عن هجر غانية ووصل مشيب وللحسن في قوله سقى الله اخلافا
من الدهر رطبة سقتنا الجوى اذ ابرق الحزن ابرق ليال سرقناها من الدهر بعدما اضاء
باصباح من الشيب مفرق تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى بماء الربى من بات بالماء
يشرق ولابي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن احسان وهو سلام ترجف الاحشاء منه على
الحسن بن وهب والعراق على الحمى البلد الحبيب الى غور ونجد والاخ العذب المذاق
ليالي نحن في وسنات عيش كان الدهر عنا في وثاق وايام لنا ولها لدان غنينا في حواشيها
الرقاق كان العهد عن عفر لدينا وان كان التلاقي عن تلاق

مجلس اخر تاويل اية

ان سال سائل عن قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين
فقال كيف خاطب ادم وحواء بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب لهما العداوة واي
عداوة كانت بينهما الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجوه اولها ان يكون الخطاب متوجها
الى ادم وحواء وذريتهما لان الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما ويقوي ذلك قوله تعالى
حاكيا عن ابرهيم واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا
مناسكنا وثانيها ان يكون الخطاب لادم وحواء ولابليس اللعين وان يكون الجميع مشتركين في الامر
بالهبوط وليس لاحد ان يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لابليس ذكر في قوله تعالى ويا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة لانه وان لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى فازلهما
الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه فجاز ان يعود الخطاب الى الجميع وثالثها ان يكون
الخطاب متوجها الى ادم وحواء والحية التي كانت معهما على ما روي عن كثير من المفسرين وفي
هذا الوجه بعد من قبل ان خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد من ان يكون قبيحا
اللهم الا ان يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وانما كنى عن اهباطه لهم بالقول
كما يقول احدنا قلت فلقيت الامير وقلت فضربت زيدا وانما يخبر عن الفعل دون القول

وهذا خلاف لله وان كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه اخر وهو انه لم يتقدم ذكر الحية في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا بحيث لا يقع لبس ولا يسبق وهم الى تعليق الكناية لغير المكني عنه حتى يكون ذكره كترك ذكره في البيان عن المقصود مثل قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وكل من عليها فان وقول الشاعر اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فاما بحيث لا تكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة ورابعها ان يكون الخطاب يختص بادم وحواء وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك ولان التثنية اول الجمع قال الله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد حكم داود وسليمان وكان بعض اصحاب رسول الله يتاول قوله تعالى فان كان له اخوة على معنى فان كان له اخوان قال الراعي اخليدان اباك ضاف وسادة همان باتا جنبة ودخيلا طرقا فتلك هماهمي اقريهما قلصا لواقح كالقسي وحولا فعبر بالهماهم وهي جمع عن الهمين وهما اثنان فان قيل فما معنى الهبوط الذي امروا به قلنا اكثر المفسرين على ان الهبوط هو النزول من السماء الى الارض وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك لان الهبوط كما يكون النزول من علو الى سفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا يريد حللنا قال زهير ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ايدي الحطي بهم من راكس فلقا فقد يجوز على هذا ان يريد بالهبوط معنى غير المسافة بل الانحطاط من منزلة الى دونها كما يقولون قد هبط فلان عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الى دونها فان قيل فما معنى بعضكم لبعض عدو قلنا اما عداوة ابليس لادم وذريته فمعروفة مشهورة واما عداوة ادم والمؤمنين من ذريته لابليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تضمن ادخالها في الخطاب لبني ادم معروفة وكذلك تحذرهم منها وتجنبهم فاما على الوجه الذي يتضمن ان الخطاب يختص بادم وحواء دون غيرهما فيجب ان يحمل قوله بعضكم لبعض عدو على ان المراد به الذرية كانه قال اهبطوا وقد علمت من حال ذريتكم

ان بعضهم

ان بعضهم يعادي بعضا وعلق الخطاب بهما لاجل الاختصاص بين الذرية وبين اصلهما فان قيل ليس ظاهر قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو يقتضي الامر بالمعاداة كما انه امرنا بالهبوط وهذا يوجب ان يكون تعالى امرا بالقبيح على وجه لان معاداة ابليس لادم قبيحة ومعاداة الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وانما يقتضي انه امرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضا فالامر مختص بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب ويجري مجرى هذه الاية في ان المراد به الحال قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وليس معنى ذلك انه اراد كفرهم كما اراد تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل اراد ان تزهق انفسهم في حال الكفر وكذلك القول في الامر بالهبوط وهذا بين قال المرتضى رضي الله عنه ومن مستحسن مدح الشادة الكرام قول الشاعر ويل ام قوم غدوا عنكم لطيتهم لا يكتنون غداة العل والنهل صدوا السرابيل لا توكى مقانبهم عجر البطون ولا تطوى على الفضل قوله ويل ام قوم من الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر مثل قولهم قاتل الله فلانا ما اشجعه وترحه الله ما اسمحه وقد قيل في قول جميل رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من انيابها بالقوادح انه اراد هذا المعنى بعينه وقيل ايضا انه دعا لها بالهرم وعلو السن لان الكبير يكثر قذى عينيه وتهتم اسنانه وقيل انه اراد بعينيها رقيبيها وبغر انيابها سادات قومها ووجوههم والاول اشبه بطريقة القوم وان كان القول محتملا للكل فاما قوله لا يكتنون غداة العل والنهل فانما اراد انهم ليسوا برعاة يسقون الابل بل لهم من يخدمهم ويكفيهم رعي ابلهم وانما يكتني ويرتجز على الدلو السقاة والرعاة وفيه وجه اخر قيل انهم يسامحون شريبهم ويؤثرونه بالسقي قبل اموالهم ولا يصولون عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضل لا من الضعف وقيل ايضا بل عنى انهم اعزاء ذوو منعة اذا وردت ابلهم ماء افرج الناس لها عنه لانها قد عرفت فليس يحتاج اربابها الى الاكتناء والتعرف وقد قال قوم في قوله يكتنون انه من قولهم كنتت يده تكنت اذا خشنت من العمل فقوله

لبسوا باهل مهنة فتكنت ايديهم وتخشن من العمل بل لهم عبيد يكفونهم ذلك وقوله صدء السرابيل فانما اراد به طول حملهم للسلاح ولبسهم له والمقانب هي الاوعية التي يكون فيها الزاد فكانه يقول اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على ما فيها واطعموا الرفقة وهذه كناية عن الاطعام وبذل الزاد ما يحمله وعجر البطون من صفات المقانب واراد انها لا توكى لانها عجر البطون ولا تطوى على فضلة الزاد ولبعض بني اسد والحسن غاية الاحسان وان صرمة لابني عبيد تمنعت من الحق لم تورك بحق افالها فقالت الا تعدو فصالك هكذا فقلت ابت ضيفانها وعيالها فلا حلبت الا الثلثة والثنى ولا قيلت الا قريبا مقالها حدابير من كل العيال كانها اناضي شغر حل عنها جلالها شكى هذا الشاعر امراته وحكى عنها انها رات ابلا لجيرانها لم يعطنهن في حالة ولم تعقر في حق ولم تحلب لضيف ولا جار فهي سمان وقوله لم تورك افالها الافال الصغار وتورك من الازل وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فصال هؤلاء سمان لم تلق بؤسا لان البان امهاتها موفورة عليها وحكى عن امراته انها تقول غدا انت فصالك هكذا فقال لها تابى ذلك الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيفان ثم اخبر انه لم يلتفت الى لومها وان الابل ما حلبت بعد مقالتها الا مرتين او ثلثا ولا قيلت من القايلة الا بقرب البيوت حتى نحرها ووهبها والحدابير المهازيل وانما يعني فصاله وهي الهامس لجل انها لا تسقى الالبان وتعقر امهاتها والانضاء جمع نضو فشبه فصاله في هزالها بانضاء خيل شغر وقوله حدابير من كل العيال فيه معنى حسن لانه اراد انها من بين جميع العيال مهازيل وهذا تاكيد لان سبب هزالها هو الايثار بالبانها وتخصيصها بالهزال من بين كل العيال والعيال ههنا هم الجيران والضيفان وانما جعلهم عيالا لكرمه ولان جوده قد الزمه مؤنتهم فصاروا كاخص عياله ومثل ذلك قول الشاعر تعيرني الحظلان ام محلم فقلت لها لم تقذفيني بدائيا فاني رايت الضامرين متاعهم يذم ويفنى فارضي من وعائيا فلم نجد بدا من المعيشة عاجزا ولا حصرا ما خبا شديدا وكاتبا الحظلان المسكون البخلاء والحظل الامساك وام محلم امراته ومعنى قوله تعيرني الحظلان اي بالحظلان تقول ما لك لا تكون مثل هؤلاء الذين يحفظون اموالهم والضامرون ايضا البخلاء فقال لها اني

البخلاء

البخلاء يضنون بما عندهم وهو يفنى ويبقى الذم فارضي من وعائي وهذا مثل اي اعطي الناس مما عندي وهو من قولك رضخ له بشيء من عطيته والحصر البخيل تقول العرب حصر نم لو سلك اي شدد وزها وقوله فلم نجد بدا في المعيشة عاجزا اي انا صاحب غارات افيد واستفيد واتلف واخلف فلا اتخلق الفقر وقال مسكين الدارمي اضحت على ذلي معقلة فربما اهوى وحوى للصحب اضحت تنقل في شحم الذرى ويظن للوم دونا بيتهب لا تلمها انها من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب يقول انها تكثر لومي فكانها قريبة الى اللوم كقرب الاشبال الى اللحم وهي وحي نشاهي الصحب والوحم شهوة الطعام عند الحمل وشحم الذرى الاسنمة واراد بتنقل فيها اي انها تعود ابلي ان ينهلها في حيني فعظم قدرها فلا اهب منها ولا انحر ثم اخبر ان اصلها من الزنج والملح الشحم وشحم الزنج يكون على اوراكهم واكفالهم وانشد ابو العباس محمد بن يزيد ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست اكله وحدي قصيا كريما او قريبا فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما من خلالي غيرها شيمة العبد قال ابو العباس استقصى الكرم في المعنى البعيد ولم ينتشر في القريب لان اهله جميعا عنده كرام واراد بقوله عبد الضيف انه يخدم الضيف هو بنفسه ولا يرضى ان يخدمه عبده قال المرتضى رضي الله عنه ويشبه ذلك قول المقنع الكندي ولي لعبد الضيف ما دام ثاويا وما بي سواها خلة تشبه العبدا وانما اشترط في كونه عبدا للضيف في البيت الاول والثاني ثواءه مؤثرا له ليعلم ان الخدمة له لم تكن لضعة وصغر قدر بل لما يوجبه الكرم من حق الاضافة وانه يخرج عن ان يكون مخدوما بخروجه من ان يكون ضيفا ولو قال واني لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل

مجلس اخر ان سال سائل فقال بم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم ان المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه اذا تعلق بقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فان الظاهر من ظاهر هذه الاية يوجب انهم غير مستطيعين للامر الذي هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل واذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى انك



لن تستطيع معي صبرا وانه نفى كونه قادرا على الصبر في حال هو فيها غير صابر وهذا يوجب ان القدرة
مع الفعل وبقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون الجواب يقال له اولا انا
نقول ان المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصح له التعليق بالسمع لان مذهبه لا نسلم
معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بادلته وانما قلنا ذلك لان من جوز
تكليف الله للكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله عز وجل واذا لم يمكنه
ذلك فلا يؤمن ان يلزمه تجويز القبائح في افعاله واخباره ولا يامن ان يرسل كذابا وان يخبر
هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع ان كان كلامه قدح في صحته تجويز الكذب عليه وان كان
كلام رسوله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب وانما طرق ذلك تجويز بعض القبائح
عليه وليس لهم ان يقولوا ان امره تعالى للكافر بالايمان وان لم يقدر عليه يحسن من حيث
اتى الكافر فيه من قبل نفسه لانه تشاغل بالكفر وترك الايمان وانما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو
اضفنا ذلك اليه تعالى على وجه قبيح وذلك لان ما قالوه اذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفا لما
لا يطاق لم يؤثر في نفي ما الزمناه عنهم لانه يلزم على ذلك ان يفعل الكذب وسائر القبائح و
تكون حسنة منه بان يفعلها من وجه لا يقبح منه وليس قولهم انا لم نضفه اليه من وجه يقبح الا بعد
بل يجري مجرى قول من جوز عليه ان يكذب ويكون الكذب منه حسنا ويدعي مع ذلك صحة
معرفة السمع بان يقول انني لم اضف اليه قبيحا فيلزمني افساد طريقة السمع فلما كان ما ذكرناه
لا عذر عليه فيه هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله ونعود الى تاويل الآي
اما قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فليس فيه ذكر
للشيء الذي لا يقدرون عليه ولا بيان له وانما يصح ما قالوه لو بين انهم لا يستطيعون سبيلا
الى امر معين فاما ولم يذكر ذلك فلا متعلق لهم فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب ان
يكون المراد بقوله فلا يستطيعون سبيلا الى مفارقة الضلال قلنا انه تعالى كما ذكر الضلال
فقد ذكر ضرب المثال منهم فيجوز ان يريد انهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه
من الامثال فان ذلك غير مقدور على الحقيقة ولا مستطاع والظاهر بهذا الوجه اولى لانه تعالى

حكى عنهم انهم ضربوا له الامثال وجعل ضلالهم وانهم لا يستطيعون السبيل متعلقا بما
تقدم ذكره وظاهر ذلك يوجب رجوع الامرين جميعا اليه وانهم ضلوا بضرب المثل وانهم
لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من المثل على انه تعالى قد اخبر عنهم بانهم ضلوا وظاهر
ذلك الاخبار عن ماضي فعلهم فان كان قوله تعالى فلا يستطيعون سبيلا يرجع اليه فيجب ان
يدل على انهم لا يقدرون على ترك الماضي وهذا مما لا نخالف فيه وليس فيه ما نابى من انهم لا
يقدرون في المستقبل او في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وبعد تركه وبعد
فاذا لم يكن للاية ظاهر فهم صاروا بان يحملوا نفي الاستطاعة على امر كلفوه باولى منا اذا
حملنا ذلك على امر لم يكلفوه او على انه اراد الاستثقال والخبر من عظم المشقة عليهم وقد جرت
عادة اهل اللغة بان يقولوا لمن يستثقل شيئا انه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن
منه الا ترى انهم يقولون فلان لا يستطيع ان يكلم فلانا ولا ينظر اليه وما اشبه ذلك
وانما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة فان قيل فاذا كان لا ظاهر للاية يشهد
بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم قلنا قد ذكر ابو علي ان المراد انهم لا يستطيعون
الى البيان تكذيبهم سبيلا لانهم ضربوا الامثال ظنا منهم بان ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى
ان ذلك غير مستطاع لان تكذيب صادق وابطال حق مما لا تتعلق به قدرة ولا تتناوله
استطاعة وقد ذكر ابو هاشم ان المراد بالاية انهم لاجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون
سبيلا الى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب وليس يمكن على هذا ان
يقال كيف لا يستطيعون سبيلا الى الخير والهدى وهم قادرون عندكم على الايمان والتوبة
ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لان المراد انهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا
سبيل لهم الى الخير والهدى وانما يكون لهم سبيلا الى ذلك بان يفارقوا ما هم عليه وقد يمكن ايضا
في معنى الاية ما تقدم ذكره من ان المراد بنفي الاستطاعة انهم مستثقلون للايمان فقد يخبر
عمن استثقل شيئا بانه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره فاما قوله تعالى في قصة موسى انك لن
تستطيع معي صبرا وظاهره يقتضي انك لا تستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على انه

غير مستطيع للصبر في الحال ان يفعله في الثاني وقد يجوز ان يخرج في المستقبل من ان يستطيع
ما هو في الحال مستطيع له غير ان الاية تقتضي خلاف ذلك لانه قد صبر عن المسئلة او قاتا
وان لم يصبر عنها في جميع الاحوال المستقبلة فلم تنتف الاستطاعة للصبر منه في جميع الاحوال
المستقبلة على ان المراد بذلك واضح وانه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسئلة عما لا يعرف
ولا يقف عليه لان مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا نجد احدنا اذا وجد بين يديه ما ينكره و
يستبدعه تنازعه نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن الفحص عن
امره فلما حدث من صاحب موسى ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسئلة عن ذلك
ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فبين ان العلة في قلة صبره ما ذكرناه
دون غيره ولو كان الامر على ما ظنوه لوجب ان يقول وكيف تصبر وانت غير مطيق للصبر فاما قوله تعالى
ما كانوا يستطيعون السمع فلا تعلق لهم بظاهره لان السمع ليس بمعنى فيكون مقدورا لان
الادراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت انه معنى على ما يقوله ابو علي لكان ايضا غير مقدور
للعبد من حيث يختص القديم تعالى بالقدرة عليه هذا ان اريد بالسمع الادراك وان اريد
به نفس الحاسة وهي غير مقدورة للعباد لان الجواهر وما يختص به الحواس من البنية والمعاني
ليصح به الادراك مما ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه فالظاهر لا حجة لهم فيه فان قالوا فلعل المراد
بالسمع كونهم سامعين كانه نفى عنهم استطاعة ان يسمعوا قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت
ان المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة ههنا على ما تقدم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة
كما يقول القائل فلان لا يستطيع ان يراني ولا يقدر على ان يكلمني وما اشبه ذلك وهذا بين
لمن تامله تاويل خبر ان سال سائل فقال ما تاويل ما رواه يسار عن معوية بن الحكم قال قلت
يا رسول الله كانت لي جارية وكانت ترعى غنما قبل احد فذهب الذئب بشاة من غنمها وانا
رجل من بني ادم اسف كما يأسفون لكنني غضبت فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي
قال قلت يا رسول الله افلا اعتقها قال ائتني بها فاتيته بها فقال لها اين الله فقالت في السماء
قال من انا قالت انت رسول الله فقال ع فاعتقها فانها مؤمنة فالجواب قلنا اما قوله انا

رجل من بني ادم اسف كما يأسفون فمعناه اني اغضب كما يغضبون قال محمد بن حبيب الاسف
الغضب وانشد للراعي فما لحقتني العيس حتى وجدتني اسيفا على حاديهم المتجرد والاسف
ايضا الحزن قال ابن الاعرابي الاسف الحزن والاسف الغضب قال كعب بن زهير
في كل يوم ارى فيه منيته تكاد تسقط مني منة اسفا قوله لكنني غضبت فصككتها
اراد لطمتها يقال صك جبهته اذا لطمها بيده قال الله تعالى فاقبلت امرأته في صرة فصكت
وجهها وقالت عجوز عقيم وقال بشر بن ابي خازم يصف حمار وحش واتانا فصك
بحجره اذا ما سافها وجبينه بحوافر لم تنكب سافها شمها وقولها في السماء فالسماء
هو الارتفاع والعلو فمعنى ذلك بانه تعالى عال في قدرته عزيز في سلطانه لا يبلغ ولا يدرك
يقال سما فلان يسمو سموا اذا ارتفع شانه وعلا امره قال الله تعالى أأمنتم من في السماء
ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فاخبر
بقدرته وسلطانه وعلو شانه ونفاذ امره وقد قيل في قوله أأمنتم من في السماء غير
هذا وان المراد أأمنتم من في السماء عبر هذا امره واياته وقدرته ورزقه وما جرى مجرى
ذلك وقال امية بن ابي الصلت شاهدا لما تقدم واشهد ان الله لا شيء فوقه
عليا وامسى ذكره متعاليا وقال سليمان بن يزيد العدوي لك الحمد يا ذا الطول و
الملك والغنى تعاليت محمودا كريما وجازيا علوت على قرب بعز وقدرة و
كنت قريبا في دنوك عاليا والسماء ايضا سقف البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن
ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن
كيده ما يغيظ قيل ان الضمير للنبي ع وقال ابن الاعرابي يقال لاعلى البيت سماء البيت وسماه
وسراته وصهوته والسماء ايضا المطر قال الله تعالى وارسلنا السماء عليهم مدرارا ومنه الحديث
الذي رواه ابو هريرة عن النبي ع انه مر على صبرة طعام فادخل يده فيها فنالت اصابعه بللا
فقال ما هذا يا صاحب البر قال اصابته السماء يا رسول الله قال ع افلا جعلته فوق الطعام
يراه الناس من غش فليس منا وقال المثقب العبدي فلما اتاني والسماء تبله فقلت له



اهلاً وسهلاً ومرحباً • ويقال ايضاً لظهر الفرس سماء كما يقال فرجوافره انها ارض ولبعضهم في
فرس • واحمر كالدينار اما سماؤه • فخصب واما ارضه فمحول • اراد انه سمين الاعلى عاري
القوائم ممشوقها وكل معاني السماء التي تتصرف وتتنوع ترجع الى معنى الارتفاع والعلو
والسمو وان اختلفت المواضع التي اجريت هذه اللفظة فيها واولى المعاني بالخبر الذي
سئلنا عنه ما قدمناه من معنى العزة وعلو الشان والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لا يليق به
لان العلو بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجوهر ولا جسم ولا حال فيهما ولان الخبر
والابيات التي تضمنت بعض ذكر السماء خرجت مخرج المدحة ولا يمتدح في العلو بالمسافة وانما
التمدح بالعلو في الشان والسلطان ونفاذ الامر ولهذا لا تجد احداً من العرب يمدح غيره
في شعر او نثر بمثل هذه اللفظة واراد بها علو المسافة بل لا يريدون الا ما ذكرناه من معنى
العلو وانما يظن في هذه المواضع خلاف هذا من لا فطنة له ولا بصيرة له والحمد لله رب العالمين
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا
احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما امن معه الا
قليل الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر في معناه وجوه اولها انه اراد بالتنور وجه الارض
وان الماء نبع وظهر على وجه الارض وفار وهذا قول عكرمة وقال ابن عباس مثله والعرب تسمي
وجه الارض تنوراً وثانيها ان يكون المعنى ان الماء نبع من اعالي الارض وفار من الاماكن
المرتفعة منها وهذا قول قتادة روي عنه في قوله وفار التنور قال ذكر لنا انه ارفع الارض واشرفها
وثالثها ان يكون المراد بفار التنور اي برز النور وظهر الضوء وتكاثفت امارات دخول النهار
وتقضي الليل وهذا القول يروى عن امير المؤمنين ع ورابعها ان يكون المراد بالتنور الذي
يختبز فيه على الحقيقة وانه تنور كان لادم ع وقال قوم ان التنور كان في دار نوح ع بعين وردة
من ارض الشام وقال اخرون بل كان التنور في ناحية الكوفة والذي روي عنهم ان التنور تنور
الخبز الحقيقي ابن عباس والحسن والمجاهد وغيرهم وخامسها ان يكون معنى ذلك اشتد
غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع نقمته بهم فذكر التنور مثلاً لحضور العذاب كما تقول العرب قد حمي

الوطيس

الوطيس اذا اشتدت الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب ايضاً قد فارت
قدر القوم اذا اشتدت حربهم وقال الشاعر • تفور علينا قدرهم فنديمها • ونفثاها عنا اذا
حميها غلى • اراد بقدرهم حربهم ومعنى نديمها اي نسكنها ومن ذلك الحديث المروي عن النبي ص انه نهى عن
البول في الماء الدائم يعني الساكن ويقال قد دوم الطائر في السماء اذا بسط جناحيه وسكنهما
ولم يخفق بهما ونفثاها معناه نسكنها يقال قد فثات غضبه عني وفثات الحار بالبارد اذا
كسرته به وسادسها ان يكون التنور الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء
منه والسفينة على الارض علماً على ما انذر به من اهلاك قومه وهذا القول يروى عن الحسن واولى
القول بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقي لانه الحقيقة وما سواه مجاز ولان الروايات
الظاهرة تشهد له واضعفها وابعدها من شهادة الاثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واشتداد
الامر تمثيلاً وتشبيهاً لان حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية اولى من حمله على المجاز
والتوسع مع فقد الرواية واي المعاني اريد بالتنور فان الله تعالى جعل فوران الماء منه علماً لنبيه ع
وانه يدل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين فاما قوله تعالى من كل زوجين اثنين
فقد قيل المراد به احمل من كل ذكر وانثى اثنين وانه يقال لكل واحد من الذكر والانثى زوج وقال
اخرون الزوجان ههنا الضربان وقال اخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجاً
واستشهدوا ببيت الاعشى • وكل زوج من الديباج يلبسه • ابو قدامة محبواً بذاك
معاً • ومعنى من سبق عليه القول اي من اخبر الله بعذابه او حلول الهلاك به والله اعلم بمراده
تاويل خبر ان سال سائل عن تاويل الخبر الذي يرويه شريك بن عمار الدهني عن ابي
صالح الحنفي عن امير المؤمنين ع انه قال رايت النبي ص في المنام وانا اشكو اليه ما لقيت من الاود
واللدد الجواب يقال ان اما الاود فهو الميل تقول العرب لاقيمن ميلك وجنفك واودك
ودرءك وضلعك وصعرك وصدعك وظلعك بالظاء وصغوك وصدلك كل
هذا بمعنى واحد وقال تغلب الاود اذا كان من الانسان في كلامه ورايه فهو عوج واذا
كان من الشيء المنتصب مثل عصى وما اشبههما فهو عوج هذا قول الناس كلهم الا ابا عمرو

الشيباني فانه قال العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر وقال تغلب كانه مصدر
عوج يعوج عوجاً ويقال عصى معوجة وعود معوج وليس في كلامهم معوج عوجاً واما
اللدد فقيل هو الخصومات وقال تغلب يقال رجل الد وقوم لد اذا كانوا اشداء الخصومة
ومنه قوله تعالى وهو الد الخصام وقال الاموي اللدد الاعوجاج والالد في الخصومة الذي
ليس بمستقيم اي هو اعوج الخصومة يميل فلا يقوى عليه ولا يتمكن منه ومن ذلك قولهم
لد للصبي وانما يلد في شق فيه وليس يلده مستقيماً فهو يرجع الى معنى الميل والاعوجاج قال
قد فسر لنا الحكم بن ظهير فقال الد الخصام اي اعوج الخصام وانشد ابو السمح لابن مقبل
لقد طال عن دهماء لدي وعذرتي • وكتمانها اكني بام فلان • جعلت بجهال الرجال
مخاصمة • ولو شئت قد بينتها بلسان • اللد الجدال والخصومة وقال ابو عمرو الالد
الذي لا يقبل الحق ويطلب الظلم وقوله مخاصمة يقول انهم يخوضون في شعري فيطلبون
معانيه فلا يقفون عليه وانشد ابو السمح • لا تقربن الكذب القبيح فانه • للمرء معتبة
وباب لئام • والصدق يقولك حين تنطق انه • للصدق فضل فوق كل كلام • واذا صدقت
على الرجال خصمتهم • والصدق مقطعة على الظلام • واذا رماك غشوم قوم فارمه • بالالد
مستنغر المدى غشام • لا تعرضن على العدو وسيلة • واحذر عدوك عند كل مقام •
واعلم بانه ليس يوماً نافعاً • عند اللئيم وسائل الارحام • ما لم يخفك ويلق عندك جانباً
خشناً وتصبحه بكاس سمام • واذا حللت بمازق فاكرم به • حتى تفرج حلبة الاظلام • واصبر
على كرب البلاء فانه • ليس البلاء على الفتى بلزام • واعلم بانك ميت ومحدث • عما صنعت
معاشر الاقوام • معنى قوله مستنغر المدى اي بعيد المدى وقوله لا تعرضن على العدو وسيلة
اي لا تقاربه ولا تصانعه ولا يكن بينك وبينه الا الصد في العداوة وانشد ايضاً شاهداً لما تقدم
يا وهب شبه باطلي وجدي • اشبهت اخلاقي فاشبه مجدي • وجدل لي عند الخصوم اللد •
قال المرتضى رض ومن احسن ما وصف به الثغر قول فضالة بن وكيع البكري • تبتسم عن حم
اللثات كانها • حصى برد او اقحوان كثيب • اذا ارتفعت عن مرقد عالت به • من اليانع المعي

فرع خضيب • تضيب نجاه الركب ايام عرفوا • لها من ذرى مال النبات خضيب • يعني
من يانع الاراك ومعنى نجاه اي قطعه ومثله استنجاه ايضاً ومال النبات اي ناعمه وحسنه
ويقال عشب مال ومادٍ سواء اي متباد ناعم ومعنى ايام عرفوا اي اجتنوه من عرفات
وذكر انه خضيب بالطيب الذي يبدا بها لادمانها استعماله وقال الاخطل يصف
ثغراً • شتيتاً يروي الظمآن منه • اذا الجوزاء انجرت الضبابا • الشتيت المتفرق المفلج
الذي ليس بمتراكب ومعنى قوله اذا الجوزاء انجرت لضبابا فيه وجهان احدهما انه اراد عند
سقوط الجوزاء وذلك في شدة البرد وطول الليل اذا انجرت الضباب من البرد وتغير الافواه
لطول ليل الشتاء يقول فثغرها حينئذ عذب غير متغير والوجه الاخر انه اراد عند طلوع الجوزاء
في شدة الحر اذا انجرت الضباب من شدة الحر والقيظ والظمآن يريد اشد عطشاً واحر غلة
فريقها يرويه ويبرد غلته وقال الحر • قويل امها من تكون ضجيعه • اذا ما الثريا ذبذبت كل كوكب
قوله قويل امها من الزجر المحمود مثل قولهم ويل امه ما اشجعه فكانه يقول نعم الضجيع هي عند السحر
اذا انحادرت النجوم للمغيب كما قال ذو الرمة • وايدي الثريا جنح في المغارب • ومنه قول
الاخر • نعم شعار الفتى اذا برد الليل سحيراً وقفقف الصرد • وانما يعني انها في ذلك الوقت الذي
تتغير فيه الافواه طيبة الريق عذبة • وانشد ابو العباس المبرد لام الهيثم • وعارض كجانب العراق
ابيض براق من البراق • يذاق مثل العسل المذاق • قال ابو العباس في هذا قولان احدهما انها
وصفت ثغراً وعارضاه جانباه والعراق ما يثنى ثم يخرز كعراق القربة فاخبرت انه ليس فيه
اعوجاج ولا تراكب ولا نقص وقولها ابيض براقاً من البراق يعني الثغر نفسه اي له بريق من صفائه
ورقته وشبهت الريق بالعسل لعذوبته والقول الاخر قال بعضهم العارض ههنا الغيم وقوله
كجانب العراق يعني هذه البلاد اي هو ضخم متكاثف قد سد الافق وقولها ابيض براقاً من
البراق اي ما تنبته الارض اذا مطرت من النور قال المبرد القول الاول عندنا اصح لذكرها العسل
وانشدنا احمد بن يحيى لابن طثرية • وشعب كشك الثوب شكس طريقه • مجامع صوحيه
نطاف مخاصر • تعسفته بالليل لم يهدني له • دليل ولم يحسن له النعت خابر • قال يعني

بالشعب فم جارية كشك الثوب يعني كف الثوب اذا خاطه الخياط والشكل الضيق يصفها
بصغر الفم وحسنه ورقة الشفتين وضوجاه جانباه ويعني بالنطاف الريق والمخاصر البارد
من الخصر وقوله لم يهدني له دليل اي لم يصل اليه غيري كما قال الشاعر · الا رب يوم قد
شربت بمشرب · شفى الغيم لم يشرب به احد قبلي · الغيم والغين العطش وانما يعني ريق جارية
قال المبرد وقال آخرون بل يعني شعبا من الشعاب مخوفا ضيقا سلكه وحده قال ابو العباس
انما كنى بالشعب عن فم جارية ثم اخذ في وصف الشعب ليكون الامر اشد التباسا قال
المرتضى رضي الله عنه والاشبه ان يكون اراد شعبا حقيقيا لان تابط شرا كان لصا وصافا
للاهوال التي تمضيه ويعاينها في تلصصه وكان كثيرا ما يصف تدليه من الجبال وتخلصه
من المضائق وقطعه المفاوز واشباه ذلك والقطعة التي فيها البيتان كلها تشهد بان
الوصف لشعب لا لفم جارية لانه يقول بعد قوله كشك الثوب · لدى مطلع الشعرى قليل
انيسه · كأن الظما في جانبيه معاجر · به من نجاء الدلو بيض اقرها · جباب لصم الصخر
فيه قراقر · وقد تركن حتى لحضن للماء منتهى · وغادرهن السيل فيما يغادر · به نطف
ثملا قليل ترابها · جلا الماء عن ارجائها وهو حائر · وهذه الاوصاف كلها لا يليق الا بالشعب
دون غيره وتاويل ذلك على الفم تعسف بعيد ولقد احسن كثير في قوله يصف الثغر ·
ويوم الخيل قد سفرت وكفت · رداء العصب عن رتل براد · وعن نجلاء تدمع في بياض
اذا دمعت وتنظر في سواد · وعن متكاوس في العقص جثل · اثيث النبت ذي غدر
جعاد · وقال ابو تمام في هذا المعنى · وعلى العيس خرد يتبسمن · عن الاشنب الشتيت البراد
كان شوك السيال حسنا فاضحى · دونه للفراق شوك القتاد · وقال البحتري · واراتنا
خدا يراح له الورد · ويشتم جنا التفاح · وشتيتا يغض من لؤلؤ النظم · ويزري على
شتيت الاقاحي · فاضاءت تحت الدجنة للشرب · وكادت تضيء للمصباح · وقال ايضا
سفرت كما سفر الربيع الطلق عن · ورد يفرقه الضحى مصقول · وتبسمت عن لؤلؤ في
رصفه برد برد حاشيته المبتول · وقد جمع بين كل ما يوصف به الثغر في قوله · كانما يضحك

عن لؤلؤ



عن لؤلؤ منظم او برد او اقاح · **مجلس آخر تاويل آية** · ان سال سائل عن قوله تعالى قل هل
انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير و
عبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فقال اما انكرتم ان تكون هذه الآية دالة
على انه تعالى جعل الكافر كافرا لانه اخبر بانه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير و
ليس يجعله كافرا الا بان يخلق كفره الجواب يقال له قبل ان نتكلم في تاويل هذه الآية وما تحتمله
من المعاني كيف يجوز ان يخبرنا الله تعالى بانه جعلهم كفارا وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم
والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الازراء عليهم واي مدخل لكونه خالقا لكفرهم في باب ذمهم
واي نسبة بينه وبين ذلك بل لا شيء ابلغ في عذرهم وبراءتهم من ان يكون خالقا لما ذمهم من اجله
وهذا يقتضي ان يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن نعلم ان احدنا اذا اراد ذم غيره
وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام انما يقول الا اخبركم بشر الناس واحقهم بالذم
واللوم من فعل كذا وصنع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الافعال والاحوال قبائحها
ولا يجوز ان يدخل في جملتها ما ليس بقبيح ولا هو من فعل الذام ومن جهته حتى يقول في جملة
ذلك ومن تشاغل بالصناعة الفلانية التي هو اسلمه اليها وحمله عليها وان عقلا لا يقبل هذه
الشبهة لعقل ضعيف سخيف فان قيل اليس قد ذمهم في الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير
ولا صنع لهم في ذلك فكذلك يجوز ان يذمهم بفعلهم عابدين للطاغوت وان كان من فعله
قلنا انما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على افعالهم وباستحقاقهم فجرى ذلك مجرى ذمهم
افعالهم كما ذمهم بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه بافعالهم وعبادتهم
للطاغوت وان كان هو خلقها فلا وجه لذمهم بها لان ذلك مما لا يستحق بفعل متقدم كاللعن
والمسخ ثم نعود الى تاويل الآية فنقول لا ظاهر للآية يقتضي ما ظنوه واكثر ما تضمنته الاخبار
بانه خلق وجعل من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في انه تعالى هو
خالق الكافر وانه لا خالق له سواه غير ان ذلك لا يوجب انه خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم
ان يقولوا انا نستفيد من قوله جعل منهم القردة والخنازير وانه جعل ما به كانوا كذلك فهكذا

نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عابدا للطاغوت وقالت انا
انما استفدنا ما ذكروه من الاول لان الدليل قد دل على ان ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا
يكون الا من فعله تعالى وليس ما به يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله تعالى بل قد دل الدليل على انه تعالى
عن فعل ذلك وخالفه فافترق الامران وفي الاية وجه اخر وهو ان لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت
معطوفا على القردة والخنازير بل معطوفا على من لعنه الله وغضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله
ومن غضب عليه وتقدير الكلام ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير وهذا
هو الواجب لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفناه على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا
فعلا على اسم فالاولى عطفه على ما تقدم من الافعال وقال قوم يجوز ان يكون عبد الطاغوت معطوفا
على الهاء والميم في منهم فكانه جعل منهم وممن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من في
الكلام قال الشاعر: امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء. اراد ومن يمدحه وينصره
فان قيل هبوا هذا التاويل سائغ في قراءة من قرأ عبد الطاغوت بالفتح اين انتم عن قراءة من قرأ
وعَبُد الطاغوت بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرأ وعُبُد الطاغوت بضم العين
والباء ومن قرأ عُبّد الطاغوت بالضم والتشديد ومن قرأ عباد الطاغوت قلنا المختار
من هذه القراءات عند اهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الا حمزة
فانه قرأ عَبُد بفتح العين وضم الباء وباقي القراءات شاذة غير ماخوذ بها قال ابو اسحق الزجاج
في كتابه في معاني القران وعبد الطاغوت نسق على من لعنه الله قال وقد قرئت وعَبُد
الطاغوت وعُبُد الطاغوت والذي نختار وعبد الطاغوت وروي عن ابن مسعود وعبدوا
الطاغوت قال فهذا يقوي وعبد الطاغوت ومن قرأ وعَبُد الطاغوت بضم الباء وخفض
الطاغوت فانه عند بعض اهل العربية ليس بالوجه من وجهين احدهما ان عبد على فعل
وليس على هذا من امثلة الجمع لانهم فسروه خدم الطاغوت والثاني ان يكون محمولا على وجعل
منهم عبد الطاغوت ثم خرج لمن قرأ عبد وجها فقال ان الاسم بني على فعل كما تقول رجل
حذر اي مبالغ في الحذر فتاويل عبد انه بلغ الغاية في طاعة الشيطان هذا كلام الزجاج

وقال

وقال ابو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجا لقراءة حمزة ليس عَبُد لفظ جمع الا ترى انه
ليس في ابنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء المفردة
المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وكذلك قوله عبد الطاغوت جاء على فعل لان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو
يقظ وندس فهذا كان تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء
على هذا لان عبد في الاصل صفة الا ترى ان الابرق والابطح وان كانا قد استعملا استعمال
الاسماء حتى كسرا هذا النحو عندهم من التكسير في قولهم ابارق واباطح فلم يزل عنه حكم الصفة
بذلك ويدلك على ذلك تركهم صرفه كتركهم صرف احمر ولم يجعلوا ذلك كافكل وايدع
فكذلك عبد وان كان قد استعمل استعمال الاسماء فلم يخرجه ذلك عن ان يكون صفة
واذا لم يخرج عن ان يكون صفة لم يمتنع ان يبنى بناء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد
في الاحتجاج لحمزة فاذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح ايضا سائر ما
روي من القراءات التي حكاها السائل كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الاية يزيل الشبهة
فيها ويمكن في الاية وجه اخر على جميع القراءات المختلفة في عبد الطاغوت وهو ان يكون
المراد ان يجعل منهم عبد الطاغوت اي نسبه اليهم وشهد عليه بكونه في جملتهم وجعل
مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وكقوله تعالى وجعل لكم
من الجبال اكنانا وهي ههنا تتعدى الى مفعول واحد وقد تكون ايضا بمعنى التسمية و
الشهادة كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكقول القائل جعلت البصرة
بغداد وجعلتني كافرا وجعلت حسني قبيحا وما اشبه ذلك فهي ههنا تتعدى الى مفعولين
ولجعل مواضع اخر لا حاجة بنا الى ذكرها فكانه تعالى قال ونسب عبد الطاغوت اليهم وشهد
انهم من جملتهم فان قيل لو كانت جعل ههنا على ما ذكرتم لوجب ان تكون متعدية الى مفعولين
لانها اذا لم تتعد الا الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق قلنا هذا غلط من متوهم لان
جعل ههنا متعدية الى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني عند جميع اهل

وان كان قد استعمل استعمال الاسماء استعمالا لم
[illegible] استعمال الابرق [illegible] عن كونه صفة صح

ايدع اندع

العربية لان كل جملة تقع في موضع خبر المبتدا فهي تحسن ان تقع في موضع المفعول الثاني
لجعلت وظننت وما اشبههما وقد قال الشاعر ابا لاراجيز يا ابن اللوم توعدني
وفي الاراجيز خلت اللوم والخور وقد فسر هذا على وجهين احدهما الغا خلت من حيث
توسطت الكلام فيكون في الاراجيز على هذا في موضع رفع بانه خبر المبتدا والوجه الثاني
على اعمال خلت فيكون في الاراجيز في موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول الثاني
وهذا بين لمن تدبره قال المرتضى رضه انشد ثعلب عن ابن الاعرابي اما والصبر في كل حلة
اقر لعيني من غنى رهن ذلة ولني لاختار الظما في مواطن على بارد عذب واغني بغلة وان
ذنب الدهر حتى كانه صديق فلا اغتابه عند زلة ولست لمن كان ابن امي مقترا فلما افاد
المال عاد ابن علة فدابرته حتى انقضى الود بيننا ولم اتمطق من نداه ببلة وكنت له عند الملمات
عدة اسد بمالي ومنه كل خلة قال المرتضى رضه الاولى في هذه القطعة اطلاقها الخلة الحاجة والخلة
ايضا الخصلة والخلة بالضم المودة والخلة ايضا بالفتح ما كان حلوا من المرعى والخلة بالكسر ما
يخرج من الاسنان بالخلال والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخليل ايضا الفقير وكلا الوجهين
قد ذكرا في قوله تعم واتخذ الله ابرهيم خليلا ومنه حديث ابن مسعود تعلموا العلم فانه لا يدري احدكم
متى يختل اليه قال ابو العباس ثعلب يكون من شيئين احدهما من الخلة التي هي الحاجة اي متى
يحتاج اليه ويكون من الخلة وهي النبات الحلو ويكون معناه متى يشتهي ما عنده مثل الابل
لانها ترعى الخلة فاذا ملتها عدلوا بها الى الحمض فاذا ملت الحمض اشتهت الخلة ومن امثالهم جاوا
مخلين فلاقوا حمضا اي جاوا مشتهين لشرنا فلاقوا ما كرهوا والخلة ايضا بنت المخاض والذكر
الخل ويقال جسم خل اذا كان مهزولا قال الشاعر اسقيها يا سواد بن عمرو ان جسمي بعد خالي
لخل ويقال ايضا فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال خللته فهو خليل ومخلول وقيل
اجررته قال الشاعر فلو ان قومي انطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح اجرت اي لم يعملوا
في الحرب شيئا فكنت افتخر بهم وقوله اقر لعيني من غنى رهن ذلة يقول اختيار الصيانة مع الفقر
احب الي من الغنى مع الذل ومثله اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العلياء

من جانب الفقر صبرت وكان الصبر مني سجية وحسبك ان الله اثنى على الصبر وقوله
واستر ذنب الدهر حتى كانه صديق اراد اني لا اشكو ما يمتحنني به الدهر من خصاصة بل استر ذلك
واظهر التجمل حتى لا اسوء الصديق واسر العدو وهذا المعنى اراد بقوله ولا اغتابه عند زلة
وقوله فلما افاد المال عاد ابن علة فيقول العرب هم بنو اعيان اذا كان ابوهم واحدا وامهم واحدة
فاذا كان ابوهم واحدا وامهاتهم شتى قيل اولاد علات ومنه الحديث الماثور عن النبي صلعم انه
قال الانبياء اولاد علات اي امهاتهم شتى وابوهم واحد وكنى الشاعر بذلك عن التباعد
والتقالي والتقاطع لان الاكثر في بني العلات ما ذكرناه وقوله فدابرته اي قاطعته وقوله لم
اتمطق من نداه ببلة فالتمطق يكون بالشفتين والتلمظ يكون باللسان فكنى بذلك
عن انه لم يصب من خيره شيئا وصان نفسه عنه **مجلس اخر تاويل اية**

ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعم الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون فما الذي نبت لهم
العلم به وكيف يطابق وصفهم ههنا بالعلم لوصفهم بالجهل في قوله تعم قل افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون الجواب قلنا هذه الاية معناها متعلق بما قبلها لانه تعم امرهم بعبادته
والاعتراف بنعمته ثم عدد عليهم صنوف النعم التي ليست الا من جهته ليدلهم بذلك على وجوب
عبادته وان العبادة انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا الى اخر الاية فنبه
في اخرها على وجوب توحيده والاخلاص له وان لا يشرك به شيء بقوله فلا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون ومعنى قوله جعل لكم الارض فراشا اي يمكن ان يستقروا عليها ويفترشوها
ويتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدل
ابو علي بذلك وبقوله تعم جعل لكم الارض بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض
كرية الشكل وهذا القدر لا يدل لانه يكفي في النعمة علينا ان يكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة
يمكن التصرف عليها وليس يجب ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض

ليس مسطوحا مبسوطا وان كان مواضع التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان
يكون في الارض بسايط وسطوح يتصرف عليها ويستقر فيها وانما يذهبون الى ان جملتها شكل
الكرة وليس له ان يقول قوله جعل لكم الارض فراشا يقتضي الاشارة الى جميع الارض وجملتها لا
الى مواضع منها لان ذلك تدفعه الضرورة من حيث انا نعلم بالمشاهدة ان فيها ما ليس ببساط
ولا فراش ولا شبهة في ان جعله السماء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق بمنافعنا ومصالحنا
وكذلك انزاله منها الماء الذي هو المطر الذي تظهر به الثمرات فننتفع بنيلها والاغتذاء بها فاما
قوله فلا تجعلوا لله اندادا فان الند هو المثل والعدل قال حسان اتهجوه ولست له بند
فشركما لخيركما الفداء فاما قوله وانتم تعلمون فيحتمل وجوها اولها ان يريد انكم تعلمون ان الانداد
التي هي الاصنام وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله لم ينعم عليكم بهذه النعم التي عددها
ولا بامثالها وانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ومعلوم ان المشركين الذين كانوا يعبدون
الاصنام ما كانوا يدعون ولا يعتقدون ان الاصنام خلقت السماء والارض من دون الله
ولا معه فالوصف لهم هاهنا بالعلم انما هو لتاكيد الحجة عليهم وبصحيح لزومها لهم لانهم مع العلم
بما ذكرناه يكونون اضيق عذرا والوجه الثاني ان يكون المراد بقوله وانتم تعلمون اي تعقلون
وتميزون وتعلمون ما تقولون وتفعلون وتاتون وتذرون لان من كان بهذه الصفة فقد
استوفى شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر واصابة الحق
ونظير ذلك قوله عز وجل انما يتذكر اولوا الالباب وانما يخشى الله من عباده العلماء والوجه الثالث ما
قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل الكتابين التورية والانجيل خاصة ومعنى
وانتم تعلمون اي انكم تعلمون ان الله واحد في التورية والانجيل وعلى الوجهين الاولين لا تنافي
بين هذه الاية وبين قوله قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون لان علمهم تعلق بشيء وجهلهم
بغيره وعلى الوجه الثالث اذا جعل الاية التي سالنا عنها مختصة باهل الكتاب امكن ان تجعل الاية
التي وصفوا فيها بالجهل تتناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يجد فيه بيان التوحيد وكل هذا
واضح بحمد الله قال المرتضى رضي الله عنه ومما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول يحتمل الكل قول امرئ القيس

وقد اغتدى ومعي القانصان وكل بمربائه مقتفر فيدركنا فغم داجن سميع بصير طلوب
نكر الكص الضروس حني الضلوع تبوع اريب نشيط اشر فانشب اظفاره في النسا فقلت
هبلت الا تنتصر فكر اليه بمبراته كما خل ظهر اللسان المجر فظل يرنح في غيطل كما
يستدير الحمار النعر قال ابن السكيت القانصان الصائدان والمرباة الموضع المرتفع
يربا فيه والمقتفر الذي يقتفر آثار الوحش ويتبعها وقال غيره القانصان البازي والصقر
والفغم الكلب الحريص على الصيد يقال ما اشد فغمه اي ما اشد حرصه قال الاعشى تؤم ديار
بني عامر وانت بال عقيل فغم اي مولع والداجن الذي الف الصيد والسميع الذي اذا
حس الرنة والبصير الذي اذا راى شيئا من بعد لم يكذبه بصره والتبوع الذي اذا
تبع الصيد ادركه ولم يعجز عن لحوقه والنكر المنكر الحاذق بالصيد ويروى نكر بالضم
وقال ابن السكيت وغيره في قوله فانشب اظفاره في النسا اي فانشب الكلب اظفاره في
نسا الثور والنسا عرق في الفخذ معروف فقلت هبلت اي قلت للثور هبلت الا
تنتصر من الكلب قال وهذا تهكم منه بالثور واستهزاء به والاصل في التهكم الوقوع
على الشيء يقال تهكم البئر اذا وقع بعضه على بعض ومعنى فكر اليه بمبراته قال ابن السكيت
وغيره معناه فكر الثور الى الكلب بمبراته اي بقرنه ومعنى كما خل ظهر اللسان المجر اي طعنه
به كما يجر الرجل ظهر لسان الفصيل وهو ان يقطع طرف لسانه او يشقه حتى لا يقدر على الرضاع
من خلف امه وذلك اذا كبر واستغنى عن الشرب ومعنى فظل يرنح في غيطل اي ظل الكلب
يرنح اي يميد ويتمايل كالسكران والغيطل الشجر الملتف ويكون ايضا الجلبة والصياح وقوله
كما يستدير الحمار النعر فالنعر الذي يدخل في راسه ذباب ازرق او اخضر فيطمح براسه وينزو
فشبه الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النعر قال ابن مقبل ترى النعرات الزرق تحت لبانه
احاد ومثنى اصعقتها صواهله وقال احمد بن عبيد القانصان الفرس وصاحبه والحجة ان
الفرس يسمى قانصا قول عدي بن زيد نقنص الخيل ونصطاد الطير ولا تبلغ اللهو
القبيض اي لا نمنع منه قال وقوله فانشب اظفاره في النسا معناه فانشب الكلب اظفاره في

كان في المهد الجواب قلنا هرون الذي نسبت اليه مريم قد قيل فيه اقوال منها ان هرون المذكور
في الاية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد الطريقة فلما انكروا ما جاءت به من الولد
وظنوا بها ما هي م بريئة منه من الشر نسبوها الى هذا الرجل تشبيها وتمثيلا وكان تقدير الكلام
يا شبيهة هرون في فسقه وقبيح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير ومنها ان هرون
هذا كان اخاها لابيها دون امها وقيل انه كان اخاها لابيها وامها وكان رجلا معروفا
بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتاله وقيل انه لم يكن اخاها على الحقيقة بل كان
رجلا صالحا من قومها وانه لما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمون هرون من بني
اسرائيل فلما انكروا ما ظهر من امرها قالوا لها يا اخت هرون اي يا شبيهته في الصلاح ما كان هذا
معروفا منك ولا كان ذلك ممن يفعل القبيح ويتطرق عليه الريب وعلى قول من قال
انه كان اخاها يكون معنى قولهم انك من اهل بيت الصلاح والسداد لان اباك لم يكن امرء
سوء ولا كانت امك بغيا وانت مع ذلك اخت هرون المعروف بالصلاح والعفة فكيف اتيت
بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوي هذا القول ما رواه المغيرة بن شعبة قال لما
ارسلني رسول الله الى اهل نجران قال لي اهلها اليس نبيكم يزعم ان هرون اخو موسى وقد علم
الله ما كان بين موسى وعيسى من السنين فلم ادر ما ارد عليهم حتى رجعت الى النبي م فذكرت له
ذلك فقال لي فهلا قلت انهم كانوا يدعون بانبيائهم والصالحين من قبلهم ومنها ان يكون
معنى قوله يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون اخي موسى كما يقال للرجل يا اخا بني تميم ويا اخا
بني فلان وذكر مقاتل بن سليمان في قوله تعالى يا اخت هرون قال روي عن النبي ع انه قال هرون هذا
الذي ذكروه هرون اخو موسى قال مقاتل وتاويل يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون كما قال تعالى
والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا يعني باخيهم انه من نسلهم وجنسهم وكل قول من هذه
الاقوال قد اختاره قوم من المفسرين فاما قوله تعالى من كان في المهد صبيا فهو كلام مبني على الشرط والجزاء
مقصود به اليهما والمعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل
لان الشارط لا يشترط الا فيما يستقبل فيقول القائل ان زرتني زرتك يريد ان تزرني ازرك



قال الله تعالى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك يعني ان يشا يجعل وقال قطرب معنى كان هاهنا معنى
صار فكان المعنى وكيف نكلم من صار في المهد صبيا ويشهد بذلك قول زهير اجزت اليه
حرة ارحبية وقد كان لون الليل مثل الارندج وقال غيره كان هاهنا بمعنى خلق ووجد كما
قالت العرب كان الحر وكان البرد بمعنى وجد وحدث وقال قوم لفظة كان وان اريد بها الماضي
فقد يراد به الحال والاستقبال كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس اي انتم كذلك وقوله عز وجل
هل كنت الا بشرا رسولا وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وان كان قد قيل في هذه الاية خاصة
غير ذلك قيل ان القوم شاهدوا من آثار علمه وحكمته ما شاهدوا فاخبرهم انه لم يزل عليما
حكيما اي فلا تظنوا انه استفاد علما وحكمة لم يكن عليهما ومما يقوي مذهب من وضع لفظ
الماضي موضع الحال والاستقبال قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم وقوله تعالى ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار وقولهم في الدعاء غفر الله لك واطال الله بقاك وما جرى مجرى ذلك
ومعنى الكل يفعل الله ذلك بك الا انهم لما امنوا من اللبس وضعوا الماضي في موضع المستقبل قال
الشاعر فادركت من قد كان قبلي ولم ادع لمن كان بعدي في القصائد مصعدا اراد لمن
يكون بعدي وربما جعلوا فيه المستقبل في موضع الماضي قول الصلتان العبدي يرثي المغيرة
بن المهلب قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين وللمجد الرائح ان الشجاعة والسماحة
ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف
سابح وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخا دم وذبائح معناه فلقد كان
كذلك تاويل خبر ان سال سائل فقال كيف يطابق ما روي عن رسول الله انه قال لا عدوى
ولا هامة ولا طيرة وانه قيل له ص ان النقبة تقع بمشفر البعير فيجرب لذلك الابل فقال ص فما اعدى
الاول لما روي عنه م من قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله فر من المجذوم فرارك
من الاسد وان رجلا مجذوما اتاه ليبايعه بيعة الاسلام فارسل اليه بالبيعة وامره بالانصراف
ولم ياذن له وروي عنه م انه قال الشوم في المراة والدار والدابة وظواهر هذه الاخبار
متناقضة فبينوا وجه الجمع بينها الجواب قلنا ان ابن قتيبة سال نفسه عن اختلاف هذه

الثأر الثور فقلت لصاحب الفرس او غلامي الممسك للفرس هبلتك الا تدنو الى الثور
فتطعنه فقد امسكه ملبك لكلب قال ومحال ان يكون امرؤ القيس اغرى الثور بقتل كلبه لان
امرأ القيس يفخر بالصيد ويصف في اكثر شعره بانه مرزوق منه مظفر فيه كقوله اذا ما خرجنا
قال ولدان اهلنا تعالوا الى ان يأتنا الصيد نحطب وكقوله مطعم للصيد ليس له
غيره كسب على كبره فمحال على هذا ان يغري الثور بقتل كلبه قال وتاويل الا تنتصر اي الا
تدنو من الثور والدليل على ان تنتصر بمعنى تدنو قول الراعي وافزعن في وادي جلاميد
بعدما علا البيد سا في القبطة المتناصر اي المتدانى وقال مضرس بن ربعي وانك لا
تعطي امرءا حظ غيره ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره اي دان منه ومعنى القص الضرس
اي بعض اسنانه ملتصق ببعض وحبي الضلوع اي مشرف الضلوع عاليها ويروى وحنى
الضلوع اي منحنيها ويقال ان الضلوع اذا تقوست كان اوسع لجوفه واقوى له و
يروى خفي الضلوع اي ضلوعه خفية داخلة في جنبه ومعنى فظل يمج اي ظل الثور يمج
في غيطل لما طعنه صاحب الفرس وقد يجوز ايضا ان يكون يمج الثور بظفر الكلب ولانه
انشب اظفاره فيه وكل ذلك محتمل ومما يحمل من ذلك ايضا على وجوه مختلفة قول امرئ
القيس فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل قال قوم معناه
لم يدرس رسمها لنسج هاتين الريحين فقط بل لما ريثت لتتابع الرياح والامطار والدليل
على هذا قوله في البيت الاخر فهل عند رسم دارس من معول وقال اخرون معنى لم يعف
اي لم يدرس فالرسم على هذا القول هو باق غير دارس ومعنى قوله في البيت الاخر فهل عند
رسم دارس من معول اي فهل عند رسم سيدرس في المستقبل وان كان الساعة موجودا
غير دارس وقال اخر في معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني انه لم يدرس اثرها لما نسجتها
بل هي بواقي ثوابت فنحن نحزن لها ونجزع عندرؤيتها ولو عفت وامحت لاسترحنا وهذا
مثل قول ابن احمر الا ليت المنازل قد بلينا فلا يرمين عن شزن حزينا ومثل قول الاخر
ليت الديار التي تبقى تحيرنا كانت تبين اذا ما اهلها بانوا وليس قوله فهل عند

رسم دارس من معول نقضا لهذا انما هو كقولك درس كتابك اي ذهب بعضه وبقي بعض
وقال ابو بكر العبدي معناه لم يعف رسمها من قلبي وهو دارس من الموضع فلم يتناول قوله
لم يعف ما تناوله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام وقال اخرون
اراد بقوله لم يعف لم يدرس ثم اكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول كما قال زهير
قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم وكما قال الاخر فلا
تبعدن يا خير عمرو بن مالك بلى ان من زار القبور ليبعدا اراد ليبعدن فابدل
الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير ليس يجب فيه ما توهم من
المناقضة والتكذيب لانه يمكن ان يحمل على ما ذكرناه في احد الوجوه المتقدمة من انه اراد
ان رسمها لم يعف ولم يبطل كله وان كان قد غيرت الديم والارواح بعضه واثرت في بعض
فاما البيت الثاني فلا حجة فيه جملة لانه لم يتضمن اثباتا ونفيا واعتماده على انه لا يبعد ثم
رجع الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى به غير واجب ولا ثابت فكيف يلحق البيت الذي
ويمكن في البيت وجه اخر وهو ان يكون معنى لم يعف رسمها اي لم يزد ويكثر فيظهر حتى يعرفه
المترسم ويتبينه المتأمل بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم دارس فلم
يناقض الاول لانه قد اثبت الدروس لرسم في كلا الموضعين ولا شبهة في ان عفا من حروف الاضداد
التي تستعمل تارة في الدروس واخرى في الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا ويقال
قد عفا الشعر اذا كثر قال الشاعر ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات اللحم كوم اراد
كثيرات اللحم ويقال قد عفا وبر البعير اذا زاد ويقال اعفيت الشعر وعفوته اذا كثرته وزدت فيه
وامر رسول الله صلى الله عليه واله بان تحفى الشوارب وتعفى اللحى اي توفر وهذا الوجه اشبه
عندي مما تقدم **مجلس اخر تاويل اية** ان سال سائل عن قوله تعالى يا اخت هارون ما
كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد
صبيا فقال من هرون الذي نسبت مريم الى انها اخته ومعلوم انها لم تكن اخت هرون اخي موسى
وما معنى من كان في المهد صبيا ولفظة كان تدل على ما مضى من الزمان وعيسى في حال قولهم ذلك

المجلس الثامن والستون

الاخبار فاجاب عن ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ما عندنا فيه فانه خلط ولجا الى ما ليس بمرضي قال
ان لكل من هذه الاخبار معنى وموضعا فاذا وضع موضعه زال الاختلاف قال والعدوى جنسان
احدهما عدوى الجذام وان المجذوم يشتد رايحته حتى يسقم من اطال مجالسته ومواكلته وكذلك
المراة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار واحد فيوصل اليها الاذى وربما جذمت وكذلك ولده ينزعون
الكثير اليه وكذلك من به سل ودق والاطباء تامر بان لا يجالس المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى
العدوى وانما يريدون بذلك تغير الرايحة وانها قد تسقم في حال اشتمامها والاطباء ابعد الناس من
الايمان بيمن وشوم وكذلك النقبة تكون بالبعير وهو جرب رطب فاذا خالط الابل وحاكها او وصل
اليها بالماء الذي يسيل منه نحو ما به فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلعم لا يوردن ذو عاهة على مصح قال وقد ذهب
الى انه اراد بذلك ان لا يظن الذي نال ابله من ذوات العاهة فياثم قال والوجه عندي فيه لانا نجد
الذي خبرتك به عيانا قال واما الجنس الاخر من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من
الطاعون وحكى عن الاصمعي عن بعض البصريين انه هرب من الطاعون فركب حمارا ومضى باهله
نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول: لن يسبق الله على حمار، ولا على ذي منعة طيار
او ياتي الحتف على مقدار، قد يصبح الله امام الساري. وقد قال رسول الله صلعم اذا كان بالبلد الذي
انتم فيه فلا تخرجوا منه وقال ايضا اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله لا تخرجوا من البلد اذا كان
فيه كانكم تظنون ان الفرار من قدر الله ينجيكم ويريد بقوله اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم
بالبلد الذي لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب لعيشكم قال ومن ذلك المراة تعرف بالشوم
والدار فينال الرجل مكروه او جايحة فيقول اعدتني بشومها قال وهذا هو العدوى الذي قال
النبي صلعم لا عدوى فاما الحديث الذي رواه ابو هريرة عن النبي صلعم انه قال الشوم في المراة والدار
والدابة فان هذا يتوهم فيه الغلط على ابي هريرة وانه سمع شيئا من الرسول صلعم فلم يعه وروى
ابن قتيبة خبرا رفعه الى ابي حسان الاعرج ان رجلين دخلا على عايشة فقالا ان ابا هريرة يحدث عن
النبي صلعم انه قال انما الطيرة في المراة والدار والدابة فطارت شفقا ثم قالت كذب والذي انزل
الفرقان على ابي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله صلعم وانما قال رسول الله كان اهل الجاهلية

يقولون

يقولون الطيرة في المراة والدار والدابة ثم قرات ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها وروى خبرا رفعه الى انس بن مالك قال جاء رجل الى
النبي صلعم فقال يا رسول الله انا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا ثم تحولنا منها
الى اخرى فقلت فيها اموالنا وقل عددنا فقال رسول الله صلعم ذروها فهي ذميمة قال ابن قتيبة
ليس هذا بنقض الحديث الاول وانما امرهم بالتحول منها لانهم كانوا مقيمين فيها على
استثقال لظلها واستيحاش لما نالهم فيها فامرهم بالتحويل منها وقد جعل الله تعالى في غرائز
الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه وان كان لا سبب لهم في ذلك وحب من جرى على يده
الخير لهم وان لم يردهم به وبغض من جرى على يده الشر لهم وان لم يردهم به قال المرتضى ما حمل
ابن قتيبة على شيء اكثر من انه لما اعجزه تاويل الاخبار التي سال نفسه عنها والمطابقة بينها
وقوله صلعم لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره العموم وخص العدوى بشيء دون
اخر وكلاهما سواء واورد تاويلا يدفعه نص قول النبي صلعم لانه لما سيل عن النقبة تقع
بمشفر البعير فيجرب لذلك الابل قال فما اعدى الاول تكذيبا بعدوى هذه النقبة وتاويلها
فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم ان الجرب يعدي ويوثر في المخالط والمواكل وعول في ذلك
على قول الاطباء وترك قول الرسول صلعم ومن طريف امره انه قال ان الاطباء ينهون عن
مجالسة المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغير الرايحة
وانها تسقم من ادمن اشتمامها وهذا غلط منه لان الاطباء انما نهى عن ذلك خوفا من العدوى
وسبب العدوى عندهم هو اشتمام الرايحة وانفصال الاجزاء من السقيم الى الصحيح وليس اذا
كان غير هذا عدوى عند قوم ما يوجب ان لا يكون هذا ايضا من العدوى ولما عدل عن
تاويلا صحيحا في قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح ادعى ان العيان يدفعه والعيان معه
ونحن نجد كثيرا من يخالط الجربى فلا يجرب ونجد ابلا صحاحا تخالط ذوات العاهات
فلا يصيبها شيء من ادوائها وكانه انما يدعي ان العيان يدفع قول النبي صلعم فمن اعدى الاول
والوجه عندنا في قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح انه انما نهى عن ذلك وان لم يكن موثرا

على الحقيقة لان فاعله كالمدخل الضرر على غيره لان من اعتقد ان ذلك يعدي ويؤثر فاورد
على ابله فلا بد من ان يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا بد من ان يذم من عامله بذلك
فكانه نهي عن اذى الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز ايضا فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره مما
لم يرضه من انهم متى ظنوا ذلك ثم وافقهم ع من التعرض لما يؤثم ولو تظل ابن قتيبة ما قاله في
الطاعون اذا كان ببلد فلا تدخلوه وامر لم يشكل اليه ما لحقه في الفرار بالتحول عنها لكان
قد اصاب لانه حمل ذلك على ان يجتنب البلد اسكن للنفس واطيب للعيش وكذلك
في الدار وهذا يمكن في قوله لا يورد ذو عاهة على مصح بعينه فاما قوله فر من المجذوم
فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لاجل العدوى وقد يمكن ان يكون لاجل نتن ريحه واستقذاره
ونفور النفس منه ولان في الترهات دعى الى تعيينه والازرآء عليه واغتمامه من ادخال المجذوم
عليه لبيانه يجوز ايضا ان يكون الغرض فيه غير العدوى بل بعض الاسباب المانعة التي ذكرنا
بعضها واما حديث الطاعون فالقول فيه على ما قاله وقد كان سبيله لما عول في عدوى
الجذام والجرب على قول الاطباء ان يرجع ايضا الى قولهم في الطاعون لانهم يقولون ان الطاعون
الذي يعرض من تغير الاهوية وما جرى مجراها يعدي كعدوى الجرب والجذام وان
العيان الذي ادعاه ليس هو اكثر من وجوده من يجرب او يجذم بمخالطة من كان بهذه
الصفة وهذا العيان موجود في الطاعون فانا نرى عموم لمن سكن البلد الذي يكون
فيه بطرو اليه فاما الخبر الذي يتضمن ان الشوم في المراة والدار والدابة فالذي ذكره
من الرواية في معناه مزيل الشبهة به على انه لو لم تكن ههنا رواية في تاويله جاز ان يحمل
على ان الذي يتطير به المتطيرون ويدعون ان المشوم فيه هو المراة والدار والدابة
فلا يكون ذلك اثباتا للطيرة والشوم في هذه الاشياء بل على طريق الاخبار بان الطيرة انما
هي فيها القوة امرها عند اصحاب الطيرة وما ذكره بعد ذلك في الفار والفرار بانتقاله عنها
تاويل قريب وكان يجب ان يهتدي اليه فيما تقدم وما التوفيق الا من عند الله مجلس اخر



تاويل اية ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم او ليس ظاهر هذا الكلام
يقتضي جواز الحجاب عليه وانتم تمنعون من ذلك الجواب قلنا ليس في الاية اكثر من ذكر الحجاب
وليس فيها انه حجاب له تع او لمحل كلامه او لمن يكلمه واذا لم يكن في الظاهر شي من ذلك جاز صرف
الحجاب الى غيره عز وجل مما يجوز ان يكون محجوبا وقد يجوز ان يريد بقوله او من وراء حجاب
انه يفعل كلاما في جسم محتجب عن المتكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب
الكلام ولا يعرف محله على طريق التفصيل فيقع على هذا هو مكلم من وراء حجاب وروي
عن مجاهد في قوله تع وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قال هو داود ع اوحي في صدره
فزبر الزبور او من وراء حجاب وهو موسى ع او يرسل رسولا وهو جبرئيل ع ارسل الى محمد ص
فاما ابو علي الجبائي فانه ذكر ان المراد بالاية وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بمثل ما يكلم
به عباده من الامر بطاعته والنهي لهم عن معاصيه وتنبيهه اياهم على ذلك من جهة الخاطر
والمنام وما اشبه ذلك على سبيل الوحي قال وانما سمى الله تع ذلك وحيا لانه خاطر
وتنبيه وليس هو كلاما لهم على سبيل الافصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه اذا خاطبه
والوحي في اللغة انما هو جرى مجرى الايماء والتنبيه على الشي من غير ان يفصح به فهذا هو معنى
ما ذكره الله تع في الاية قال وعنى بقوله او من وراء حجاب ان يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه
الا من يريد ان يكلمه به نحو كلامه تع لموسى ع لانه حجب ذلك عن جميع الخلق الا عن موسى وحده
في كلامه اياه اولا واما كلامه له في المرة الثانية فانه انما اسمع ذلك موسى والسبعين الذين
كانوا معه وحجبه عن جميع الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله او من وراء حجاب لان الكلام
هو الذي كان محجوبا عن الناس وقد يقال انه حجب عنهم موضع الكلام الذي اقام الكلام فيه
فلم يكونوا يدرون من اين يسمعونه لان الكلام عرض لا يقوم الا في جسم ولا يجوز ان
يكون اراد تع بقوله او من وراء حجاب ان الله كان من وراء حجاب يكلم عباده لان الحجاب
لا يجوز الا على الاجسام المحدودة قال وعنى بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء و
ارسال الملائكة بكتبه وبكلامه الى انبيائه ع ليبلغوا ذلك عنه عباده على سبيل انزال القرآن

على محمد ص وانزاله سائر الكتب على انبيائه فهو ايضا ضرب من الكلام الذي يكلم الله تع به عباده
ويامرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير ان يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى وهذا
الكلام هو خلاف الوحي الذي ذكر الله في اول الاية انه قد افصح لهم في هذا الكلام بما امرهم
به ونهاهم عنه والوحي الذي ذكره في اول هذه الاية انما هو تنبيه وخاطر وليس فيه افصاح
وهذا الذي ذكره ابو علي ايضا سديد والكلام محتمل لما ذكره ويمكن في الاية وجه اخر
وهو ان يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفي الظهور وقد تستعمل العرب لفظة الحجاب
فيما ذكرناه فيقول احدهم لغيره اذا استبعد فهمه واستبطا فطنته بيني وبينك حجاب
ويقول في الامر الذي يستبعده ويستبعد طريقه ويستصعبه بيني وبين هذا الامر حجب
وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الاية انه تع لا يكلم البشر الا وحيا بان يخطر
في قلوبهم او بان ينصب لهم ادلة تدلهم على ما يريده او يكرهه منهم فيكون من حيث نصبها
للدلالة على ذلك والارشاد اليه مخاطبا ومكلما للعباد بما يدل عليه وجعل هذا الخطاب
من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول ولا ظاهرا معلوما
لكل من ادركه كما ان اقوال الرسول المؤدين عنه تع من الملائكة بهذه الصفة فصار الحجاب ههنا
كناية عن الخفاء وعبارة عما تدل عليه الدلالة وليس لاحد ان يقول ان الذي تدل عليه الادلة
من صفاته تع واحواله ومراده ولا يقال انه تع مكلم لنا به وذلك انه غير ممتنع على سبيل التجوز
ان يقال فيما يدل عليه الدليل الذي نصبه ليدل على مراده ويرشد اليه انه مكلم لنا ومخاطب لنا
به ولهذا لا يمتنع المسلمون من ان يقولوا ان الله تع خاطبنا بما دلت عليه الادلة العقلية وامرنا
بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما اراده وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على امر
من الامور وقد خاطبنا فلان بما فعل من كذا وكذا وقال لنا وامرنا وزجرنا وما اشبه ذلك
من الالفاظ التي يجيزونها على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال اكثر واظهر من ان نورد
امثلته ونظائره قال السيد المرتضى رض ومن مستحسن ما قيل في الذئب قول اسماء بن
خارجة بن حصن الفزاري ۞ ولقد الم بنا لنقريه ۞ بادي الشقاء محارف الكسب ۞ يدعو الغنى

ان نال علقة ۞ من مطعم غبا الى غب ۞ وطوى ثميلته والحقها ۞ بالصلب بعد لدونة الصلب ۞
يا ضل سعيك ما صنعت بما ۞ جمعت من شب الى دب ۞ لو كنت ذا لب تعيش به ۞ لفعلت
فعل المرء ذي اللب ۞ وجمعت صالح ما احترفت وما ۞ جمعت من نهب الى نهب ۞ فظننته
شغبا تدل به ۞ فلقد منيت بغاية الشغب ۞ اذ كان غير مناصل بعصى بها ۞ مشحوذة وركائب
الركب ۞ فاعمد الى اهل الوقير فما ۞ يخشى الغرامة منعم الذرب ۞ احسبتنا ممن يطيف به ۞ فاخترتنا
للامن والخصب ۞ وبغير معرفة ولا سبب ۞ اني وشعبك ليس من شعبي ۞ لما رأى ان ليس نافعه ۞
جد تهادن صادق الارب ۞ والح الحاحا بحاجته ۞ شكوى الضرير ومزجر الكلب ۞ ابدى الكلح
يشكي سغبا ۞ وانا ابن قاتل شدة السغب ۞ فرايت ان قد نلته باذى ۞ من عذم مثلبة
ومن سب ۞ ورايت حقا ان اضيفه ۞ اذ رام سلمي واتقى حربي ۞ فوقفت معتاما ازاولها ۞
بمهند ذي رونق عضب ۞ فعرضته في ساق اسمنها ۞ فاجتاز بين الحاذ والكعب ۞ فتركته
لعياله جزرا عمدا وعلق رحلها صحبي ۞ ذكر في شاطر قهبلا وقوله محارف الكسب مثل
ضربه اي لا يبقى له نشب الا شيء يكتسبه وقوله يدعو الغنى اذ نال علقة اي ان وجد ما
يتعلق به من مطعم غبا اي بين يومين فذلك عنده الغنى والثميلة ما يبقى في البطن من
طعام او علف ومعنى طوى ثميلته ذهب بها اراد انه لم يبق في بطنه ما يمسكه واللدونة
اللين فاراد انه الحق بقية طعامه بصلبه بعد ان لان ما صلب منها ثم اقبل على الذئب كالعاذل
له فقال له ما صنعت بما جمعت من شب الى دب وهذان اسمان للشباب
والهرم لا يفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا والمعنى فيهما مذ كنت شابا حتى دببت على
العصا ثم قال لو كنت ذا لب لجمعت ما تصيبه ومعنى احترفت اكتسبت ومعنى من
نهب الى نهب اي من عدوتك على الغنم الى عدوتك الاخرى ثم قال ان كان تعرضك
لنا شغبا علينا فقد منيت بغاية الشغب اي هو بنا فرك ويقاتلك وليس ههنا ما تغير
عليه وانما معنا مناصل اي سيوف مشحوذة وركائبنا التي نمتطيها فاعمد الى اهل الوقير
والوقير القطيع من الغنم ولا يسمى وقيرا الا اذا كان فيه حمار يقول فعليك بمواضع الغنم

فانما يخاف الراعي والمقرمص الذي يتخذ القرموص واصله المكان الضيق وهو ههنا الحفيرة
يحتفرها الراعي في الرمل فيشد الحر للشاة الكريمة الصفية حتى اذا بركت كان ضرعها في القرموص
ومعنى شعبك ليس من شعبي اي لست من جنسي ولا شكلي والاريب الحديد عند الحاجة
وشكوى الضرير الذي قد مسه الضر ومزجر الكلب اي هو منا قريب المكان بقدر مزجر
الكلب يقال زجرت الكلب ازجره اخسأته والسغب الجوع واراد بقوله وانا ابن
قاتل شدة السغب اي انا ابن من كان يقري الضيف ويطعمه ثم رجع الى كرمه فقال بات
بعد ان سببته وغصصته بالاذى والغمر ان اضيفه واقريه لانه ضيف وان كان ذا نبا
فوقفت انظر في ركائبي ولختار اسمنها والاعيام الاخيار وازوادها الاسمنها والحاذان
حتى الفخذين اللذان يليان الذنب وخبر ان رحل المطية التي عقرها علقه بعض اصحابه
على مطية اخرى وقال النجاشي يذكر ذئبا ❊ وماء كلون الغسل قد عاد اجنا ❊ قليل به
الاصوات في بلد محل ❊ وجدت عليه الذئب يعوي كانه ❊ خليع خلي من كل مال ومن اهل ❊
فقلت له يا ذئب هل لك في فتى ❊ يواسي بلا من عليك ولا بخل ❊ فقال هداك الله للرشد
انما ❊ دعوت لما لم ياته سبع قبلي ❊ فلست باتيه ولا استطيعه ❊ ولاك اسقني ان كان
ماؤك ذا فضل ❊ فقلت عليك الحوض اني تركته ❊ وفي صفوه فضل القلوص من السجل ❊
فطرب يستعوي ذئابا كثيرة ❊ وعديت كل من هواه على شغل ❊ وروي ان الفرزدق نزل
بالغريين فعراه باعلى ناره ذئب فابصره مقعيا يصطلي ومع الفرزدق مسلوخة فرمى اليه
بيد فاكلها فرمى اليه بما بقي فاكله فلما شبع ولى عنه فقال ❊ وليلة بتنا بالغريين ضافنا ❊
على الزاد موشي الذراعين اطلس ❊ تلمسنا حتى اتانا ولم يزل ❊ لدن فطمته امه يتلمس ❊ فلو
انه اذ جاءنا كان دانيا ❊ لالبسته لو انه يتلبس ❊ ولكن تنحى جنبة بعدما دنى ❊ فكان كقاب القوس
او هو انفس ❊ فقاسمته نصفين بيني وبينه ❊ بقية زادي والركائب نعس ❊ وكان ابن ليلى
اذ قرى الذئب زاده ❊ على طارق الظلماء لا يتعبس ❊ ولابن عنقاء الفزاري واسمه قيس بن
بجوره وقيل بجره بالضم الابيات المشهورة في الذئب في ❊ واعوج من آل الضريح كانه ❊

بذي الشث سيد آبه الليل جائع ❊ بغى كسبه اطراف ليل كانه ❊ وليس يلاقي ما يظلم من الحمص طالع ❊
فلما اتاه الرزق من كل وجهة ❊ جنوب الملا وايئسته المطامع ❊ طوى نفسه طي الحرير كانه ❊
حوى حية في ربوة فهو هاجع ❊ فلما اصابت متنه الشمس حكه ❊ باعصل في انيابه السم ناقع ❊
وفكك لحييه فلما تعاديا ❊ صأى ثم اقعى والبلاد بلاقع ❊ وهم بامر ثم ازمع غيره ❊ وان ضاق
رزق مرة فهو واسع ❊ وعارض اطراف الصبا وكانه ❊ رجاع غدير هزه الريح رابع ❊ ولاخر في الذئب
فقلت تعلم انني غير نائم ❊ الى مستقل بالجنابة انيبا ❊ بعيد المطاف لا يفيد على الغنى
ولا بائلي ما استطاع ان يتكسبا ❊ معنى انيب اي غليظ الناب لا ثنام اليه اي لا اثق به ومن ذلك
استنمت الى فلان اي اطمانت اليه ومعنى لا يفيد على الغنى اي لا يلتمس مطعما وهو شبعان
ولحميد بن ثور في الذئب ❊ فظل يراعي الجيش حتى تغيبت ❊ حناش وحالت دونه من الاجارع ❊
اذا ما غدا يوما رايت غيابة ❊ من الطير ينظرن الذي هو صانع ❊ خفيف المعى الا مصيرا يبله
دم الجوف او سور من الحوض ناقع ❊ هو البعل الداني من الناس كالذي ❊ له صحبة وهو العدو
المنازع ❊ ينام باحدى مقلتيه ويتقي ❊ باخرى المنايا فهو يقظان هاجع ❊ وصف ذئبا يتبع
الجيش طمعا في ان يتخلف رجل يثب عليه لانه من بين السباع لا يرغب في القتل ولا يكاد
ياكل الا ما فرسه وحناش اسم هضبة وقال بعضهم وليس بمعروف ان حناش اسم من اسماء
الشمس واخبر ان الطير تتبعه لتصيب مما يقتل والمصير المعا والبعل الدهش مجلس آخر تاويل آية
ان سال سائل عن قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن
تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين فقال ما انكرتم ان
ان تكون هذه الآية دالة على جواز الرؤية عليه عز وجل لانها لو لم تجز لم يجز ان يسالها موسى
كما لا يجوز ان يساله اتخاذ الولد والصاحبة ولو كانت ايضا الرؤية مستحيلة لم يعلقها بامر
يصح ان يقع وهو استقرار الجبل فاذا علمنا صحة استقرار الجبل في موضعه فيجب ان تكون
الرؤية ايضا صحيحة وفي حكم ما علقت به وقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل يقتضي جواز التجلي عليه لان

التجلي والظهور لا يكونان الا بعد احتجاب واستتار الجواب قلنا اول ما نقوله انه ليس في مسالة
الشيء دلالة على صحته ووقوعه ولا جوازه لان السائل قد يسال عن الصحيح والمحال مع العلم وفقد العلم الاغراض
مختلفة فلا دلالة في ظاهر مسالة الرؤية على جوازها ولاصحابنا عن هذه المسالة اجوبة
اولها وهو الاولى والاقوى ان يكون موسى عم لم يسال الرؤية لنفسه وانما سالها لقومه فقد روي
انهم طلبوا ذلك منه والتمسوه واجابهم بانه لا يجوز عليه تعالى فلم يقنعوا بجوابه واثروا ان يرد
الجواب من قبل ربه فوعدهم بذلك وغلب على ظنه ان الجواب اذا ورد من جهته عز وجل كان
احسم للشبهة وابلغ في رفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون السؤال
بمحضر منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسال واجيب بما يدل على ان الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوي
هذا الجواب اشياء منها قوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا
موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ومنها قوله تعالى واذ قلتم يا
موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ومنها قوله تعالى فلما
اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
لان اضافة ذلك الى السفهاء تدل على انه كان بسببهم ومن اجلهم وانما سالوا ما لا يجوز عليه
ومنها ذكره الجهرة في الرؤية وهو لا يليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي ان الطلب لم يكن
للعلم الضروري على ما سنذكره في الجواب الثاني ومنها قوله انظر اليك لانه اذا حملنا الآية
على طلب الرؤية لقومه امكن ان نحمل قوله انظر اليك على حقيقته واذا حملت الآية على طلب
العلم الضروري احتيج الى حذف في الكلام ويصير تقديره ارني انظر الى الآيات التي عندها
اعرفك ضرورة ويمكن في هذا الوجه الاخير خاصة ان يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم
هو ان النظر في الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله انظر اليك حقيقة في جواب من حمل
الآية على طلب الرؤية لقومه فان قلتم لا يمتنع ان يكونوا التمسوا الرؤية التي معها يكون
النظر والتحديق الى الجهة قال على حسب ما التمسوا قيل لكم هذا ينقض فرقكم في هذا الجواب
بين سؤال الرؤية وبين سؤال جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضي الجسمية

بان تقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من صحة معرفة السمع والشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك
لان الشك الذي لا يمنع من معرفة السمع انما هو في الرؤية التي لا يكون معها نظر فلا تقتضي التشبيه
فان قلتم يحمل ذكر النظر على ان المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لانه من عادة العرب ان
يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه قلنا فكانكم عدلتم من مجاز الى مجاز فلا قوة
في هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدم اولى وليس لاحد ان يقول
لو كان عم انما سال الرؤية لقومه لم يضف السؤال الى نفسه فيقول رب ارني انظر اليك ولا كان
الجواب مختصا به وهو قوله تعالى لن تراني وذلك انه غير ممتنع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع ان
المسالة كانت من اجل الغير اذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة فلهذا
يقول احدنا اذا شفع في حاجة غيره للمشفوع اليه اسالك ان تفعل بي كذا وكذا وتجيبني
الى كذا ويحسن ان يقول المشفوع اليه قد اجبتك واسعفتك وما يجري مجرى ذلك
وانما حسن هذا لان للسائل في المسالة اغراضا وان رجعت الى الغير فتحققه بها
وتكلفه لتكلفه اذا اختصه ولم يتعداه فان قيل كيف يجوز منه عليه السلام مع علمه باستحالة الرؤية
ان يسال فيها لقومه ولئن جاز ذلك ليجوزن ان يسال لقومه ساير ما يستحيل عليه من كونه جسما
وما اشبهه متى شكوا فيه قلنا انما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سالت عنه لان
مع الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي كونه جسما يمكن معرفة السمع وانه تعالى حكيم صادق في
اخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه
ومع الشك في كونه جسما لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقد قال
بعض من تكلم في هذه الآية قد كان جائزا ان يسال موسى لقومه ما يعلم استحالته وان كانت
دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في الدين
وان ورد الجواب يكون لطفا لهم في النظر في الادلة واصابة الحق منها غير ان من اجاب بذلك لا بد
ان يبين الشيء في مسالة علمه باستحالة ما سال عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون
لطفا والجواب الثاني في الآية ان يكون موسى عم انما سال ربه ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض

اعلام الاخرة التي تضطر الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخف
المحنة عليه بذلك كما سأل ابراهيم عليه السلام ربه ان يريه كيف يحيي الموتى طلبا لتخفيف المحنة بذلك وان كان قد عرف ذلك قبل
ان يراه والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك بالنظر وفي ذلك اظهر من ان نستشهد عليه
فقال له عز وجل لن تراني اي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته منى ثم اكد ذلك بان
اظهر في الجبل من آياته وعجائبه ما دل به على ان اظهار ما تقع به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وثباته
لا يجوز وان الحكمة تمنع عنه والوجه الاول اولى لما ذكرناه من الوجوه ولانه لا يخلو موسى عليه السلام من ان يكون شاكا
في ان المعرفة الضرورية لا يصح حصولها في الدنيا او عالما بذلك فان كان شاكا فهذا مما لا يجوز على
النبي لان الشك فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم لا سيما وقد يجوز ان يعلم
الله ذلك على الحقيقة بعض اممهم فيزيد عليهم في المعرفة وهذا ابلغ في التنفير عنهم من كل شيء يمنع منه
فيهم وان كان عالما فلا وجه لسؤاله الا ان يقال انه سأل لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول ويجوز
في الاية ما حكي عن بعض من تكلم في هذه الاية من اهل التوحيد وهو ان قال يجوز ان يكون موسى عليه السلام وقت
مسألته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية على الله تعالى فسأل عن ذلك ليعلم هل يجوز عليه ام لا قال وليس
شكه في ذلك بمانع من ان يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شكه في جواز الرؤية على بعض ما
لا يرى من الاعراض في انه غير مخل بما يحتاج اليه في معرفته تعالى فلا يمتنع ان يكون غلطه في ذلك ذنبا
صغيرا وتكون التوبة الواقعة منه لاجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل ان الشك في جواز الرؤية
التي لا تقتضي تشبيها وان كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته لا يجوز على الانبياء عليهم السلام من حيث يجوز من
بعض من بعثوا اليه ان يعرف ذلك على حقيقته فيكون النبي شاكا فيه وفيهم عارف به مع رجوعه الى النبي في المعرفة
بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز وهذا اقوى في التنفير وازيد على كل ما وجب ان يجنبه الانبياء عليهم السلام
فان قيل ففي اي شيء كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين قلنا اما من ذهب الى ان المسألة كانت للقوم
فانه يقول انما تاب لانه اقدم على ان سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه وليس للانبياء عليهم السلام ذلك لانه لا يؤمن من
ان يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابتهم اليه منفرا عنهم ومن ذهب الى انه سأل المعرفة الضرورية
يقول انه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها التكليف في جميع الاحوال تكون من ذنب صغير لا يستحق عليه

العقاب

العقاب ولا الذم والاولى ان يقال في توبته عليه السلام انه ليس في الاية ما يقتضي ان يكون التوبة وقعت من المسألة
او من امر يرجع اليها وقد يجوز ان يكون سأل في ذلك اما لذنب صغير تقدم تلك الحال او تقدم النبوة
فلا ترجع التوبة الى المسألة وقد يجوز ان يكون ما اظهره من التوبة على سبيل الرجوع الى الله تعالى واظهار
الانقطاع اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب معروف وقد يجوز ان يكون الغرض في ذلك
مضافا الى ما قلناه لتعليمنا وتوقيفنا على ما نستعمله وندعو به عند الشدائد ونزول الاهوال
وتنبيه القوم المخطئين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فان الانبياء وان
لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج من وقع ذلك منه الى التوبة منه والاستقالة
فاما قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل فالتجلي ههنا هو التعريف والاعلام والاظهار لما يقتضي
المعرفة كقولهم هذا كلام جلي واضح ظاهر وكقول الشاعر تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان
عن وقع الاسنة نائيا اراد ان تدبيره دل عليه حتى علم انه المدبر له وان كان نائيا عن وقع
الاسنة فاقام ما ظهر من دلالة فعله عليه مقام مشاهدته وعبر عنه بانه تجلى منه وفي قوله
للجبل وجهان احدهما ان يكون لاهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى واسأل القرية
وما بكت عليهم السماء والارض وقد علمنا انه بما اظهره من الآيات انما دل من كان عند الجبل
على ان رؤيته غير جائزة والوجه الآخر ان يكون معنى للجبل اي بالجبل فاقام اللام مقام الباء كما
قال تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم اي به وكما يقولون اخذتك لجرمك اي بجرمك ولما كانت
الاية الدالة على منع ما سئل عنه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز ان يضاف التجلي
اليه وقد استدل بهذه الاية كثير من علماء الموحدين على انه تعالى لا يرى بالابصار من حيث نفى
الرؤية نفيا عاما بقوله لن تراني ثم اكد ذلك بان علق الرؤية باستقرار الجبل الذي علمنا
انه لم يستقر وهذه طريقة العرب في تبعيد الشيء لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون كقولهم لا
كلمتك ما اضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي
وصار القار كاللبن الحليب ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى
يلج الجمل في سم الخياط وليس لاحد ان يقول اذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك

في مقدوره ولانه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه بامر مستحيل كما علق دخولهم الجنة بامر مستحيل
من ولوج الجمل في سم الخياط وفي ذلك ان تشبيه الشيء بغيره لا يجب ان يكون من جميع الوجوه ولما
علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل وقد علم انه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية
مستحيلة وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافهما خارج عما هو الغرض في التشبيه على انه انما علق
جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين
فجرى مجرى جواز الرؤية في الاستحالة وليس يجب في كل ما علق بغيره ان يجري مجراه في سائر وجوهه
حتى اذا كان احدهما مع انتفائه مستحيلا كان الآخر بمثابته لان تعليق دخول الكفار الجنة بولوج
الجمل في سم الخياط لم يكن مستحيلا بل معلوم ان الاول في المقدور وان كان لا يحسن وان الثاني
ليس في المقدور وهذه جملة كافية في تأويل هذه الاية وبيان ما فيها والحمد لله قال المرتضى رضي الله عنه
واني لاستجيد قول ابي العيص بن حزام بن عبد الله بن قتادة المازني وكم من صاحب قد بان عني
رميت بفقده وهو الحبيب فلم ابد الذي تحنو ضلوعي عليه وانني لانا الكئيب مخافة ان
يراني مستكينا عدو او يساء به قريب فيشمت كاشح ويظن اني جزوع عند نائبة تنوب
فبعدك شدت الاعداء طرفا الي ورابني دهر يريب معنى شدت الاعداء طرفا اي نظرت
الي نظرا شديدا وظهر الغضب في عيونها وانكرت الزمان وكل اهلي وهرتني لغيبتك الكليب
يقال كلب وكليب مثل عبد وعبيد وكنت تقطع الابصار دوني وان وغرت من الغيظ
القلوب ويمنعني من الاعداء اني وان رغموا لمخشي مهيب فلم ار مثل يومك كان يوما
بدت فيه النجوم فما تغيب وليل ما انام به طويل كان النجوم به رقيب وما يك جائيا لا بد
منه اليك فسوف تجلبه الجلوب **مجلس آخر تأويل آية** ان سأل سائل عن قوله تعالى
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي
الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون فقال كيف ذكر هذا بعد ذكر البقرة والامر بذبحها وقد كان
ينبغي ان يتقدمه لانه انما امر بذبح البقرة ليكشف امر القاتل فكيف اخر ذكر السبب عن المسبب
وبنى الكلام بناء يقتضي انه كان بعده ولم قال واذ قتلتم نفسا والرواية وردت بان القاتل كان

واحدا فكيف يجوز ان يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من بينها واحد والى اي شيء وقعت الكناية
بقوله كذلك يحيي الله الموتى الجواب قيل اما قوله تعالى واذ قتلتم نفسا ففيه وجهان احدهما
ان تكون هذه الاية وان تأخرت فهي مقدمة في المعنى على الاية التي ذكرت فيها البقرة ويكون التأويل
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسألتم موسى فقال لكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فأخر المقدم وقدم
المؤخر ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير ومثله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل
له عوجا قيما وقال الشاعر ان الفرزدق صخرة عادية طالت فليس تنالها الاوعالا اي
طالت الاوعال فليس تنالها ومثله طاف الخيال واين منك لماما فارجع لزورك بالسلام
سلاما اراد طاف الخيال لماما واين هو منك والوجه الثاني ان يكون وجه تأخير قوله
واذ قتلتم نفسا انه علق بما هو متأخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله تعالى فقلنا
اضربوه ببعضها ليكشف امره فاما اخراج الخطاب مخرج ما يتوجه الى الجميع مع ان القاتل
واحد فعلى عادة العرب في خطاب الابناء بخطاب الاباء والاجداد وخطاب العشيرة بما
يكون من احدها فيقول احدهم فعلت بنو تميم كذا وقتل بنو فلان فلانا وان كان القاتل
والفاعل واحدا من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائي وابي العباس ثعلب والمعنى فيقتل بعضهم
ويقتلون وهو ابلغ في وصفهم وامدح لهم لانهم اذا قاتلوا وقتلوا بعد ان قتل بعضهم كان
ذلك ادل على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم وقد قيل انه كان القاتلان اثنين قتلا
ابن عم لهما وان الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع كما قال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمان
والوجه الاول اولى واقوى لشهادة الاستعمال الظاهر له ولان اكثر اهل العلم على ان القاتل كان
واحدا ومعنى قوله فادارأتم اي تدافعتم والقى بعضكم القتل على بعض يقال دارأت فلانا
اذا دافعته ودارأته اذا لاينته ودريته اذا ختلته ويقال ادارأ القوم اذا تدافعوا والهاء في قوله ادارأتم
فيها تعود على النفس وقيل انها تعود على القتلة اي اختلفتم في القتلة لان قتلتم يدل على المصدر
والقتلة من المصادر التي تدل عليها الافعال ورجوع الهاء الى النفس اولى واشبه بالظاهر فاما

كذلك يحيي الله الموتى اي الامر بضرب المقتول ببعض البقرة انما بعد الذبح فكانه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها امرناكم ان تضربوه ببعضها صح

قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى فالاشارة وقعت به الى قيام المقتول عند ضربه ببعض اعضاء البقرة
لانه روي انه قام حيا واوداجه تشخب دما فقال قتلني فلان ونبه الله بهذا الكلام وبذكره هذه
القصة على جواز ما انكره مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الاموات لانهم قالوا اذا كنا
عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فاخبرهم الله تعالى بان الذي انكروه واستبعدوه هين عليه
غير متعذر في اتساع قدرته وكان مما ضرب لهم من الامثال ونبههم عليه من الادلة ذكر المقتول الذي
ضرب ببعض البقرة فقام حيا واراد تعالى انني اذا كنت قد احييت هذا المقتول بعد خروج الروح
واياس قومه من عوده وانطواء خبر كيفية قتله عنهم ورددته حيا مخاطبا باسم قاتله فكذلك
فاعلموا ان احيا جميع الاموات عند البعث لا يعجزني ولا يتعذر علي وهذا بين لمن تامله
قال المرتضى رضي الله عنه ومن الشعر المشهور بالجودة في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها ونوائبها قول الفضل
بن جرير يرثي اخاه مالكا ٭ ذكرت اخي المعول بعد يأس ٭ فهاج علي ذكراه اشتياقي ٭ فلا انسى
اخي ما دمت حيا ٭ وخولني بالخريف العتاق ٭ يحرمت الفصال الى التداني ٭ بروض الحزن من كنفي
اباق ٭ ويغلون السباء اذا اتوه ٭ بضمر الخيل والشول الحقاق ٭ اذا اتصلوا وقالوا يال غوث
وراحوا في المحبر واللداق ٭ غوث قبيلة منهم ٭ اجابك كل اروع شمري ٭ رخي البال منطلق
الخناق ٭ اناس صالحون نشأت فيهم ٭ فاودوا بعد الف واتفاق ٭ مضوا لسبيلهم ولبثت
عنهم ٭ ولكن لا محالة من لحاق ٭ كذا الالف الذي لحقن عنه ٭ بحق ولا يتوق الى فراق
ارى الدنيا ونحن نعيث فيها ٭ مولية تهيا لانطلاق ٭ اعاذل قد بقيت بقاء نفس ٭ وما حي على
الدنيا بباق ٭ كان الشيب والاحداث تجري ٭ الى نفس الفتى فرسا سباق ٭ فاما الشيب
بعد كهولة واما ٭ بلاق حتفه فيما يلاقي ٭ فان تك لمتي بالشيب امست ٭ شميط اللون واضحة
المشاق ٭ فقد اغدو بداجية اراني ٭ بها المتطلعات من الرواق ٭ الدجوجي اللمة السوداء ٭
اراني افاعل من اراه الى كانهن ظباء قفر ٭ برهبى او بناعجتي فتاق ٭ برامق الجبال لغير وصل
ولبس حبال وصلي بالرماق ٭ وعهد الغانيات كعهد قين ٭ ونث عنه الجعائل مستذاق
القين الحداد والجعائل جمع جعالة وهي الاجرة واراد ان القين اذا عدم الجعالة رحل ولم

يستقر في مكان ٭ كجلب السوء يعجب من رآه ٭ ولا يشفي الحوائم من لماق ٭ الجلب الغيم الذي
لا مطر فيه والحوائم العطاش واللماق شيء قليل ٭ فلا يبعد مضافي في المواضي ٭ واشراقي العلابة
وانصفاقي ٭ وغبراء القتام جلوت عني ٭ بمجلي الطرف سالمة المآقي ٭ وقد طوفت في الآفاق
حتى ٭ سئمت النص بالقلص العتاق ٭ وكم قاسيت من سنة جماد ٭ بعض اللحم ما دون
العراقي ٭ اذا افنيتها بدلت اخرى ٭ اعد شهورها عد الاواقي ٭ فافنتني الشهور وليس تفنى
وتعداد الاهلة والمحاق ٭ وما يبقى الحوادث ليث غاب ٭ يجر لعرسه جزر الرفاق ٭ ولا بطل
تعادى الخيل منه ٭ فرار الطير من برد بعاق ٭ واحسن حارثة بن بدر الغداني في قوله يا كعب
ما راح من قوم ولا ابتكروا ٭ الا وللموت في آثارهم حادي ٭ يا كعب ما طلعت شمس وما غربت
الا تقرب آجال لميعاد ٭ ولابي العتاهية في هذا المعنى ٭ اذا انقطعت عني من العيش مدتي
فان بكاء الباكيات قليل ٭ سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ٭ ويحدث بعدي للخليل خليل
اجلك قوم حين صرت الى الغنى ٭ وكل غني في العيون جليل ٭ وليس الغنى الا غنى زين الفتى
عشية يقري او غداة ينيل ٭ ولم يفتقر يوما وان كان معدما ٭ جواد ولم يستغن قط بخيل
اذا مالت الدنيا الى المرء رغبت ٭ اليه ومال الناس حيث يميل ٭ ارى علل الدنيا علي كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليل ٭ واني وان اصبحت بالموت موقنا ٭ فلي امل دون اليقين
طويل ٭ وقد احسن البحتري في قوله في هذا المعنى ٭ اخي متى خاصمت نفسك فاحتشد
لها ومتى حدثت نفسك فاصدق ٭ ارى علل الاشياء شتى ولا ارى ٭ التجمع الا علة للتفرق
ارى العيش ظلا توشك الشمس نقله ٭ فكن في ابتغاء العيش كيسا او موق ٭ ارى الدهر غولا
للنفوس وانما ٭ بقي الله في بعض المواطن من بقي ٭ فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى ٭ وعرج
على الباقي فسائله لم بقي ٭ ولم ار كالدنيا الحلائل صاحب ٭ محب متى يحسن بعينيه
يطلق ٭ تراها عيانا وهي صنعة واحد ٭ فتحسبها صنعي لطيف واخرق ٭ وقد قيل ان
السبب في خروج البحتري عن بغداد في آخر ايامه كان هذه الابيات لان بعض اعدائه
شنع عليه بانه ثنوي من حيث قال فتحسبها صنعي لطيف واخرق ٭ وكانت العامة

غالبة على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه ابي الغوث قم يا بني حتى نطفئ عنا هذه النائرة
بخرجة نلم بها ببلدنا ونعود فخرج ولم يعد ولحسن ايضا غاية الاحسان في قوله اغشى الخطوب
فاما حين ما ينثني ٭ فيما اسيرا ولحكن نادبي ٭ ان تلتمس تمر اختلاف الخطوب وان
تلبث مع الدهر تسمع بالاعاجيب ٭ وفي قوله متى ترد فضلات العمر تغترق
بحبلك من شهد الخطوب وصابها ٭ تشق بنا الدنيا بخفض نعيمها ٭ وعول الاقاعي
بلدس لعابها ٭ يسرهم ان الديار مضلل ٭ وعمرانها مستانف من خرابها ٭ ولم ارتض الدنيا
اوان مجيئها ٭ فكيف ارتضائيها اوان ذهابها ٭ اقول لمكذوب عن الدهر زاغ عن
تخير آراء الحجى وانتخابها ٭ سيرديك او يثويك انك مخلس ٭ الى شقة يبليك بعد
مآبها ٭ وهل انت في مرموسة طال اخذها ٭ من الارض الا حفنة من ترابها ٭ ووجدت
الآمدي يروي هذا البيت انك مجلس بالباء وتفسير ذلك انك موقوف لا تصير
الى هذا من قولك حبست فرسا في سبيل الله واحبست دارا اي وقفتها والرواية
المشهورة انك مخلس باللام والمعنى انك متهيئ للرحيل متخذ حلسا والحلس هو الكساء
الذي يوضع تحت الرحل وهذا اشبه بالمعنى الذي قصده البحتري واولى ان يحمل
مع رقة طبعه وسلاسة الفاظه



مجلس آخر تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى هو
الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا
خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين
فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون فقال اليس ظاهر هذه الآية
يقتضي جواز الشرك على الانبياء لانه لم يتقدم الا ذكر آدم وحواء فيجب ان يكون قوله جعلا
له شركاء فيما آتاهما يرجع اليهما الجواب قلنا كما ان ذكر آدم وحواء تقدم فقد تقدم ذكر غيرهما في
قوله تعالى هو الذي خلقكم ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد آدم وقد تقدم ايضا ذكر ولد آدم في
قوله فلما آتاهما صالحا والمعنى فلما آتاهما ولدا صالحا والمراد بهذا الجنس دون الواحد
وان كان اللفظ لفظ واحد والمعنى فلما آتاهما جنسا من الاولاد الصالحين واذا كان الامر

على ما ذكرناه جاز ان يرجع قوله شركاء الى ولدهما وقد تقدم ذكرهم فان قيل انما اوجبت ذلك
الى آدم وحواء لاجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين الا ذكرهما قلنا ان جعل هذا
راجعا الى رجوعه اليهما جاز ايضا ان يجعل قوله في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون وجها يقوي
لرجوع الكلام الى جملة الاولاد ويجوز ان يكون التثنية الى الذكور والاناث من ولد
آدم او الى جنسين منهم فحسنت التثنية لذلك على انه اذا تقدم في الكلام امران ثم تلاهما
حكم من الاحكام علم بالدليل استحالة تعلقه باحد الامرين وجب رده الى الآخر واذا علمنا
ان آدم عليه السلام لا يجوز عليه الشرك لم يجز عود الكلام اليه فوجب عوده الى المذكورين من ولده
وذكر ابو علي الجبائي في هذا ما نحن نورده على وجهه قال انما عنى بها ان الله خلق بني آدم من
نفس واحدة لان الاضمار في قوله خلقكم انما عني به بني آدم والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي
آدم وبين ذلك بقوله وخلق منها زوجها لانه خلق حواء من آدم ويقال انه خلقها من ضلع
من اضلاعه فرجعوا الى انهم خلقوا من آدم وبين ذلك بقوله وخلق منها زوجها لانه عنى به
انه خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو حواء وعنى بقوله وخلق منها زوجها لانه عنى بانه
فلما تغشيها حملت حملا خفيفا ان حملها هو حبلها منه في ابتداء الحمل لانه في ذلك الوقت
خفيف عليها وعنى بقوله دعوا الله ربهما انهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن
آتيتنا يا رب نسلا صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمك علينا لانهما ارادا ان يكون
لهما اولاد يؤنسونهما في الموضع الذي كانا فيه لانهما كانا فردين مستوحشين وكان اذا
غاب احدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشا بلا مؤنس فلما آتاهما نسلا صالحا معافى وهم
الاولاد الذين كانوا يولدون لهما لان حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى فيقال انها ولدت
خمسمائة بطن الف ولد وعنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي ان
هذا النسل الصالح الذين هم ذكر وانثى جعلا له شركاء فيما آتاهما من نعمه واضافوا
تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله عز وجل من الاصنام والاوثان ولم يعن
بقوله جعلا آدم وحواء عليهما السلام لان آدم لا يجوز عليه الشرك بالله لانه نبي من انبيائه

ولو جاز الشرك والكفر على الانبياء لما جاز ان يثق احد بما يؤديه اليه عن الله عز وجل لان من
جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لا يؤخذ باخباره فصح بهذا ان الهاء
في قوله تعالى جعلا له انما يرجع الى النسل وانما ذكر ذلك على سبيل التثنية لانهم كانوا ذكرا وانثى فلما
كانوا صنفين جاز ان يجعل اخباره عنهما كالاخبار عن الاثنين اذا كانا صنفين وقد
دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون فبين ان الذين جعلوا
له شركاء هم جماعة فلذلك جعل اضمارهم اضمار الجماعة فقال تعالى يشركون مضى كلام
ابي علي وقد قيل في قوله فلما آتاهما صالحا مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو انه اراد بالصالح
الصالح في الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه آخر وهو انه لو كان اراد الصالح في
الدين لكان الكلام ايضا مستقيما لان الصالح في الدين قد يجوز ان يكفر بعد صلاحه فيكون
في حال صالحا وفي الاخرى مشركا وهذا لا يتنافى وقد استشهد في جواز الانتقال من خطاب الى غيره
ومن كناية عن مذكور الى مذكور سواه ليصح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم وحواء الى
ولدهما بقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله فانصرف عن
مخاطبة الرسول الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال تعالى وتعزروه وتوقروه يعني الرسول ثم قال
وتسبحوه وهو يعني مرسل الرسول فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من
واحد الى غيره وبقول الهذلي يا لهف نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر
ولم يقل بياض وجهه وقال كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت
فخاطب ثم ترك الخطاب وقال الآخر فدى لك ناقتي وجميع اهلي ومالي انه منه اتاني
ولم يقل منك اتاني قال المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا مسلم بن بحر يحمل هذه الآية على ان الخطاب
في جميعها غير متعلق بآدم وحواء ويجعل الهاء في تغشاها والكناية في دعوا الله ربهما لئن آتيتنا
صالحا راجعتين الى من اشرك ولم يتعلق بآدم وحواء من الخطاب الا قوله تعالى خلقكم من
نفس واحدة لان الاشارة في قوله خلقكم من نفس واحدة الى الخلق عامة وكذلك قوله
وجعل منها زوجها ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم

في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص راكب البحر بقوله تعالى
وجرين بهم بريح طيبة كذلك هذه الآية اخبرت عن جملة اهل البشر بانهم مخلوقون من نفس
واحدة وزوجها وهما آدم وحواء ثم عاد الذكر الى الذي سال الله تعالى ما سال فلما اعطاه اياه ادعى
الشركاء في عطيته قال وجائز ان يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا
اذا كان كل بني آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها ويجوز ان يكون المعنى في قوله تعالى خلقكم من نفس
واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا قد يجيء كثيرا في القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى
والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والمعنى فاجلدوا
كل واحد منهم ثمانين جلدة وقال عز وجل ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا
اليها فلكل نفس زوج هو منها اي من جنسها فلما تغشاها اي تغشى كل نفس زوجها حملت
حملا خفيفا وهو ماء الفحل فمرت به اي مارت والمور التردد والمراد تردد هذه الماء في رحم
الحامل فلما اثقلت اي ثقل حملها بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعوا الله ربهما اي الرجل والمراة
لما استبان حمل المراة فقالا لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما اي اعطاهما
ما سالا من الولد الصالح نسبا ذلك الى شركاء معه فتعالى الله عما يشركون وقال قوم معنى
جعلا له شركاء اي طلبا من الله امثالا للولد الصالح فشركا بين الطلبتين وتكون الهاء
في قوله راجعة الى الصالح لا الى الله تعالى ويجري مجرى قول القائل طلبت مني درهما فلما اعطيتك
شركته باخر اي طلبت آخر مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع ان يكون قوله جعلا والخطاب كله
متوجها الى آدم وحواء عليهما السلام

مجلس آخر تأويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى اتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فقال اليس ظاهر هذا القول يقتضي انه خالق لاعمال العباد
لان ما ههنا بمعنى الذي فكانه قال خلقكم وخلق اعمالكم الجواب قلنا قد حمل اهل الحق
هذه الآية على ان المراد بقوله وما تعملون اي ما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما
مما كانوا يتخذونه اصناما ويعبدونها قالوا وغير منكر ان يريد بقوله تعالى وما تعبدون ذلك
كما انه قد اراد ما ذكرناه بقوله اتعبدون ما تنحتون لانه لم يرد تعالى انكم تعبدون نحتكم الذي هو فعلكم

بل اراد ما تعملون فيه النحت كما قال تعالى في عصا موسى تلقف ما يافكون وتلقف ما صنعوا
وانما اراد تعالى ان العصا تلقف ما يافكون الحبال التي اظهروا سحرهم فيها وهي التي حلتها صنعتهم
وافكهم فقال ما صنعوا وما يافكون واراد تعالى ما صنعوا فيه وما يافكون فيه ومثله قوله تعالى
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وانما اراد تعالى المعمول فيه دون العمل وهذا الاستعمال
ايضا سائغ شائع لانهم يقولون هذا الباب عمل النجار وفي الخلخال هذا من عمل الصائغ
وان كانت الاجسام التي اشير اليها ليست اعمالا لهم وانما عملوا فيها فحسن اجراء هذه
العبارة فان قيل كل الذي ذكرتموه وان استعمل فعلى وجه المجاز والاتساع لان العمل في
الحقيقة لا يجري الا على فعل الفاعل دون ما يفعل فيه وان استعير في بعض المواضع قلنا
ليس بمسلم لكم ان الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يتعاهد
سواه لان القائل اذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما راينا احدا قط
يقول في الثوب بدلا من قوله هذا من عمل فلان ان هذا تجاوز عمل فلان فالاول اولى بان يكون
حقيقة وليس بمنكر ان يكون الاصل في الحقيقة ما ذكروه ثم انتقل بعرف الاستعمال الى ما
ذكرناه وصار اخص به ومما لا يستفاد من الكلام سواه كما انتقلت الفاظ كثيرة على هذا
الحد ولا اعتبار بالمفهوم من الالفاظ الا ما استقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه
في الاصل فوجب ان يكون المفهوم والظاهر من الآية ما ذكرناه على انا لو سلمنا ان ذلك
مجاز وجب المصير اليه من وجوه منها ما يشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ولا يسوغ سواه
ومنها ما يقتضيه الادلة القاطعة الخارجة عن الآية فمن ذلك انه تعالى اخرج الكلام مخرج
التهجين لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم فقال اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون ومتى لم يكن قوله تعالى وما تعملون المراد به ما تعملون فيه ليصير تقدير الكلام
اتعبدون الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التي تفعلون فيها
التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ ويصير على ما يذكره
المخالف كانه قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وخلق عبادتكم فاي وجه للتقريع وهذا

الى ان يكون عذرا اقرب من ان يكون لوما وتوبيخا واذا خلق عبادتهم للاصنام فاي وجه
للومهم عليها وتقريعهم بها على ان قوله عز وجل والله خلقكم وما تعملون بعد قوله اتعبدون
ما تنحتون انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره فلا بد من ان يكون متعلقا بما تقدم
من قوله اتعبدون ما تنحتون ومؤثرا في المنع من عبادة غير الله فلو افاد قوله تعالى ما تعملون
نفس العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا فائدة في الكلام لان القوم لم يكونوا
يعبدون النحت وانما كانوا يعبدون محل النحت ولانه كان لا حظ في الكلام للمنع
من عبادة الاصنام وكذلك ان حمل قوله ما تعملون على اعمال اخر ليست نحتهم ولا ما عملوا
فيه لكان اظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم فلم يبق الا انه اراد
انه خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقا مثلكم فان قيل ان عمتم انه لو كان الامر
على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الاصنام وما تنكرون
ان يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك كما ذكرتموه فان كان ما ذكرتموه ايضا لو اريد لكان
وجها وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لا يكون الا الاله القديم الذي يحق له
العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل ان يخلقنا يستحيل ان يخلق فينا الافعال على الوجه
الذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تاثير قلنا معلوم ان الثاني اذا كان كا
التعليل للاول والمؤثر في المنع من العبادة فلا يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه
اولى من ان ينصرف الى ما ذكرتموه مما لا يقتضي اكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه
وانه لا شيء ادل على المنع من عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها
مخلوق ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع آخر ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا
يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فاحتج تعالى عليهم في المنع من عبادة الالهة دونه
بانها مخلوقة لا تخلق شيئا ولا تدفع عن انفسها ضررا ولا عنهم وهذا واضح على انهم لو ساووا
ما ذكروه ما ذكرناه في التعلق بالاول لم يسغ حمله على ما ادعوه لان فيه عذرا لهم في الفعل الذي
عنفوا به وقرعوا من اجله وقبيح ان يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم بما ينزههم على ما تقدم

على انا لا نسلم ان من يفعل افعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لان من جملة افعالهم القبايح ومن فعل القبايح لا يكون الها ولا يستحق العبادة لم تخرج ما ذكروه من ان يكون موثرا في انفراده بالعبادة على ان اضافة العمل اليهم بقوله تعملون يبطل تاويلهم هذه الاية لانه لو كان تعالى خالقه لم يكن عملا لهم لان العمل انما يكون عملا لمن يحدثه ويوجده فكيف يكون عملا لهم والله خالقه وهذه مناقضة فثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا ايضا على ان قوله تعالى وما تعملون يقتضي الاستقبال فكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول تعالى اني خالق للمعدوم فان قالوا اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكانه قال والله خلقكم وما عملتم قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيتم انكم متمسكون به وليس انتم بان تعدلوا عنه باولى منا بل نحن احق لانا نعدل عنه لدلالة وانتم تعدلون بغير حجة فان قالوا فانتم ايضا تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تاويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي قلنا لا نحتاج نحن في تاويلنا الى ذلك لانا اذا حملنا قوله تعالى وما تعملون على الاصنام المعمول فيها ومعلوم ان الاصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز ان يقول تعالى اني خلقتها ولا يجوز ان يقول اني خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل على انه لو اراد بذلك اعمالهم لا ما عملوا فيه ومعلوم على ما ادعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لان الخالق هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة ان يكون الخالق خالقا لفعل غيره اذا قدره ودبره الا ترى انهم يقولون خلقت الاديم وان لم يكن الاديم فعلا لمن يقال ذلك فيه ويكون معنى خلقه لافعال العباد انه مقدر لها ومعرف لنا مقاديرها ومراتبها وما يستحق عليها من الجزاء وليس يمتنع ان يقال انه خالق للاعمال على هذا المعنى اذا ارتفع الايهام وفهم المراد وهذا كله يقتضيه الاية ولو لم يكن في الاية شي مما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله تعالى وما تعملون على خلق نفس الاعمال لوجب ان نعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه للادلة العقلية الدالة على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمالنا وان تصرفنا محدث بنا

ولا فاعل له سوانا وكل هذا واضح بين قال المرتضى رضي الله عنه واني لاستحسن لبعض نساء بني اسد قولها ¤ الم تر انا غبنا ماؤنا ¤ زمانا فظلنا نكد ابيارا ¤ فلما عدا الماء اوطانه وجف الثماد فصار حرارا ¤ وضجت الى ربها في السماء ¤ رؤس العضاة تناجي السرارا ¤ وفتحت الارض افواهها ¤ عجيج الجمال وردن الجفارا ¤ لبسنا لذي عطن ليلة ¤ على الياس ابياتنا والخمارا ¤ وقلنا اعيروا الندى حقه ¤ وصبر الحفاظ وموتوا احرارا ¤ فان الندى لعصي مرة ¤ يرد الى اهله ما استعارا ¤ فبينا نوطن احشاءنا ¤ اضاء لنا عارض فاستطارا ¤ واقبل يزحف زحف الكبير ¤ سياق الرعاء البطاء العشارا ¤ تغني وتضحك حافاته ¤ خلال الغمام وتبكي مرارا ¤ كاني تضي لنا حرق ¤ تشد ازارا وتلقي ازارا ¤ فلما خشينا بان لا نجاء ¤ والا يكون قرار قرارا ¤ اشار له امر فوقه هلم فام الى ما اشارا ¤ وانشد ابو هفان لولادة المهزمية ¤ لولا اتقاء الله قمت بمفخر لا يبلغ الثقلان فيه مقامي ¤ بابوة في الجاهلية سادة ¤ بذوا العلا امراء في الاسلام ¤ جادوا فسادوا لما نعين اذاهم ¤ لنداهم بذل الندى للاقوام ¤ قد انجبوا في السوددين وانجبوا بنجابة الاخوال والاعمام ¤ قوم اذا سكتوا تكلم مجدهم ¤ عنهم فاخرس دون كل كلام ¤ وقالت امراة من بني سعد بن بكر ¤ ابا اخوي الملزمي ملامة ¤ اعيذكما بالله من مثل ما بيا ¤ سالتكما بالله الا جعلتما ¤ مكان الاذى واللوم ان تاويا ليا ¤ ابا امنا حب الهلال لي قاتلي ¤ ستطوون النوى يحتل عرضا يمانيا ¤ اشم كغصن البان جعد مرجل ¤ شغفت به لو كان شيئا مدانيا ¤ فان لم اوسد ساعدي بعد هجعة ¤ غلاما هلاليا فشل بنانيا ¤ ثكلت ابي ان كنت ذقت كريقه ¤ لشي ولا ماء الغمامة غاديا ¤ ولضاحية الهلالية ¤ الم كثير لمة ثم شمرت ¤ به حلة يطلبن برقا يمانيا ¤ وطاعوا الى الاهوى القصد ثم ترقي ¤ عن القصد ميلات الهوى فاميل ¤ وما وجد مسجون بصنعاء موثق بساقيه من حبس الامير كبول ¤ وما ليل مولى مسلم بجريرة ¤ له بعد ما نام العيون عويل ¤ باكثر مني لوعة يوم راعني ¤ فراق حبيب ما اليه سبيل ¤ ولعمرة بنت العجلان اخت عمرو

ذي الكلب بن العجلان الكاهلي ترثي اخاها عمرا وكان في بعض غاراته نائما فوثب عليه نمران فاكلاه فوجدت فيهم سلاحهم فادعت قتله ¤ سالت بعمرو اخي صحبه ¤ فافظعني حين ردوا فقالوا اتيح له نائما ¤ اعز السباع عليه احالا ¤ اتيح له نمرا اجبل ¤ فنالا لعمرك منه منالا ¤ فاقسمت يا عمرو لو نبهاك ¤ اذا نبها منك امرا عضالا ¤ اذا نبها ليث عريسة ¤ مفيتا مبيدا نفوسا ومالا ¤ هزبرا فروسا لاعدائه ¤ هصورا اذا لقي القرن صالا ¤ هما مع تصرف ريب المنون ¤ من الارض ركنا ثبيتا اما لا ¤ هما يوم حم له يومه ¤ وقال اخوهم بطالا وقالا ¤ معنى قال اخطا يقال رجل قايل الراي وقالا فلتنا فوغا ره ¤ باية ما ان ورثنا النبالا ¤ كانهم نكدهم اي بعلامات ورثتم النبال ¤ فملا ومن قبل ريب المنون ¤ فقد كان رجلا وكنتم رجالا يقال رجل ورجل ¤ وقد علمت فهم يوم اللقاء ¤ بانهم لك كانوا نفالا ¤ النفال الغنائم كانهم لم يحسوا به ¤ فيخلوا النساء له والحجالا ¤ ولم ينزلوا بمحول السنين ¤ به فيكونوا عليه عيالا ¤ وقد علم الضيف والمجتدون ¤ اذا اغبر افق وهبت شمالا ¤ وخلت عن اولادها المرضعات ولم تر عين لمزن بلالا ¤ بانك كنت الربيع المغيث ¤ لمن يعتريك وكنت الثمالا ¤ وخرق تجاوزت مجهوله ¤ بوجناء حرف تشكى الكلالا ¤ فكنت النهار به شمسه ¤ وكنت دجى الليل فيه الهلالا ¤ وخيل سمت لك فرسانها ¤ فولوا ولم يستقلوا قبالا ¤ اي شيئا قليلا كما تقول قبلا ونقيرا ¤ وكل قبيل وان لم تكن ¤ ارادتهم منك باتوا وجالا

مجلس اخر وهو المجلس الثاني والسبعون

[margin: السؤال م]

تاويل اية ان سال سائل من قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فقال ليس ظاهر الاية يقتضي ان نصح النبي صلى الله عليه لا ينفع الكفار الذين اراد الله بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم الجواب قلنا ليس في ظاهر الاية ما يقتضي خلاف مذهبنا لانه تعالى لم يقل انه فعل الغواية او ارادها وانما اخبرنا بان نصح النبي لا ينفع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك او جواز وقوعها لا دلالة عليه في الظاهر على ان الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر ¤ فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ¤ ومن يغو

لا يعدم على الغي لائما ¤ فكانه قال ان كان الله يريد ان يخيبكم ويعاقبكم بسوء عملكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي ما دمتم مقيمين على ما انتم عليه الا ان تقلعوا وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غيا فقال فسوف يلقون غيا وما قبل هذه الاية يشهد لما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي الاية فاخبر ان نصحه لا ينفع من يريد الله ان ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئا وقال جعفر بن حرب ان الاية تتعلق بانه كان في قوم نوح عليه السلم طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم وقال لهم على طريق الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من ان الله تعالى يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبون مني نصحا وانتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا جيد وروي عن الحسن البصري في هذه الاية وجه صالح وهو انه قال المعنى فيها ان كان الله تعالى يريد ان يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتموه وامنتم به لان من حكم الله تعالى الا يقبل الايمان عند نزول البلاء والعقاب وكل هذا واضح في زوال الشبهة في الاية قال المرتضى رضي الله عنه من مستحسن ما قيل في صفة المصلوب قول ابي تمام الطائي من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر قتل الافشين وصلبه واحراقه ¤ ما زال سر الكفر بين ضلوعه ¤ حتى اصطلى سر الزناد الواري ¤ نارا يساور جسمه من حرها ¤ لهب كما عصفرت شق ازار ¤ طارت لها شعل يهدم لفحها ¤ اركانه هدما بغير غبار ¤ فصلن منه كل مجمع مفصل ¤ وفعلن فاقرة بكل فقار ¤ مشبوبة رفعت لاعظم مشرك ¤ ما كان يرفع ضوءها للساري ¤ صلى لها حيا وكان وقودها ¤ ميتا ويدخلها مع الكفار ¤ وكذاك اهل النار في دنياهم يوم القيمة جل اهل النار ¤ يا مشهدا صدرت بفرحته الى ¤ امصارها القصوى بنو الامصار ¤ رمقوا اعالي جذعه فكانما ¤ رمقوا الهلال عشية الافطار ¤ واستنشقوا منه قتارا نشره ¤ من عنبر ذفر ومسك داري ¤ وتحدثوا عن هلكه لحديث من

بالبدو عن متابع الامطار ❊ قد كان بوّاه الخليفة جانبا ❊ من قلبه حرما على الاقدار ❊
فسقاه ماء الخفض غير مصرد ❊ وانامه في الامن غير غرار ❊ ولقد شفا الاحشاء من برحائها
ان صار بابك جار مازيار ❊ ثانيه في كبد السماء ولم يكن ❊ لاثنين ثان اذ هما في الغار ❊
وكانما انتبذا لكيما يطويا ❊ عن ناطس خبرا من الاخبار ❊ سود اللباس كانما نسجت لهم ❊
ايدي السموم مدارعا من قار ❊ بكروا واسروا في متون ضوامر ❊ قيدت لهم من مربط النجار ❊
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ❊ ابدا على سفر من الاسفار ❊ كادوا النبوة والهدى فتقطعت
اعناقهم في ذلك المضمار ❊ وله يذكر صلب بابك ❊ لما قضى رمضان منه قضاءه
شالت به الايام في شوال ❊ ما زال مغلول العزيمة سادرا ❊ حتى غدا في القيد والاغلال ❊
متبذلا للباس طوقي مردم ❊ لما استبان فظاظة المحتال ❊ اهدى لمتن الجذع متنيه كذا
من عاف متن الاسمر العسال ❊ لا كعب اسفل موضعا من كعبه ❊ مع انه عن كل كعب عال ❊
سام كان العز يجذب ضبعه ❊ وسموه من ذلة وسفال ❊ متفرغ ابدا وليس بفارغ ❊
من لا سبيل له الى الاشغال ❊ قال المرتضى ومن عجيب الامور ان ابا العباس احمد
بن عبيد الله بن عمار يثبت هذه الابيات المفرطة الحسن في جملة مقابح ابي تمام ومانرج
يزعم من غلطه وسقطه ويقول في عقبها ولم يسمع بشعر وصف فيه مصلوب
اغث من هذا الوصف واين كان عن مثل قول ابرهيم بن المهدي يصف ابن بابك
في قصيدة يمدح بها المعتصم ❊ ما زال يعنف بالنعمى فقرها ❊ عنه الغموط ووافته
الاراصيد ❊ حتى علا حيث لا يحط مجتمعا ❊ كما علا ابدا ما اورق العود ❊ يا بقعة ضرب
فيها علاوته ❊ وعنقه وذوت اعضائه الميد ❊ بوركت ارضا واوطانا مباركة ❊ ما
عنك في ارض للتقديس تعريد ❊ لو تقدر الارض حجتك البلاد فلا ❊ يبقى على الارض الا
حج جلمود ❊ لم يبك ابليس الاجبن ابصره ❊ في رتبة وهو فوق الفيل مصفود ❊
كانما النحر يزهي تحت زينتها ❊ وحد شفرتها للنحر مجدود ❊ ما كان احسن قول الناس يوم بدا
ايوم بابك هذا ام هو العيد ❊ صيرت جثته جيدا لباسقة ❊ جرداء والراس منه مائله

مثلثا له

غلط الناس ... [illegible]

جيد ❊ فاض تلعب هوج العاصفات به ❊ على الطريق صليبا طرفه عود ❊ كانه شلو
كبش والهواء له ❊ تنور شادية والجذع سفود ❊ وهكذا ينبغي ان يطعن على ابا
ابي تمام من يستجيد هذه الابيات ويفرط في تقريظها وليت من جهل شيئا
عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك اولى به وابيات ابي تمام في نهاية القوة
وجودة المعاني والالفاظ وسلامة السبك واطراد النسج وابيات ابن المهدي مضطربة
الالفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وفيها شي يجوز ان توضع عليه اليد الا قوله
حتى علا حيث لا يحط مجتمعا ❊ كما علا ابدا ما اورق العود ❊ وبعده البيت الاخير
وان كان بارد الالفاظ وقد احسن مسلم بن الوليد في قوله ❊ ما زال يعنف بالنعمى ويغمطها ❊
حتى استقل به عود على عود ❊ نصبته حين ترناب الرياح به ❊ وتحسد الطير فيه اضبع
البيد ❊ وللبحتري في هذا المعنى من قصيدة يمدح بها ابا سعيد اولها ❊ لا دمنة
بلوى خبت ولا طلل ❊ يرد قولا على ذي لوعة يسل ❊ ان عرد معتكف راي لرسوم ظلم يعب
عليها فعندي ادمع ذلل ❊ هل انت يوما معيري نظرة فارى ❊ في نهل يبرين عيرا
زمل ❊ حنوا النوى بحداه ما لها وطن ❊ غير النوى وجمال ما لها عقل ❊ يقول فيها ❊ تحمله
البرد من اقصى الثغور الى ❊ ادنى العراق سرا لقا بينهما عجل ❊ يسير من راى منكوسا تجاذبه
ايدي الشمال فضولا كلها فضل ❊ امسى يرد حريق الشمس جانبه ❊ عن بابك وهي في الراس تقتبل
تشتعل ❊ تفاوتوا بين مرفوع ومنخفض ❊ على مراتب ما قالوا وما فعلوا ❊ ردت لجهم لحاهم
بعد شعلتها ❊ سودا فعادوا شبابا بعد ما اكتهلوا ❊ سما الرحابل الاسا في كمة ❊ من
المنايا فامسى وهو محتبل ❊ حالي الذراعين والساقين لو صدقت ❊ له المنى لتمنى
انها عطل ❊ من محب مطوبا بالشام في نفر ❊ اسرى يودون وداانهم قتلوا ❊ غابوا
عن الارض اناى غيبة وهم ❊ فيها فلا وصل الا الكتب والرسل ❊ وله في هذا المعنى ما زال
تفرغ باب بابك بالقنا ❊ وتزوره في غارة شعواء ❊ حتى اخذت بنصل سيفك عنوة
منه الذي اعيى على الامراء ❊ اخليت منه البدو وهي قراره ❊ ونصبته علما باسامراء ❊



لم يبق فيه خوف بأسك مطمعا * للطير في عودٍ ولا إبداء * فتراه مُطّرِدا على أعواده
مثل اطّراد كواكب الجوزاء * مستشرفا للشمس منتصبا لها * في أخريات الجذع كالحرباء

مجلس آخر تأويل آية. إن سأل سائل عن قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه فقال كيف
أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن وقد أنزل في غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية والظاهر يقتضي
أنه أنزل الجميع فيه وما المعنى في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهل أراد الإقامة والحضور
اللذين هما ضد الغيبة أو أراد المشاهدة والإدراك الجواب قلنا أما قوله تعالى أنزل فيه القرآن
فقد قال قوم إن المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في شهر رمضان ثم
فرّق إنزاله بعد ذلك على نبيه بحسب ما تدعو الحاجة إليه وقال آخرون المراد بقوله أنزل
فيه القرآن أنه أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقول
القائل أنزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها وأنزل الله في الخمر كذا وكذا يريد في تحريمها
وهذا الجواب إنما هرب متكلفه من شيء وظن أنه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت
على ما كان عليه لأن قوله القرآن إذا كان يقتضي ظاهره إنزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب
أن يكون قد أنزل في فرض الصيام جميع القرآن ونحن نعلم أن قليلا من القرآن يتضمن إيجاب
صوم شهر رمضان وأن أكثره خال من ذلك فإن قيل المراد بذلك أنه أنزل في فرضه شيئا
من القرآن وبعضا منه قيل فألا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنه تعالى أنزل شيئا من القرآن في
شهر رمضان ولم يحتج إلى أن يجعل لفظة فيه بمعنى في فرضه وإيجاب صومه والجواب
الصحيح أن قوله تعالى القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وإنما يفيد
الجنس من غير معنى الاستغراق فكأنه قال تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه هذا الجنس من الكلام
فأي شيء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لأحد أن يقول إن الألف واللام ههنا لا يكونان
إلا للعموم والاستغراق ولأنا لو سلمنا أن الألف واللام صيغة العموم والصورة المقتضية
لاستغراق الجنس لم يجب أن يكون ههنا بهذه الصفة لأن هذه اللفظة قد يستعمل في

مواضع كثيرة من الكلام ولا يراد بها أكثر من الإشارة إلى الجنس والطبيعة من غير استغراق وعموم حتى يكون
حمل كلام المتكلم بها على خصوص أو عموم كالمناقض لغرضه والمنافي لمراده ألا ترى أن القائل
إذا قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الأمير اليوم اللصوص وخاطب الجند لم يفهم
من كلامه إلا محض الجنس والطبيعة من غير معنى خصوص ولا عموم حتى لو قيل له فلان يأكل جميع
اللحم أو يشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابه أنني لم أرد عموما ولا خصوصا وإنما أردت أنه
يأكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من الشراب فمن فهم من كلامي العموم أو الخصوص
فهو بعيد من فهم مرادي وأرى كثيرا من الناس يغلطون في هذه المواضع فيظنون أن الإشارة
إلى الجنس من غير إرادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى يحملوا قول من قال أردت
الجنس في كل موضع على العموم وهذا بعيد ممن يفطن لأنه كما أن العموم والخصوص مفهومان
في بعض المواضع بهذه الألفاظ فكذلك الإشارة إلى الجنس والطبيعة من غير إرادة عموم والخصوص
مفهومة متميزة وقد ذكرنا أمثلة ذلك فأما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فأكثر المفسرين
حملوه على أن المراد بمن شهد من كان مقيما في بلده غير مسافر عنه وأبو علي حمله على أن المراد به
فمن أدرك الشهر وشاهده وبلغ إليه وهو متكامل الشروط فليصمه ذهب في معنى شهد إلى
معنى الإدراك والمشاهدة وقد طعن قوم على تأويل أبي علي وقالوا ليس يحتمل الكلام إلا الوجه
الأول وليس الأمر على ما ظنوه لأن الكلام يحتمل الوجهين معا وإن كان للقول الأول ترجيح
ومزية على الثاني من حيث يحتاج في الثاني من الإضمار إلى أكثر مما يحتاج إليه في الأول لأن
على القول الأول لا يحتاج إلى إضمار الإقامة وارتفاع السفر لأن قوله فمن شهد يقتضي الإقامة
وإنما يحتاج إلى إضمار باقي الشروط من الإمكان والبلوغ وغير ذلك وفي القول الثاني يحتاج
مع كل ما أضمرناه في القول الأول إلى إضمار الإقامة ويكون التقدير فمن شاهد الشهر وهو مقيم
مطيق بالغ إلى سائر الشروط فمن هذا الوجه كان الأول أقوى وليس لأحد أن يقول إن شهد
بنفسه من غير محذوف لا يدل على الإقامة وذلك أن الظاهر من قولهم في اللغة فلان شاهد إذا أطلق ولم
يضف أفادت الإقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب والمسافر وإن كانوا ربما أضافوا فقالوا

فلان شاهد لكذا وشهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى في اطلاق شهد دلالة على الاقامة وغير
تقدير محذوف وهذه جملة كافية بحمد الله قال السيد ووجدت ابا العباس بن عمار يعيب على ابي
تمام قوله ‌ لما استحر الوداع المحض وانصرمت ‌ اواخر الصبر الا كاظما وجما ‌ رايت احسن مرئي
واقبحه ‌ مستجمعين لي التوديع والعنما ‌ قال ابو العباس في هذا قد ذم مثله من شاعر متقدم
وهو ان جمع بين كلمتين احديهما لا تناسب الاخرى وهو قول الكميت ‌ وقد راينا بها حورا
منعمة ‌ رودا تكامل فيها الدل والشنب ‌ فقيل له اخطات وباعدت بقولك الدل والشنب
الا قلت كما قال ذو الرمة ‌ بيضا في شفتيها حوة لعس ‌ وفي اللثات وفي انيابها شنب ‌
قال فقال الطائي مستجمعين لي التوديع والعنما فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع لا يستقبح
وانما يستقبح عاقبته وهي الفراق وجعل المنظر الحسن الخضاب وشبهه بالعنم ولم يذكر الانامل
المخضبة قال وانما سمع قول المجنون ‌ ويبدي الحصى منها اذا قذفت به ‌ من البرد اطراف
البنان المخضب ‌ قال وهذا هو الاصل استعاره الناس من بعد فقال الشاعر ‌ التشبيك
والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم ‌ قال واغرب ابو نواس في قوله ‌ تبكي فتذري الدر من نرجس
وتلطم الورد بعناب ‌ قال المرتضى وهذا غلط من ابن عمار وسقط على ابي تمام لان الكميت
جمع بين شيئين متباعدين وهما الدل وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشنب
وهو برد الاسنان فتطرق عليه بذلك بعض العيب وابو تمام جمع بين شيئين غير مفترقين
لان التوديع انما اشار به الى ما اشارت اليه باصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك
اصابعها بالعنم والعنم نبت اغصانه غضة دقاق تشبه الاصابع وقيل ان العنم واحدته عنمة
وهي العضاهة الصغيرة البيضاء وهي اشبه شيء بالاصبع البيضاء الغضة وهذا حكاه
صاحب كتاب العين وقيل ان العنم نبت له نور احمر تشبه به الاصابع المخضوبة فجمع حسن
قوله التوديع والعنم لان التوديع كان بالاصبع التي تشبه العنم فجمع بينهما لذلك فلا حاجة به الى ذكر
الانامل المخضبة على ما ظن ابو العباس بل ذكر المشبه به احسن واوضح من ان يقول التوديع و
الانامل التي تشبه العنم فاما قوله ان التوديع لا يستقبح وانما تستقبح عاقبته فخطا وغلط لانه

للشاعر ما لا يطالب بمثله الشعراء لان التوديع اذا كان منذرا بالفراق وبعد الدار وغيبة
المحبوب فلا محالة انه مكروه مستقبح وقوله تستقبح عاقبته صحيح الا ان ما يعقبه ويثمره
لما كان عند حضوره متيقنا مذكورا عاد الاستكراه والاستقباح اليه ونحن نعلم ان الناس
يتكرهون ويستقبحون تناول الاشياء الملذة من الاغذية وغيرها اذا علموا ان في عواقبها
من المكروه فان من قدم اليه طعام مسموم واعلم بذلك يتكرهه ويستقبح تناوله لما
يتوقعه من سوء عاقبته وان كان ملذا في الحال ولم تزل الشعراء تذكر كراهتها للوداع
وهربها منه لما يتصور فيه من الم الفراق وغصص الاستيحاش في هذا معروف مشهور وقد
قال ابو تمام ‌ الفت النحيب كم افتراق ‌ اظل فكان داعية اجتماع ‌ وليست فرحة الاوبات
الا ‌ لموقوف على ترح الوداع ‌ فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الاياب وهذا صحيح فاما
قول جرير ‌ اتنسى اذ تودعنا سليمى ‌ بفرع بشامة سقي البشام ‌ فانه دعا للبشام وهو
شجر بالسقيا لانها ودعته عنده فسر بتوديعها وقول الشاعر ‌ من يكن يكره الفراق فاني
اشتهيه لموضع التسليم ‌ ان فيه اعتناقة لوداع ‌ وانتظار اعتناقة لقدوم ‌ فمن شان
الشعراء ان يتصرفوا في المعاني بحسب اغراضهم وقصودهم فاذا اراد احدهم مدح شيء
قصد الى احسن اوصافه فذكرها واشار بها حتى كانه لا وصف له غير ذلك الوصف الحسن
واذا اراد ذمه قصد الى اقبح احواله فذكره حتى كانه لا شيء فيه غير ذلك وكل مصيب من حيث قصده
ولهذا ترى احدهم يقصد الى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وان العمر معه
اطول وما اشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف ما فيه من الادناء الى الاجل وانه آخر
الالوان وابغضها الى النساء وما اشبه ذلك وهذا سبيلهم في كل شيء وصفوه ولمدحه
موضعه ولذمه موضعه فمن ذم الوداع لما فيه من الانذار بالفراق وبعد الدار قد ذهب
مذهبا صحيحا كما ان من مدحه لما فيه من القرب من المحبوب والسرور بالنظر اليه وان
كان يسيرا قد ذهب ايضا مذهبا صحيحا ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بعد ان انشد شعر
المجنون قال وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعد فقال الشاعر ‌ التشبيك

والوجوه دنانير * واطراف الاكف عنم * وهذا البيت للمرقش الاكبر وهو والمرقش الاصغر جميعا
كانا على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد
قول المجنون لولا الغفلة

مجلس آخر تاويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى واذ
آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن
ولم يؤت موسى القرآن وانما اختص به محمد ص الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه اولها
ان يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة فلا يكون ههنا اسما للفرقان
المنزل على محمد ص ويحسن نسقه على الكتاب لما اختلف اللفظ كما قال تعالى الكتاب والحكمة وان
كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل والحلال
والحرام ويستشهد على هذا الوجه بقول طرفة * فما لي اراني وابن عمي مالكا * متى ادن منه
ينأ عني ويبعد * فنسق يبعد على ينأ وهو هو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللفظين وقال
عدي بن زيد * وقددت الاديم لراهشيه * والفى قولها كذبا ومينا * والمين الكذب
وثانيها ان يكون الكتاب عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذي اوتيه موسى ع
وثالثها ان يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى واصحابه المؤمنين
وبين فرعون واصحابه الكافرين لان الله تعالى قد فرق بينهم في امور كثيرة منها انه نجا هؤلاء
واغرق اولئك ورابعها ان يكون الفرقان المراد به القرآن المنزل على نبينا ص ويكون المعنى
في ذلك وآتينا موسى التوراة والتصديق والايمان بالفرقان الذي هو القرآن لان موسى ع
كان مؤمنا بمحمد ص وبما جاء به ومبشرا ببعثته وساغ حذف القبول والايمان والتصديق
وما يجري مجراه واقامة الفرقان مقامه كما ساغ في قوله تعالى واسئل القرية وهو يريد اهل القرية
وخامسها ان يكون المراد بالفرقان القرآن ويكون تقدير الكلام واذ آتينا موسى الكتاب
الذي هو التوراة وآتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف مما يقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله
تراه كان الله يجدع انفه * وعينيه ان مولاه كان له وفر * اراد ويفقأ عينيه لان الجدع لا يكون
بالعين فاكتفى بيجدع من يفقأ وقال الآخر * فنعم للاحشاء منه لفظا * وللبدين جناة وبددا

اي وترى لليدين لان الجناة والبدد لا يبصران وانما يريان وقال الآخر * علفتها تبنا وماء
باردا * حتى شتت همالة عيناها * اراد وسقيتها ماء باردا فدل علفت على سقيت وقال
الآخر * يا ليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا * اراد وحاملا رمحا قال المرتضى رضي الله عنه
وجدت ابا بكر بن الانباري يقول ان الاستشهاد بهذه الابيات على هذا الوجه لا يجوز لان
الابيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفي فيها بذكر اسم من اسم والامر وان كان
على ما قاله في الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لان الاكتفاء في الابيات بفعل عن فعل
انما حسن من حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر واقتضاه فحذف تعويلا على ان المراد
مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا المعنى قائم في الآية وان كان المحذوف اسما لان اللبس قد
زال والشبهة قد امنت في المراد بها فحسن الحذف لان الفرقان اذا كان اسما للقرآن وكان
من المعلوم ان القرآن انما انزل على نبينا ص دون موسى ع استغني عن ان يقال وآتينا محمدا الفرقان
كما استغنى الشاعر عن ان يقول ويفقأ عينه وترى لليدين جناة وبددا وما شاكل ذلك
الا انه يمكن ان يقال فيما استشهد به في جميع الابيات ما لا يمكن ان يقال مثله في الآية وهو ان
يقال انه لا محذوف فيها ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى و
معطوف عليه لانه لما قال تراه كان الله يجدع انفه وكان معنى الجدع هو الافساد للعضو
والتشويه به عطف على المعنى فقال وعينيه فكانه قال تراه كان الله يفسد انفه ويشوهه
ثم قال وعينيه وكذلك لما كان السامع للفظ من الاحشاء عالما به عطف على المعنى فقال و
لليدين جناة وبددا لانه يعلم هذا وذاك معا وكذلك لما كان في قوله علفت معنى غذيت
عطف عليه الماء لانه مما يغتذى به وكذلك لما كان المتقلد للسيف حاملا له جاز ان يعطف
عليه الرمح المحمول وهذا اولى في الطعن على الاستشهاد بهذه الابيات مما ذكره ابن الانباري
اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا يحيى بن علي
بن يحيى المنجم قال اخبرنا احمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي قال دخل
خالد بن صفوان الاهتمي على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله

القسري قال فالفيته جالسا على كرسي في بركة ماؤها الى الكعبين فدعا الي بكرسي فجلست
عليه فقال يا خالد رب خالد جلس مجلسك كان اوطا بقلبي واحب الي منك فقلت
يا امير المؤمنين ان حلمك لا يضيق عنه فلو صفحت عن جرمه فقال يا خالد ان خالدا
ادل فامل و اوجف فاعجف ولم يدع لراجع مرجعا ولا لعودة موضعا ثم قال الا اخبرك
عنه يا ابن صفوان قلت نعم قال اما انه ما بدا لي بسؤال حاجة مذ قدم العراق حتى اكون انا
الذي ابدا بها قال خالد فقلت ذلك احرى ان تجمع له فقال متمثلا اذا انصرفت
نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه اخر الدهر تقبل ثم قال لي حاجتك يا ابن صفوان فقلت
تزيدني في عطائي عشرة دنانير فاطرق ثم قال ولم وفيم العبادة احدثتها فنعينك
عليها او لبلاء حسن ابليته امير المؤمنين ام لماذا يا ابن صفوان اذا يكثر السؤال ولا
يحتمل ذلك بيت المال لم يوجب عليك عطاءه قال فقلت يا امير المؤمنين وفقك
الله وسددك انت والله كما قال اخو خزاعة اذا المال لم يوجب عليك عطاءه قرابة
قربى او صديق توافقه منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم تفتلذك المال الا خلائقه
فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على تزيين الامساك له قال احببت ان
يمنع غيري فيكثر من يلومه قال المرتضى رضي الله عنه وكان خالد مشهورا بالبلاغة وحسن العبادة
وبالاسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص بن معوية بن عمرو الغلابي قلت لخالد بن عمرو
يا ابا صفوان اني لاكره ان تموت وانت من ايسر اهل البصرة فلا يبكيك الا امة قال
فابغني امراة قلت صفها لي اطلبها لك قال اريد بكرا كثيبا او ثيبا كبكر لا ضرعا
صغيرة ولا مسنة كبيرة لم تقرا فتجبن ولم تفت فتمحن قد نشات في نعمة وادركتها
خصاصة فادبها الغنى واذلها الفقر حسبي من جمالها ان تكون فخمة من بعيد مليحة
من قريب وحسبي من حسبها ان تكون واسطة في قومها ترضى مني بالسنة ان عشت
اكرمتها وان مت ورثتها لا ترفع راسها الى السماء بطرا ولا تضعه الى الارض سقوطا
فقلت يا ابا صفوان ان الناس في طلب هذه منذ زمان طويل فما يقدرون عليها

وكان يقول

وكان يقول ان المروة لو خف محملها وقلت مؤونتها لما ترك اللئام الكرام فيها تبيتة ليلة
ولكن ثقل محملها وعظمت مؤونتها فاجتباها الكرام وحاد عنها اللئام وكان خالد
من اشح الناس وابخلهم كان اذا اخذ جائزة او غيرها قال للدرهم اما والله لطال ما اغربت
في البلاد وانجدت والله لاطيلن ضجعتك ولاديمن صرعتك وساله رجل من بني تميم
فاعطاه دانقا فقال يا سبحان الله يعطي مثلي دانقا فقال انه لو اعطاك كل رجل من بني تميم
مثل ما اعطيتك لرحت ذا مال عظيم وساله رجل فاعطاه درهما فاستقله فقال يا احمق
اما علمت ان الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر
دية مسلم وكان يقول والله ما تطيب نفسي بانفاق درهم الا درهما قرعت به باب الجنة
او درهما اشتريت به موزا وقال لان يكون لي ابن يحب الخمر احب الي من ان يكون لي ابن
يحب اللحم لانه متى طلب لحما وجده والخمر يفقد احيانا وكان يقول من كان ماله كفافا
فليس بغني ولا فقير لان النائبة اذا نزلت اجحفت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف
فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني وكان يقول لان يكون لاحدكم جار يخاف
ان يشغب عليه بيته خير من ان يكون له جار من التجار لا يشاء ان يعطيه مالا ويكتب به
صكا الا فعل **مجلس اخر تاويل اية** ان سال سائل عن قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فقال كيف يخبر عنهم
بانهم لا يكذبون نبيه ومعلوم منهم اظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق
وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول انهم بايات الله يجحدون وهل الجحد بايات الله الا تكذيب
نبيه الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجوه اولها ان يكون انما نفي تكذيبهم بقلوبهم تدينا
واعتقادا وان كانوا يظهرون بافواههم التكذيب لانا نعلم انه قد كان في المخالفين له
من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك يعاند فيظهر خلاف ما يبطن وقد قال تعالى
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ومما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية ما رواه
سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له اتصافح

هذا الصبي فقال والله انى لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبنى عبد مناف فانزل الله الاية وفى
خبر اخر ان الاخنس بن شريق خلا بابى جهل فقال يا ابا الحكم اخبرنى عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس ههنا من قريش احد غيرى وغيرك يسمع كلامنا فقال له ابو جهل ويحك والله
ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والحجابة والسقاية والندوة
والنبوة ماذا يكون لساير قريش والوجه الثانى ان يكون معنى فانهم لا يكذبونك اى لا يفعلون ذلك
بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان وانما يقتصرون على الدعوى الباطلة وهذا
فى الاستعمال المعروف لان القائل يقول فلان لا يستطيع ان يكذبنى ولا يدفع قولى وانما
يريد انه لا يتمكن من اقامة دليل على كذبه ولا حجة فى دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب
بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان وغير معتد به وروى عن
امير المومنين انه كان يقرأ لا يكذبونك بالتخفيف ويقول ان المراد بها انهم لا ياتون بحق هو
احق من حقك وقال محمد بن كعب القرظى معناها لا يبطلون ما فى يديك وكل ذلك يقوى
هذا الوجه وسنبين ان معنى هذه اللفظة مشددة يرجع الى معناها مخففة والوجه الثالث
ان يكون معنى الاية انهم لا يصادفونك كاذبا ولا يلفونك متقولا كما يقولون قاتلته فما
اجبنته اى ما وجدته جبانا وحدثته فما اكذبته اى لم الفه كاذبا وقال الاعشى اثوى وقصر
ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا اراد انه صادف منها خلفا للوعد ومثله صممت
القوم اى صادفتهم صما واخلبت الموضع اذا صادفته خالبا قال الشاعر انيت مع الحداث
ليلى فلم ابن فاخليت فاستعجمت عند خلاتى اى اصبته مكانا خاليا ومثل الحميان بن
قحافة بسن انبابا له لوامجا او سعن من اشداقه المضارحا يعنى بل واسعن اصبن مناخا
واسعة فتبن فيها وقال عمرو بن براقة تحالف اقوام على ليسمنوا وجروا على الحرب اذ انا
سالم يقال اسمن بنو فلان اذا رعت ابلهم فصادفوا فيها سمنا فقال ابو النجم تقول
للرائد اعشبت انزل اى اصبت مكانا معشبا وقال ذو الرمة تريك بياض لبتها ووجها
كقرن الشمس افتق ثم زالا اى وجد فتقا من السحاب وليس لاحد ان يجعل هذا الوجه

مختصا

مختصا بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لان فى الوجهين معا يمكن هذا الجواب لان افعلت
وفعلت يجوز ان فى هذا الموضع وافعلت بالتخفيف هو الاصل فى الفعل ثم شدد تاكيدا
وافادة لمعنى التكرار وهذا مثل اكرمت وكرمت واعظمت وعظمت واوصيت ووصيت
وابلغت وبلغت وهو كثير قال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا الا ان التخفيف اشبه
بهذا الوجه لان استعمال هذه اللفظة مخففة فى هذا المعنى اكثر والوجه الرابع ما حكى الكسائى
من قوله ان المراد انهم لا ينسبونك الى الكذب فيما اتيت به لانه كان عندهم امينا صادقا
لم يجربوا عليه كذبا وانما كانوا يدفعون ما اتى به ويدعون ان فى نفسه كذبا ومن الناس من
يقوى هذا الوجه بان القوم كانوا يكذبون ما اتى به وان كانوا يصدقونه فى نفسه ويقوله
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وبقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك
قومك وكان الكسائى يقرء انهم لا يكذبونك بالتخفيف وناضح من بين ساير السبعة الى اخره
على التشديد ويزعم ان بين كذبت واكذبت فرقا وان معنى اكذبت الرجل انه جاء بكذب
ومعنى كذبته انه كذاب فى كل حديثه وهذا غلط وليس بين فعلت وافعلت فى هذه الكلمة
فرق من طريق المعنى اكثر مما ذكرناه من ان التشديد يقتضى التكرار والتاكيد ومع هذا
لا يجوز ان يصدقوه فى نفسه ويكذبوا بما اتى به لان من المعلوم انه كان يشهد بصحة ما اتى
وصدقه وانه الدين القيم والحق الذى لا يجوز العدول عنه فكيف يجوز ان يكون صادقا
فى خبره وان كان الذى اتى به فاسدا بل ان كان صادقا فالذى اتى به حق صحيح وان كان
الذى اتى به فاسدا فلابد من ان يكون فى شىء من ذلك كاذبا وهذا تاويل من لا يحقق
المعانى والوجه الخامس ان يكون المعنى فى قوله فانهم لا يكذبونك ان تكذيبك راجع
الى وعائد على ولست المختص به لانه رسول الله فمن كذبه فهو فى الحقيقة مكذب لله ورادا عليه
وهذا كما يقول احدنا لرسوله امض فى كذا فمن كذبك فقد كذبنى ومن دفعك فقد دفعنى
وذلك من الله تعالى على سبيل التسلية له والتعظيم والتغليظ لتكذيبه والوجه السادس
ان يريد فانهم لا يكذبونك فى الامر الذى يوافق به كتبهم وان كذبوك فى غيره ويمكن فى الاية

وجه سابع وهو أن يريد أن جميعهم لا يكذبونك وإن كذبك بعضهم وهم الذين ذكروا في آخر الآية
أنهم يجحدون بآيات الله لأن الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وآله بهذا القول وعزاه فلا ينكر أن يكون لما
استوحش من تكذيبهم له وتلقيهم إياه بالرد وظن أنه لا متبع له منهم ولا ناصر لدينه فيهم
أخبره الله تعالى بأن البعض وإن كذبك فإن فيهم من يصدقك ويتبعك وينتفع بالحق
وهدايتك وكل هذا واضح بحمد الله. قال السيد المرتضى رضي الله عنه ومن جيد الشعر قول مطرود
بن كعب الخزاعي: يا أيها الرجل المحول رحله ٭ ألا نزلت بآل عبد مناف ٭ هبلتك أمك
لو نزلت عليهم ٭ ضمنوك من جوع ومن إقراف ٭ الآخذون العهد من آفاقها ٭ والراحلون
لرحلة الإيلاف ٭ والمطعمون إذا الرياح تناوحت ٭ ورجال مكة مسنتون عجاف ٭
والمفضلون إذا المحول ترادفت ٭ والقائلون هلم للأضياف ٭ والخالطون غنيهم بفقيرهم
حتى يكون فقيرهم كالكافي ٭ كانت قريش بيضة فتفلقت ٭ فالمح خالصها لعبد مناف ٭
أما قوله الراحلون لرحلة الإيلاف فكان هاشم صاحب إيلاف قريش الرحلتين وأول
من سنهما فألفوا الرحلتين في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف إلى
الشام وفي ذلك يقول ابن الزبعرى ٭ عمرو الذي هشم الثريد لقومه ٭ ورجال مكة مسنتون
عجاف ٭ وهو الذي سن الرحيل لقومه ٭ رحل الشتاء ورحلة الأصياف ٭ فأما المسنتون
فهم الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة وقوله والخالطون غنيهم بفقيرهم من
أحسن الكلام وأخصره وإنما أراد أنهم يفضلون على الفقير حتى يعود غنيا ذا ثروة و
لأحمد بن يوسف أبيات على هذا الوزن والروي يمدح بها مع ولد سعيد بن مسلم الباهلي
وكان لهم صديقا ٭ أبني سعيد إنكم من معشر ٭ لا يعرفون كرامة الأضياف ٭ قوم لباهلة بن أعصر
إن هم ٭ نسبوا أحسبتهم لعبد مناف ٭ قربوا الغداء إلى العشاء وقربوا ٭ زادا لعمر أبيك ليس
بكاف ٭ وكأنني لما حططت إليهم ٭ رحلي نزلت بأبرق العزاف ٭ بينا كذلك إذ أتى كبراؤهم ٭
يلحون في التبذير والإسراف ٭ أراد بقوله قربوا الغداء إلى العشاء من بخلهم واقتصارهم
في المطعم ويقال إن هذا الشعر حفظ وصار أكثر ما يسبون به ويثبت به قومهم ولو يتخرج

وجدا

جيدا أو عتق الشعراء لا انسفال والشعر يبرى بجيد جودته ولقد أحسن دعبل في قوله
نعوني ولما ينعني غير شامت ٭ وغير عدو قد أصيبت مقاتله ٭ يقولون إن ذاق الردى
مات شعره ٭ وهيهات عمر الشعر طالت طوائله ٭ سأقضي ببيت يحمد الناس أمره ٭ ويكثر
من أهل الرواية حامله ٭ يموت ردي الشعر من قبل ربه ٭ وجيده يبقى وإن مات قائله ٭
ولآخر في هذا المعنى ٭ لا تعرضن بمزح لامرئ فطن ٭ ما راضه قلبه أجراه في الشبه ٭ فرب قافية
بالمزح جارية ٭ مشئومة لم يرد إنماؤها نميت ٭ إني إذا قلت بيتا مات قائله ٭ ومن يقال
له والبيت لم يمت ٭



مجلس آخر تأويل آية ٭ إن سأل سائل عن قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم
إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
وعن قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون
فقال كيف يقع من أهل الآخرة نفي الشرك عن أنفسهم والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون
ومع ذلك أنهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة
ولأنهم ملجؤون هناك إلى ترك جميع القبائح وكيف قال من بعد ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وإنهم لكاذبون فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التمني
لأنهم تمنوا ولم يخبروا. الجواب قلنا أول ما نقوله إنه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي أن قولهم
ما كنا مشركين إنما وقع في الآخرة دون الدنيا وإذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز أن يكون
الإخبار تناول حال الدنيا وسقطت المسألة وليس لأحد أن يتعلق في وقوع ذلك في
الآخرة بقوله تعالى قبل الآية ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم
الذين كنتم تزعمون وأنه عقب ذلك بقوله ثم لم تكن فتنتهم فيجب أن يكون الجميع مختصا
بحال الآخرة لأنه لا يمتنع أن تكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ثم تتلوها آية تتناول
ما جرى في الدنيا لأن مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير واجب وقوله ثم لم تكن فتنتهم
لا يدل أيضا على ذلك أن يكون واقعا بعد ما أخبر عنه في الآية الأولى فكأنه قال على هذا التأو

انا نحشرهم فى الاخرة ونقول اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وما كان فتنتهم وسبب ضلالهم
فى الدنيا الا قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقد قيل فى الاية على تسليم ان هذا القول
يقع منهم فى الاخرة ان المراد به انا ما كنا عند نفوسنا وفى اعتقادنا مشركين بل كنا نعتقد
انا على الحق والهدى وقوله من بعد انظر كيف كذبوا على انفسهم لم يرد فى هذا الخبر الذى وقع
منهم فى الاخرة بل انهم كذبوا على انفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على الاخرة دون الدنيا و
لو كان فى الاية ظاهر يقتضى وقوع ذلك فى الاخرة لحملناه على الدنيا بدلالة ان اهل الاخرة
لا يجوز ان يكذبوا لانهم ملجئون الى ترك القبيح فاما قوله تعالى حاكيا عنهم يا ليتنا نرد
ولا نكذب وقوله وانهم لكاذبون فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التمنى وصرف قوله
وانهم لكاذبون الى غير الامر الذى تمنوه لان التمنى لا يصح فيه الصدق والكذب وانما
يدخلان فى الاخبار المحضة لان قول القائل ليت الله رزقنى ولدا وليت فلانا اعطانى
مالا افعل به كذا وكذا لا يكون كذبا ولا صدقا وقع ما تمناه او لم يقع فيجوز على هذا ان يكون
قوله تعالى وانهم لكاذبون مصروفا الى حال الدنيا كانه قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم
فى الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يريد انهم كاذبون ان يخبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا
امنوا ولم يكذبوا وان كان ما حكى عنهم من التمنى ليس بخبر وقد يجوز ايضا ان يحمل قوله
وانهم لكاذبون على غير الكذب الحقيقى بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا ما لا سبيل اليه
فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور فى الكلام لانهم يقولون لمن تمنى ما لم يدرك كذب املك
واكذبه رجاؤك ومايجرى مجرى ذلك قال الشاعر كذبتم وبيت الله لا تاخذونها
مراغمة ما دام للسيف قائم وقال الاخر كذبتم وبيت الله لا تنكحونها متى شاب قرناها
تصر وتحلب ولم يرد الكذب فى الاقوال بل فى التمنى والامل وليس لاحد ان يقول كيف
يجوز من اهل الاخرة مع ان معارفهم ضرورية وانهم عالمون بان الرجوع الى الدنيا لا
سبيل اليه ان يتمنوه وذلك انه غير ممتنع ان يتمنى المتمنى ما يعلم انه لا يحصل ولا يقع
ولهذا يتعلق التمنى بان لا يكون ما قد كان ولقوة اختصاص التمنى بما يعلم انه لا يكون غلط

قوم فجعلوا

قوم فجعلوا ارادة ما علم المريد انه لا يكون تمنيا وهذا الذى ذكرناه وجه فى تاويل الاية
وفى الناس من يجعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون
ليتنا فكان تقدير الكلام يا ليتنا نرد وهذا هو التمنى ثم قال من بعد فانا لا نكذب
بايات ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا
من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وكل هذا واضح بحمد الله اخبرنا ابو عبيد الله
المرزبانى قال حدثنا احمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكرى قالا حدثنا الحسين بن عليل
العنزى قال حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الله العبدى قال حدثنا ابو مسعر رجل منا من بنى غنم
بن عبد القيس قال ورد مسلم بن منصور النمرى على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن ابى
حفصة صديقا لى على انى كنت ابغضه وامقته فى الله فشكا الى فقال دخل اليوم علينا رجل اظنه
شاميا وقد تقدم عند البرامكة فى الذكر عند الرشيد فاذن له فدخل فسلم فاجاد فاذن له الرشيد
فجلس قال فاوجست منه خوفا فقلت يا نفس انا حجازى نجدى شافهت العرب وشافهتنى
وهذا شامى افتراه اشعر منى قال فجعلت اغوث نفسى الى ان استنشده هرون فاذا هو والله
من افصح الناس فدخلنى له حسد فانشده قصيدة تمنيت انها لى وان على غرمها قال فقلت له ما هى
قال احفظ منها ابياتا وهى امير المؤمنين اليك خضنا غمار الموت من بلد شطير بخوص
كالاهلة جافلات يملن على السرى وعلى الهجير حملن اليك احلاما عظاما ومثل الصخر والدر
النثير فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الى المصير الى من لا يشير الى سواه اذا ذكر الندى
كف المشير قال مروان فوددت انه اخذ جائزتى وسكت وعجبت من تخلصه الى ملك القوافى
ثم ذكر ولد امير المؤمنين على عليه السلم فاحسن التخلص ورايت هرون يعجب بذلك يذلك فى
رقاب بنى على ومن ليس بالمن الصغير فان شكروا فقد انعمت فيهم والا فالندامة للكفور
مننت على ابن عبد الله يحيى وكان من الحتوف على شفير وقد يخطئ لك المنايا
عليه فهى حايمة النسور ولو كافاك ما اجترحت يداه دلفت له بقاصمة الظهور
ولكن جل حلمك واجتباه على الهفوات عفو من قدير فعاد كانه لم يجن ذنبا وقد كان

اجتنی حسك الصدور؛ وفی روایة اخری بعد قوله بذلك؛ واتاك حین تبلغهم اذاة؛ وان ظلوا المحرق الضمیر؛ وان الرشید قال لما سمع هذا البیت منه هذا والله معنی كان فی نفسی وادخله بیت المال نحكمه فیه عذنا الی الخبر قال مروان وكان هرون یتبسم ویكاد یضحك للطف ما سمع ثم اومأ الی ان انشده فانشدته قصیدتی التی اقول فیها؛ خلوا الطریق لمعشر عاداتهم؛ حطم المناكب كل یوم زحام؛ حتی اتیت الی اخرها فوالله ما عاج ذلك الرجل یعنی النمری بشعری ولا حفل به قال وانشده منصور یومئذ؛ ان لهرون امام الهدی؛ كنزین من اجر ومن بر؛ یریش ما تبری اللیالی ولا؛ تریش ایدیهن ما یبری؛ كانما البدر علی رحله؛ ترمیك منه مقلتا صقر؛ قال وانشده ایضا؛ ولمن اضاع لقد وجدتك حافظا لوصیة العباس بالاخوال؛ قال مروان واخلق به ان یغلبنی وان یعلو علی عنده فلنی ما رایت احسن من تخلصه اذا ذكر الطالبیین اخبرنا المرزبانی قال حدثنی ابو عبد الله الحكیمی قال حدثنی یموت بن المزرع قال حدثنی ابو عثمن الجاحظ قال كان منصور النمری ینافق الرشید ویذكر هرون فی شعره ویریه انه من وجوه شیعته ومراده بذلك امیر المومنین علی ابن ابیطالب صلوات الله علیه لقول النبی انت منی بمنزلة هرون من موسی الی ان وشی به عنده بعض اعدائه وهو العتابی فقال یا امیر المومنین هو والله الذی یقول؛ متی یشفیك دمعك من همول؛ ویبرد ما بقلبك من غلیل؛ وانشده ایضا؛ شاء من الناس راتع هامل؛ یعللون النفوس بالباطل؛ ومنصور یصرح فی هذه القصیدة بالعجائب فوجه الرشید برجل من بنی فزارة وامره ان یضرب عنق منصور حیث تقع عینه علیه فقدم الرجل راس عین بعد موت منصور بایام قلائل قال المرزبانی ویصدق قول الجاحظ ان النمری كان یذكر هرون فی شعره یعنی امیر المومنین علیه السلام ما انشده محمد بن الحسن بن درید النمری؛ ال الرسول خیار الناس كلهم؛ وخیر ال رسول الله هرون؛ رضیت حكمك لا ابغی به بدلا؛ لان حكمك بالتوفیق مقرون؛ وروی ان ابا عصمة الشیعی لما وقع باهل دیار ربیعة اوفدت ربیعة وفدا الی الرشید فیهم منصور النمری فلما صار بباب الرشید امرهم باختیار من یدخل علیه منهم فاختاروا عدة

بعد عده الی ان اختار رجلین النمری احدهما لیدخلا ویسالا حوائجهما وكان النمری متوحشا لم یسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه بین یدی الرشید قال لهما قولا ما تریدان فاندفع النمری فانشده؛ ما تنقضی حسرة منی ولا جزع؛ فقال له الرشید قل حاجتك وعد عن هذا فقال؛ اذا ذكرت شبابا لیس یرتجع؛ وانشده القصیدة حتی اتی الی قوله؛ ركب من النمر عاذوا بابن عمهم؛ من هاشم اذ الم الازلم الجذع؛ متوا الیك بقربی منك تعرفها لهم بها فی سنام المجد مطلع؛ ان المكارم والمعروف اودیة؛ احلك الله منها حیث تجتمع؛ اذا رفعت امرأ فالله رافعه؛ ومن وضعت من الاقوام متضع؛ نفسی فداؤك والابطال معلمة؛ یوم الوغا والمنایا بینهم قرع؛ حتی اتی علی اخرها فقال ویحك قل حاجتك فقال یا امیر المومنین اخربت الدیار واخذت الاموال وهتكت الحرم فقال اكتبوا له بكل ما یرید وامر له بثلثین الف درهم واحتبسه عنده وشخص اصحابه بالكتب ولم یزل عنده یقول الشعر فیه حتی استاذنه فی الانصراف فاذن له ثم اتصل بالرشید قوله؛ شاء من الناس راتع هامل؛ یعللون النفوس بالباطل؛ تقتل ذریة النبی ویرجون؛ خلود الجنان للقاتل؛ ما الشك عندی فی كفر قاتله؛ لكننی قد اشك فی الخاذل؛ فامتعض الرشید وانفذ من یقتله فوجده فی بعض الطریق میتا وفی الاخری علیلا لما به فسال الرسول ان لا یاثم فیه وان ینتظر موته ففعل ولم یبرح حتی توفی رحمه الله وعاد بخبر موته الی هرون وللنمری؛ لو كنت اخشی معادی حق خشیته؛ لم تسم عینی الی الدنیا ولم تنم؛ لكننی عن طلاب الدین مختبل؛ والعلم مثل الغنی والجهل كالعدم؛ یحاولون دخولی فی سوادهم؛ لقد اطافوا بصدع غیر ملتئم؛ ما یغلبون النصاری والیهود علی؛ حب القلوب ولا العباد للصنم

مجلس اخر تاویل ایة ان سال سائل عن قوله تعالی واذا الموؤدة سئلت بای ذنب قتلت فقال كیف یصح ان یسال من لا ذنب له ولا عقل وای فائدة فی سؤال الماء من ذلك وما وجه الحكمة فیه وما الموؤدة ومن ای شی اشتقاق هذه اللفظة الجواب قلنا اما معنی سئلت ففیه وجهان احدهما ان یكون المراد ان قاتلها طولب بالحجة فی قتلها وسئل عن قتله لها وبای ذنب كان علی سبیل التوبیخ و

التعنيف واقامة الحجة فالقتلة هنا هم المسؤولون على الحقيقة لا المقتولة وانما المقتولة سؤال
عنها ويجري هذا مجرى قولهم سالت حقي اي طالبت به ومثله قوله تعالى واوفوا بالعهد
ان العهد كان مسؤولا اي مطالبا به ومسؤولا عنه والوجه الاخر ان يكون السؤال توجه
اليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له والتشنيع والتنبيه على انه لا حجة له في قتلها
ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله على
طريق التوبيخ لقومه واقامة الحجة عليهم فان قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسال من لا
عقل له ولا فهم والجواب ان في الناس من زعم ان الغرض بهذا القول اذا كان تبكيت القاتل
وتهجينه وادخال الغم عليه في ذلك الموقف على طريق العقاب لم يمتنع ان يقع وان لم يكن من الموؤدة
فهم له لان الخطاب وان علق عليها وتوجه اليها فالغرض في الحقيقة غيرها وهذا يجري مجرى من
ضرب ظالم طفلا من ولده يقول لم ضربت وما ذنبك وباي شيء استحل هذا منك وغرضه
تبكيت الظالم لا خطاب الطفل فالاولى ان يقال في هذا ان الاطفال وان كان من جهة
العقول لا يجب في وصولهم الى الاعواض المستحقة ان يكونوا كاملي العقول كما يجب مثل
ذلك في الوصول الى الثواب فان الخبر متظاهر والامة متفقة على انهم في الاخرة عند دخولهم
الجنان يكونون على اكمل الهيئات وافضل الاحوال وان عقولهم تكون كاملة فعلى
هذا يحسن توجه الخطاب الى الموؤدة لانها تكون في تلك الحال ممن يفهم الخطاب ويعقله
وان كان الغرض فيه التبكيت للقاتل واقامة الحجة عليه وقد روي عن امير المؤمنين وابن عباس
ويحيى بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وابي الضحى ومروان وابي صالح وجابر بن زيد انهم
قرؤا سالت بفتح السين والهمزة واسكان التاء وباي ذنب قتلت باسكان اللام وضم
التاء الثانية على ان الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول باي ذنب قتلت وروي
القطعي عن سليمان الاعمش وعن حفص وعن عاصم وعن حفص بن عاصم قتلت بضم التاء
الثانية وفي سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين وروي عن ابي جعفر المدني قتلت
بالتشديد واسكان التاء الثانية وروي عن بعضهم واذا المودة بفتح الميم والواو فاما

من قرئ بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من ان الله اكملها في تلك
الحال واقدرها على النطق والوجه الاخر ان يكون معنى سئلت اي سئل لها وطولب
بحقها وانتصف لها من ظالمها فكانها هي السائلة تجوزا واتساعا ومن قرئ بفتح السين
من سالت وبضم التاء الثانية من قتلت فعلى انها هي المخاطبة بذلك ويجوز على هذا
الوجه ايضا قتلت باسكان التاء الاخيرة كقراءة الجماعة لانه اخبار عنها كما تقول سال زيد
باي ذنب ضرب وباي ذنب ضربت ويقوي هذه القراءة في سالت ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله
من قوله يجيء المقتول ظلما يوم القيمة واوداجه تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح
المسك متعلقا بقاتله يقول يا رب سل هذا فيم قتلني فاما القراءة الماثورة عن حفص
عن عاصم في ضم التاء الاخيرة من قتلت مع ضم السين من سئلت فمعناها واذا
الموؤدة سئلت ما تبغي فقالت باي ذنب قتلت فاضمر ما سالت عنه واضمر قولها
والعرب قد تضمر مثل هذا لدلالة الخطاب عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعالى
واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم
اي ويقولان ذلك ونظائر ذلك في القران كثيرة جدا فاما قراءة من قرء قتلت بالتشديد
فالمراد به تكرار الفعل والموؤدة هيهنا وان كان لفظها لفظ واحدة فالمراد بها الجنس
وارادة التكرار جائزة فاما من قرا المودة بفتح الميم والواو فعلى ان يكون المراد
الرحم والقرابة وانه يسال قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها قال الله تعالى فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم فاما الموؤدة فهي المقتولة صغيرة
وكانت العرب في الجاهلية تقتل البنات بان يدفنوهن احياء وهو قوله تعالى ايمسكه
على هون ام يدسه في التراب وقوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم ويقال
انهم كانوا يفعلون ذلك لامرين احدهما انهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا
البنات بالله فهو احق بالبنات والامر الاخر انهم كانوا يقتلونهن خشية الاملاق قال الله تعالى
ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم قال المرتضى رضي الله عنه وجدت ابا علي الجبائي

وغيره يقول انما قيل لها موؤدة لانها تثقلت بالتراب الذي طرح عليها حتى ماتت وفي هذا
بعض النظر لانهم يقولون في الموؤدة وادت آئدُ وادًا والفاعل وائد والفاعلة وائدة ومن
الثقل يقولون آدني الشي يؤدني اذا اثقلني اودًا وروي عن النبي انه سئل عن العزل فقال ذلك الوأد
الخفي وقد روي عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك وقال قوم في الخبر الذي ذكرناه انه منسوخ
بما روي عنه انه قيل له ان اليهود يقولون في العزل هي الموؤدة الصغرى فقال كذبت يهود
لو اراد الله ان يخلقه لم يستطع احد ان يصرفه وقد يجوز ان يكون قوله ذلك الوأد الخفي
على طريق تاكيد الترغيب في طلب النسل وكراهية العزل لا على انه محظور محرم وصعصعة
بن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب كان ممن فدا الموؤدات في الجاهلية ونهى عن قتلهن
ويقال انه احيى الف موؤدة وقيل دون ذلك وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله ومنا الذي منع
الوائدات ۞ واحيى الوئيد فلم توأد ۞ وفي قوله ومنا الذي احيا الوئيد وغالب ۞ وعمرو ومنا
حاجب والاقارع ۞ وفي ذلك يقول ايضًا ۞ انا ابن عقال وابن ليلى وغالب ۞ وفكاك اغلال
الاسير المكفر ۞ ليلى ام غالب وعقال هو محمد بن سفيان بن مجاشع وفكاك الاغلال ناجية
ابن عقال والمكفر الذي قد كفر وكبل بالحديد ۞ وكان لنا شيخان ذو القبر منهما ۞ وشيخ اجار
الناس من كل مقبر ۞ ذو القبر غالب وكان يستجار بقبره وهو الذي اجار الناس من المقبر
والذي احيا الوئيد صعصعة ۞ على حين لا تحيى البنات واذهم ۞ عكوف على الاصنام حول المدور
والمدور صنم يدورون حوله ۞ انا ابن الذي ردّ المنية فضله ۞ وما حسب دافعت عنه
بمعور ۞ ابي احد الغيثين صعصعة الذي ۞ متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر ۞ اجار بنات الوائدين
ومن يجر ۞ على القبر يعلم انه غير مخفر ۞ وفارق ليل من نساء اتت به ۞ تعالج ريحًا ليلها غير
مقمر ۞ فارق يعني امرأة ماخضًا شبهها بالفارق من الابل وهي الناقة التي يضربها المخاض
فتفارق الابل وتمضي على وجهها حتى تضع ۞ فقال لها هل لي ما ولدت فانني ۞ اتيتك من هزلى
الحمولة مقتر ۞ رأى الارض منها راحة فرمى بها ۞ الى خدد منها وفي شر محفر ۞ فقال لها نامي فاني بذمتي
لبنتك جار من ابيها القنور ۞ القنور السيئ الخلق واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى

والذي اجار الناس من القبر
واحيا الموؤدة صعصعة

الصولي

الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن العباس بن بكار الضبي عن ابي بكر الهذلي قال الصولي
وحدثني القسم بن اسمعيل عن ابي عثمان المازني عن ابي عبيدة بطرف منه قال وفد صعصعة بن
ناجية جد الفرزدق على رسول الله في وفد من بني تميم وكان صعصعة منع الوئيد في الجاهلية
فلم يدع تميمًا تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الاسلام وقد فدى في بعض الروايات اربعمائة جارية
وفي رواية الاخرى ثلثمائة فقال للنبي بابي انت وامي اوصني فقال اوصيك بامك وابيك
واختك واخيك وادانيك فقال زدني يا رسول الله فقال رسول الله احفظ ما بين لحييك
ورجليك ثم قال له ما شيء بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رايت الناس يموجون
على غير وجه ولم ادر اين الصواب غير اني علمت انهم ليسوا عليه فرايتهم يئدون بناتهم فعرفت
ان ربهم عز وجل لم يامرهم بذلك فلم اتركهم يئدون وفديت ما قدرت وفي رواية اخرى
ان صعصعة لما وفد على رسول الله سمع فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا
يره قال حسبي ما ابالي الا اسمع من القران غير هذا ويقال انه اجتمع جرير والفرزدق يومًا
عند سليمن بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق انا ابن محيي الموتى فقال له سليمن انت
ابن محيي الموتى فقال ان جدي احيا الموؤدة وقد قال الله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس
جميعًا وقد احيا جدي اثنتين وتسعين موؤدة فتبسم سليمن وقال انك مع شعرك
لفقيه تاويل خبر ان سال سائل عن معنى الخبر الذي يروى عن النبي انه نهى ان يصلي الرجل
وهو زناء الجواب قلنا الزناء هو الحاقن الذي قد ضاق ذرعا ببوله يقال ازنا الرجل
ببوله يزنئه زنئا وزنا ببوله يزنا زنئا قال الاخطل ۞ واذا دفعت الى زناء قعرها ۞ غبراء
مظلمة من الحفار ۞ يعني ضيق القبر ويقال اتانا فلان فانت منزله زنئًا ويجوز ان يكون ضيقًا
ويجوز ان يكون عسر المرتقى وكلاهما يؤول الى المعنى الواحد ويقال موضع زناء اذا كان ضيقًا
صعبًا من ذلك قول ابي زبيد يصف اسدًا ۞ ابن عريسة عنابها اشب ۞ ودون غابتها
مستورد شرع ۞ شاس الهبوط زناء الحاميين متى ۞ يشتع بواردة يحدث لها فرع ۞ يعني
بزناء الحاميين انه ضيق جانبي الوادي وقوله متى يشتع بواردة اي يضيق بجماعة ممن يرده

وانما يحدث لما فزع من الاسد والشأس الغليظ يقال مكان شأس اذا كان غليظا ومن ذلك
قولهم زنأ فلان في الجبل اذا كابد الصعود فيه وهو يزنأ في الجبل زنأ وحكى ابو زيد ان قيس بن
عاصم المنقري اخذ صبيا له يرقصه وام ذلك الصبي منفوسة وهي ابنة زيد الفوارس بن ضرار
الضبي فجعل قيس يقول له ، اشبه ابا امك او اشبه عمل ، ولا تكونن كهلوف وكل ، يريد
علي والوكل الجبان والهلوف الهرم المسن وهو ايضا الكبير اللحية وانما اراد ههنا الجبان
وازنأ الى الخيرات زنأ في الجبل ، فاخذته امه فجعلت ترقصه وتقول ، اشبه اخي او اشبهن
اباكا ، اما ابي فلن تنال ذاكا ، تقصر عن نيله يداكا ، يعني ان في لغة تميم



مجلس

تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادراك
ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم
كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا
باياتنا هم اصحاب المشئمة عليهم نار موصدة الجواب اما ابتداء الاية فتذكير بنعم الله تعالى
وما ازاح به علتهم من الالات التي يتوصلون بها الى منافعهم ويدفعون بها المضار
عنهم لان الحاجة ماسة في اكثر المنافع الدينية والدنياوية الى العين للرؤية واللسان للنطق
والى الشفتين لحبس الطعام والشراب وامساكهما في الفم وللنطق ايضا فاما النجد في العرب
فهو الموضع المرتفع من الارض والغور الهابط منها وانما سمي الموضع من ارض العرب نجدا
لارتفاعه واختلف اهل التاويل في المراد بقوله النجدين فذهب قوم الى ان المراد بهما
طريق الخير والشر وهذا الوجه يروى عن امير المؤمنين ع وابن عباس وابن مسعود وعن الحسن
وجماعة من المفسرين وروي انه قيل لامير المؤمنين ع ان ناسا يقولون في قوله وهديناه
النجدين انهما الثديان فقال ع لا هما الخير والشر وروي عن الحسن انه قال بلغني ان رسول الله
قال ايها الناس انهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير
وروي عن قوم اخرين ان المراد بالنجدين ثديا الام فان قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعا كطريق
الخير ومعلوم انه لا شرف ولا رفعة في الشر قلنا يجوز ان يكون انما سماه نجدا للظهور وبروزه

لمن كلف

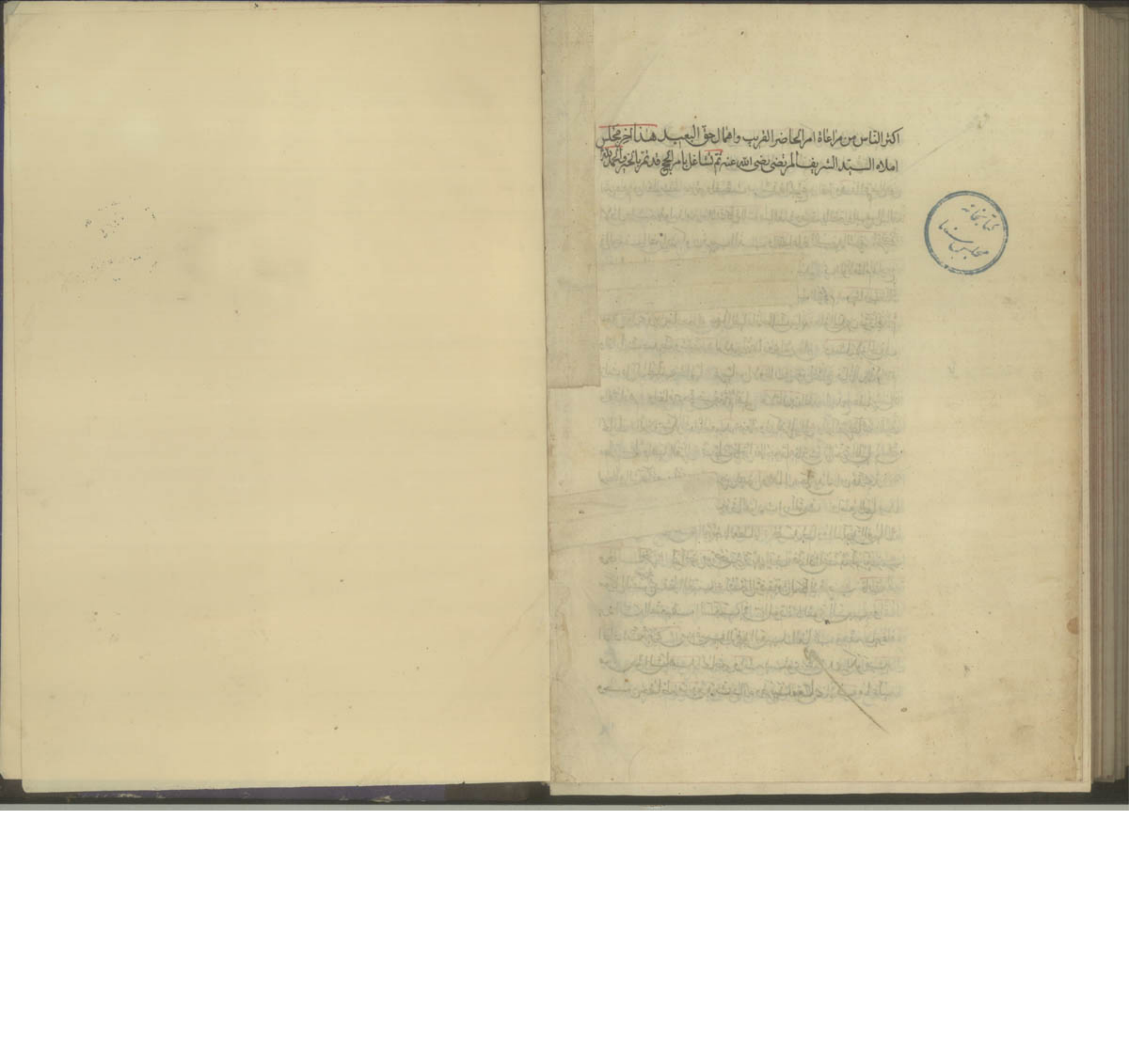
لمن كلف اجتنابه ومعلوم ان الطريقين جميعا باديان ظاهران للمكلفين ويجوز ايضا
ان يكون سمى طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف
والرفعة كما يحصل ذلك في سلوك طريق الخير لان الثواب الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب
في سلوك طريق الخير وقال قوم انما اراد بالنجدين انا بصرناه وعرفناه ما له وما عليه وهديناه
الى طريق استحقاق الثواب وثنى النجدين على عادة العرب في تثنية الامرين اذا اتفقا في بعض
الوجوه واجرى لفظ احدهما على الاخر كما قيل في الشمس والقمر القمران قال الفرزدق ، لنا
قمراها والنجوم الطوالع ، ولذلك نظائر كثيرة فاما قوله فلا اقتحم العقبة ففيه وجهان
احدهما ان يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم اي فلم يقتحم العقبة واكثر ما يستعمل هذا الوجه
بتكرير لفظة لا كما قال تعالى فلا صدق ولا صلى اي فلم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها ، فان انعموا لا كدروها ولا كدوا ، وقلما يستعملون هذا
المعنى من غير تكرير لفظة لا لانهم يقولون لا جئتني وزرتني يريدون ما جئتني فلو قالوا لا
جئتني ولا زرتني صلح الا ان في الاية ما ينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى ثم كان
من الذين امنوا فكانه تعالى قال فلا اقتحم العقبة ولا امن فمعنى التكرار حاصل والوجه الاخر ان
يكون لا جارية مجرى الدعاء كقولك لا نجا ولا سلم ونحو ذلك وقال قوم فلا اقتحم العقبة اي
فهل اقتحم العقبة او افلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا
وتواصوا بالصبر ولو كان اراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جدا لان قوله
فلا خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب على
عمر بن ابي ربيعة قوله ، ثم قالوا تحبها قلت بهرا ، عدد القطر والحصى والتراب ، فاما الترجيح
بان الكلام لو اريد به النفي لم يتصل فقد بينا انه متصل مع ان المراد به النفي لان قوله ثم كان
من الذين امنوا معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة اي فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين امنوا
والمعنى انه ما اقتحم ولا امن على ما بيناه فاما المراد بالعقبة فاختلف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء
في جهنم واقتحامها فك رقبة وروي عن النبي ص انه قال ان امامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون

وان انعموا لا كدروا ولا كدوا نخ

وانا اريد ان اخفف لتلك العقبة وروي عن ابن عباس انه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروي
ايضا انه قال العقبة النار نفسها فعلى هذا الوجه يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما
يؤدي الى اقتحام هذه العقبة ويكون سببا لجوازها والنجاة منها لان فك رقبة وما اتى بعد
ذلك ليس هو النار نفسها ولا موضعا منها وقال اخرون بل العقبة ما ورد مفسرا لها من فك
الرقبة والاطعام في يوم المسغبة وانما سمي ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها
وليس يليق هذا الوجه بالجواب الذي ذكرناه في معنى قوله فلا اقتحم العقبة وانه على وجه الدعاء
لان الدعاء لا يحسن الا بالمستحق له ولا يجوز ان يدعى على احد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه
وفك الرقبة والاطعام المذكور من الطاعات فكيف يدعى على احد بان لا يقع منه فهذا الوجه
يطابق ان تكون العقبة هي النار نفسها او تكون عقبة فيها وقد اختلف الناس في قراءة فك رقبة
فقرا امير المؤمنين ع ومجاهد واهل مكة والحسن وابو رجاء العطاردي وابو عمرو بن العلاء و
الكسائي فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقرئ واطعم على الفعل دون الاسم وقرا اهل
المدينة واهل الشام وعاصم وحمزة ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمي فك بضم الكاف وخفض رقبة
او اطعام على المصدر وتنوين الميم وضمها فمن قرا على الاسم ذهب الى ان جواب الاستفهام بالاسم
اكثر في كلام العرب واحسن من جوابه بالفعل الا ترى ان المعنى ما ادريك ما اقتحام العقبة هو
فك رقبة او اطعام وذلك هو احسن من ان يقال هو فك رقبة او اطعم ومال القراء الى القراءة
بلفظ الفعل ورجحها بقوله ثم كان من الذين امنوا لانه فعل فالاولى ان يتبع فعلا وليس يمتنع
ان يفسر اقتحام العقبة وان كان اسما بفعل يدل على الاسم وهذا مثل قول القائل ما ادريك ما
زيد ثم يقول مفسرا يصنع الخير ويفعل المعروف وما اشبه ذلك فاما الاطعام والسغب الجوع وانما
اراد انه يطعم في يوم مجاعة لان الاطعام فيه افضل واكرم فاما مقربة فمعناه يتيما ذا قربى من قرابة النسب والرحم
وهذا حض على تقديم ذوي القرابة المحتاجين على الاجانب في الافضال والمسكين الفقير الشديد الفقر
والمتربة مفعلة من التراب اي هو لاصق بالارض من ضره وحاجته ويجري هذا الاشتقاق مجرى قولهم في
الفقير مدقع وهو ماخوذ من الدقعاء وهي الارض التي لا شيء فيها وقالوا ايضا ذا متربة اي ذا عيال

والمرحمة

والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل انه ماخوذ من الرحم وقد يمكن في مقربة ان يكون
غير ماخوذ من القرابة والقربى بل هو من القرب الذي هو الخاصرة فكان المعنى
انه يطعم من انطوت خاصرته ولصقت من شدة الجوع والضر وهذا اعم من المعنى
الاول واشبه بقوله ذا متربة لان كل ذلك مبالغة في وصفه بالضر وليس من المبالغة
في الوصف بالضر ان يكون قريب النسب والله اعلم قال السيد الشريف المرتضى رضي
ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر ∴ وكانه من وفده عند القرى ∴ لولا مقام المادح
المتكلم ∴ وكانما اخذ الندى بسبابه ∴ لولا مقالته اطب للمؤدم ∴ ويقارب ذلك في
المعنى قول محمد بن خارجة ∴ سهل الفناء اذا حللت ببابه ∴ طلق اليدين مؤدب الخدام ∴
واذا رايت صديقه وشقيقه ∴ لم تدر ايهما ذوو الارحام ∴ ومثله لابي الهذلي
نزلت على ال المهلب شاتيا ∴ غريبا من الاوطان في زمن المحل ∴ فما زال بي اكرامهم
وافتقادهم ∴ وانعامهم حتى حسبتهم اهلي ∴ ولابن القدحا يمدح عقبة بن سنان
الحارثي ∴ الم ترني شكرت ابا سعيد ∴ بنعماه وقد كفر الموالي ∴ ولم اكفر سحائبه اللواتي
مطرن علي واهية العزالي ∴ فمن يك كافرا نعماه يوما ∴ فاني شاكر اخرى الليالي ∴ فتى
لم تطلع الشعراء من افق ∴ ولم تعرض ليمنى او شمال ∴ على يده له ان عد مجد ∴
ومكرمة واتلاف لمال ∴ واصبر في الحوادث ان الممت ∴ واسعى للمحامد
والمعالي ∴ فتى عم البرية بالعطايا ∴ فقد صاروا له ادنى العيال ∴
وقال اخر ∴ لم اقض من صحبة زيد اربي ∴ فتى اذا اغضبته لم يغضب ∴
موكل النفس بحفظ الغيب ∴ اقصى الرفيقين له كالاقرب ∴ فانه لم
يرد ان الضعيف السبب في المودة كالقوي السبب وانما
اراد انه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغائب وحقه ما يرعاه
من حق الشاهد الحاضر وانه يستوي عنده لكرمه
وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت معا بخلاف ما عليه



اكثر الناس من مراعاة امر الحاضر القريب واهمال حق البعيد هذا اخر مجلس
املاه السيد الشريف المرتضى رضي الله عنه ثم تشاغل بامر الحج فدتم بالخير والحمد لله

